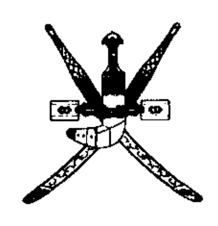
سلطنة عُمان
وزارة التراث القومي والثقافة





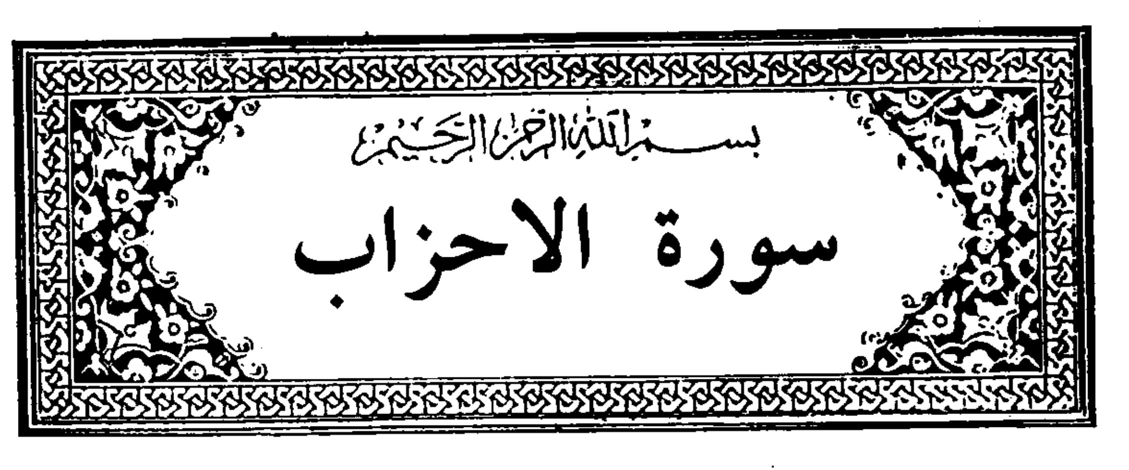
هميان الزاد إلى دار المعاد

للعالم الحجة
محمد بن يوسف الوهبي الاباضي المصعبي

الجزء الثاني عشر (٢)

١٤١١ هـ - ١٩٩١ م




بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الاحزاب

مدنية باجماع . آيها ثلاث وسبعون ، وكانت كالبقرة أو أطول وكان فيها (الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم) ونسخت وبقي ثلاث وسبعون . وقال الملحدة والرافضة : كانت في بيت عائشة فأكلها الداجن وهو باطل وكلمها الف ومئتان وثمان وثمانون وحروفها خمسة آلاف وسبعمائة وتسعون ، وقيل كلمها الف ومائتان وثمان وثمانون وحروفها خمسة آلاف وسبعمائة وست وتسعون .

عن ابي امامة عن ابيّ بن كعب قال : قال رسول ﷺ : «من قرأ سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه أعطي الأمان من عذاب القبر» ، وعنه ﷺ : «قاريء الاحزاب يدعى في ملكوت الله الشكور» .

وقالوا : من كتبها في رق غزال وجعلها في حق وجعلها في منزله كثر الخطاب اليه في اهله .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يا أيها النبي﴾ ناداه بالنبي تعظيما وتشريفا له وجمع بين اسمه ورسول في حق محمد رسول الله ﷺ اعلاما بان ذلك المسمى محمدا هو رسول وتلقينا بأن يسموه رسول الله .

﴿اتق الله﴾ اي دم على التقوى فلا تطع الكافرين والمنافقين او زد منها لا آخر لها واستعمال الفعل في الدوام عليه او الزيادة منه مجاز ، كما ان استعماله في الارادة او المشارفة مجاز وبذلك ينتفي تحصيل الحاصل .

﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ في معصية ولا في مباح يرون ان طاعتك لهم فيه ذل منك وهون من الاسلام ولا غرض لهم الا مضارة المؤمنين فجانبهم .

وكان ﷺ يحب إسلام قريظة والنظير وبني قينقاع وكلهم يهود ، وقد بايعه ناس منهم وفي قلوبهم نفاق ، فكان ﷺ يلين جانبه لهم ويكرم صغيرهم وكبيرهم وكان يسمع منهم القبيح فيتجاوز فنزلت الآية .
وروي ان أبا سفيان بن حرب لعنه الله وعكرمة بن أبي جهل وابن الأعور عمرو بن سفيان السلمي قدموا المدينة بعد اخذ في العهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ فنزلوا على عبدالله ابن ابي وقام عبدالله معهم ومعتب بن قشير والجد بن قيس وعبدالله بن سعد بن ابي السرح وطمعة بن ابيرق وجاءوا الى رسول الله ﷺ فقالوا له : ارفض ذكر الهتنا اللات والعزى ومناة وغيرها وقل انها تنفع وتشفع لعابدها وندعك والهك ، فشق ذلك على رسول الله ﷺ والمؤمنين وهموا بقتلهم فقال عمر رضي الله

عنه حين قولهم عند رسول الله ﷺ : يا رسول الله ائذن لي في قتلهم . فقال : (اني اعطيتهم الامان) . وقال عمر : اخرجوا في لعنة الله سبحانه وغضبه فأمره ﷺ ان يخرجهم من المدينة . فنزل :

﴿يا أيها النبي اتق الله﴾ في نقض العهد .

﴿ولا تطع الكافرين﴾ من اهل مكة .

﴿والمنافقين﴾ من أهل المدينة فيما طلبوك اليه .

وروي أن أهل مكة دعوا رسول الله ﷺ حين كان بمكة ان يرجع عن دينه ويعطوه شطر اموالهم ، وان يزوجه شيبة بن ربيعة ابنته ، وخوفه منافقوا أهل المدينة حين كان في انهم يقتلونه ان لم يرجع فنزلت الآية المدينة حين كان في المدينة وقيل لفظ الخطاب له والمعنية به امته .

﴿إن الله كان عليما﴾ بالأشياء كلها قبل وجودها وبالمصالح والمفاسد والصواب والخطا .

﴿حكيما﴾ لا يفعل شيئا ولا يأمر به ولا ينهي عنه إلا لحكمة .

﴿واتبع ما يوحى اليك من ربك﴾ وهو القرآن المشتمل على النهي عن طاعتهم وغيرها من المعاصي وعن نقض العهد .

﴿إن الله كان بما تعلمون خبيرا﴾ يوحي اليك ما هو مصلحة لك ولا حاجة لكم الا الاستمتاع من الكفرة .

وقرأ ابو عمرو (بما يعملون) بالتحتية على ان الضمير للمنافقين وقيل لهم وللكفرة فهو يدفع عنك كيدهم ومكرهم .

﴿وتوكل على الله﴾ في كل أمورك .

﴿وكفى بالله﴾ الباء صلة والله فاعل كفى هذا مذهب سيبوية وقيل فاعل كفى مستتر وجوبا لانه فعل امر على صورة الماضي والباء متعلقة به

اي اكتف بالله .

﴿وكيلا﴾ موكولا اليه الأمر وهو حال ويجوز كونه تمييزا على ضعف لاشتقاقه وقيل الوكيل الحفيظ لك وقيل الكافل برزقك وامته تبع له في ذلك وكانت العرب تعتقد ان للانسان قلبا يأمره وقلبا ينهاه لما رآه ومن تضاد الخواطر فنزل :

﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ باطنه الخالي وقيل سبب نزول ذلك ان بعض العرب يقول : لي قلبان كل منهما يعقل افضل من عقل محمد وهو ابو معمر حميد بن معمر المصري وكان لبيبا حافظا . وقالت قريش له قلبان لشدة حفظه وقيل جميل بن اسد .

وذلك ان القلب معدن الروح التي تعلقت النفس بها وانه منبع القوى بأسرها وكون القلب معدنا للروح ومنبعا للقوى يمنع التعدد لئلا يلزم التناقض وهو ان كلا من القلبين اصل لجميع القوى وغير اصل لها ولو كان قلبان فاما ان يفعل بأحدهما ما يفعل بالآخر من أفعال القلب ، فأحدهما فضله غير محتاج اليه واما ان يفعل بأحدهما غير ما يفعل بالآخر فذلك يؤدي الى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما ظانا موقنا شاكا في حالة واحدة ومعنى قول لقمان لابنه كن ذا قلبين كن ذا نورين في قلبك فسمى الحالين باسم محلهما .

وان قلت فقد قيل القلب قلبان قلب يقبل به العبد على ربه وقلب يدبر به أمر دنياه لقوله ﷺ : «سبحان مقلب القلوب» ، والعبد ما دام مشتغلا بسيده فانه محجوب عن نفسه وما دام مشغولا بها فمحجوب عن سيده . كما ان للعقلين طبعين طبع للدنيا مؤتلف بالنفس الشهوانية وطبع للآخرة مؤتلف بالملكات الروحانية ؟

قلت : انما ذلك متوجه للطيفة الربانية وغيرها لا للبضعة الجسمانية ويح حميد بن معمر لو كان له قلبان كما ادعى وادعي له ما مشى بنعل واخرى في يده اذ هزم مع المشركين يوم بدر ولم ينتبه لذلك حتى لقيه ابو سفيان فقال له : يا ابا معمر ما حال الناس ؟ فقال : انهزموا . فقال له : فما بال نعليك واحدة في رجلك واخرى في يدك ؟ فقال : ما شعرت الا انهما في رجلي . فلو كان له قلبان يحفظ بواحد ما انفلت عن الآخر لعلم بذلك .

وقال عياض : الآية نفي لأشياء كانت العرب تعتقدها في ذلك الوقت واعلام بحقيقة الامر ، فمنها ان العرب كانت تقول للانسان قلبان قلب يأمره وقلب ينهاه ، وتعتقد ان الزوجة التي ظوهر منها كالأم وتعتقد المتبنى ابنا فنفى الله بقوله عز وجل :

﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون﴾ الخ . وعن ابن عباس انه يقول المنافقون : لمحمد قلبان فكذبهم الله وقيل سهى في صلاته ، فقالت اليهود : له قلبان قلب مع اصحابه وقلب معكم وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما قام نبي الله ﷺ يوما يصلي فحصلت له وسوسة في قلبه فقال المنافقون الذين يصلون معه له قلب معكم وقلب معهم فنزلت الآية .

وقال الحسن : نزلت في ان الواحد يقول نفس تأمرني ونفس تنهاني وقيل لما امره الله عز وجل بالتقوى ومن حقها ان لا يكون في القلب تقوى غير الله قال :

﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ أي لأن المرء ليس له قلبان يتقي بأحدهما الله وبالآخر غيره وقيل ذلك مثل ضربه الله للمظاهر

والمتبنى يريد كما لم يجمع قلبين في جوف لم يجعل المرأة الواحدة اما لرجل زوجا له لان الأم مخدومة مخفوض لها جناح الذل والزوجة مستخدمة متصرف فيها بالافتراش وغيره كالمملوكة ولم يجعل ولدا واحدا ابنا لرجلين كيف يكون الولد دعيا لرجل ابنا له والبنوة أصالة في النسب عراقة فيه والدعوة الصاق عارض بالتسمية فإن من ادعاه يسميه ابنا له ولا يجتمع في الشيء الواحد ان يكون اصيلا غير اصيل وعلى كل تفسير فتنكير رجل وادخال تأكيد ان وذكر الجوف مع انه معلوم ان القلب في الجوف زيادة في التصور فإن السامع اذا سمع به صور لنفسه جوفا يشتمل على قلبين فذلك اسرع له في الانكار .

﴿**وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم**﴾ كان الرجل في الجاهلية يطلق امرأته بأن يقول لها انت عليّ كظهر امي فيراها حراما عليه كأمه ابدا وان ما يجب بذلك الكفارة والمس بعدها قبل مضي اربعة اشهر . كما تأتي في المجادلة ان شاء الله وان فاته ذلك فليخطبها ان شاء الله في الخاطبين فنسخ الله فعلهم أعني أبطله وذكر انهن لسن كأمهاتكم في الحرمة وان ذلك منكر وزور منكم قرأ قالون وقنبل (للاهنا) وفي المجادلة والطلاق بالهمزة من غير ياء وورش بياء مختلسة الكسرة خلفا من الهمزة واذا وقف صيرها ياء ساكنة والبزي وابو عمرو بياء ساكنة بدلا من الهمزة في الحالين والباقون بالهمزة في الحالين وحمزة اذا وقف جعل الهمزة بين بين على اصله ومن لم يهمز اشبع التمكين للالف في الحالين الا ورشاً فان المد والقصر جائزان في مذهبه ، وأصل تظاهرون يتظاهرون ابدلت التاء الثانية طاء وادغمت في الظاء وقرأ ابن عامر (تظاهرون) بتشديد الظاء كذلك وبعدها الف وبعد الالف هاء مفتوحة

وقرأ حمزة والكسائي بالحذف للتاء الثانية فتبقى الظاء غير مشددة وبعدها الف فهاء مفتوحة وقرأ عاصم (تظاهرون) بضم التاء وتخفيف الظاء وكسر الهاء وقريء تظهرون بضم التاء وفتح الظاء وكسر الهاء مشددة من ظهر بالتشديد بمعنى ظاهر وكل ذلك من معنى الظهار وقريء يظهرون بفتح الياء واسكان الظاء وفتح الهاء من الظهور بمعنى الخلاص منهم ومرادهم بالظهر الكناية عن البطن كنوا به لئلا يذكروا البطن الذي يقارب الفرج ويقارن ذكره ذكر الفرج واختاروا الكناية بالظهر لأنه عمود البطن او ذكروا الظهر لأن جماع المرأة وظهرها الى السماء حرام عندهم قال اهل المدينة يجيء به الولد أحول فكانوا يغلظون به طلاقهم وشددوا التغليظ بجعله ظهر الأم وعدي الظهار بمن لتضمنه معنى المجانبة او التباعد او التحرز او الوحشة او الخوض وكانت العرب تغادر في الجاهلية وتسابا فسبي زيد بن حارثة من شراحبيل وهو رجل من كلب سبي صغيرا فاشتراه حكيم من حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبته له وطلبه ابوه وعمه فخير فاختار رسول الله ﷺ فاعتقه وكانوا يقولون زيد بن محمد وآخى بينه وبين حمزة رضي الله عنه فأنزل الله في تحريم التبني .

﴿**وما جعل أدعياءكم أبناءكم**﴾ وكانوا في الجاهلية يتبنون من عجبهم وجهه او شجاعته او خصلة منه ويرث كواحد من اولاد من تبناه ويرثه هو ونسخ ذلك بهذه وقيل نزلت في شأن تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة وقول المنافقين تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهي عن ذلك الناس فأبطل الله التبني وبين انه ليس حكم المتبني حكم الولد الحقيقي ، كما قال (ذلكم قولكم) الخ وادعياء جمع دعي

فعيل بمعنى مفعول وانما جمع على افعلاء مع ان افعلاء جمع لفعيل بمعنى فاعل كتقي وأتقياء وولي وأولياء للمشابهة اللفظية وهو شاذ غير مقيس اما اعتلال اللام فموجود وهو شرط .

﴿ذلكم قولكم بأفواهكم﴾ كالهذيان لا حقيقة له فان المدعو ليس بابن حقيقة والزوج ليست بأم حقيقة .

﴿والله يقول الحق﴾ في ذلك .

﴿وهو يهدي السبيل﴾ سبيل الحق أي يرشد اليه وذكر بعض ما هو الحق وسبيل الحق بقوله :

﴿ادعوهم لآبائهم﴾ انسبوهم لآبائهم مثل زيد بن حارثة افادت انه لا يجوز نسبة من له اب الى امه لأن الآية ولو كانت في النهي عن نسبة احد الى من يتبناه لكن لفظها عام في مفهوم النهي عن نسبته الى غير ابيه مطلقا بالتبني او بغير التبني والى امه ولا فرق في ذلك بين ان يكون منسوبا بالنداء أو بغير النداء بحضرة احد او بغيره ففيها الرد على اصحاب حساب المريض وبعض الفلكيين وغيرهم في النسبة الى الأم غير اني رأيت في المواهب عن الحميدي ان فاطمة رضي الله عنها اتت رسول الله ﷺ تشكوا ما تلقى من ضربان الضرس فادخل سبابته اليمنى فوضعها على السن الذي يألم فقال «بسم الله وبالله أسألك بعزك وجلالك وقدر قدرتك على كل شيء فإن مريم لم تلد غير عيسى من روحك وكلمتك ان تشفي ما تلقى فاطمة بنت خديجة من الضر كله» فسكن ما به ولعل هذا عمدة من ينسب الانسان الى امه عند معالجة مرضه او جنونه ولا سيما من لا يذكره مضافا لأمه بل يقتصر على حساب اسمه واسم امه .

﴿هو أقسط عند الله﴾ الضمير للدعاء الذي يدل عليه ادعوهم وأقسط بمعنى اعدل وهو اسم تفضيل قصد به مطلق الزيادة والمبالغة في العدل لا تفضيل على شيء مخصوص مثل دعائهم لمن تبناهم فانه ليس قسطا فضلا عن ان يكون دعاء وهم لآبائهم أقسط منه أو لما كانت نسبتهم الى من تبناهم قسطا عند الناس كر الله ان هذا أقسط عند الله من ذلك لو كان قسطا تحقيقا وأقسط خارج عن معنى التفضيل اي هو قسط وغيره جور .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ان زيدا بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل ﴿ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله﴾ الآية فكنا نقول زيد بن حارثة .

﴿فإن لم تعلموا آبائهم فإخوانكم في الدين﴾ اي فهم اخوانكم في الدين .

﴿ومواليكم﴾ اي اوليائكم في الدين فيقول الرجل هذا اخي او جاء او يا اخي ونحو ذلك عانيا الاخوة في الدين او هذا مولاي او جاء مولاي او يا مولاي او يامولاي وهو يعني ولاية الدين وظاهر كلام بعضهم الى المولى بمعنى المملوك وكانوا بعد نزول ذلك يقولون سالم مولى ابي حذيفة يعنون مملوكه او وليه في الدين والذي يظهر لي ان الآية من المجاز المركب فان تركيبها وضع للأخبار بان من لم يعلم ابوه فهو اخ ومولى في الدين لكن استعمل في الآية بتسميته أخا ومولى فيه وقيل معنى المولى المعتق اي هم محررون ليسوا بنيكم فسموهم بأسماء اخوانكم في الدين وقيل ابن العم .

﴿وليس عليكم جناح﴾ اثم .

﴿فيما أخطأتم به﴾ حالفتم به طريق الحق من قولكم لولد غيركم يا ابني ونسبتكم لولد غيركم الى غير ابيه وقولكم مواليكم يا ابنائنا ونسبتكم لهم لغير آبائهم قبل نزول النهي على العمد وبعده على طريق النسيان وسبق اللسان فالمراد بالأخطاء مخالفة الحق عمدا او نسيانا او غلطا على ما ذكرت .

﴿ولكن ما تعمدت قلوبكم﴾ اي ولكن الجناح فيما تعمدتم بعد النهي فحذف المبتدأ وحرف الجر لذكر مثلهما او ما مبتدأ والخبر محذوف اي فيه جناح وقال جار الله : ما معطوف يعني الواو على ما اخطأتم يعني ولفظ لكن لمجرد الاستدراك داخلة على المفرد وذلك غير مقبول على المشهور ويجوز ان يريد بالآية العفو عن الخطأ دون العمد على طريق العموم كقوله ﷺ : «ما اخشى عليكم الخطأ ولكن اخشى عليكم العمد» ، وقوله : «وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما اكرهوا عليه» ودخل في ذلك العمد فيما نحن فيه بعد النهي والخطأ ، فمن تعمد فله النار وعن سعيد بن ابي وقاص وابي بكر من ادعى الى غير ابيه وهو يعلم انه غير ابيه فالجنة عليه حرام ودخل في الخطأ من انتسب لغير ابيه يعتقد انه ابوه .

وان قلت فما الحكم في من قال لمملوكه انت ابني او يا ابني او نحو ذلك ؟ قلت : الحكم فيه عندنا معشر الأباضية ان مملوكه خرج حرا .

وان قال اردت انه كأبني في الرحمة لم يصدق وقيل يدان وان قال ذلك لحر يمكن ان يلده ولا قرينة تكذبه التحق به نسبه وتوارثا ان صدقه الولد وكذا عند ابي حنيفة والمالكية ولا عبرة بالتبني عند الشافعية .

﴿وكان الله غفورا رحيما﴾ لمن تاب والتحقيق عندي في مثل هذا

الماضي ان يفسر بمعنى ثبت له كذا وكذا والاصل فيما ثبت دوامه فالمعنى ان الله سبحانه يثبت له صفة الغفران والرحمة وهو بمعنى قول طلبة فعل الدوام والاستمرار .

فائدة قال السهيلي : جبر الله وحشة زيد وشرفه بانزال اسمه في القرآن ﴿فلما قضى زيد منها وطرا﴾ يتلى في المساجد والمحاريب وغيرها وفي الجنة اذا قرأ اهل الجنة جعل الله له ذلك عوضا من الفخر بأبوة سيدنا محمد ﷺ وزاده غاية الاحسان اذ قال **﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه﴾** الخ فدل انه عند الله من أهل الجنة انتهى ، وروي انه ﷺ اراد غزوة تبوك فأمر الناس بالاستعداد والخروج فقال ناس نستأذن آبائنا وامهاتنا فنزل **﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾** فهم كالملك له لا يستأذنون في نحو ذلك احدا بل عليهم فعل ما امروا به نعم من له عذر من والد او والدة فليخبر به رسول الله ﷺ ولا يخرج احد لقتال غني عنه الا باذن ابويه ويجوز ان يكون المعنى انه ﷺ ارحم واشفق عليهم من انفسهم لانه يحب لهم مصالحهم الدنيوية من حيث لا ينتبهون لها والأخروية كدخول الجنة والنجاة من النار حتى انه معهم ومع غيرهم كرجل مع من اراد القاء نفسه في بئر وحريق كلما هم بالالقاء مسكه ومعه والواجب عليهم ان يحبوه اكثر من ما يحبون انفسهم ويقوه المعاطب بأنفسهم ولا يمتنعون عن امر اراده . وعنه ﷺ : «ما من مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة اقرءوا ان شئتم ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ فأيما مؤمن ترك مالا فلورثته وعصبته ما كانوا فان ترك دينا او ضياعا فعلي فأما مولاه» رواه ابوهريرة والضياع مصدر سمي به العيال او جمع ضائع كقائم وقيام .

وروي قال عياض قال بعض العارفين : هو ﷺ اولى بالمؤمنين من انفسهم لان انفسهم تدعوهم الى الهلاك وهو يدعوهم الى النجاة قال عياض ويؤيد مقولة ﷺ : «فأنا آخذ بحجركم عن النار وانتم تقتحمون فيها اقتحام الفراش» والحجر جمع حجرة وتبعه ابي بعد ان كان يقرأ (وأزواجه أمهاتهم) وهو اب لهم وكذا في مصحفه ثم تبع ابن عباس وقيل عن ابن مسعود ازواجه امهاتهم وهو اب قال مجاهد كل نبي فهو ابو امته ولذلك صار المؤمنون اخوة لان النبي ﷺ ابوهم في الدين وهو اصل فيما فيه الحياة الطيبة الابدية .

﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ وهو أبوهم كما مر آنفا والمراد انهن امهاتهم في التعظيم والمبرة وحرمة نكاحهن وهذا اوجه الشبه المراد في الكلام ومن في غير ذلك بمنزلة الاجنبيات .

قالت عائشة رضي الله عنها : لسنا أمهات النساء تعني انهن امهات الرجال لكونهن محرمات عليهم كتحريم امهاتهم .

قال جار الله : والدليل على ذلك ان هذا التحريم لم يتعد الى بناتهن وكذلك لم يثبت لهن سائر احكام الامهات فالخلوة بهن والنظر اليهن لا يجوز ولا يقال لبناتهن اخوات المؤمنين ولا لاخواتهن خالاتهم وتزوج الزبير اسماء بنت ابي بكر اخت عائشة ولم يقل خالة المؤمنين وقيل ازواجه امهات المؤمنين والمؤمنات ويرده ما مر عن عائشة وفي رواية عن مسروق ان امرأة قالت لعائشة يا اماه . فقالت لست لك بأم انما انا ام رجالكم فمعنى الامومة تحريم نكاحهن .

﴿وأولو الأرحام﴾ اصحاب القرابة .

﴿بعضهم أولى ببعض﴾ في الميراث هذا ناسخ للارث بالهجرة كان

ﷺ يؤاخي بين الرجلين فاذا مات احدهما ورثه الآخر دون عصبته واقاربه الذين اسلموا ولم يهاجروا حتى نزل ذلك بل كانت المؤاخاة على ان كلا من المتآخين يرث الآخر ولو حضر وارثه مسلما لم يرث وآخا ﷺ بين ابي بكر وعمر قبل الهجرة وآخا بعدها بين ابي بكر وخارجة وبين ابي عبيدة بن الجراح وسعد بن معاذ يؤاخي بين مهاجر وانصاري قال الخازن وقيل في معنى الآية لا توارث بين المسلم والكافر ولا بين المهاجر وغير المهاجر .

قال الزهري : مات ابو طالب عن طالب وجعفر وعلي وعقيل وورثه طالب وعقيل دون جعفر وعلي لانهما ليسا بمشركين يوم مات وذلك في مكة قبل الهجرة .

﴿في كتاب الله﴾ القرآن واللوح المحفوظ او ما فرض وحكم به الله وما انزل وهو هذه الآية وآية المواريث .

﴿من المؤمنين والمهاجرين﴾ الذي يظهر لي انه بيان لأولي الأرحام فهو حال من الضمير في أولى ببعض فان كلا منهم أولى بقريبه فكلهم اولى ثم رأيت القاضي ذكر بعض ذلك او من هي من التفضيلية متعلقة باولى اي اولى لحق القرابة للميراث من المؤمنين بحق الدين والمهاجرين بحق الهجرة ومن التفضيلية للابتداء في بعض الأقوال والمراد بالمؤمنين المؤمنون الذين آخا رسول الله ﷺ بينهم .

﴿إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا﴾ الاستثناء متصل والمستثنى منه ما تدل عليه الأولية في قوله (اولى ببعض) من النفع والاحسان كأنه قيل القريب أولى من الأجنبي في النفع كميراث وهبة وهدية وصدقة إلا في الوصية وهي المراد بالمعروف في الآية فانه لا وصية لوارث ويجوز كون

الاستثناء منقطعا لكي ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا بوصية فجائز واولى من ذلك ان تجعل المعروف بمعنى الهدية والاحسان في الحياة والوصية عند الموت وقيل المعروف النصر وحفظ الحرمة بحق الايمان والهجرة وقيل الا ان توصوا الى قرابتكم بشيء وان كانوا من غير اهل الايمان والهجرة وقد اختلفوا في ثبوت الوصية للمشركين والذي اختاره ثبوتها وعدي تفعلوا بالي لتضمنه معنى الانهاء والايصال .

﴿كان ذلك﴾ أي نسخ الارث بالايمان والهجرة بارث القرابة او كون الارحام بعضهم اولى ببعض والمعنى واحد والمراد ما ذكر وكونه ﷺ اولى بالمؤمنين من انفسهم وكون ازواجه امهاتهم .

﴿في الكتاب﴾ القرآن او اللوح المحفوظ وقيل التوراة .

﴿مسطورا﴾ مكتوبا وكتابته في القرآن او التوراة تستلزم كتابته في اللوح المحفوظ والجملة مستأنفة مقررة لما ذكر وكالخاتمة له ومثل ذلك يسمى في البديع التذيل .

﴿وإذ أخذنا﴾ أي واذكر اذا اخذنا .

﴿من النبيين ميثاقهم﴾ جميعا .

﴿ومنك﴾ قدمه لانه اولهم في الخلق والاخذ والتقديم من عطف السابق على اللاحق لبيان افضليته والاول اولى . فقد روي عنه : «اني اول الأنبياء خلقا وآخرهم بعثا» رواه قتادة ، كما روي انه قال : «انا نبي وآدم بين الطين والماء» .

﴿ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم﴾ حين اخرجناهم من ظهر آدم كالنمل الصغار بأن يعبدوا الله ويدعوا الى عبادته ولقد وفوا بالميثاق الأنبياء ولو كانوا غير مرسلين كانوا يدعون الى عبادة الله وتوحيده

وهذا الدعاء غير دعاء المرسل فان دعاء المرسل ان يدعوا الى الله ويبين لهم انه رسول الله وقد يأمر بالقتال او المراد بالنبيين النبيون المرسلون او المراد اخذ المثياق على الايمان والعبادة وعطف الخمسة مع دخولهم في النبيين عطف خاص على عام تشريفا لهم فانهم اصحاب الكتب والشرائع واولو العزم وقيل اخذ عنهم الميثاق ان يؤمنوا ويطيعوا ويبشر بعضهم ببعض ويصدق به وتلك اقوال الجمهور ومنهم الزجاج وابي بن كعب وقالت فرقة اشار الى اخذ الميثاق عليهم وقت بعثهم وإلقاء الرسالة اليهم .

﴿**وأخذنا منهم ميثاقا غليظا**﴾ هو الميثاق المذكور ولكن كرر لبيان انه غليظ ويجوز ان يكون باب التجريد البديعي كأنه قيل اخدنا منهم بذلك الميثاق ميثاقا غليظا كما تقول لقيت بزيد الاسد وذلك تأكيدا ومبالغة والغليظ العظيم الشأن او الشديد بالوفاء بما حملوه المؤكد باليمين بالله وأصل الغلظ في الاجسام استعير لجلالة الشأن .

﴿**ليسأل**﴾ الله متعلق بمحذوف اي فعل الله ذلك ليسئل يوم القيامة .

﴿**الصادقين**﴾ قال الحسن النبيين وهم صادقون .

﴿**عن صدقهم**﴾ ما الذي أجابت به أممهم او هل بلغتهم الرسالة وذلك تبكيت للكافرين فمعنى سؤال الأنبياء عن صدقهم في الوفاء بالتبليغ مثلا هل اخذ به اقوامهم وعملوا بمقتضاه او لا او سؤالهم هل صدقوا فلقوا ومعلوم انه صادقون في العهد بالتبليغ ولكن تبكيت لمن كفر او الصدق اسم للمصدر الذي هو التصديق اي عن تصديق

اقوامهم اياهم وذلك تبكيت ايضا مثل ﴿أءنت قلت للناس اتخذوني﴾ الخ .

وقيل الصادقون المؤمنون يسألهم الله عند وقوف الأشهاد عن صدقهم فيشهد لهم الأنبياء بأنهم صادقون عهدا وشهادة وكانوا مؤمنين .

او الصادقون المصدقون للأنبياء عن تصديقهم وانما قال على هذا الصادقين عن صدقهم دون المصدقين عن تصديقهم لأن من قال للصادق صدقت كان صادقا وكان قوله صدقا وقيل المعنى ليسأل الصادقين بأفواههم عن صدق قلوبهم واللام للتعليل او للصيرورة .

﴿وأعد للكافرين﴾ لهم وهم المشركون .

﴿عذابا أليما﴾ والجملة معطوفة على جملة اخذنا من النبيين عطف قصة على اخرى ولك ان تقول لذلك وجه مناسبة واتصال فان بعث الرسل عليهم السلام واخذ الميثاق لاثابة من صدق بهم وعقاب الكافرين او معطوفة على جملة محذوفة دل عليها ليسأل الصادقين عن صدقهم اي اثاب المؤمنين واعد للكافرين .

﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم﴾ التي انعم بها عليكم يوم الاحزاب وهو يوم الخندق .

﴿إذ﴾ بدل من نعمة بدل اشتمال او متعلق بنعمة لايمائه الى معنى الانعام بكسر الهمزة او هو ظرف متعلق بمحذوف حال من نعمة .

﴿جاءتكم جنود﴾ من الكفار متحزبون ايام حفر الخندق قريش وغطفان ويهود قريضة والنظير وعددهم يقارب اثني عشر الفا واما المسلمون فثلاثة آلاف وقيل غير ذلك على ما يأتي ان شاء الله .

﴿فأرسلنا عليهم ريحا﴾ باردة تسفي التراب في وجوههم في ليلة

شاتية باردة وهي ريح الصبا قال ﷺ : «نصرت بالصباء وأهلكت عاد بالدبور» .

قال عكرمة : قالت الجنوب للشمال ليلة الأحزاب انطلقي بنصر رسول الله ﷺ ، فقالت الشمال : ان الحرة لا تسري بالليل فارسلت الصبا قيل الصبا ريح فيها روح ما هبت على محزون الا ذهب حزنه .

﴿وجنودا لم تروها﴾ وهم الملائكة وكانوا ألفا تقطع اطناب الفساطيط وتقلع الاوتاد وتطفي النيران وتكفي القدور وكثر تسبيحهم في جوانب العسكر وفي وسطهم وتكبيرهم فخافوا وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكان سيد كل حي يقول يا بني فلان هلموا فاذا اجتمعوا عنده قال : النجاة النجاة فانهزموا من غير قتال .

قال طلحة ابن خوالد الأسدي : أما محمد فقد بدأكم بسحره فالنجاة النجاة .

﴿وكان الله بما تعملون﴾ من حفر الخندق والتحصن .

﴿بصيرا﴾ وقرأ البصريان (يعملون) بالتحتية اي بما يعمل المشركون من التحزب والمحاربة وقام الفريقان على الخندق نحو شهر لا حرب بينهم الا رميا بالنبل والرمي بالحجارة .

ذكر غزوة الخندق من المواهب سميت غزوة الخندق لأجل الخندق الذي حفر حول المدنية بأمره ﷺ ، ولم يكن اتخاذ الخندق من شأن العرب ولكنه من مكائد الفرس وكان الذي اشار اليه سلمان رضي الله عنه قال : يا رسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا خندقنا علينا فأمر النبي ﷺ بحفره وعمل فيه بنفسه ترغيبا للمسلمين ، واما تسميتها بغزوة الاحزاب فلإجتماع طوائف من المشركين على حرب المسلمين وهم

قريش وغطفان واليهود ومن معهم .

قال موسى بن عقبة : كان ذلك في شوال سنة اربع ، وقال ابن اسحاق في شوال سنة خمس ورجح الاول بأن رسول الله ﷺ عرض ابن عمر يوم أحد وهو ابن اربع عشرة فلم يجزه وعرضه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة فأجازه فيكون بينهما سنة واحدة وأحد كانت سنة ثلاث فيكون الخندق سنة اربع ولا حجة فيه اذا ثبت لنا انها كانت سنة خمس لاحتمال ان يكون ابن عمر في أحد اول ما طعن في الرابعة عشر وفي الاحزاب استكمل الخمس عشرة والمشهور قيل انها في السنة الرابعة وكان من حديث هذه الغزوة ان نفرا من يهود خرجوا حتى قدموا مكة على قريش وقالوا انا سنكون معكم عليه واستعدوا حتى نستأصله فاجتمعوا لذلك واستعدوا ثم خرج اولئك اليهود حتى جاءوا غطفان من قيس غيلان فدعوهم الى حربه ﷺ ، وأخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وان قريشا قد بايعوهم على ذلك واجتمعوا معهم فخرجت قريش وقائدها ابو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن في فزارة والحارث بن عوف المري في مرة وكان عدتهم فيما قاله ابن اسحاق عشرة آلاف والمسلمون ثلاثة آلاف وقيل غير ذلك وذكر ابن سعد انه كان مع المسلمين ستة وثلاثون فرسا ولما سمع رسول الله ﷺ بالاحزاب وبما اجمعوا عليه من الامر ضرب على المسلمين الخندق وأبطا على رسول الله ﷺ وعلى المسلمين في عملهم ذلك ناس من المنافقين وجعلوا يورون عن العمل بالضعف .

وعن سهل بن سعد قال : كنا مع النبي ﷺ وهم يحفرون ونحن نحمل التراب على اكتافنا وقال الرسول ﷺ : «اللهم لا عيش إلا عيش

الآخرة فاغفر للمهاجرين والأنصار» ، والاكتاد بالمثناة الفوقية جمع كتد بفتح اوله وكسر المثناة وهو ما بين الكاهل الى الظهر ، وعن انس : فاذا المهاجرون والانصار يحفرون في غداة باردة فلم يك لهم عبيد يعملون ذلك فلما رأى ما بهم من التعب والجوع قال : «اللهم لا عيش الا عيش الآخرة فاغفر للانصار والمهاجرة» فقالوا مجيبين له :

* نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد مالقين ابدا *

قال البراء : رأيت رسول الله ﷺ ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه وسمعته يتمثل بقول ابن رواحة :

* والله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا *
* فانزلن سكينة علينا * وثبت الاقدام ان لاقينا *
* ان الألى قد رغبوا علينا * وان ارادوا فتنة أبينا *

يمد بذلك صوته وان قلت كيف قال الشعر قلت لم يقرأه كقراءة الشعر بل نثرا . وقد روى انه قال ذلك مكسورا هكذا : اللهم لولا انت البيت ، وقال فانزل بترك التوكيد ، وقال ان الاولى قد باعوا البيت وروي انه قال حين بدأ الضرب في الخندق .

* بسم الله وبه بدينا * ولو عبدنا غيره شقينا *
* جندا ربا واحدا ودينا *

يقال بديت الشيء بكسر الدال وهو لغة فتحقق الهمزة او تخفف وتبدل ياء .

قال جابر بن عبدالله : ان يوم الخندق نحفر فعرضت كدية يده وهو بضم الكاف وتقديم المهملة على التحتانية وهي القطعة الصلبة فجاءوا للنبي ﷺ فقالوا : هذه كدية عرضت في الخندق ، فقام وبطنه معصوب

بحجر . لبثنا ثلاثة ايام لا نذوق ذواقا فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب فعاد كثيبا اهيل او اهيم شك الراوي وقطع بعض بالأول واراد رمل يسيل ولا يتماسك .

وعن البراء : عرضت لنا في الخندق صخرة لا تأخذ منها المعاول فاشتكينا ذلك لرسول الله ﷺ فجاء فأخذ المعول فقال (بسم الله) ثم ضرب ضربة فنثر ثلثها وقال «الله اكبر اعطيت مفاتيح الشام والله اني لأبصر قصورها الحمر الساعة» ثم ضرب الثانية فقطع ثلثها الآخر فقال «الله اكبر اعطيت مفاتيح فارس واني والله لأبصر قصر المدائن الابيض الآن» ثم ضرب الثالثة فقال «بسم الله» فقطع بقية الحجر فقال «الله اكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله اني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة» ومن اعلام نبوته ﷺ ما ذكره جاء ابن عبدالله من تكثير الطعام القليل يوم حفر الخندق وذكر موسى بن عقبة انهم قاموا في عمل الخندق قريبا من عشرين ليلة وعند الواقدي اربعا وعشرين . وقال النووي : خمسة عشر يوما . وقال ابن القيم : شهرا . ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق وأقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع السيول في عشرة آلاف من احابيشهم ومن تبعهم من كنانة وتهامة ونزل عيينة بن حصن في غطفان ومن تبعهم من اهل نجد الى جانب احد وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم الى سلع وكانوا ثلاثة آلاف رجل فضرب هنالك عسكرا والخندق بينه وبين القوم وكان لواء المهاجرين بيد زيد بن حارثة ولواء الأنصار بيد سعد بن عبادة وكان ﷺ يبعث الحرس الى المدينة خوفا على الذراري من بني قريضة .

قال ابن اسحاق : وخرج عدو الله حيي بن اخطب حتى اتى كعب

بن اسعد القرضي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم وقد وادع رسول الله ﷺ على قومه وعاقده فغلق كعب دونه باب حصنه وأبى ان يفتح له وقال : ويحك يا حيي انك امرؤ مشؤوم واني قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه فاني لم ارى منه الا وفاء وصدقا . فقال : ويلك افتح ولم يزل به حتى فتح له وقال يا كعب جئتك بعز الدهر جئتك بقريش حتى انزلتهم بمجمع الاسياد ومن دونه غطفان وقد عاهدوني على ان لا يبرحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه ولم يزل به حتى نقض عهده . وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ .

قال عبدالله بن الزبير : كنت يوم الاحزاب انا وعمر بن ابي سلمة مع النساء في اطم حسان فنظرت فاذا الزبير على فرسه يختلف بني قريظة مرتين او ثلاثا فلما رجعت قلت يا ابت رأيتك تختلف . قال : رأيتني يا بني ؟ قلت : نعم . قال : كان رسول الله ﷺ قد قال من يأتي بني قريظة فيأتني بخبرهم فانطلقت فلما رجعت جمع لي رسول الله ﷺ ابويه . قال : فداك ابي وامي . وفي رواية لما بلغ رسول الله الخبر بعث سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ومعهما ابن رواحة وخوات بن جبير ليعرفوا الخبر فوجدوهم على اخبث ما بلغهم عنهم نالوا من رسول الله ﷺ وتبرءوا من عقده وعهده ثم اقبل السعدان ومن معهما على رسول الله ﷺ وقالوا عضل والقارة اي كغدرهما بأصحاب الرجيع فعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن اسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين وأنزل الله «واذ يقول المنافقون» الخ .

وقال رجال ممن معه : يا أهل يثرب لا مقام لكم الخ .

وقال اوس بن قيظي : يا رسول الله ان بيوتنا عورة من العدو فأذن فنرجع بها فانها خارج المدينة وفي بعض نسخ المواهب وأقام ﷺ واصحابه بضع عشرة ليلة فمشى نعيم بن مسعود الأشجعي وهو مخف اسلامه فثبط قوما عن قوم وأوقع بينهم شرا لقوله ﷺ «الحرب خدعة» فاختلفت كلمتهم . وعن حذيفة : لقد رأيت ليلة الاحزاب وابو سفيان ومن معه من فوقنا وقريظة اسفل منا نخافهم على ذرارينا وما اتت علينا ليلة اشد ظلمة ولا ريحا منها فجعل المنافقون يستأذنون ويقولون ان بيوتنا عورة فمر بي النبي ﷺ وانا جالس على ركبتي ولم يبق معه الا ثلاث مائة . فقال «اذهب فأتني بخبر القوم» ودعا لي فأذهب الله عني القر والفزع فدخلت عسكرهم فاذا الريح فيهم لا تجاوز بشرا فلما رجعت رأيت فوارس في طريق فقالوا اخبر صاحبك ان الله كفاه القوم انتهى ما في تلك النسخة واقبل نوفل بن عبدالله المخزومي على فرس له ليوثبه الخندق فوقع في الخندق فقتله الله عز وجل وكبر ذلك على المشركين فارسلوا إلى رسول الله ﷺ إنا نعطيكم الدية على أن تدفعوه الينا فندفنه فرد اليهم النبي ﷺ : «خبيث الدية فلعنه الله ولعن ديته ولا نمنعكم أن تدفنوه ولا ارب لنا في ديته» .

قال بن اسحاق اقتحم عمرو بن عبد ود العامري هو ونفر معه بخيولهم من ناحية ضيقة من الخندق حتى صاروا بالسبخة ولم يكن بينهم قتال الا مرامي فبارزه علي فقتله وقتل الزبير نوفل بن عبدالله بن المغيرة وقيل قتله علي ورجعت بقية الخيول منهزمة ورمي سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الاكحل وهو عرق في وسط الذراع وهو عرق الحياة في كل عضو منه شعبة وهو في الظهر الابهر وفي الفخذ النساء اذا قطع لم يرق

الدم والذي رمى سعدا هو ابن العرقة احد بني عامر بن لوي قال خذها مني وانا ابن العرقة فقال له سعد عرق الله وجهك في النار ثم قال اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش شيئا فابقني لها فانه لا قوم احب اليّ ان اجاهد من قوم آذوا رسولك وكذبوه واقام عليه السلام واصحابه بضع عشرة ليلة فمشى نعيم بن مسعود الاشجعي فثبط قوما عن قوم كما مر وفي رواية لما ارسل حذيفة ليأتيه بالخبر سمع ابا سفيان يقول يا معشر قريش انكم والله ما اصبحتم بدار مقام ولقد هلك الخف والكراع واختلفنا نحن وبنوا قريضة ولقينا من هذا الريح ما ترون فارتحلوا فاني مرتحل ووثب على جمله فما حل عقال يده الا وهو قائم وفي البخاري انه عليه السلام قال يوم الاحزاب من يأتيني بخبر القوم ؟ فقال الزبير : انا ، ثم قال : من يأتيني بخبر القوم ؟ فقال الزبير : انا ، قالها ثلاثا . قال بن الملقن المشهور : ان الذي ذهب هو حذيفة بن اليمان قال بن حجر : لا اشكال فإن قصة الزبير لكشف خبر بني قريضة هل نقضوا العهد وقصة حذيفة لما اشتد الحصار على المؤمنين بالخندق ذهب بعد تكرار الخطاب ودعى رسول الله ﷺ فقال : اللهم منزّل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم . قال ابو سعيد : يا رسول الله هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر ؟ قال : «نعم ـ اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا» فضرب الله وجوه اعدائنا بالريح . وقيل انه قال : «يا صريخ المكروبين يا مجيب المضطرين اكشف همي وغمي وكربي فانك ترى ما نزل بي وبأصحابي» فأتاه جبريل فبشره بأن الله سبحانه يرسل عليهم ريحا وجنودا فاعلم أصحابه ورفع يديه قائلا «شكرا شكرا» وهبت ريح الصبا ليلا ورمتهم الحصاة وسمعوا

في ارجاء معسكرهم التكبير وقعقعة السلاح فارتحلوا هرابا في ليلتهم وتركوا ما استثقلوه من متاعهم . وعن علي ان رسول الله ﷺ قال يوم الخندق : «ملأ الله بيوتهم وقبورهم كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس» .

وعن ابن مسعود انه قال : حبس المشركون رسول الله ﷺ عن صلاة العصر حتى احمرت الشمس أو اصفرت فقال رسول الله ﷺ : «شغلونا عن الصلاة الوسطى» . الحديث ومقتضى رواية علي انه استمر اشتغاله بالمشركين حتى غابت ، ومقتضى كلام ابن مسعود انه لم يخرج الوقت بالكلية قال ابن دقيق العيد الحبس انتهى الى الحمرة او الى الصفرة ولم تقع الصلاة الا بعد المغرب وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه جاء يوم الخندق بعدما كادت الشمس تغرب فقال ﷺ : والله ما صليتها . فنزلنا مع النبي ﷺ بطحان فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى المغرب ولعل ذلك للاشتغال بأسباب الصلاة او غيرها وقال مالك فاته الظهر والعصر وعن ابن مسعود ان المشركين شغلوا رسول الله ﷺ يوم الخندق عن اربع صلوات ورجح ابن العربي انه فاته العصر . وقال النووي : ان وقعة الخندق بقيت أياما فكان هذا في يوم وهذا في يوم وان تأخيره صلاة العصر حتى غربت الشمس كان قبل نزول صلاة الخوف قال العلماء ولعله أخّرها نسيانا وهل الصلاة الوسطى الصبح او الظهر او العصر او المغرب او الصلوات كلها ويتناول الفرض والنفل واختاره ابن عبدالبر او الجمعة وصححه القاضي حسين او الظهر في الايام والجمعة في يوم الجمعة او العشاء لأنها بين صلاتين لا يقصران او الصبح والعشاء والصبح والعصر لقوة الادلة فظاهر القرآن

الصبح ونصوا السنة العصر او صلاة الجماعة او الوتر او صلاة الأضحى او صلاة الفطر او الضحى او واحدة من الخمس غير معينة والصبح او العصر على الترديد وقيل بالوقف اقوال تسعة عشر وانصرف ﷺ من غزوة الخندق يوم الاربعاء لسبع ليال بقين من ذي القعدة . وقال عليه السلام : «لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكن انتم تغزونهم» ولما دخل ﷺ المدينة وأصحابه ووضعوا السلاح جاءه جبريل عليه السلام معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة عليها قطيفة ديباج والاعتجار الفاء العمامة طاقا على طاق وقيل ان تلف وينزل طرفها ويلف على الوجه كله الا العينين . وعن عائشة رضي الله عنها لما رجع رسول الله ﷺ وضع السلاح واغتسل فأتاه جبريل عليه السلام فقال «قد وضعت السلاح والله ما وضعناه اخرج اليهم» واشار الى بني قريضة وعند ابن اسحاق «ان الله يأمرك يا محمد بالمسير الى بني قريضة فاني عائد اليهم فمزلزل بهم» فأمر رسول الله ﷺ مؤذنا فأذن في الناس من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا ببني قريضة وعند ابن عائذ «قم فشد عليك سلاحك فوالله لأدقنهم دق البيض على الصفا» وبعث مناديا ينادي يا خيل اركبي وبعث عليا على المقدمة وخرج في أثره وسار اليهم في ثلاثة آلاف والخيل مائة وثلاثون فرسا وذلك يوم الاربعاء لسبع بقين من ذي القعدة واستعمل ابن ام مكتوم على المدينة ونزل على بئر من آبار بني قريضة وتلاحق به الناس فأتى رجال من بعد العشاء الآخرة لم يصلوا العصر لقوله ﷺ : «لا يصلين احد العصر الا في بني قريضة» فصلوها بعد العشاء فما عاب الله عليهم ذلك وما عنفهم رسوله ﷺ وصلى بعضهم العصر في طريقه وقال لم يرد منا ذلك بل اراد العجلة ولم يعب فعله ولا

عنف وقيل «لا يصلين احد الظهر الا في بني قريضة» وجمع بين الروايتين انه قال لا يصلين الظهر لمن لم يصلها وقال : لا يصلين العصر لمن صلى الظهر او قال للطائفة الاولى الظهر وللثانية العصر والذي احفظه من حديث الخندق ان رسول الله ﷺ اخذ المعول من يد سلمان فضرب الصخرة التي عرضت في بعض الخندق فصدعها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها يعني ما بين جبلي المدينة حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح فكبر معه المسلمون ثم ضربها رسول الله ﷺ فكسرها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح وكبر المسلمون معه وأخذ بيد سلمان فرقا فقال سلمان بأبي انت وامي يا رسول الله لقد رأيت شيئا ما رأيت مثله قط فالتفت رسول الله ﷺ الى القوم فقال : أرأيتم ما يقول سلمان ؟ قالوا : نعم يا رسول الله . قال : «ضربت ضربتي الاولى فبرق الذي رأيتم فأضاء لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق الذي رأيتم اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم كأنها انياب الكلاب فاخبرني جبريل عليه السلام ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت الثالثة فبرق منها الذي رأيتم فأضاءت لي قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب فأخبرني جبريل ان امتي ظاهرة عليها فابشروا» فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر فقال المنافقون ألا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل فيخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق ولا تستطيعون ان تبرزوا

فنزل «واذ يقول المنافقون الا غرورا» ونزل :

﴿قل اللهم مالك الملك﴾ الآية وهي اول مشهد شهده سلمان مع رسول الله ﷺ وهو يومئذ حر .

روي انه ﷺ خط الخندق وقطع لكل عشرة اربعين ذرعا فاحتج المهاجرون والانصار في سلمان وكان قويا كلٌ يقول هو منا فقال رسول الله ﷺ : «سلمان منا اهل البيت» قال عمرو ابن عوف كنت انا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزني وستة من انصار في اربعين ذراعا فحفرنا حتى اذا كنا تحت ذي ناب اخرج الله من بطن الخندق صخرة كبرت وشقت علينا فقلنا يا سلمان ارق الى رسول الله ﷺ واخبره بخبر هذه الصخرة فإما ان نعدل عنها فإن المعدل قريب واما ان يأمرنا فيها بأمره فانا لا نحب ان نجاوزه خطة ذكر ذلك كله لرسول الله ﷺ وانها كسرت حديدنا ولا يجيبنا منها قليل ولا كثير فجاء مع سلمان فنزل فيه والتسعة على شعبته فأخذ المعول من يد سلمان فضربها ثلاثا كما مر .

وروي ان الاحزاب نزلوا بذي نعمى الى جانب أُحد والمسلمون كانت ظهورهم الى سلع وذراريهم ونسائهم رفعوا الى الآطام وروي أن حيي لما جاء إلى كعب بن أسد يحرضه أغلق كعب بابه فجعل يستفتح فلم يستفتح فلم يفتح له حتى قال ما أغلقته إليّ خوف ان آكل معك فدخل فقال جئتك بعز الدهر بقريش في استئصال محمد ومن معه فقال كعب : جئتني والله بذل الدهر وبجهام اراق ماءه يبرق ويرعد ولا ماء فيه دعني فاني لم ار من محمد إلا صدقا فلم يزل به حتى نقض العهد وأوعده حيي لأن رجعت قريش ولم يصيبوا محمدا لأدخلن معك في حصنك حتى يصيبني ما اصابك فلما سمع رسول الله ﷺ بنقضه ارسل

سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وغيرهما ليأتوه بالخبر فإن نقض فألحنوا لي لحنا أعرفه وإلا فاجهروا بوفائه فمضوا ووجدوه وقومه على خبث ما بلغهم عنهم ونالوا من رسول الله ﷺ وقالوا لا عقد بيننا وبينه فشاتمهم سعد بن عبادة وكانت فيه حدة وشاتموه وقال له سعد بن معاذ دع عنك مشاتمتهم فما بيننا وبينهم اربى من المشاتمة فجاءوا الى رسول الله ﷺ فلحنوا اليه بعظل والقارة كما مر بيانه فقال ﷺ : «الله اكبر أبشروا يا معشر المسلمين» وعظم البلاء واشتد الخوف اذ جاءهم عدوهم من فوقهم ومن اسفل منهم وظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق حتى قال معقب بن قشير اخو بني عمر بن عوف كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر واحدنا لا يقدر يذهب الى الغائط ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا ولما اشتد البلاء والحصار بعث رسول الله ﷺ الى عيينة ابن حصن والحارث بن عوف وهما قائدا غطفان فأعطاهما ثلث عمار المدينة على ان يرجعا بمن معهما عن رسول الله ﷺ وأصحابه وكتبوا ذلك ولم تقع الشهادة فذكر ﷺ ذلك لسعد بن معاذ وسعد بن عبادة مشاورة فقالا : يا رسول الله أشيء أمرك الله به لا بد لنا من العمل به أم أمر تحبه فتصنعه أم شيء تصنعه لنا ؟ فقال : «بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا اني قد رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحد وكالبوكم من كل جانب فأردت ان أكسر عنكم شوكتهم» . فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله وعبادة الأصنام ولا يطمعون ان يأكلوا منا تمرة واحدة الا فري او بيعا فحين اكرمنا الله بالإسلام وأعزنا بك نعطيهم اموالنا ما لنا بهذا من حاجة والله ما نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم . فقال ﷺ : «أنت

وذاك فتناول سعد الصحيفة فجيء ما فيها ثم قال : ليجهدوا علينا ، وفي رواية عن ابن اسحاق وقد مر بعضها ان فوارس من قريش عمرو بن عبد ود آخا بني عامر بن لوي وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن ابي وهب المخزمين ونوفل بن عبدالله بن ضرار بن الخطاب ومدارس آخا بني محارب بن فهر قد لبسوا للقتال وخرجوا على أخيلهم فمروا على بني كنانة فقالوا تهيأوا للحرب يا بني كنانة تستعملون اليوم من الفرسان ثم أقبلوا نحو الخندق حين وقفوا عليه فلما رأوه قالوا والله هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم تيمموا مكانا من الخندق ضيقا فضربوا خيولهم فاقتحمت فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع وخرج علي في نفر من المسلمين حتى اخذوا عليهم الموضع الذي اقتحموا منه ورجعت اليهم الفرسان وكان عمرو بن عبد ود قاتل يوم بدر حتى أثقلته الجراح فلم يشهد أحدا فخرج يوم الخندق معلما ليرى مكانه ولما وقف هو وخيله قال علي : ياعمرو انك كنت تعاهد الله لا يدعوك رجل من قريش الى خلقين الا اخذت احدهما . فقال : أجل . قال له علي : أدعوك الى الله ورسوله وإلى الاسلام . فقال : لا حاجة لي بذلك . فقال : اني ادعوك الى النزال . قال : ولم يا ابن اخي فوالله ما احب ان اقتلك . فقال علي : لكن والله احب ان اقتلك . فحمى عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره او ضرب وجهه ثم اقبل على علي فتجاولا فقتله علي وخرجت خيله منهزمة من ذلك المكان هاربة وقيل كان مع عمرو رجلان منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبدالدار اصابه سهم فمات بمكة ونوفل بن عبدالله بن المغيرة المخزومي اقتحم الخندق فتورض فيه فرموه بالحجارة فقال : يا معشر العرب القتل أحسن من هذا فنزل اليه علي

فقتله .

وقالت عائشة رضي الله عنها : كنا يوم الخندق في حصن بني حارثة وكان من أحرز حصون المدينة وكانت أم سعد بن معاذ معنا في الحصن وذلك قبل ان يضرب علينا بالحجاب فمر سعد بن معاذ وعليه درع مقلصة قد خرجت منها ذراعه كلها وفي يده حربة فقلت يا أم سعد والله لوددت ان درع سعد كانت اشبع ، فرمي بسهم يومئذ فقطع منه الأكحل وقال : ان كنت اللهم وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعل هذا الجرح لي شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريضة وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية وكانت صفية بنت عبدالمطلب في حصن مع حسان بن ثابت والنساء والصبيان فمر يهودي يطوف بالحصن وقد حاربت بنو قريضة وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ والمسلمون في مقابلة العدو لا يستطيعون ان ينصرفوا الينا فقالت : يا حسان ما آمن والله هذا اليهودي ان يدل علينا اليهود وقد اشتغل رسول الله ﷺ واصحابه فانزل اليه فاقتله ، فقال يغفر الله لك يا بنت عبدالمطلب والله لقد عرفت ما انا بصاحب هذا . قالت : فلما قال لي هذا ولم ار عنده شيئا احتجزت واخذت عمودا ونزلت اليه فضربته بالعمود حتى قتلته فرجعت الى الحصن فقلت يا حسان انزل اليه فاسلبه فانه لا يمنعني من سلبه الا انه رجل فقال مالي بسلبه حاجة يا بنت عبدالمطلب .

وجاء نعيم بن مسعود الى رسول الله كما مر فقال يا رسول الله اني قد اسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فمرني بما شئت .

فقال رسول الله ﷺ : «انما انت فينا رجل واحد فخادع لنا الناس فان الحرب خدعة» . فأتى بني قريضة وكان نديما لهم في الجاهلية قال لهم

يا بني قريظه قد عرفتم ودي اياكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم . فقال لهم : ان قريشا وغطفان جاءوا لحرب محمد ﷺ وقد ظاهرتموهم عليه وليسوا مثلكم ، البلد بلدكم وبه اموالكم واولادكم ونساءكم لا تقدرون ان تتحولوا منه الى غيره فإن رأوا غنيمة وظفرا اصابوها وان كان غير ذلك لحقو ببلادهم وخلوا بينكم وبينه ولا طاقة لكم به فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من اشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على ان يقاتلوا معكم قالوا لقد اشرت برأي ونصح . ثم اتى قريشا فقال لأبي سفيان ومن معه من قريش : قد عرفتم ودي اياكم وانا انصحكم فاكتموا عني . قالوا نفعل . قال : تعلمون ان اليهود قد ندموا على ما صنعوا بينهم وبين محمد وقد ارسلوا اليه ان قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك منا ان نأخذ من قريش وغطفان رجالا من اشرافهم فنعطيكهم فتضرب اعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم فارسل اليهم ان نعم ، فان بعثت اليكم اليهود يلتمسون رهنا فلا تدفعوا اليهم رجلا وأتى غطفان فقال لهم كما قال لقريش ، وقال لهم : انتم اهلي وعشيرتي وأحب الناس اليّ فارسل ابو سفيان وغطفان الى بني قريضة عكرمة بن ابي جهل في نفر من قريش وغطفان ليلة السبت من شوال سنة خمس فقالوا لهم لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فأعدوا للقتال حتى نناجز محمدا فارسلوا اليهم ان اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه وقد احدث فيه بعضنا حدثا فاصابهم ما لم يخف عليكم ولسنا مع ذلك نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة حين نناجز محمدا فانا خفنا ان اشتد القتال ان تسيروا الى بلادكم وتتركونا والرجل ولا طاقة لنا به . قالت قريش وغطفان : تعلمون والله ان الذي حدثكم

به نعيم فحق فاشلوا اليهم والله لا ندفع اليكم رجلا واحدا فإن اردتم القتال فاخرجوا فقاتلوا . فقالت بنو قريضة : صدق نعيم وقال حقا فارسلوا الى قريش وغطفان والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فأبوا وفرق الله بينهم وأرسل الريح تطرح آنيتهم وقد مر ذكرها ولما انتهى الى رسول الله ﷺ ما اختلف من امرهم دعى حذيفة بن اليمان لينظر ما فعل القوم ليلا ، وروي ان فتى كوفيا قال لحذيفة : يا ابا عبدالله رأيتم رسول الله ﷺ وصحبتوه ،قال نعم يا ابن اخي . قال : كيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنا نجهد . قال الفتى : والله لو ادركناه ما تركناه يمشي على الارض ولحملناه على اعناقنا ولخدمناه وفعلنا معه ما اراد قال حذيفة : يا ابن اخي والله لقد رأيتني ليلة الاحزاب مع رسول الله ﷺ فقال : «من يقوم فيذهب الى هؤلاء القوم فيأتينا بخبرهم ادخله الجنة» فما قام منا رجل ثم صلى رسول الله ﷺ وهناً من الليل ثم التفت الينا فقال مثله فسكت القوم ثم صلى وهناً من الليل فقال : «هل من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم على ان يكون رفيقي في الجنة» فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد ولما لم يقم احد دعاني رسول الله ﷺ فقال : «يا حذيفة» فلم يكن بد من القيام حين دعاني فقلت لبيك يا رسول الله فأتيته فأخذ بيدي ومسح رأسي ووجهي ثم قال : «آت هؤلاء القوم حتى تأتيني بخبرهم ولا تحدثن شيئا حتى ترجع اليّ» ثم قال : «اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته» فأخذت سهمي وشددت على نفسي فانطلقت امشي نحوهم كأني امشي في حمام فدخلتهم فأرسل عليهم الله ريحا لا تقر لهم قدور ولا بناء وابو سفيان قاعد يصطلي فوضعت سهما في كبد القوس

لأقتله وانا قريب منه متمكن منه فذكرت قول رسول الله ﷺ : لاتحدثن حدثا حتى ترجع فرددت السهم في كنانتي ، ولما رأى ابو سفيان ما تفعل الريح قام فقال : يا معشر قريش ليأخذن كل واحد منكم بيد جليسه فلينظر من هو فأخذت بيد جليسي فقلت : من انت فقال : سبحان الله ما تعرفني انا فلان بن فلان من هوازن فقال ابو سفيان : يا معشر قريش انكم والله ما اصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف واخلفتنا بنو قريضة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذا الريح ما ترون فارتحلوا فاني مرتحل ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس عليه فضربه فوثب على ثلاث فما اطلق عقاله الا وهو قائم وسمعت غطفان بما فعلت قريش فرجعوا ، فرجعت الى رسول الله ﷺ كأني امشي في حمام فأتيته وهو قائم يصلي فأخبرته فضحك حتى بدت أنيابه في سواد الليل فلما اخبرت وفرغت قررت وذهب عني الدفء فأدناني النبي ﷺ فأنامني عند رجليه وألقى عليّ طرف ثوبه والزق صدري ببطن قدميه فلم ازل نائما حتى أصبحت فلما أصبحت قال «قم يا نومان» . قال الثعالبي : أجلي بنو النظير من موضعهم عند المدينة الى خيبر فاجتمعت جماعة منهم ومن غيرهم من اليهود يستنهضون قريشا وغطفان وبني اسد واهل نجد وتهامة وجاءوا وحاصروا المدينة وذلك في شوال سنة خمس وقيل أربع قال جار الله عدة قريش ومن معهم من الاحابيش وكنانة واهل تهامة عشرة آلاف وعدة غطفان الف .

﴿إذ﴾ بدل من إذا .

﴿جاءوكم من فوقكم﴾ من أعلى الوادي من قبل المشرق جاءت منه غطفان .

﴿ومن أسفل منكم﴾ اسفل الوادي من قبل المغرب جاءت منه قريش .

قال الحسن : من أعلى المدينة ومن اسفلها .

قال الكلبي جاء من اعلى الوادي عيينة ومن اسفله ابو الاعور السلمي .

قال مجاهد : من فوقكم يريد اهل نجد مع عيينة ومن اسفل منكم يريد اهل مكة وسائر تهامة والواضح ان الذين من فوق الوادي من المشرق اسد وغطفان وعليهم مالك بن عوف النظري وعيينة في الف من غطفان ومعهم طلحة بن خويلد الاسدي في بني اسد وحيي بن اخطب في يهود قريضة والذين من اسفل الوادي وهو بطنه من قبل المغرب قريش وكنانة وعليهم ابو سفيان ومن تبعه وابو الاعور من قبل الخندق .

﴿وإذ زاغت الأبصار﴾ مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا للرعب وقيل : عدلت عن كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها قاله جار الله .

﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾ حنجرة وهي رأس الغلصمة وهي منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب . وقال شيخ الاسلام : المشهور ان الحلقوم مجرى النفس وان المريء مجرى الطعام والشراب وهو تحت الحلقوم وانما بلغت قلوبهم حناجرهم لشدة الخوف وذلك انهم قالوا اذا انتفخت الرئة من شدة الفزع او الغضب او الغم الشديد ربت وارتفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة ومن ثم قيل للجبان انتفخ سحره ويجوز ان يكون المراد ببلوغها الحناجر ثوران النفس وتفرقه حتى كان القلب يصعد علوا وذلك لتحركه وان يكون ذلك مثلا في اضطراب

القلوب وان لم تبلغ الحناجر حقيقة .

﴿وتظنون بالله الظنونا﴾ الذي يظهر لي أن الخطاب للمؤمنين وان الظنونا الخواطر التي خطرت لهم ولا يمكن للبشر دفعها ، وأما المنافقون فرسخت فيهم وعملوا بها ونطقوا بها وجمع الظن للتنويع وظنوا الظنون المختفية بالنصر واليأس ويجوز ان يكون الخطاب للمنافقين ان محمدا وأصحابه يقتلون وان يكون لهم وللمؤمنين فهم ظنوا ان المسلمين يستأصلون وظن المسلمون انهم يبتلون كما قاله الحسن او ظن المؤمنون المخلصون الذين ثبتت أقدامهم ان الله سبحانه يبتليهم فخافوا الزلل والضعف عن احتمال البلية وظن المؤمنون الضعاف القلوب الذين هم على جرف والمنافقون الذين لا إيمان في قلوبهم .

﴿ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا﴾ قيل ظن المؤمنون الظفر بهم والمنافقون استئصال محمد واصحابه وزيدت الألف بعد النون اجراء للفاصلة مجرى القافية واجرى نافع وابن عامر وابوبكر الوصل في ذلك مجرى الوقف فأثبتوا الالف وصلا ووقفا ولم يزدها ابوعمرو وحمزة ويعقوب مطلقا وهو القياس وقرىء بزيادتها في الوقوف . وقال الامام ابو عمرو الدالي قرأ حمزة وابو عمرو باسقاط الألف وصلا ووقفا وابن كثير وحفص والكسائي بحذفها وصلا والباقون باثباتها وكذا في الرسول والسبيل .

﴿هنالك﴾ لإشارة المكان الذي نزلوا فيه وقيل للزمان .

﴿ابتلي﴾ اختبر .

﴿المؤمنون﴾ ليتبين ما قد علمه الله من رسوخ ايمان بعضهم وضعف ايمان بعض .

وقيل : المراد بالمؤمنين القسمان المذكوران والمنافقون لانهم بصورة المؤمنين فيتبين هنالك نفاقهم وهو الاشراك الذي ضمروه .

﴿وزلزلوا زلزالا شديدا﴾ حركوا بعنف حركة شديد وذلك كناية عن ان الخوف ازعجهم اشد الازعاج وقرىء (زلزالا) بالفتح للزاي الاولى .

﴿وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض﴾ ضعف اعتقاد والقائل معتب بن قشير وتوبع قال بريد بن رومان قال معتب : يعدنا محمد ان نفتح كنوز كسرى وقيصر ومكة ونحن الآن لا يقدر احد منا ان يذهب للغائط ، وقيل عبدالله بن ابي وأصحابه واذ معطوفة على اذ الاولى او الاخيرة او على هنالك ان جعلت الاشارة للزمان لان هنا قد يشار بها للزمان وان جعلت للمكان ففي عطف الزمان على المكان والعكس خلاف واستعمال المرض بمعنى ضعف الاعتقاد من الاستعارة التصريحية .

﴿ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا﴾ باطلا وقيل الخديعة وعدنا بالنصر ونصر علينا غيرنا مفعول ثان اي مفعول مطلق اي وعد غرور والمنافقون بإضمار الشرك انما قالوا انه رسول قولا خاليا عن الاعتقاد على جهة الكذب والمراد ما وعدنا الله والذي يقال انه رسوله .

﴿وإذ قالت طائفة منهم﴾ من المنافقين او الضمير لهم وللذين في قلوبهم مرض ولو كان القائلون من المنافقين والطائفة اوس بن قبطي ومن معه وقال السدي : عبدالله بن أبيّ واصحابه .

﴿يا أهل يثرب﴾ ارض المدينة ممنوع من الصرف للعلمية ووزن الفعل المضارع وباعتبار معنى الأرض او المدينة او البقعة يكون فيه

التأنيث ايضا وقيل يثرب اسم للارض التي هي مدينة رسول الله ﷺ بجنبها سميت باسم رجل من العمالقة نزل في قديم الزمان ونهى رسول الله ﷺ ان تسمى يثرب وقال (هي طابة) وذلك لما يدل عليه اللفظ من الفساد او التقريع والتوبيخ . وقالت العلماء : من قال يثرب فكفارته ان يقول عشر مرات طابة او طيبة وانما ذكره الله يثرب حكاية لقول الطائفة .

﴿لا مقام﴾ مصدر ميمي او اسم مكان من قام الثلاثي أي لا قرار أو لامكان قرار وقرأ حفص بضم الميم الاولى فهو مصدر او مكان أقام الرباعي .

﴿لكم﴾ هنا .

﴿فارجعوا﴾ الى منازلكم أو الى الشرك او لا مقام لكم بيثرب الا بالرجوع للكفر اقوال .

﴿ويستأذن فريق منهم النبي﴾ في الرجوع والفريق المستأذن اوس المذكور ومن معه ابن أبي ومن معه وقيل بنوا حارثة وبنوا سلمة .

﴿يقولون إن بيوتنا عورة﴾ غير حصينة بل منكشفة يتمكن منها العدو والسارق ، يقال عور المكان اذا بدا فيه خلل يخاف منه العدو والسارق ، ويقال ايضا ذا عورة بكسر الواو بذلك المعنى الذي هو الاختلال وبه قرأ بعضهم ويجوز ان يكون السكون مخففا من هذا استأذنوا في الذهاب اليها على ان يرجعوا اليه بعد ان يحصنوها أو على ان يقوموا بها لحفظها وفسّر الكلبي عورة بخالية والحسن بضائعة .

﴿وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا﴾ من القتال تكذيبا لهم بأنها حصينة لا عورة ، وانما ارادوا الفرار ، أو بأنها ولو كانت عورة انما ارادوا

الفرار لا حفظها وإزالة انكشافها .

﴿ولو دخلت﴾ أي المدينة او بيوتهم قولان ، أي ولو دخلها الأحزاب .

﴿عليهم من أقطارها﴾ أي جوانبها ونواحيها واشتد الخوف .

﴿ثم سئلوا﴾ أي طلبهم الداخلون .

﴿الفتنة﴾ الشرك وقتال المسلمين .

﴿لأتوها﴾ أي لجاءوا الفتنة أي اشركوا وقاتلوا المسلمين وذلك قراءة الحرميين وقرأ الباقون لآتوها بالمد لأعطوها .

﴿وما تلبثوا بها﴾ أي ما لبثوا بالفتنة اي باعطائها والمراد انهم لا يحتسبون عنها لحفظ بيوتهم .

﴿إلا يسيرا﴾ قدر أخذ السلاح أو قدر السؤال والجواب وقيل مجرور الباء عائد للمدينة اي ما لبثوا فيها بعد الارتداد إلا قليلا فيهلكهم الله والمعنى انهم يتعللون في الظاهر بأن بيوتهم عورة وانما أرادوا خذلان رسول الله ﷺ ومصافاة الأحزاب حتى انهم لو عرض عليهم الكفر وقتال المسلمين لتسارعوا وما اعتذروا بشيء لمقتهم الاسلام ، واذا كانوا ذلك لمقت الاسلام جاز ان يكون فاعل دخلت الذي ناب المفعول مطلق الداخلين سواء كانوا هؤلاء الاحزاب او غيرهم فكل من دعاهم لقتال المسلمين يجيبونه سريعا .

﴿ولقد كانوا﴾ يعني بني حارثة من هؤلاء .

﴿عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار﴾ فشلوا يوم احد فعاهدوا رسول الله ﷺ ان لا يعودوا لمثل ذلك ولا يفروا بعد ما نزل فيهم ما نزل قاله ابن اسحاق . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : عاهدوا رسول الله

ﷺ ليلة العقبة ان يمنعوا ما يمنعون منه انفسهم وقيل هم قوم غابوا عن بدر ولما رأوا ما اعطي الله اهل بدر من الكرامة قالوا لو أشهدنا الله قتالا لنقاتلن وجملة لا يولون جواب القسم وهو عاهدوا الله والأدبار ظرف مؤكد لعامله كقولك رجع وراءه وتقدم أمامه او مفعول مطلق أي تولى الادبار .

﴿وكان عهد الله﴾ ما وعد به وأعد من طاعة الله .

﴿مسؤولا﴾ يوم القيامة أي مطلوبا أي يقال لهم يوم القيامة هاتوا ما وعدتم به فلا يجدون او الاصل مسؤولا عنه عن الوفاء به بسؤال توبيخ او المراد الترغيب في الوفاء به اي انه يسأل عنه ليجازى به .

﴿قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت﴾ حتف الأنف .

﴿أو القتل﴾ فانه لابد لكم من الموت وليس الفرار منه ذلك يباعد الموت اذا حضر أجله .

﴿وإذاً لا تمتعون إلا قليلا﴾ أي ولو نفعكم الفرار وتأخر عنكم الموت به لم تمتعوا بالحياة الا تمتعا قليلا او إلا زمانا قليلا فتموتون فكيف والفرار لا يؤخر الموت او المعنى انكم اذا فررتم فانما منعكم من الموت عدم حضور اجله وما بينكم وبينه إلا قليل وهو باق الاجل .

مر بعض بني مروان بحائط مائل فأسرع فتليت له الآية فقال : ذلك القليل نطلب .

وإذاً حرف جواب وقيل ظرف زمان ماض تنوينها عوض عن جملة وقيل هي اذا الظرفية الاستقبالية نونت تعويضا عن الجملة بعدها فحذف الفها للساكن بعده وهو التنوين وهكذا في مثل ذلك .

﴿قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً﴾ هلاكا او

هزيمة او ضراما .

﴿أو أراد بكم رحمة﴾ فان قلت الرحمة شيء مطلوب لا شيء مكروه تطلب العصمة منه فكيف يقال من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم رحمة .

قلت : يقدر له ما يوافقه اي او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة على طريقة علفتها تبنا وماء اي وسقيتها ماء وقلت سيفا ورمحا فان الرمح لا يقلد او المراد من يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او يمنعكم من الرحمة ان اراد بكم رحمة فالرحمة التي قدرت الحقيقة والمذكورة النوع او الفرد ثم رأيت في الكشاف ما يوافق هذا الاخير الذي ظهر لي والحمد لله اذكر ان العصمة منع فتصدق على منع السوء وعلى منع الرحمة لكنه كما ترى لم يقدر شيئا كما قدرت لانه ضمن العصمة معني المنع ويجوز ان يراد بالسوء الاضلال وبالرحمة التوفيق او التوبة .

﴿ولا يجدون لهم من دون الله وليا﴾ ينفعهم ويرحمهم .

﴿ولا نصيرا﴾ يمنع عنهم السوء .

﴿قد يعلم الله المعوقين منكم﴾ قد للتحقيق او للتوقع فان المعوقين ومن معهم يتوقعون لازم علم الله بتعريفهم ولازمه هو الاخبار به او جهلوا ان الله يعلم كل شيء فهم يتوقعون هل علم الله تعريفهم ام لا والمعوقون المثبطون عن رسول الله ﷺ وهم المنافقون يقولون لاخوانهم من ساكن المدينة من انصار رسول الله ﷺ ما محمد واصحابه الا أكلة رأس ولو كانوا لحما لالتهمهم ابو سفيان واصحابه فحلوهم . وألتهم الفصيل ما في الضرع استوفاه وألتهم ابتلع .

﴿والقائلين لاخوانهم هلم إلينا﴾ قيل ان اليهود ارسلت اليهم ما

الذي يحملكم على قتل انفسكم بيد ابي سفيان ومعهم انهم ان قدروا في هذه المدة عليكم لم يستبقوا منكم احدا وإنا نشفق لكم انتم اخواننا وجيراننا هلموا الينا فأقبل عبدالله بن ابي وأصحابه على المؤمنين يخوفونهم بأبي سفيان وأصحابه لئن قدروا عليكم لم يبقوا منكم احدا فارجعوا عن محمد فانه يقتل هنا ولا خير عنده انطلقوا الى اخواننا يعني اليهود فلم يزدد المؤمنون الا إيمانا واحتسابا .

وهلم اسم فعل بمعنى اقبل ولفظها واحد مع المذكر والمفرد وغيرهما وذلك لغة اهل الحجاز ، واما بنوا تميم فهي فعل في لغتهم يقولون هلم عليَّ هلما هلموا هلمن وفسّر بعضهم هلم بالفعل المتعدي مثل احضر بفتح الهمزة وكسر الضاد وقرب بتشديد الراء اي حضروا الينا انفسكم وقربوها الينا .

﴿ولا يأتون البأس﴾ الحرب .

﴿إلا قليلا﴾ الا اتيانا قليلا او الا زمانا قليلا او الا بأسا قليلا رياء وسمعة فهو مفعول مطلق او ظرف زمان او منصوب على الابدال من البأس او الاستثناء وذلكم انهم يعتذرون عن حضور القتال ما امكن ويثبطوهن ما امكن واذا حضروه باضطرار لا يقاتلون الا قليلا وذلك من كلام الله ذم لهم ويجوز ان يكون من كلامهم راجعين الضمير لسيدنا محمد ﷺ والمؤمنين اي لا يأتون حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا والوجه الاول اوضح ويدل له قوله عزّ وجلّ .

﴿أشحة﴾ الخ . . حال من (ولو يأتون) وقيل منه ومن المعوقين يعني ومن القائلين ان قلنا انهم عبدالله بن ابي ومن معه وانهم غير المعوقين ايضا وان قلنا انهم فريق واحد فذلك القائل استغني عنهم بالمعوقين وان

قلنا القائلون اليهود فلا تصح الحالية منهم او هو مفعول لمحذوف اي ذم اشحة وهو جمع شحيح واصله اشححة كأرغفة نقلت كسرة الحاء الاولى للشين فأدغمت في الثانية .

﴿عليكم﴾ يا معشر المؤمنين أي بخلا عليكم بالمعونة في أمر القتال ونحوه وبالنفقة في ذلك ونحوه من أمور الآخرة ومنافعكم .

﴿فإذا جاء﴾ حضر وقيل اشتد..

﴿الخوف رأيتهم ينظرون إليكم تدور أعينهم﴾ حال من ولو ينظرون .

﴿كالذي يغشى عليه﴾ أي كنظر الذي أو دورانا كدوران عيني الذي او حال كونهم كالذي أو حال كون أعينهم كعين الذي .

﴿من الموت﴾ أي لأجل الموت أي لسكراته وانما ينظرون اليه خوفا والتجاء اليه حتى انهم كالمحتضر يذهب عقله ويشخص بصره ولا يطرق .

﴿فإذا ذهب الخوف﴾ زال وحيزت الغنيمة ووقعت القسمة .

﴿سلقوكم﴾ آذوكم وضربوكم شبه الأذى باللسان بالضرب بنحو العصا وقريء (صلقوكم) بالصاد .

﴿بألسنة حداد﴾ ذربة يطلبون الغنيمة ويقولون لرسول الله ﷺ وفر قسمتنا فإنا قد قاتلنا معكم وبنا غلبتم عدوكم ووصفها بالحدة تشبيها لها بنحو السيف .

وقال ابن عباس : عتبوكم بألسنة حداد وقالت فرقة : هذا السلق هو مخادعة المؤمنين مما يرضيهم من القول على جهة المصانعة ولا ينافي هذا القول وصف الألسنة بالحدة فإن المراد بالحدة التأثير وهي كما تؤثر

شرا تؤثر خيرا وقيل السلق الصياح .

﴿أشحة﴾ حال من ولو سلقوكم او منصوب على الذم وتؤيده قراءة بعضهم بالرفع على انه خبر لمحذوف .

﴿على الخير﴾ قيل يدل على عموم الشح في قوله سبحانه «أشحة عليكم» وقيل المراد بالخير المال والغنيمة فعلى الأول يكون قوله «أشحة على الخير» تأكيدا في المعنى لقوله «أشحة عليكم» ، وعلى الثاني يكون مفيدا مالا يفيد الأول وفسره بعض بالقتال وعبارة جار الله وقريء «أشحة» بالرفع و«صلقوكم» بالصاد وظاهره ان قراءة الرفع في أشحة الاول او فيه مع الثاني والمتبادر الاول وصرح القاضي بها في الثاني فقط والشح والبخل مترادفان وقيل اشد من البخل يكون في المال والنفس والبخل في المال . وقال طاووس : هو ان يبخل بما في يد غيره ، والبخل بما في يده .

وقال ابن عمر : هو ان تريد أخذ مال غيرك ، والبخل امساك مالك وانظر القناطير .

﴿أولئك لم يؤمنوا﴾ حقيقة والايمان في لسانهم فقط .

﴿فأحبط الله أعمالهم﴾ من جهاد وغيره الذي يظهر ان عمل من أشرك بشرك وعمل من يعمل بهزءوا وخوفا من الناس لا تكتبها الملائكة في الصحف وان الاحباط مستعمل في معنى عدم القبول فاستعمل الخاص وهو الاحباط فانه حقيقة في ابطال ما قد أثبت في العام وهو مطلق عدم القبول وهؤلاء اسروا الشرك او عملوا بخوف فاظهر الله جل وعلا ان أعمالهم غير مقبولة وانها باطلة او اثبتت الملائكة أعمالهم في صحفهم على انهم لم يعلموا ما غاب في القلب من نحو الشرك فأحبطها

الله وأبطلها بعد اثباتهم لها وأعلمتنا بذلك وان احباطها مسبب عن عدم ايمان قلوبهم كما تدل عليه الفاء فيجب على المكلف اتقان ايمانه قبل كل شيء اذ كل عمل مع عدم اتقانه باطل وكل من عمل لرياء وسمعة كهؤلاء فلخلل في ايمانه مثلهم فانهم لما لم يؤمنوا كان ما عملوا لم يعملوه لله بل رياء وسمعة واضطرارا ولو كان بينهم وبين الموحد العامل فرق .

﴿**وكان ذلك**﴾ أي احباط اعمالهم .

﴿**على الله يسيرا**﴾ سهلا كغيره من جميع الاشياء فانه لا شيء يصعب على الله حاشاه لتعلق الارادة وعدم المانع .

﴿**يحسبون**﴾ يعتقد هؤلاء المنافقون وقيل يظنون .

﴿**الأحزاب**﴾ من الكفار .

﴿**لم يذهبوا**﴾ وهم قد ذهبوا وانهزموا ففروا لداخل المدينة من الخندق لما بهم من الخوف الشديد والجبن فكم بين هؤلاء والذي يفدون النبي بأنفسهم وأموالهم وقلوبهم روي ان رجلا من أصحاب النبي ﷺ لما مسهم الحصر والبلاء في الخندق رجع الى اهله ليصيب طعاما وإداما فأصاب أخاه يتغذى بالتمر فدعاه فقال اخوه المؤمن : بخلت على رسول الله بنفسك فلا حاجة لي في طعامك .

﴿**وإن يأت الاحزاب**﴾ رجعوا للقتال بعد الذهاب .

﴿**يودوا**﴾ يتمن هؤلاء المنافقون او يحبوا .

﴿**لو أنهم بادون في الأعراب**﴾ لو مصدرية والمصدر مفعول يودوا ومعنى بادون اصحاب بادية كقولك لابنون اي اصحاب لبن وهو اسم فاعل للنسب اصله باديون نقلت ضمة الياء للدال فحذفت الياء للساكن بعدها واصل تلك الياء واو رجعت ياء لتقدم الكسرة او هو

اسم فاعل لغير النسب من بدء بمعنى دخل البدو او صار من اهله اي داخلون البدو او كائنون من اهله وفي للظرفية اي في جملة الاعراب وبينهم وهم اصحاب البدو او بمعنى مع وانما يحبون ذلك ويتمنونه ليسلموا من القتال يعني ان الخوف والجبن تمكنا من قلوبهم ولا يزولان فكلما هربوا هذه المرة يهربون المرة الاخرى لو رجع القتال وفي مصحف ابن مسعود «يحسبون الاحزاب قد ذهبوا فاذا وجدوهم لم يذهبوا ودوا انهم بادون في الاعراب» وقري (بدا) كغزا وهو من المعل كساجد ومسجد من الصحيح وقريء (بدي) بالكسر والتخفيف كعاد وعدي .

﴿يسألون﴾ كل من قدم المدينة من جهة الخندق او من جهة الكفار سواء كان القادم منهم او من غيرهم وقيل المراد يسألون من قدم منهم والواضح الاول .

﴿عن أنبائكم﴾ أخباركم مع الكفار وذلك للخوف على انفسهم واموالهم وعيالهم وكانوا يتمنون ان يظفر المشركون بالمؤمنين من غير ان تدخل عليهم في ذلك مضرة وقريء (يسألون) بتشديد السين بعد همزة يفتعلون من السؤال ابدلت التاء سينا وادغمت فيها السين فهو كقراءة الجمهور او يتفاعلون من السؤال ابدلت وادغمت السين وحذفت الالف فمعناه يسأل بعضهم بعضا ماذا سمعت ماذا بلغك .

﴿ولو كانوا فيكم﴾ ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال .

﴿ما قاتلوا إلا قليلا﴾ قتالا قليلا او زمانا قليلا خوفا من التعبير بعدم القتال ورياء فحضورهم رغبتهم سواء وما خيانتهم الا وبال عليهم يخافون التعبير فيقاتلون قليلا لاقامة العذر ولا يخافون الله وعن بعضهم

القليل هنا الرمي بالحجارة .

﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ وضم عاصم همزة أسوة هنا وفي الموضعين في الممتحنة وهو لغة والأسوة بالكسرة والضم الخصلة يقتدى بها كثباته ﷺ في الحرب وتحمله المشاق والشدائد وهو في نفسه قدوة بحسن التأسي به فالظرفية مجازية كقولك في هذا الطعام عشرون مدا اي هو في نفسه عشرون مدا لا زيادة فيه فهو ﷺ فيه تلك الاسوة وهي غيره وهي شأنه في الحرب وتحمل الاذى ككسر رباعيته وقتل عمه حمزة رضي الله عنه فاستنوا بسنته ووازروه وأنصروه ولا تخالفوه .

﴿لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ لمن بدل من لكم بدل بعض بناء على ان الخطاب في لكم للمؤمنين وغيرهم فانما أبدل الظاهر مع اللام من الضمير مع اللام لأن الظاهر بعض من ذلك الضمير ولك ان تقول الخطاب في لكم للمؤمنين ويبدل لمن من لكم ملاحظة لعموم من واحاطتها كأن قيل لكم يا مؤمنون لجميع من يرجو الله ويراد بجميع من يرجو الله المؤمنون المحاطون وعلى هذا فهو من بدل الشيء من الشيء واجاز الاخفش والكوفيون ابدال الظاهر من الضمير الحاضر بدل شيء من شيء ولو يكن البدل للاحاطة وعبارة القاضي الاكثر من ضمير المخاطب لا يبدل منه وأجاز تعليق لمن بحسنة او بمحذوف وقعت لحسنة ومعنى يرجو الله يرجو ثوابه او نعيمه الدائم او لقاءه على رضى لا سخط وايامه هي ايام النصر وان قلت فما معنى رجاء اليوم الآخر قلت رجاءه بنفسه لوقوع الخير فيه التشريف ويجوز كون المراد لمن كان يرجو اليوم الآخر وذكر الله تلذذا كقولك اعجبني زيد وفضله ولم ترد ايقاع الاعجاب الا على فضله ويجوز كون الرجاء بمعنى الخوف كذا ظهر

والحمد لله .

﴿وذكر الله كثيرا﴾ في جميع الاماكن والاحوال لا في السراء وحدها شرط للرجاء كثرة الذكر باللسان مع القلب فان ذلك هي حالة رسول الله ﷺ من أحواله التي يقتدى بها فمقارنة الرجاء والذكر الكثير يتصل الانسان ملازمة الطاعات ويحتمل ان يكون المراد بذكر الله احضاره في القلب فينهض للطاعة وعند طلب النفس المعصية فيتزجر عنها .

وعن جابر بن عبدالله عن رسول الله ﷺ : «أيها الناس ان لله سرايا من الملائكة تحل وتقف على مجالس الذكر في الارض فارتعوا في رياض الجنة» قالوا : وما رياض الجنة يا رسول الله ؟ قال : «مجالس الذكر في الارض فاغدوا وروحوا في ذكر الله وذكروا انفسكم من كان يحب ان يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده فان الله ينزل العبد منه حيث انزله من نفسه» .

وعن ابي الدرداء عن رسول الله ﷺ : عن الله سبحانه (أنا مع عبدي اذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه) .

وعن معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ : «أحب الأعمال الى الله ان تموت ولسانك رطب من ذكر الله» .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي ﷺ : «لأصحابه ان الاحزاب سائرون اليكم تسعا او عشرا» اي في آخر تسع ليال او عشر فلما رآهم قد اقبلوا للأجل قالوا : ما حكى الله عنهم بقوله :

﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله﴾ وقيل وعدهم ان الاحزاب تأتي وتحصرهم ويلاقون منها شدة وان العاقبة لهم عليها ولما رأوهم جاءوا قالوا صدق الله ورسوله لما

رأوا الصدق في محبتهم قالوا كما كان الصدق في المجيء كان في نصرنا عليهم فسننصر عليهم قطعا وان قلت الواعد رسول الله ﷺ فكيف نسب صدق الوعد الى الله سبحانه كما نسبه لرسوله قلت لا يخفى والحمد لله انما اخبر به رسول الله ﷺ من الغيب انما هو عن الله وقيل وعدهم الله على لسان رسوله ان يزلزلوا حتى يستغيثوا في قوله .

﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم﴾ ولما جاء الاحزاب قالوا اي مجيء الاحزاب وهو بلاء .

﴿هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله﴾ ويجوز ان يكون مرادهم النصر على الاحزاب واين هذا من قول المنافقين .

﴿ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا﴾ قال عياض ويحتمل انهم أرادوا صدق ما وعدهم بآية البقرة وصدق الوعد بالنصر على الاحزاب وهم عالمون ان الله ورسوله صادقان في كل حال لكن اخبروا بصدقهما استبشارا وتسلية وردا على من يقول بغير ذلك او المراد قد ظهر صدقه الذي نعتقده واقاموا الظاهر موضع المضمر تعظيما لله ورسوله ﷺ وتلذذا بذكرهما وتأنيسا .

وقرأ حمزة وابو بكر في رواية عنه بإمالة فتحة راء رأى واخلاص فتحة همزته وصلا .

وروي عنه انه يميل فتحتها ايضا والوقف أولى بإمالة الهمزة لثبوت الالف بعدها فيه .

﴿وما زادهم﴾ ما رأوه من الخطب والبلاء من الاحزاب .

﴿إلا إيمانا﴾ تصديقا بالله ومواعده .

﴿وتسليما﴾ لقضائه ، وذكر الكلبي أن الأحزاب لما خرجوا من مكة

امر رسوله الله ﷺ بالخندق ان يحفروه فقالوا : يا رسول الله وهل اتاك من خبر؟ فقال : نعم ، فلما حفر الخندق وفرغ منه أتاهم الأحزاب فقالوا : (هذا ما وعدنا الله) الآية وأثنى الله عليهم بزيادة الايمان والتسليم لقضائه .

﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ من المؤمنين خبر ورجال مبتدأ وصدقوا نعت رجال ويقدر لصدقوا مفعول آخر أي صدقوا الله ما عاهدوا الله عليه ولحذف لفظ الجلالة اعقب صدقوا أظهر لفظها ولم يؤت به ضمير اعقب عاهدوا او يظهر ولو ذكر اللفظ الاول اقامة للظاهر موقع المضمر ، وما مفعول ثان ومعنى صدقوا الله ما عاهدوا الله عليه : اخبروه وهو عالم بكل شيء بصدق وذلك حين عاهدوا ان يجاهدوا فقد نطقوا له بصدق لأنهم سيجهدون ، نقول صدقني زيد وكذبني بالتخفيف أي : قال لي : صدقاً وكذباً . ولك ان تقول المفعول محذوف كما مر وما منصوب على نزع الخافض ولك ان لا تقدر مفعولا وتقدر الجار اي صدقوا فيما وعدوا وان لا تقدره ، وما مفعول بأنهم أخبروا المعاهد عليه وهو الجهاد بالصدق اي سنفي بك ولو لم يفوا به لكان قد كذبوه ، وذلك ان رجالاً من الصحابة نذروا ان لقوا حربا مع رسول الله ﷺ تبعوا وقاتلوا حتى يستشهدوا فجاء أُحد وقاتلوا وجالدوا وصبروا فمنهم سعيد بن زيد بن سعد بن عمر بن نسد ومصعب بن عمير وأنس بن النظر عم انس بن مالك وحمزة وغيرهم ممن مات بأحد رضي الله عنهم وممن لم يمت قيل : كطلحة بن عبدالله ، قال جار الله : وعثمان بن عفان وانه ممن ينتظر ، والأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ الحجة عندنا وعند قومنا تدل على خلافه ﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ أي تجز

عنده بأنه قاتل حتى مات شهيداً رضي الله عنه كحمزة ومصعب وانس بن النظر وقد علمت أن قضى بمعنى : أنجز والنحب : العهد وهو أيضاً وعد وهو ايضا ندر ولا يخفى انه مفعول قضي ، وقيل : قضي او في ونحبه مفعول به وقيل النحب الموت استعارة من النحب بمعنى النذر فهو مفعول مطلق وقضى بمعنى مات او مفعول به وقضى بمعنى : بلغ وقيل : قضى بمعنى وفي ونحبه : بمعنى وعده وهو عهد ونذر ايضا منصوب على تقدير الياء وقيل : قضى بمعنى بلغ والنحب الأجل مفعول به وقيل : قضى نحبه يدل جهده في الوفاء بالعهد حتى مات ومن فسر بالموت لنحب بالموت ابن عباس رضي الله عنهما روى ان انس بن النظر غاب عن بدر فساءه ذلك ، فقال لمن شهدوا مع رسول الله ﷺ مشهد : ليرني الله ما أصنع ، وقيل : قال يا رسول الله ﷺ غبت عن اول قتال قاتلت المشركين لئن أشهدني الله قتالاً للمشركين ليرني الله ما اصنع ولعله قال هذا وقال ذلك ، ولما كان يوم احد انكشف المسلمون فقال : اللهم إني اعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعني المسلمين حيث انكشفوا وأبرأ اليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين ، ثم ندم فاستقبله سعد بن معاذ فقال : يا سعد بن معاذ الجنة ورب النظر ، وقيل قال : والذي نفسي بيده اني اجد ريحها من دون احد ، وفي رواية قال : اللهم اني ابرأ اليك مما جاء به هؤلاء المشركين وأعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعني المسلمين وهي أولىٰ ، فقال سعد : فما استطعت فأصنع وحمل بسيفه على المشركين وبلى بلاء حسنا حتى قتل رضي الله عنه ، قال : بن اخيه انس فوجد بين القتلى فيه بضع وثمانون جراحة بين ضربة سيف وطعنة برمح ورمية بسهم ، وقد مثلوا به كما مثلوا بحمزة فما عرفناه حتى عرفت اخته ثيابه .

قال خباب : وليس قضاء النحب نصا في الموت لجواز استعماله في الوفاء بالنذر من الثبات مع رسول الله ﷺ مات او حيي .

﴿ومنهم من ينتظر﴾ الشهادة والمراتب العالية وفي بعهده من الثبات ولم يمت فهو ينتظر قتالا آخر يرغب ان يستشهد فيه ، وقيل : ينتظر مع الوفاء النصر او الاستشهاد ، قالوا : كطلحة ولقد ثبت بأحد حتى قطعت يده واستشهدت قبله فقال رسول الله ﷺ : (أوجب طلحة) اي الجنة ، وفي الصحاح أوجب الرجل اذا عمل عملا يوجب له الجنة والنار . قال خباب ابن الأرت : هاجرنا مع رسوله الله ﷺ نلتمس وجه الله فوقع أجرنا على الله فمنا من مات ولم يأكل من اجره شيئا منهم مصعب بن عمير قتل يوم احد وترك شمله اذا غطينا رأسه بدت رجلاه واذا غطينا رجليه بدا رأسه ونجعل على رجليه شيئا من الاذخر ومنا من اينعت اي ادركت ثمرته اي كساء الملون وهو من صوف وذلك كناية عما فتح الله لهم فهو يهديها اي يجنيها ، وكان رسول الله ﷺ على المنبر فقال له اعرابي : يا رسول الله من الذي قضى نحبه ؟ فسكت ساعة ثم دخل طلحة بن عبيدالله وعليه ثوبان اخضران . فقال ﷺ : (اين السائل) ؟ فقال : ها انا ذا يا رسول الله . قال : (هذا) يعني طلحة من قضى نحبه . قال عياض : وهذا ادل دليل على ان النحب ليس من شرطه الموت ، وفي الحديث : (من أحب ان ينظر الى شهيد يمشي على الأرض فلينظر الى طلحة) . وقال معاوية بن ابي سفيان : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (طلحة ممن قضى نحبه) . وروت عائشة نحوه وروي : ان ابنه موسى دخل على معاوية فقال له : ألا أبشرك سمعت رسول الله ﷺ يقول : (طلحة ممن قضى نحبه) . وقال قيس بن حازم : رأيت طلحة

أشلاء يوم احد ولعل القول بتوبة طلحة صحيح .

﴿وما بدلوا تبديلا﴾ ما تركوا العهد ولا غيروه كما بدل المنافقون فذلك تعريض بتبديلهم .

﴿ليجزي﴾ الخ تعليل للمنطوق به وهو قوله (ما بدلوا تبديلا) وللمفهوم منه بالتلويح وهو ان المنافقين بدلوا والمعنى : انا قضينا على هؤلاء بعدم التبديل وعلى هؤلاء بالتبديل لنجزي الذين لم يبدلوا بصدقهم ونعذب المنافقين ان شئنا وهم المبدلون . ولك ان تقول ان اللام للصيرورة اي ان مال هؤلاء الذين لم يبدلوا ثواب صدقهم وحال المبدلين التعذيب ان شاء الله وذلك لأن هذا التعذيب ليس باعثا للمبدلين على التبديل كما بعث الثواب للمؤمنين على عدم التبديل ولكن لما كانت عافيتهم التعذيب على تبديلهم حصل تعذيبهم كأنه علة لقصدهم التبديل ومن أجاز الجمع بين الحقيقة والمجاز في كلمة جاز كون اللام تعليلا بالنظر للمؤمنين وللمثال بالنظر للمنافقين على ما ظهر لي من البحث في ان المنافقين لم يكونوا على خير من قلوبهم حتى يقال بدلوا فهم من اول الأمر على فساد العقيدة ولو صدر منهم ما هو على صورة الطاعة ولعلهم كانوا يعملون خيرا ثم تفسد نيتهم فيظلون فهذا تبديلهم .

﴿الله الصادقين بصدقهم﴾ بجزاء صدقهم وهو الوفاء بالعهد .

﴿ويعذب المنافقين إن شاء﴾ تعذيبهم بأن يميتهم غير تائبين .

﴿أو يتوب عليهم﴾ أي يوفقهم للتوبة والمعنى يعفو عنهم بان يوفقهم لها .

﴿إن الله كان غفوراً رحيما﴾ لمن تاب .

﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم﴾ متعلق بمحذوف حال من الذين اي ثابتين بغيظهم والباء بمعنى مع وهم الأحزاب فانهم رجعوا بالغيظ ما جاءوا به من غيظ اذ تعبوا ما تعبوا ولم ينالوا ما يحبون من رسول الله والمؤمنين من قتل واسر كما قال الله :

﴿لم ينالوا خيرا﴾ ظفراً والجملة حال ثانية او حال من ضمير الاستقرار في الحال الاولى او بيان لمعنى الاول او استئناف .

﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾ بأن هزم الأحزاب بالملائكة والريح .

﴿وكان الله قوياً عزيزا﴾ لا يضعفه شيء عما أراد ايجاده ولا يغلبه شيء على امره .

﴿وأنزل الذين ظاهروهم﴾ أي عاونوا الاحزاب وهم بنوا قريضة كما قال :

﴿من أهل الكتاب﴾ بيان للذين او من للتبعيض وهي ايضا تفيد البيان .

﴿من صياصيهم﴾ متعلق بانزال جمع صيصيه وهي ما يتحصن به ، وذلك يقال لقرن الثور والظبي ومخلب الديك الذي في رجليه صيصيه لانها تتحصن بذلك .

﴿وقذف في قلوبهم الرعب﴾ الخوف وقريء بالفتح .

﴿فريقاً تقتلون﴾ وهم ست مائة مقاتل وقيل من ثماني مائة الى تسع مائة .

﴿وتأسرون﴾ وقريء بضم السين .

﴿فريقا﴾ هم النساء والذراري وهم سبع مائة وقيل سبع مائة وخمسون .

﴿واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وأرضاً لم تطأوها﴾ وهي خيبر اخذوها بعد قريضة وقيل مكة وقيل فارس والروم وقيل ما يفتح لهم ولمن بعدهم من المسلمين وزعم بعضهم انها نساؤهم كنى عنهن بالارض التي لم يطؤوها وهو من بدع التفاسير.

﴿وكان الله على كل شيء قديرا﴾ فهو قادر على ذلك ومعنى اراثته اياهم ما سيرثونه انه حكم وقضى ان سيملكونه قصة بني قريضة وقتالهم من كتاب المواهب قيل : كانت غزوتهم في آخر ذي القعدة سنة خمس ، وقيل : سنة اربع لما انصرف ﷺ عن الخندق ودخل المدينة وضع السلاح هو والمؤمنون فلما كان الظهر اتاه جبريل على فرسه حيزوم معتجراً بعمامة من استبرق على بغلة بيضاء عليها قطيفة ديباج ورسول الله ﷺ عند زينب بنت جحش وهي تغسل رأسه وقد غسلت شقه فقال جبريل : يا رسول الله قد وضعت السلاح ! قال : نعم . قال جبريل : عفى الله عنك ما وضعت الملائكة السلاح منذ اربعين ليلة وما رجعت الا الآن من طلب القوم ، وروى انه كان الغبار على وجه جبريل عليه السلام ووجه فرسه فجعل ﷺ يمسحه عن وجهيهما . فقال جبريل : ان الله تبارك وتعالى يأمرك بالسير الى بني قريضة فأتهم فإني قد قطعت أوتارهم وفتحت ابوابهم وتركتهم في زلزال ، فأمر رسول الله ﷺ مناديا ينادي من كان سامعا مطيعا فلا يصلون العصر الا في بني قريضة وقدم عليا برأيه وابتدرها الناس وسار حتى دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق فقال : يا رسول الله لا عليك ان تدنو من هؤلاء الأخابث ، قال : «أظنك سمعت لي منهم أذى» . قال : نعم يا رسول الله . قال : «لو رأوني ما

قالوا من ذلك شيئا» ، فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم قال يا إخوان القردة قد أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته . قالوا : يا ابا القاسم ما كنت جهولا ومر رسول الله ﷺ على أصحابه قبل ان يصل الى بني قريضة فقاا : هل مر بكم احد ؟ فقالوا : يا رسول الله مر بنا دحية على بغلة بيضا علي قطيفة ديباج فقال ﷺ ذلك جبريل عليه السلام بعث الى بني قريضة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم . فنزل على بئر من آبارهم في ناحية اموالهم وتلاحق به الناس فأتاه رجال بعد العشاء لم يصلوا العصر كما مر وحاصرهم عشرين ليلة وجهدهم الحصار ودخل الرعب في قلوبهم وفيهم حيي بن أخطب وفاءً لعهده لكعب ، كما مر وذلك قول بن اسحاق وقال ابن سعد : خمس عشرة وقال ابن عقبة : بضع عشرة .

قال رئيسهم كعب بن اسد : يا معشر يهود انه قد نزل بكم ما ترون اني عارض عليكم خلالا ثلاثا اتخذوا بها شئتم ، قالوا : وما هي ؟ قال : نبايع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين انه نبي مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنون على دمائكم واموالكم وابنائكم ونسائكم فأبوا ، قال : فاذا أبيتم على هذه فهلم نقتل أبنائنا ونسائنا ثم نخرج الى محمد وأصحابه رجالا مصلتين بالسيوف ولم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك ولم نترك وراءنا ما نخشى عليه .

فقالوا : أي عيش لنا بعد ابنائنا ونسائنا فقال : إن أبيتم على هذه فإن الليلة ليلة سبت وعسى ان يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها فأنزلوا لعلنا نصيب منهم غرة قالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث

فيه من كان قبلنا الا من علمت فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ .

قيل حاصرهم احدى وعشرين ليلة فسألوه الصلح على ما صالح عليه اخوانهم من بني النظير ان يسيروا الى اخوانهم الى اذرعات واريحا من ارض الشام فأبى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأتوا وقيل وكان ابو لبابة من أصحابهم وكان ماله وعياله وولده فيهم وأرسلوا الى رسول الله ﷺ ان ابعث الينا أبا لبابة وهو رفاعة بن عبدالمنذر نستشيره في امرنا فأرسله اليهم فلما رأوه قام اليه الرجال واسرعت اليه النساء والصبيان يبكون في وجهه فرق لهم وقالوا يا ابا لبابة أترى ان ننزل على حكم سعد بن معاذ وقيل : قالوا على حكم محمد ؟ قال : نعم ، وأشار بيده الى حلقه انه الذبح وقيل : اشار الى خلفه انه الذبح وقيل : قال لا تفعلوا فانه الذبح قال ابو لبابة : فوالله مازالت قدماي من مكانهما حتى عرفت اني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق على وجهه فلم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد على عمود من عمده وقال : لا أبرح من مكاني هذا حتى يتوب الله عليّ ما صنعت وعاهد الله ان لا يطأ بني قريضة ابدا ولا ارى في بلد خنت الله ورسوله فيه ابدا فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره وكان قد استبطأه قال : (أما لو جاءني لاستغفرت الله له ، وأما اذ فعل ما فعل فما انا بالذي اطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه) قيل لم يذق طعاما سبعة ايام ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه ثم ان الله سبحانه انزل توبة ابي لبابة على رسول الله ﷺ وهو في بيت ام سلمة قالت ام سلمة سمعت رسول الله ﷺ يضحك سحرا فقلت : مم ضحكت يا رسول الله اضحك الله سنك ؟ قال : (اتيب على ابي لبابة) . فقلت : ألا ابشره بذلك يا رسول الله ؟ قال : (بلى ان

شثت) ، فقامت على باب حجرتها وذلك قبل ان يضرب عليهن بالحجاب ، فقالت : يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك . قالت فثار الناس اليه ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقني بيده ، وقيل : قالوا له اطلق نفسك ، فقال ما ذكر ، فلما مر عليه خارجا من صلاة الصبح اطلقه وبذلك فسر مجاهد (اعترفوا بذنوبهم) . قال : قال ابو لبابة لقريظة ما قال وأشار الى حلقه بأن محمدا يذبحكم ان نزلتم على حكمه والمشهور ان ذلك لتخلفه عن غزوة تبوك ، وعن عبدالله ابن ابي بكر ان ابا لبابة ارتبط بسلسلة ثقيلة تسع عشرة ليلة حتى ذهب سمعه فما كاد يسمع وكاد يذهب بصره وكانت ابنته تحمله اذا حضرت الصلاة او اراد ان يذهب لحاجة فاذا فرغ اعادته ، وقال ابن اسحاق : اقام مرتبطا ست ليال تحمله امرأته في وقت كل صلاة ثم تربطه وارتباطا بالجذع ، وكانت سواري المسجد جذوعا وقال : تمام توبتي ان لا ادخل البلد الذي خنت فيه الله ورسوله وان اتصدق بمالي فقال ﷺ (تصدق بالثلث) ولما اشتد الحصار ببني قريظة اذعنوا ان ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ فحكم فيهم سعد بن معاذ وكان قد جعله في خيمة في المسجد الشريف لامرأة من اسلم يقال لها رفيدة تداوي الجرحى فلما حكمه اتاه قومه فحملوه على حمار وقد وطئوا له بوسادة من ادم وكان رجلا جسيما ثم اقبلوا معه الى رسول الله ﷺ فلما انتهى سعد الى رسول الله ﷺ والمسلمين قال عليه السلام : (قوموا الى سيدكم) فاما المهاجرون من قريش فيقولون انما اراد رسول الله ﷺ الانصار واما الانصار فيقولون عم بها رسول الله ﷺ المسلمين فقالوا ان رسول الله ﷺ قد ولاك امر مواليك لتحكم فيهم فقال سعد فاني احكم

فيهم ان يقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذراري والنساء فقال عليه السلام : «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة ارفعة» والرفيع السماء سميت بذلك لانها رفعت بالنجوم وروى محمد بن صالح : (لقد حكمت اليوم فيهم بحكم الله الذي حكم به من فوق سبع سموات) وقال جابر : قال رسول الله ﷺ : (احكم فيهم يا سعد) . فقال : الله ورسوله احق بالحكم قال : (قد أمرك الله ان تحكم فيهم) وفي هذه القصة جواز الاجتهاد في زمانه ﷺ وهي مسألة اختلف فيها اهل اصول الفقه والمختار الجواز سواء كان في حضرته ﷺ ام لا وان ما استبعد المانع وقوع الاعتماد على الظن مع امكان القطع ولا يضر ذلك لانه بالتقرير يصير قطعيا وقد ثبت وقوع ذلك بحضرته عليه السلام كما في هذه القصة وغيرها وانصرف ﷺ يوم الخميس لسبع ليال او خمس قولان خلون من ذي الحجة وامر عليه السلام ببني قريظة فادخلوا المدينة وحفر لهم اخدود في السوق وجلس ﷺ ومعه اصحابه واخرجوا اليه فضربت اعناقهم وكانوا ما بين ستمائة الى سبعمائة وقال السهيلي المكثر يقول انهم ما بين الثمانمائة الى التسع مائة وقال جابر اربع مائة مقاتل ويجمع بين ذلك بأن الباقين كانوا اتباعا وفي رواية ان ثعلبة بن سعيد واسيد بن سعيد واسيد بن عبيد وهم نفر من بني هذيل ليسوا من بني قريظة ولا النظير نسبهم من فوق ذلك هم بنوا عم القوم اسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله ﷺ وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعد القرظي فمر بحرس رسول الله ﷺ وعليهم محمد بن مسلمة الانصاري تلك الليلة فلما رآه قال من هذا ؟ قال : عمرو بن السعدي وكان قد ابى ان يدخل مع بني قريظة في غدرهم وقال لا اغدر

بمحمد ابدا فقال محمد بن مسلمة اللهم لا تحرمني عثرات الكرام فخلى سنبيله فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله ﷺ في المدينة تلك الليلة ثم ذهب فلا يدرى اين ذهب من ارض الله فذكر لرسول الله ﷺ شأنه فقال (ذلك لرجل نجاه الله بوفائه) وبعض الناس كان يزعم انه اوثق بربه فيمن اوثق من بني قريظة فأصبحت رمته ملقاة وذلك حين نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فقال فيه رسول الله ﷺ تلك المقالة فلما اصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فتواثب الاوس فقالوا يا رسول الله انهم موالينا دون الخزرج وقد فعلت في موالي الخزرج بالامس ما قد علمت وقد كان رسول الله ﷺ قبل بني قريظة حاصر بني قينقاع وكانوا حلفاء الخزرج فنزلوا على حكمه فسألهم اياه عبدالله بن ابي بن سلول فوهبهم له فلما كلمه الاوس قال رسول الله ﷺ (ألا ترضون يا معشر الاوس ان يحكم الله منكم فيهم رجلا) قالوا بلى قال (فذلك سعد بن معاذ) وكان قد جعله رسول الله ﷺ في مسجد في خيمة امرأة من المسلمين يقال لها رفيدة تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على الخدمة من كانت به ضيعة من المسلمين وكان رسول الله ﷺ قد قال لقومه حين اصابه السهم بالخندق : (اجعلوه في خيمة رفيدة حتى ادعوه من قريب) فلما حكمه رسول الله ﷺ في بني قريظة احتمله قومه على حمار قد وطئوا له وسادة من ادم واقبلوا معه الى رسول الله ﷺ وهم يقولون : يا ابا عمرو احسن في مواليك فان رسول الله ﷺ انما ولاك ذلك لتحسن فيهم فلما اكثروا عليه قال سعد : لا تأخذني في الله لومة لائم فرجع بعض من كان معه الى دار بني الاشهل فنعى عليهم رجال بني قريظة قبل ان يصل اليهم سعد للكلمة التي سمعوا منه فلما انتهى شد الى رسول الله ﷺ قال

(قوموا الى سيدكم) فأنزلوه فقاموا اليه فقالوا يا ابا عمرو : ان رسول الله ﷺ قد ولاك مواليك فتحكم فيه فقال سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم ما حكمت قالوا : نعم قال : وعلى من هاهنا في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ وهو معرض عن رسول الله ﷺ اجلالا له فقال رسوله الله ﷺ (نعم) قال سعد : فاني احكم فيهم ان تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى النساء والذراري فقال رسول الله ﷺ (لقد حكمت فيهم بحكم الله تعالى من فوق سبعة ارفعة) ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله ﷺ في دار بنت الحارث امرأة من بني النجار ثم خرج رسول الله ﷺ الى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم فخندق لها خنادق ثم بعث اليهم فضربت اعناقهم فيها يخرج بهم ارسالا وفيهم عدو الله ورسوله حيي بن اخطب وكعب بن اسد رأس القوم وهم ستمائة او سبعمائة وقالوا لكعب وهو يذهب بهم الى رسول الله ﷺ ارسالا : يا كعب ما ترى ما يصنع بنا ؟ قال : اني موكل بكم الا تعقلون الا ترون الداعي لا ينزع ومن ذهب منكم لا يرجع هو الله القتل فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله ﷺ واتى بحيي بن اخطب عدو الله وعليه حلة تفاحية شققها من كل ناحية مجموعة يداه الى عنقه بحبل فلما نظر رسول الله ﷺ قال والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم اقبل على الناس فقال : ايها الناس لا بأس بأمر الله كتاب وقدر وملحمة كتبت على بني اسرائيل ثم جلس فضربت عنقه وروي عن عائشة انه لم يقتل من بني قريظة من النساء الا امرأة واحدة قالت والله انها لعندي تتحدث معي وتضحك ظهرا وبطنا ورسول الله ﷺ يقتل رجالهم بالسيوف اذ هتف هاتف باسمها ابنت

فلانة قالت : انا والله ويلك ما لك اقتل ؟ قال : نعم قالت : ولما ؟ قال : لحدث احدثتيه فانطلق بها فضربت عنقها فكانت عائشة تقول : ما انسى عجبا منها طيب نفس وضحك وقد عرفت انها تقتل .

قال الواقدي : وكان اسم المرأة بنانة امرأة الحكم واحداثها قتلها خلاد بن سويد وكان علي والزبير يضربان اعناق بني قريظة ورسول الله جالس هناك .

وروي ان الزبير بن ماطا القرظي ويكنى ابا عبدالرحمن مر في الحرب في الجاهلية على ثابت بن قيس بن شماس فجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاءه يوم قريظة وهو شيخ كبير فقال : يا ابا عبدالرحمن هل تعرفني ؟ قال : يجهل مثلي مثلك . قال : اني اريد ان اجزاك بيدك عندي . قال : ان الكريم يجزي الكريم ، ثم أتى ثابت الى رسول الله ﷺ قال : يا رسول الله ﷺ قد كان للزبير عندي يد وله عليّ منة وقد احببت ان اجزيه بها فهب لي دمه . فقال رسول الله ﷺ : هو لك فأتاه فقال له : ان رسول الله ﷺ قد وهب لي دمك . فقال شيخ كبير : لا اهل له ولا ولد ما يصنع بالحياة ؟ فأتى ثابت رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله اهله وأولاده !؟ فقال : هم لك . فأتاه فقال : ان رسول الله ﷺ أعطاني امرأتك وولدك فهم لك . فقال : أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك ؟ فأتى ثابت رسول الله ﷺ فقال : ماله يا رسول الله !! قال : هو لك . فأتاه فقال : ان رسول الله ﷺ قد اعطاني مالك فهو لك فقال : أي ثابت ـ وأي حرف نداء ـ ما فعل الذي كان وجهة مرآة صينية تترايا فيها عذاري الحي كعب بن أسد ؟ قال : قتل قال : فما فعلت مقدمتنا اذا شددنا وحاميتنا اذا كررنا عزال بن شموال قال :

قتل قال : فما فعل المجلسان يعني بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة ؟ قال : قتلوا قال : فإني بيدي عندك يا ثابت الا ما تلحقني بالقوم فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير فما انا بصابر حتى القى الأحبة فقدمه ثابت فضربت عنقه فلما بلغ ابا بكر الصديق قوله حتى القى الاحبة قال : يلقاهم والله في نار جهنم خالدا مخلدا ابدا وقد امر رسول الله ﷺ بقتل من من أنبت منهم يكشف عن عورته فينظر اليه وقسم اموال بني قريظة ونساءهم على المسلمين للفارس ثلاثة اسهم سهم له وسهمان لفرسه ولمن لا فرس له سهم وكانت الخيل ستة وثلاثين ثم بعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الانصاري اخا بني الاشهل بسبايا من سبايا بني قريضة الى نجد فابتاع بها خيلا وسلاحا وكان رسول الله ﷺ قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنانة احدى نساء بني عمرو بن قريضة فكانت عند رسول الله ﷺ حتى توفي عنها وهي في ملكه وقد كان رسول الله ﷺ يحرس ان يتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت يا رسول الله بل تتركني في ملكك فهو اخف عليك وعلي فتركها وقد كانت حين سباها قد كرهت الاسلام وأبت إلا اليهودية فعزلها رسول الله ﷺ ووجد في نفسه بذلك من امرها فبينما هو مع اصحابه اذ سمع وقع نعلين خلفة فقال : ان هذا لثعلبة بن شعبة يبشرني باسلام ريحانة فجاءه فقال : يا رسول الله قد أسلمت ريحانة فسره ذلك ولما قضي ما حكم به سعد انفجر جرحه فمات شهيدا قيل ان رسول الله ﷺ تزوج ريحانة وقيل كان يطئها بملك اليمين وامر بالغنائم فجمعت وأخرج الخمس من المتاع والسبي ثم امر بالباقي فبيع فيمن يريد ، وقسمه بين المسلمين فكانت على ثلاثة آلاف ومائتين وسبعين

سهما ثلاثة للفارس وواحد للرجل وكان ﷺ يعتق من الخمس ويهب ويخدم منه من اراد ، وفي رواية ان سعدا رضي الله عنه دعى : اللهم اني اظن انك قد وضعت الحرب فافجرها واجعل موتي فيها فانفجرت فلم يرعهم الا الدم يسيل الى كل خيمة لبني غفار في المسجد فقالوا : يا أهل الخيمة ما هذا الدم يأتينا من قبلكم فاذا سعد يغدوا جرحه دما فمات ، صدق ظنه وأجيب دعاءه اذ لم يقع بين المسلمين وقريش بعد الخندق حرب يكون ابتداء القصد فيها من المشركين وما هو إلا ان تجهز للعمرة فصدوه عن دخول مكة وكادت الحرب تقع ولم تقع ، ووقعت الهدنة واعتمر من قابل ولما نقضوا العهد توجه اليهم غازيا ففتحت مكة وسبب انفجار جرحه انه مرت به عنز وهو مضطجع فأصاب ظلفها موضع النحر فانفجرت حتى مات وحضر جنازته سبعون الف ملك واهتز عرش الرحمن لموته حقيقة فرحا بقدوم روحه او مجازا عن الاستبشار او عن تعظيم الشأن والمعنى اهتز حملة العرش ، وقال المنافقون ما اخف جنازته . فقال رسول الله : ان الملائكة كانت تحمله . وعن البراء أهديت لرسول الله ﷺ حلة حرير فجعل اصحابه يمسونها ويعجبون من لينها فقال ﷺ : تتعجبون من هذه المناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها والين وهذه كناية عن عظم ملكه في الجنة والا فالمنديل بعد ليوسخ ولا وسخ فيها يمسح بالمنديل كأنه قيل لو كان فيها وسخ أكانت مثل هذه منديلا له وقبض انسان يومئذ من قبره قبضة فذهب بها ثم نظر اليها بعد فاذا هي مسلك فقال رسول الله ﷺ سبحان الله سبحان الله حتى عرف ذلك في وجهه فقال الحمد لله لو كان احد ناجيا من ضمة القبر لنجا منها سعد ضم ضمة ثم فرج الله عنه . قال

ابوسعيد الخدري كنت ممن حفر لسعد قبره فكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا وفي هذه السنة فرض الحج وقيل سنة ست وهو قول الجمهور وقيل سنة سبع وقيل سنة ثمان ورجحه جماعة وانما مات في المسجد لأن رسول الله ﷺ رده اليه بعد الحكم وحضر رسول الله ﷺ وابو بكر وعمر رضي الله عنهما موته قالت عائشة رضي الله عنها فوالذي نفس محمد بيده اني لاعرف بكاء عمر من بكاء ابي بكر واني لفي حجرتي وكانوا كما قال الله سبحانه :

﴿رحماء بينهم﴾ ولما حلا الاحزاب قال ﷺ الآن نغزوهم ولا يغزوننا وكان يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له أعز جنده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ولا شيء بعده وذكره جار الله انه لما رجعوا من الخندق للمدينة ووضعوا السلاح جاء جبريل على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس والسرج فقال رسول الله ﷺ : ما هذا ؟ فقال : من متابعة قريش فمسح الغبار عن وجه الفرس والسرج الى آخر ما مر وان كثيرا من الناس لم يصلوا العصر الا بعد العشاء الاخيرة يوم ذهبوا الى قريضة على ما مر وانه ﷺ قال تنزلون على حكمي فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا بحكم سعد بما أمر فكبر ﷺ ، وقال لقد حكمت بحكم الله الى آخر ما مر ، وعن بعض حاصرهم احدى وعشرين ليلة وقال لم يحكم سعد ولكن ارسل اليه رسول الله ﷺ فجاء على حمار ، فقال اشر علي فيهم فقال علمت ان الله امرك فيهم بأمر فأنت فاعل ما أمرك به فقال اشر علي فيهم فقال لو وليت امرهم لقتلت مقاتليهم ولسبيت ذراريهم ونسائهم ولقسمت ، فقال ﷺ : والذي نفسي بيده لقد أشرت علي بالذي امرني الله عز وجل به قال عطية العوفي كنتب فيمن عرض

علي رسول الله ﷺ يوم قريضة فنظروا الى عانتي فاذا هي لم تنبت فتركت وتأتي قصة النظير ، وروي ان سعدا حكم بما مر وبأن الارض والثمار للمهاجرين فقالت الانصار في ذلك فقال اردت ان تكون لهم اموال كما لكم اموال ولما حكم بذلك كله قال له رسول الله ﷺ لقد حكمت بما حكم الله وذكر جار الله ان رسول الله ت جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار . فقالت الانصار في ذلك . فقال : انكم في منازلكم . فقال عمر : أما تخمس كما خمست يوم بدر ؟ قال : انما جعلت هذا لكم طعمة دون الناس . قال : رضينا بما صنع الله ورسوله .

﴿**يا أيها النبي قل لأزواجك**﴾ وهن إذ ذاك تسع خمس من قريش عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر وأم حبيبة بنت أبي سفيان وأم سلمة بنت ابي أمة وسودة بنت ابي زمعة واربع غير قرشيات زينب بنت جحش الاسدية وميمونة بنت الحارث الهلالية وصفية بنت حيي بن أخطب اخطت الخيبرية وجويرية بنت الحارث المصطلقية رضي الله عنهن .

﴿**إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها**﴾ تردن السعة والتنعم في الدنيا بسعة النفقة واللبسة وتردن زخارفها كثياب الزينة والحلي وذلك انهن طلبن ذلك من رسول الله ﷺ وآذينه بغيرة بعضهن على بعض .

﴿**فتعالين**﴾ تعال قيل امر مبني على سكون الياء والنون فاعل ، وأصل تعال ان يقوله : من كان في المكان المرتفع لمن في المكان المتسفل اي ارتفع الى وكثر استعماله حتى استوت فيه الامكنة وصار بمعنى ايت والمراد هنا الاتيان بالقلب اي تعالين بارادتكن ولم يرد نهوضهن اليه بأنفسهن .

﴿أمتعكن﴾ أعطكن ما تستنفعن به وذلك متعة الطلاق والمتعة واجبة للتي لم يفرض لها . وقال ابو حنيفة : انما تجب للتي لم يفرض لها ولم يدخل بها ومتعة ساير المطلقات مستحبة . وقال الزهري : متعة يقضي بها السلطان وهي متعة من طلقت ولم يفرض لها ولم يدخل بها ومنعة حق على المتقين متعة من طلقت بعد الفرض والدخول وخاصمت امرأة الى شرج في المتعة فقال متعها ان كنت من المتقين ولم يجبره . وعن ابنْ جبير : المتعة حق مفروض . قال الحسن : لكل مطلقة متعة الا المختلعة والملاعة وهي درع وخمار وملحفة على حسب السعة والاقتار الا ان يكون نصف مهرها اقل من ذلك فيجب لها الاقل ولا ينقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها . وقيل لا تقيد بشيء من ذلك بل على قدر المال .

﴿وأسرحكن﴾ اطلقكن .

﴿سراحا جميلا﴾ لا ضرر فيه ولا بدعة وقرأ برفع أمتع وأسرح على الاستئناف او الحالية من النون في تعالين وهي مقدرة أي ناويات تمتيعي وتسريحي وانما قدم التمتيع على التسريح مع انه مترتب على التسريح ومسبب عنه اظهار الكرم وحسن الخلق وقيل لان الفرقة كانت بارادتهن كاختيار المجيزة نفسها وليس في الآية ما يدل على ان اختيار المرأة نفسها من زوجها اذا جعله لها يكون طلاقا ولا ما يدل على انه غير طلاق لانه ليس في الآية من زوجها اذا جعله لها يكون طلاقا ولا ما يدل على انه غير طلاق لانه ليس في الآية جعل امر الطلاق بيدهن بل فيها اسناد الطلاق الى الزوج ﷺ فنص الآية إن كنتن او اردتن الدنيا والزينة فلست بأهل لذلك فاتين اطلقكن فتراه علق التطليق الى نفسه كأنه قال

ان اردتن الطلاق لقلة مالي اطلقكن هذا ما ظهر لنا والحمد لله ثم رأيناه بعد ذلك قول الحسن وقتادة والجمهور ، وقال قوم : ان ذلك تفويض لأمر الطلاق ولو اخترن انفسهن كان طلاقا وان قلت فما الحكم اذا جعل الخيار للمرأة في الطلاق فاختارت نفسها قلت طلاق واحد وان شاءا جددا النكاح هذا هو ما ارجح وبه قال عمر بن العزيز : ان شاءت ، وقال زيد بن ثابت ومالك قيل والحسن ثلاث تطليقات وان اختارت زوجها فلا طلاق ، وزعم علي وزيد بن ثابت انه يقع طلاق واحد رجعي والحق انه لا طلاق وهو قول الجمهور وقول مسروق . قال ما ابالي خيرت امرأتي واحدة او مائة او الفا بعد ان تختارني ولقد سئلت عائشة فقالت خيرنا رسول الله ﷺ افكان طلاقا وفي رواية فاخترناه ولم يعده طلاقا وفي اخرى فلم يعد ذلك شيئا وهو قول عن على وروي عن الشافعي : ان اختيار المرأة نفسها طلقة رجعية وقال ابوحنيفة : بائنة وتلك الأقوال في المذهب لكنا نعتبر ان يكون ذلك في المجلس قبل القيام منه او الاشتغال بما يدل على الاعراض كما هو مذهب الحنفية واعتبر الشافعي اختيارها على الفور .

وعن الحسن والزهري وقتادة لها امرها في ذلك المجلس او غيره وهو قول بعضنا ولم يقل احد منا ان الطلاق واقع اذا اختارت الزوج واذا طلقت الحامل فوضعت فبقى واحد او اكثر في بطنها فقد انقضت عدتها وقيل لا حتى تضع آخر ما فيه .

﴿وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة﴾ الجنة .

﴿فإن الله أعد للمحسنات﴾ بارادة الآخرة .

﴿منكن أجرا عظيما﴾ تكون الدنيا وزينتها بالنسبة اليه كالعدم وهو

الجنة ومن للبيان لا للتبعيض لانهن كلهن محسنات اذا اتصفن بارادة الله ورسوله .

وسبب نزول ذلك كله انهن سألنه الدنيا وزينتها وتغايرن فهاجرهن رسول الله ﷺ وحلف ان لا يقربهن شهرا ولم يخرج الى اصحابه فقالوا ما شأنه وكانوا يقولون طلق رسول الله ﷺ نساءه فقال عمر : لأعلمن بذلك وكان أجرأ الصحابة على رسول الله ﷺ فدخل عليه فقال : يا رسول الله اطلقتهن ؟ قال : لا . قال : اني دخلت المسجد والمسلمون يقولون طلق رسول الله ﷺ نساءه أفأخبرهم انك لم تطلقهن ؟ قال : نعم ان شئت . فقام على باب المسجد ونادى بأعلى صوته لم يطلق رسول الله ﷺ نساءه ونزلت الآية .

﴿ولو ردوه الى الرسول أو إلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ فكنت انا استنبطت ذلك الأمر ونزلت تلك الآية .

﴿قل لأزواجك﴾ الخ بعد ذلك فبدأ بعائشة وكانت احبهن اليه فخيرها وقرأ الآية لها حتى بلغ .

﴿أجرا عظيما﴾ فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرأى الفرح في وجه رسول الله ﷺ وبايعها على ذلك فاختار جميعهن اختيارها فشكر الله لهن ذلك فانزل اكراما لهن .

﴿لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن﴾ .

وعن جابر بن عبدالله بدأ ﷺ بعائشة فقال لها : اني ذاكر لك امرا ولا عليك ان لا تعجلي فيه حتى تستأمري ابويك ثم قرأ الآية عليها .

﴿قل لأزواجك﴾ الخ . . فقالت : في اي هذا استأمر ابوي فاني لله

ورسوله والدار الآخرة وفي رواية احب ان لا تعجلي فيه حتى تستشيري ابويك . قالت : وما هو يا رسول الله ؟ فتلا الآية . فقالت : يا رسول الله افيك استشير ابوي بل اختار الله ورسوله والدار الآخرة وأسألك ان لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت . قال : لا تسألني امرأة منهن الا اخبرتها ان الله بعثني مبلغا ولم يبعثني متعنتا اي ملقيا في مشقة وفي رواية : لم يبعثني متعنتا لكن بعثني معلما مبشرا . قالت : وقد علم ان ابوي لا يأمراني بفراقه ولما دخل عليها لذلك قالت : يا رسول الله انك اقسمت لا تدخل علينا شهرا وانك دخلت من تسع وعشرين اعدهن . قال : ان الشهر تسع وعشرون .

فأما ان يريد ان ذلك الشهر يرى الهلال على تمام تسع وعشرين فقط علم ذلك بوحي واما أن يريد ان الشهر يطلق على تسع وعشرين ليلة كما يطلق على ثلاثين فعلى الأول يكون قد حلف اول الشهر وعلى الثاني يحتمل ذلك وغيره .

قال جابر بن عبدالله : استأذن ابوبكر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ والناس ببابه لم يؤذن لواحد منهم فأذن له ثم جاء عمر فأذن له فوجدا النبي ﷺ جالسا وحوله نساءه ساكتا واجما اي مهتما عليه الكآبة .

وقيل : حازنا فقال : لاقولن شيئا اضحك به النبي ﷺ فقال : يا رسول الله لو رأيت ابنة خارجة سألت النفقة فقمت اليها فوجأت عنقها اي دققته فضحك النبي ﷺ وقال : هن حولي كما ترى يسألنني النفقة .

فقام ابوبكر رضي الله عنه الى عائشة فوجأ عنقها وقال : لا سألتن رسول الله ﷺ ما ليس عنده .

فقلن : والله لا نسأل رسول الله ﷺ شيئا ليس عنده ابدا .

ثم اعتزلهن شهرا او تسعا وعشرين فنزلت الآية ﴿قل لأزواجك - إلى ﴿عظيما﴾ .

قلت : وفي قضية عمر جواز قصد التكلم بما يضحك به المسلم ازالة لحزنه حضرا او سفرا وقد عد بعض اصحابنا ذلك من المروءة في السفر وفي بعض كتب اصحابنا من قصد التكلم بما يضحك فتكلم به ليضحك احدا فقد نافق وهذا مخصوص بغير مثل قضية عمر وبعدٌ فالظاهر انه لا نفاق ان لم يقل الا حقا ولم يتكلم بما يوهد الاسلام كما يدل لذلك قصص الصحابة وغيرهم .

﴿يا نساء النبي من يأت﴾ وقرىء تأت بالفوقية مراعاة لمعنى من .

﴿منكن بفاحشة مبينة﴾ اي ظاهرة اسم فاعل بين بمعنى تبين او من بين بالتشديد الذي للتأكيد وقرأ ابن كثير وابوبكر بفتح الياء اي جعلت ظاهرة وهو اسم مفعول من بين المشدد للتعدية والمراد على كل حال ظهور قبحها والفاحشة السيئة البليغة في القبح وهي كل كبيرة .

وقيل المراد هنا عصيانهن رسول الله ﷺ ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه او ما يضيق به ذرعه .

وقال ابن عباس : النشوز وسوء الخلق .

وقيل الزنى وهن معصومات منه كسائر ازواج الأنبياء ولكن كما قال لسيدنا محمد ﷺ .

﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ كما يأتي ان شاء الله .

﴿يضاعف لها العذاب ضعفين﴾ مفعول مطلق بين به عدد المضاعفة لان المضاعفة في لغة العرب تطلق على تكرير الشيء مرة فيكون اثنين وعلى تكريره اكثر وان ما يضاعف العذاب لمن اتت بفاحشة منهن مبينة

لانهن افضل من غيرهن من النساء فما قبح من سائر النساء كان منهن اقبح فان زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل وزيادة النعمة فان الطاعة بزداد وجوبها بزيادة الفضل والنعمة وكذا ترك المعصية ولذلك جعل حد الحر ضعفي حد العبد حتى ان ابا حنيفة واصحابه لا يرون على الكافر حدا والصحيح وجوبه عليه ولذلك ايضا ترى العقلاء ولو من العامة يستقبحون المعصية من العالم اشد مما يستقبحونها من الجاهل ويستقبحونها من ابن العالم اشد مما يستقبحونها من غيره وعوتب الانبياء بما لم يعاتب به غيرهم وكذا الأولياء الافضل فالأفضل وكانت المعصية في مكة وفي رمضان اشد منها في غيرهما لما فيهما من الفضل للحسنة فيهما على الحسنة في غيرهما فيقبح من نساء النبي ﷺ مالا يقبح من غيرهن لان رسول الله زوجهن وفي ديارهن الوحي ومن كثرت عنده موجبات الطاعة وعصى فهو اشد عنادا فيكون العذاب له اشد وكما نحن بالنسبة للنبي ﷺ كالعبيد لكونه اولى بالمؤمنين النساء الى ازواجه كالإماء وقريء .

﴿يضاعف﴾ بكسر العين ونصب العذاب والفاعل ضمير الله جل وعلا وقرأ ابن كثير وابن عامر (تضعف) بالنون واسقاط الالف وكسر العين مشددة ونصب العذاب وقرأ البصريان (يضعف) بالتحتية والبناء للمفعول والتشديد ورفع العذاب وقريء (يضعف) كذلك إلا انه مبني للفاعل وبنصب العذاب .

﴿وكان ذلك﴾ الضعاف او المفهوم من الكلام وهو المضاعفة والعذاب المضاعف .

﴿على الله يسيرا﴾ سهلا لا يمنعه عنه كونكن ازواج رسوله ﷺ لأن

كونكن ازواجه انما هو سبب المضاعفة فكيف يكون سببا لترك العذاب فليعتبر ذلك من يتساهل في المعاصي متعمدا على انه عالم او ابن او ابن ولي او من ذرية نبي فان عصيانه مع ذلك داع لتشديد العذاب .

﴿ومن يقنت﴾ يدم على الطاعة او يزد منها وقيل يطع .

وقال قتادة والشعبي : يطع ويخضع بالعبودية وروى عكرمة القول الثاني عن ابن عباس ﴿منكن لله ورسوله﴾ وانما عدى يقنت المفسر بيطع لتضمن الطاعة الخضوع .

﴿وتعمل صالحا﴾ اعاده مع دخوله فيما قبله لان ما قبله يشمل عمل الصالح لله كصلاة وصوم وعمل الصالح لرسوله كحسن خلقهن ورضاهن بما يسر الله له وقد يراد بالقنوت القنوت لرسوله اي طاعته وانما ذكر الله تعظيما وايماء الى ان ما كان طاعة له فهو من طاعة الله سبحانه .

﴿نؤتها أجرها مرتين﴾ مرة على الطاعة ومرة على طلبهن رضى النبي ﷺ بالقناعة وحسن المعاشرة فالحسنة بعشرين فذلك ايضا مثل اجري عليهن فهن اشرف نساء العالمين وتضعيف ثوابهن لرفع منزلتهن وذلك ايضا سبب مضاعفة العذاب كما مر .

سأل رجل الحسن كيف يضاعف لها العذاب ضعفين .

فقال : حيث يؤتيها اجرها مرتين اي في الآخرة .

وقرأ حمزة والكسائي (فيعمل) بالتحتية مراعاة للفظ (من) كما قرأ بها في (يقنت) وقرأ الباقون تعمل بالفوقية نظرا لمعنى (من) وقرأ (تقنت) بالفوقية وقرأ حمزة والكسائي بالتحتية اي الله .

﴿واعتدنا لها رزقا كريما﴾ حسنا وقيل : الجنة وقيل : الرزق فيها وذلك زيادة على أجرها .

﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء﴾ هو احد الذي همزته عن واو الملازم للنفي وشبهه الذي يطلق على الواحد والاثنين والجماعة المختص بالعقلاء وهو هنا بمعنى الجماعة الواحدة من النساء اي لا جماعة منهن تساويكن في الفضل بل جماعتكن افضل من كل جماعة منهن اذا قوبلت جماعتكن بجماعة ما من جماعاتهن او أحد في الآية بمعنى المرأة الواحدة فيحمل لستن على الافراد اي ليست واحدة منكن كواحدة من النساء بل هذا أولى لانه يلزم من تفضيل كل واحدة منهن على واحدة ما من النساء اذا قوبلت بها تفضيل جماعتهن على جماعة ما من جماعات النساء بخلاف العكس .

﴿إن اتقيتن﴾ الله ورسوله اي حذرتن مخالفتهما .

وقال قتادة : لستن كأحد من نساء عصركن ان اتقيتن ولم يفضلهن على آسية ومريم .

﴿فلا تخضعن بالقول﴾ للرجال لا تلنه وترققنه لهم ككلام المربيات والزواني .

وقال الحسن : لا تكلمن بالرفث .

﴿فيطمع الذي في قلبه مرض﴾ نفاق يطمع في الزنى وكان اكثر من تصيبه الحدود في زمان النبي ﷺ المنافقين .

وقيل : المرض هنا خصوص الزنى وهو قول عكرمة وتفسيره بالنفاق اعم وهو اولى وهو قول قتادة وقرىء بجزم (يطمع) عطفا على محل يخضع لانه جزم بلا وبني لاتصاله بنون الاناث فالنهي مسلط ايضا على يطمع من نهى الغائب لكن تكسر العين للساكن بعدها اي فلا يطمع الذي الخ .

والذي فاعل على القراءتين وعن ابن محيصن : فيطمع بضم الياء وكسر الميم وفتح العين ففاعله ضمير القول والذي مفعوله .

﴿وقلن قولا معروفا﴾ عند الحاجة الى التكلم وهو الكلام من غير خضوع البعيد من الريبة فان المرأة مأمورة بتغليظ المقال عند خطاب الاجانب لقطع الاطماع فيها قال بعض العلماء : اذا احتاجت المرأة الى التكلم لأجنبي غيرت صورتها بأن تجعل مثلا ثوبها في فيها ولا يخلو بها الاجنبي ولو كان يعلمها القرآن واجيز بأن تترك الباب غير متصل بالوصيد ان تحفظا عن الفتنة ولا بأس بالخلق بعجوز لا مطمع فيها .

وقيل : القول المعروف ذكر الله .

﴿وقرن في بيوتكن﴾ أي اثبتن في بيوتكن لا تخرجن منها إلا بإذن رسول الله ولا تطلبنه الخروج في غير حاجة لا بد منها والواو عاطفة وقرر فعل وفاعل من قر يقر كعلم يعلم والأصل اقررن بهمزة وصل مكسورة وفتح الراء الأولى تقلب فتحتها للقاف قبلها فحذفت الراء لسكونها مع سكون الراء بعدها وقيل حذفت الراء الثانية وحذفت همزة الوصل لتحرك ما بعدها وذلك قراءة نافع وعاصم وقرأ غيرهما (وقرن) بكسر القاف من قر يقر كضرب يضرب والمعنى واحد والأصل اقررن بهمزة وصل مكسورة وكسر الراء الأولى نقلت كسرتها للقاف فاجتمعت راءان ساكنتان فحذفت احداهما كما مر وحذفت الهمزة لتحرك ما بعدها كما مر وحذفها سابق على حذف الراء وقيل بالعكس ويجوز على القراءة الاولى ان يكون من قار يقار كخوف يخاف من باب علم يعلم بمعنى الاجتماع فاذا لازمت البيت فقد اجتمعت مع البيت او مع من فيه ان كان فيه غيرها ويجوز على الثانية ان يكون من وقر يقر كسوعد يعد بمعنى الوقار

وهي العظم اي كن اهل وقار وثبات في البيوت فالمرأة المكثرة الخروج من بيتها يحقر شأنها .

﴿ولا تبرجن﴾ لا تظهرن الزينة ولا تتبخترن في مشيكن ومن ذلك البروج لظهورها وانكشافها للعيون والأصل ولا تتبرجن حذفت احدى التائين الأولى او الثانية قولان .

﴿تبرج الجاهلية الأولى﴾ هي ما بين سيدنا عيسى وسيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام وليس وصفها بالأولى لأن ثم جاهلية آخرة بل على ان المعنى الجاهلية التي قبل حالة الاسلام وهذا ما ظهر لي ثم رأيت عياضا اثبته ورجحه ونسب للحسن .

وقيل : وصفها بالأولى لأن ثم جاهلية ثانية وهي جاهلية الاسلام وهو ما يعمل فيه الفساق من كبائر النفاق ويدل له قوله ﷺ لأبي الدرداء «إن فيك جاهلية» قال : جاهلية كفر او اسلام ؟ قال : «جاهلية كفر» فلعله ﷺ اطلع منه على كبيرة شرك اتاها زلة لا عنادا فحذره منها وتاب او اراد ان فيك خصلة يعملها اهل جاهلية الكفر وليست خصلة كفر ولا فسوق مثل لبسة تلبسها الجاهلية لا تنكشف بها العورة او كلام تتكلم به لا كفر ولا فسوق فيه او نحو ذلك .

وقيل : تلك الجاهلية التي بين سيدنا محمد وسيدنا عيسى صلى الله وسلم عليهما هي الأولى والثانية يقوم عليها الساعة فانها تقوم على دين ابي جهل ولا تقوم حتى يعبد كثير أوثان الجاهلية الاولى وهو قول عن الحسن وابن سيرين ولا تقوم حتى لا يعبد الله في الأرض .

وقيل : الجاهلية الأولى الجاهلية التي ولد فيها ابراهيم عليه السلام كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها

على الرجال ولا شيء عليها سواه والثانية جاهلية ما بعد عيسى واي ما تبرج تبرجت المرأة ولو لم تنكشف عورتها فقد تبرجت مثل هذا التبرج الذي انكشفت فيه العورة .

وقيل : الأولى زمان داود وسليمان .

وقيل : ما بين آدم ونوح ومريم قصته في الأعراف .

وقيل : ما بين ادريس ونوح والثانية ما بعد عيسى .

ذكر الخازن عن ابن عباس رضي الله عنه : انه كان بين ادريس ونوح الف سنة وان بطنين من ولد آدم عليه السلام كان احدهما يسكن الجبل ورجالهم صباح الوجوه ونساءهم ذميمة والآخر يسكن السهل رجالهم ذميمة ونساءهم صباح الوجوه واتى ابليس رجلا من اهل السهل وأجره نفسه للخدمة فاتخذ مزمارا فأتى الناس يسمعونه واتخذوا عيدا يجتمعون اليه في السنة يتبرج الرجال للنساء والنساء للرجال وجاءهم رجل من الجبل في عيدهم فرأى نساءهم فأخبر اصحابه فنزلوا اليهم فظهرت الفاحشة فيهم فذلك الجاهلية الأولى وقد مر مطولا في الاعراف من عرائس القرآن .

﴿**وأقمن الصلاة**﴾ اي صلين بطهر وخشوع الصلاة الواجبة .

﴿**وآتين الزكاة**﴾ المفروضة لم يذكر المفعول الآخر لأن المراد اخراج الزكاة لا ذكر من يخرج اليه .

﴿**وأطعن الله ورسوله**﴾ فيما أمركن به ونهاكن عنه وذلك من عطف العام على الخاص وانما خص الصلاة والزكاة بالذكر لأنهما طاعتان بدنية ومالية هما اصل سائر الطاعات من اعتنى بهما جرتاه الى سائر الطاعات .

﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾

مستأنف لتعليل امرهن ونهيهن ولذلك عم في اذهاب الرجس ذكور اهل البيت ونسائهم ومفعول يريد محذوف اي يريد الله ذلك وليذهب تعليل للارادة او مفعوله مصدر يذهب واللام زائدة معناها التأكيد والرجس الذنب مطلقا وأصله ما يتقذر من نجس او وسخ استعير للذنب ورشح بالتطهير المذكور بعد فانه من لوازم النجس والوسخ وذلك تنفير عن الذنب فان عرض من يقترف الذنب والقبائح يتلون بها ويتدنس كما يتلون البدن بالأنجاس والأوساخ وعرض صاحب المستحسنات نقي طاهر وقيل الرجس الشيطان واهل منادى بحرف محذوف هو يا واختاره ابن هشام بل قال : انه الصواب ونداءهم واضافتهم للبيت وهو بيت النبي ﷺ للتعظيم وفي النداء ايضا ايقاظ عن الغفلة وبيت الرجل اقاربه وقد يطلق كما هنا على اقاربه وعياله ويجوز ان يكون اهل منصوبا على الاختصاص ويضعفه قلته في الخطاب ويجوز كونه مفعولا لا مدح ويجوز كون البيت الكعبة فان النبي ﷺ وأقاربه وعياله اولى بها .

وقيل : لا تعميم في الآية الا من حيث النساء فتشمل ازواجه وفاطمة رضي الله عنها .

وقيل : المراد هنا الأزواج له فقط وهن في بيته وعلى القولين فانما ذكر الضمير مراعاة لظاهر قوله (أهل البيت) .

وقيل : الرجس مما نهي النساء عنه من الخضوع بالقول وتبرج الجاهلية والخروج من البيوت ومعصية رسول الله .

وان قلت اذا كان المراد بيته ﷺ الذي يسكن فيه ازواجه فلم لم يقل البيوت ؟

قلت : المراد الجنس فيشمل البيوت التي سكن فيها كلهن .

وقال : ابوسعيد الخدري ومجاهد وقتادة : اهل البيت فاطمة رضي الله عنها والحسن والحسين .

قالت عائشة رضي الله عنها : خرج النبي ﷺ ذات غداة وعليه مرط اي كساء مرحل بالمهملة اي منقوش عليه صورة الرجل ولا بأس بنقش مالا روح فيه او بالجيم اي منقوش فيه صورة الرجل اما بلا رأس واما قبل تحريم تصوير ما فيه الروح من شعر اسود فجلس فأتت فاطمة فأدخلها فيه ثم جاء علي فأدخله فيه ثم جاء الحسن فأدخله فيه ثم جاء الحسين فأدخله فيه ثم قال انما يريد الله الي تطهير او ذات غداة نفس الغداة وهي ما بعد الفجر وذات الشيء نفسه او ساعة صاحبة غداة اي هي بعض من ذلك الوقت .

وقالت ام سلمة : نزلت الآية في بيتي وانا جالسة في الباب .

فقلت يا رسول الله : ألست من اهل البيت ؟ فقال : «انك الي خير انت من ازواج النبي» . قالت : وفي البيت رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين فجللهم بكساء وقال : «اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا» .

وفي رواية عنها نزلت في بيتي فدعا عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فدخل معهم تحت كساء خيبري وقال : «هؤلاء أهل بيتي» وقرأ الآية وقال : «اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا» .

فقلت : وانا يا رسول الله ؟

فقال : «أنت من أزواج النبي أو انت الي خير» .

وعن انس بن مالك كان رسول الله ﷺ يمر بباب فاطمة وعلي ويقوم عليه اذا خرج الى صلاة الفجر ويقول : «الصلاة يا أهل البيت انما يريد

الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا» ستة اشهر .

واستدلت الشيعة بتلك الأحاديث والآية على اختصاص اهل البيت بفاطمة وعلي والحسن والحسين وعلى عصمتهم وعلى كون اجماعهم حجة وليس بشيء لأن الاختصاص بهم لا يناسب ما قبل الآية وما بعدها والأحاديث على صحتها تقتضي كونهم اهل البيت لا انه ليس غيرهم ولا يلزم من ارادة اذهاب الرجس والتطهير اذهابه وتطهيرهم لأنها ليست بالارادة التي هي بمعنى القضى بل هي بمعنى ايجاد اسباب الطهارة والتعريض لهم بها وايجاد اسباب ذهاب الرجس فقد يقال تعدت الارادة باللام لتضمنها معنى التعرض فأما فاطمة فماتت ولم تحدث شيئا فرضي الله عنها واما علي فقد احدث ما علمت والمشهور انه لم يتب واما الحسن والحسين فمن والاهما فلست اقطع عذره والحسين احسن حالا وتبرأ بعض أصحابنا من الحسن وتوقف بعضهم ونسب بعضهم القول بأن أهل البيت الأربعة الى الجمهور والقول بأنهم ازواجه ﷺ الى ابن عباس رضي الله عنه واختار عياض انهم الأربعة والأزواج .

وقال زيد بن ارقم : اهل البيت من حرم الصدقة بعده آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل عباس .

﴿**واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة**﴾ آياته القرآن والحكمة السنة وقيل الحكمة معاني الآيات من حكم ووعظ وغير ذلك ومعنى ذكر ذلك التفكر فيه والعلم لأنه شيء عظيم ومزية خصصن بها حيث جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحي ومشاهدة برجاءه فذلك ذكر للمنة عليهن فان ما ذكر مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة والانتهاء عما نهين والائتمار بما امرن كيف تخالفن ذلك وهو في بيوتكن

ومن هذه حاله ينبغي ان تحسن افعاله ويجوز ان يكون الذكر بمعنى الدرس اي ادرسن ما يتلى في بيوتكن واحفظنه واشغلن به السنتكن او بمعنى العمل به .

وقال ابن العربي : هو بمعنى ذكره للناس واشهاره ليقتدوا وهو حسن .

والخطاب لأزواج النبي ﷺ هنا قطعا فهو رجوع الى خطابهن بعد الفصل عنه بقوله ﴿انما يريد الله . . . الخ﴾ . ان حمل على التعميم .

﴿إن الله كان لطيفا﴾ بأوليائه .

﴿خبيرا﴾ بجميع خلقه وقيل معنى كونه لطيفا خبيرا انه علم ما ينفعكم ويصلحكم في دينكم ودنياكم فأنزله عليكم ولذلك خيركن ووعظكن او علم من يصلح لنبوته ومن يصلح لان يكون اهل بيته وجعل الكلام الواحد جامعا بين حكم ووعظ ولما نزل في نساء النبي ﷺ ما نزل قالت نساء المؤمنين : ما نزل فينا شيء . فأنزل الله سبحانه .

﴿إن المسلمين والمسلمات . . الخ﴾ وقيل : ان ازواج النبي ﷺ قلن : يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن ولم يذكر النساء فما فينا خير نذكر به انا نخاف أن لا تقبل منا طاعة فنزلت الآية .

وقيل : قالت ذلك ام سلمة وهي ابنت ابي امية .

قيل وانيسة بنت كعب الانصارية قالت للنبي ﷺ : ما بال ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النساء في شيء من كتابه ونخشى ان لا يكون فينا خير ؟

فنزلت . وقيل : ان اسماء بنت عمير رجعت مع زوجها جعفر بن ابي طالب من الحبشة فدخلت على نساء النبي ﷺ فقالت : هل نزل فينا شيء من القرآن ؟ قلن : لا . فأتت النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله ان

النساء لفي خيبة وخسار قال : ومم ذلك . قالت : لانهن لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال فنزلت وذكرن في عشر مراتب مع الرجال والمسلم من خضع لأمر الله ونهيه فامتثل وازدجر وقد يطلق على الايمان والمراد هنا الأول وأصله من دخل في السلم بعد الحرب فهو بهذا المعنى يطلق ايضا على الايمان وفسر بعضهم اسلم هنا بمن فوض الأمر لله وتوكل عليه .

﴿والمؤمنين والمؤمنات﴾ من صدق بالله ورسوله وما يجب التصديق به هذا هو المراد هنا ولا يطلق عندنا غالبا الا على من اتبع التصديق بالعمل الصالح .

﴿والقانتين والقانتات﴾ المطيعين والمطيعات او من دام على الطاعة .

﴿والصادقين والصادقات﴾ في القول والعمل والنية .

﴿والصابرين والصابرات﴾ على الطاعات والمصائب وعن الشهوات .

﴿والخاشعين والخاشعات﴾ الخشوع التواضع لله في الصلاة وغيره بالقلب والجوارح .

وقيل : المراد في الصلاة .

وعن بعضهم الخشوع في الصلاة ان لا يعرف من عن يمينه ولا من عن شماله وقيل ان لا يلتفت وقيل الخشوع الخوف الدائم لله .

﴿والمتصدقين والمتصدقات﴾ من يزكون اموالهم وقيل من يزكونها ولا يبخلون بالنفل وقيل المراد هنا النفل .

﴿والصائمين والصائمات﴾ الصوم المفروض وقيل النفل قال بعضهم من تصدق في الاسبوع بدرهم فهو من المتصدقين ومن صام البيض من كل شهر فهو من الصائمين .

﴿والحافظين فروجهم والحافظات﴾ بعدم الزنى وبسترها عند لبس الثوب ونزعه وسائر الحالات ومن آداب اللباس ان لا يلبس السراويل الا قاعدا لئلا تنكشف العورة .

﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات﴾ باللسان والقلب او بالقلب وفي ذكر الله باللسان وحده ثواب ان لم يبطله مبطل وافضل الذكر قراءة القرآن ومن الذكر الاشتغال بالعلم وعن بعضهم من صلى الصلوات الخمس فقد دخل في الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وعن رسول الله ﷺ : «من استيقظ من نومه وأيقظ امرأته فصليا جميعا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات» وعن رسول الله ﷺ : «سبق المفردون» قالوا : وما المفردون يا رسول الله ؟ قال : «الذاكرون الله كثيرا والذاكرات» . قال عياض : المفرد بفتح الفاء وكسر الراء قال ابن الاعرابي : فرد الرجل تفقه واعتزل الناس وخلا بمراعاة الأمر والنهي .

وقال الأزهري : هو من يذكر الله عند اشتغال الناس في المحل الذي هو فيه بالكلام .

وفي رواية : وما المفردون يا رسول الله ؟ قال : «المستهترون في ذكر الله يضع الذكر عنهم اوزارهم فيأتون يوم القيامة خفافا» والمستهتر بالبناء للمفعول من اولع بشيء والمراد هنا مكثر الذكر المولع به .

وقيل لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا والآية من عطف الصفات بعضها على بعض لموصوف واحد فالمراد من جمع تلك الصفات او المراد كل صفة وموصوفها وذكر بها من بالغ فيها ولم يخل بسائر فرضه وقد مر او يأتي كلام في مثل هذا ومفعول الحافظات والذاكرات محذوف لدلالة الظاهر

عليه اي والحافظاتها والذاكراته ولا يخفى انه يجوز دخول الاناث في صفات المذكرين ولكن خص الاناث بالذكر بعد الذكور ايضاحا بأن لهن نصيبا في الخير اذ توهمن انهن لا خير لهن والذي يظهر لي ان مراد القاضي بالزوجين تبعا لجار الله في قوله وعطف الزوجين على الزوجين لتغاير الوصفين ان المؤمنين والمؤمنات زوجان والمسلمين والمسلمات زوجان والقانتين والقانتات زوجان والصادقين والصادقات زوجان وهكذا ولا شك ان الاسلام مغاير للايمان على ما مر والقنوت مغاير للصدق وهكذا ما بعد لا كما قال زكريا الملقب بشيخ الاسلام ان المراد الايمان والاسلام . وعطف المؤنث على المذكر في الآية لا بد منه بخلاف عطف المذكر وجمله .

﴿أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ خبر لان والضمير في لهم للذكور والاناث تغليبا والمغفرة لصغارهم لعدم اصرارهم عليها ولكبائرهم بالبوبة عنها والأجر العظيم على طاعتهم وهو الجنة وخطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش الاسدية لمولاه زيد بن حارثة وكان قد اشتراه قيل من عكاض في الجاهلية قبل بعثته فاعتقه وتبناه ولما خطبها ظنت انه يخطبها لنفسه فرضيت فلما علمت انه يخطبها لزيد أبت وقالت : انا بنت عمتك يا رسول الله فلا ارضاه لنفسي وكانت بيضاء جميلة وفيها حدة وكذلك كره اخوها وغضبا جميعا وهو عبدالله بن جحش وأمهما امية بنت عبدالمطلب عمت رسول الله ﷺ فنزل . .

﴿وما كان لمؤمن﴾ مثل عبدالله بن جحش .

﴿ولا مؤمنة﴾ مثل اخته زينب .

﴿إذا قضى الله ورسوله أمرا﴾ مثل نكاح زيد وزينب .

﴿أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ والخيرة الاختيار وجمع الضمير لعموم مؤمن ومؤمنة في سياق النفي وقرأ الكوفيون وهشام﴿أن يكون﴾ بالتحتية ولما نزلت الآية قالت زينب وأخوها : رضينا يا رسول الله ﷺ وقبل نزول الآية قالت : ازوج نفسي لرجل كان عبدك بالامس .

وكانت ذات شرف وشاق رسول الله ﷺ عنه اليها مهرها ستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وازارا وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر قيل وعشرة دنانير .

وقال بن زيد : الآية في أم كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهي اول من هاجر من النساء وهبت نفسها للنبي ﷺ فقال (قبلتك لزيد) فزوجها اياه فسخطت هي واخوها فقال : انما اردنا رسول الله ﷺ فزوجنا عبده .

ولما نزلت الآية رضيا وفي الحديث (من سعادة ابن آدم رضاه بما قضاه الله ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضاه الله له) .

﴿ومن يعص الله ورسوله﴾ العصيان هنا يعم الشرك فما دونه .

﴿فقد ضل ضلالا مبينا﴾ بين الانحراف عن الصواب .

﴿وإذ تقول﴾ اي واذكر اذ تقول .

﴿للذي أنعم الله عليه﴾ بالاسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصه بالتبني وتوفيقك لان خطبت له المرأة الجميلة وزوجتها له .

﴿وأنعمت عليه﴾ بما وفقتك اليه وهو زيد بن حارثة .

﴿أمسك عليك﴾ عمل الواحد وهو امسك في ضميرين لواحد وهما الضمير المستتر والكاف لان الكاف توصل اليه ذلك العامل بعلى أو لتقدير مضاف اي على نفسك .

﴿زوجك﴾ زينب او ام كلثوم على ما مر وذلك ان رسول الله ﷺ لما زوجها من زيد ومكثت عنده حينا اتى زيدا يوما لحاجة فأبصرها في درع وخمار وهي بيضاء جميلة من اتم نساء قريش فوقعت في نفسه واعجبه حسنها فقال : (سبحان الله مقلب القلوب القى الله سبحانه في قلبه حبها بعد ان كان لا يحبها) فلما جاء زيد ذكرت له ما قال رسول الله ﷺ ففطن لذلك والقى الله كراهتها في قلبه في الوقت فذهب الى رسول الله ﷺ فقال : اني اريد ان افارق صاحبتي فقال له (مالك ارابك منها شيء) قال : لا والله يا رسول الله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي بشرفها وتؤذيني بلسانها . فقال له رسول الله ﷺ (أمسك عليك زوجك) .

﴿واتق الله﴾ فيها ولا تفارقها اولا تنسبها الى التعظيم بشرفها والاذاء بلسانها فانها مؤمنة لا يليق بها ذلك .

وقال الكلبي : أن رسول الله ﷺ اتى زيدا زائرا فأبصرها قائمة فأعجبته فقال رسول الله ﷺ : «سبحان الله مقلب القلوب» فرأى زيد ان رسول الله ﷺ قد مر بها وقال : يا رسول الله ائذن لي في طلاقها فان فيها كبر وانها لتؤذيني بلسانها .

فقال له رسول الله ﷺ : «امسك عليك زوجك واتق الله في أمر طلاقها فلا تطلقها ضرارا او تعللا بتكبرها» فأمسكها ما شاء الله ثم طلقها فلما انقضت عدتها انزل الله نكاح رسول الله سبحانه اياها ﴿واذ تقول للذي أنعم الله عليه﴾ الى قوله ﴿فلما قضى زيد منها وطرا﴾ .

وان قلت : كيف رآها رسول الله ﷺ حتى اعجبته ؟ قلت : هي رؤية فجأة لم يتعمدها لسوء حاشاه وبتلك الرؤية الفجائية حصل في قلبه

استحسانها واعجبته او رأى وجهها لا لشهوة بل كانت النساء لا تحتجبين منه فحصل له ذلك .

وروي عن علي بن الحسن : ان الله سبحانه وتعالى اوحى الى رسول الله ﷺ ان زيدا يطلق زينب واني ازوجكها فلما يشكي زيد للنبي ﷺ خلق زينب وانها لا تطيعه واعلمه انه يريد طلاقها قال له النبي ﷺ على جهة الأدب والوصية «اتق الله في قولك وامسك عليك زوجك» وهو يعلم انه سيفارقها ولم يرد ان يأمره بالطلاق لعلمه انه سيتزوجها وأمره قيل : بإمساكها قمعا للشهوة وردا للنفس عما تهوى ووجهه مع علمه انه سيتزوجها ان الله لم يأمره بتزوجه في ذلك الوقت فجاز له التأخير للقمع والرد المذكورين .

وقيل أمره بإمساكها لصعوبة تزوجها لها اذ فيه قول الناس انه تزوج امرأة ابنه بل قد يكذبون ويقولون امره بطلاقها فلما طلقها تزوجها فما كان تزوجه لها كالشيء الذي تعلم انه حلال لك وانك لا بد فاعله لكنك تؤخره لصعوبة حاله ومع امره بالامساك قد كان في قلبه حب طلاق زيد لها وحب تزوجها كما قال .

﴿وتخفي في نفسك﴾ أي تضمر .

﴿ماالله مبديه﴾ مظهره من قضاء الله بتزوجك لها ومن حبك لها وحب طلاق زيد لها والواو للعطف على تقول او للحال على تقدير المبتدأ وقد اجيز كونها للحال ولو بلا تقدير مع انها داخلة على مضارع مثبت .

﴿وتخشى الناس﴾ تستحيهم ان يقولوا تزوج امرأة ابنه او امره بطلاقها فتزوجها مع انه ﷺ لم يأمره .

﴿والله أحق أن تخشاه﴾ ان كان فيها تخشى وان لم تكن فيه ما تخشى

الله فيه فكيف تخشى الناس .

وعن عائشة رضي الله عنها : لو كتم رسول الله ﷺ شيئا من الوحي لكتم هذه الآية .

وقالت هي وعمرو وابن مسعود رضي الله عنهم : ما نزلت على رسول الله ﷺ آية أشد من هذه ولم يعاتب الله سبحانه رسوله ﷺ على الاخفاء وحده بل على الاخفاء مخافة من الناس وعلى اظهار ما ينافي ضماره فان مضمره حبها وحب تزوجها وطلاق زيد ومظهره امر زيد بامساكها .

وان قلت فما إذاً ينبغي ان يقوله لزيد اذ قال له اريد طلاقها لتعظمها واذائها ؟

قلت : الأولى أن يصمت أو يفوض الأمر الى زيد فاذا لم يفعل ذلك عاتبه الله اذ خالف ظاهر لفظه علانيته فان الله سبحانه يريد من الانبياء تساوي الظاهر والباطن والتصلب في الأمر والاستمرار على طريقه كما قال ﷺ «ما ينبغي لنبي ان تكون له خائنة الأعين» وفي رواية «ان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا تومض ظاهرهم وباطنهم واحد» وذلك حين اراد قتل عبدالله بن ابي سرح واعترض عثمان بشفاعته فلما ذهب قال «هلا قام احدكم فقتله» فقال عمر : هل رمزت الينا لقد كان عيني الى عينك هل تشير الي فاقتله ؟ فقال له ﷺ ما ذكر ويجوز ذلك لغيره ﷺ ذكره في المواهب اعني الاشارة لمباح كقتل من حل قتله . ولما كان اظهار النبي ﷺ ما في قلبه من جهة تلك المرأة جائزا لا ذنب فيه كان الأولى ان يظهره او لا ينطق بما يدل على خلافه ولا سيما ان اظهاره سلم الى حصول امر ديني يترتب عليه وهو النص على تحليل زوجة المتبني للمتبني

فكيف يستحي من امر ان يجر امرا دينيا وهو ان الله جعل طلاق زيد وتزوج رسول الله ﷺ بها ازالة لحرمة زوجة المتبنى مع ان تناول المباح بطريق شرعي لا عيب فيه ولا قبح وهو تزوجه ﷺ بها من غير استنزال زيد عنها وهو أقرب اليه من زر قميصه مع قوة علمه بأن زيدا متجاف عنها قلبه ولو لم يكن متجافيا فانه لا يستنكر ان يطلق الرجل امرأته ليتزوجها صديقه كما فعلت الأنصار للمهاجرين وليس قوله سبحانه ﴿**والله أحق أن تخشاه**﴾ يقتضي انه ﷺ لم يكن خاشيا لله عز وجل فقد قال ﷺ : «أنا أخشاكم لله وأتقاكم له» .

﴿**فلما قضى زيد منها وطرا**﴾ حاجة ولم يبق فيها ارب وطابت عنها نفسه فطلقها وانما عبر بقضاء الوطر ليعلم ان زوجة المتبني تحل لمتبنيه ولو بعد دخوله بها وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق فكأنه قيل ولما طلقها ولما قال لها لا حاجة لي فيك وأراد الطلاق .

﴿**زوجناكها**﴾ وقرىء (زوجتكها) وهي قراءة أهل البيت .

قيل لجعفر بن محمد : اليس تقري على غيرك ؟ فقال : لا والذي لا اله الا هو ما قرأته على ابي الا كذلك ولا قرأها علي بن ابي طالب الا كذلك على النبي ﷺ زوجه الله عز وجل اياها بلا عقد ولي ولا شهود وذلك من خصوصيته لأن الأمر لله وقد فعل له ذلك فكانت تقول لسائر نسائه : ان الله سبحانه وتعالى تولى نكاحي وانتن زوجكن اولياءكن .

وروى انها لما انقضت عدتها قال ﷺ لزيد : ما اجد اوثق في نفسي منك اخطب علي زينب .

قال زيد : فانطلقت فاذا هي تخمر عجينها فلما رأيتها عظمت في صدري حتى لا استطيع ان انظر اليها حين علمت ان رسول الله ﷺ

ذكرها فوليتها ظهري وقلت لها : يا زينب ابشري فان رسول الله ﷺ يخطبك ففرحت وقالت ما انا بصانعة شيئا حتى أوامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل القرآن ودخل رسول الله ﷺ بلا اذن وذلك ابتلاء عظيم وشاهد بيّن على قوة ايمانه .

وروي انها قالت : لي ثلاث لم تكن لواحدة من نسائك جدي وجدك واحد وانكحنيك الله في السماء والسفير جبريل وما أولم على واحدة من نسائه ما أولم عليها ذبح شاة واطعم الناس الخبز واللحم حتى اشتد النهار وتركوه ولما اكل الناس الى نصف النهار وخرجوا قال انس : بقي اناس يتحدثون بعد الطعام ـ وفي رواية ـ بقي ثلاثة رجال فخرج ﷺ وكان يتهيأ للقيام فلا يقومون فخرج لذلك واتبعته وجعل يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن : يا رسول الله كيف وجدت اهلك فانطلق ليدخل فاذا القوم جلوس فخرجوا فأخبرته فجاء فدخل البيت وذهبت لأدخل معه فالقى الستر بيني وبينه .

وروي انه لما نزل ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه ـ الى زوجناك﴾ دعا زيدا فقرأ عليه ذلك وقال : اخبرها فانطلق الى زينب فاستفتح الباب فقالت : من هذا ؟ قال : زيد .

قالت : وما حاجة زيد لي وقد طلقني ؟

فقال : ان رسول الله ﷺ ارسلني .

فقالت : مرحبا برسول رسول الله ففتح له فدخل عليها وهي تبكي فقال زيد : لا تبكي لا ابكى الله عينك قد كنت نعمت المرأة ـ أو قال ـ نعمت الزوجة ان كنت لتبرين قسمي وتطيعين امري وتبتغين مسرتي وقد ابدلك الله خيرا مني .

فقالت : من لا ابا لك ؟

فقال : رسول الله ﷺ فخرت ساجدة .

وكان تزوجه بها ﷺ سنة خمس وقيل ثلاث وهي اول من مات من ازواجه بعده .

قالت عائشة : لم تكن امرأة خيرا منها في الدين وأتقى لله وأصدق حديثا واوصل للرحم واعظم صدقة واشد ابتذالا لنفسها في العمل الذي يتصدق به ويتقرب به الى الله وماتت بالمدينة سنة عشرين وقيل احدى وعشرين ولها ثلاث وخمسون سنة وصلى عليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهي اول من جعل على جنازتها نعش واما زيد فمات في غزوة مؤته ومات ابنه اسامة الذي ولده من مولاة النبي ﷺ ام ايمن واسمها بركة زوجها له حين اعتقه بالمدينة وقيل بوادي القرى سنة اربع وخمسين .

﴿لكيلا يكون﴾ متعلق بزوجناكها .

﴿على المؤمنين حرج﴾ اثم وتضييق .

﴿في أزواج أدعيائهم﴾ جمع دعي .

﴿إذا قضوا﴾ أي الأدعياء .

﴿منهن وطرا﴾ وانما الحرج في زوجة الابن الحقيقي فانها لا تحل للاب .

﴿وكان أمر الله﴾ ما يريده من تزويجك بها ونفي الحرج في ازواج الادعياء وغير ذلك .

﴿مفعولا﴾ لا محالة قال جار الله ويجوز ان يراد بأمر الله المكون لانه مفعول يكن وهو امر وفي ذلك كله رد على المشركين اذ قالوا يا محمد

زعمت ان حليلة الابن لا تحل للاب وقد تزوجت حليلة ابنك .

﴿ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له﴾ اي فيما احل له من نكاح زينب وغيره او فرض بمعنى قسم .

﴿سنة الله﴾ منصوب على نزع الخافض اي كسنة الله او مفعول مطلق لمحذوف مؤكد لقوله تعالى (ما كان على النبي) الخ . والأصل سن الله ذلك سنة وحذف الفعل واضيف المصدر للفاعل .

﴿في الذين خلوا من قبل﴾ من الأنبياء لا حرج عليهم فيما ابيح عليهم كانت لداود عليه السلام مائة امرأة وثلاثمائة سرية ولسليمان ثلاثمائة امرأة وسبع مائة سرية فوسع الله سبحانه لنبيه محمد في تسع نساء بلا صداق ولا ولي وهذه زينب وهبت له نفسها بلا صداق واصدقها تطوعا .

﴿وكان أمر الله قدرا﴾ قضاء .

﴿مقدورا﴾ مقضيا .

﴿الذين يبلغون﴾ نعت للذين قبله او لمنعوت الذين المحذوف او مفعول لمحذوف او خبر لمحذوف على المدح .

﴿رسالات الله﴾ وقرىء (رسالة الله) بالافراد .

﴿ويخشونه﴾ يخافونه ان يقصروا فيما امر به او نهى عنه .

﴿ولا يخشون أحدا إلا الله﴾ لا يخافون لومة لائم فيما احل الله لهم وهذا تعريض للنبي ﷺ اذ كان يخشى الناس في امر زينب فكأنه قال ولا يخشون احدا كما خشيت انت الناس .

﴿وكفى بالله حسيبا﴾ حافظا لأعمال الخلق او محاسبا لهم فمجازيا لهم فهو الذي يجب ان يخشى .

﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ على الحقيقة حتى تحرم عليه امرأة احدكم كزيد واما بنوه ﷺ وهم الطاهر والقاسم وابراهيم والطيب فلم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا فهم رجاله لا رجالهم واما الحسن والحسين فلم يكونا يومئذ بالغين مبلغ الرجال وايضا هما من رجاله لا من رجالهم وايضا ليسا بابنيه لصلبه والمقصود ولد صلبه لقوله (خاتم النبيين) ألا ترى ان الحسن عاش نيفا واربعين والحسين نيفا وخمسين ولو كان له ولد بلغ مبلغ الرجال لكان نبيا لأربعين عاما فلا يكون ﷺ خاتما للنبيين وحده بل يختمهم معه غيرهم وقد قال في ابنه ابراهيم (لو عاش لكان نبيا) بل المراد ايضا من رجالكم المعاصرين له .

﴿ولكن رسول الله﴾ اي ولكن رسول الله وكل رسول ابو امته فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم ووجوب النفقة عليهم والنصيحة لهم لا في تحريم ازواج الامة عليه والادعاء والتبني باب اختصاص وتقريب وقرىء بالرفع اي ولكن هو رسول الله وبالتشديد والنصب فيقدر خبر لكن اي لكن رسول الله من عرفتموه اي لم يعش له ولد ذكرا ولكن رسول الله اب من غيره وراثة .

﴿وخاتم النبيين﴾ لا نبي معه ولا بعده واما سيدنا عيسى فانه ولو كان سينزل فانه قد مضى زمان إرساله ولم يجعله الله نبيا في زمان النبي او بعده فقط بل جعله نبيا مرسلا قبل ذلك مستمرة نبوته ورسالته الى ان يموت والمراد لا ينبي الله نبيا ولا يرسل نبيا في زمانه ولا بعده فلا نقض ايضا بالخضر والياس مع انها وعيسى اذا نزل انما يعملون بشريعته ﷺ ويصلون الى قبلته بل هم بعض امته ولا يرد علينا ان عيسى لا يقبل الجزية من اهل الكتاب بل يؤمنون او يقتلهم لان هذا ايضا من شريعة

نبينا ﷺ موقت بنزول عيسى عليه السلام وقرأ ابن مسعود (ولكن نبيا خاتم النبيين) وقرأ عاصم (خاتم النبيين) بفتح التاء بمعنى آلة الختم .

﴿وكان الله بكل شيء عليما﴾ ومنه علمه انه لا نبي بعده ولا معه وان من حيي من الانبياء وعيسى اذا نزل يعملون بشريعته ومنه علمه بمن يليق بختم النبوة ويسمى ﷺ الخاتم والمقفى أي الأخير وعنه ﷺ : «ان مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتا وحسنه واجمله الا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون ويعجبون له ويقولون هلا وضعت في هذا الموضع هذه اللبنة فأنا اللبنة وانا خاتم النبيين» رواه ابو هريرة وجابر بن عبدالله وروي (جئت فختمت الأنبياء) .

﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾ بالليل والنهار وفي الحضر والسفر وفي البر والبحر وفي الصحة والسقم وفي السر والعلانية والقيام والقعود والاضطجاع .

قال ابن عباس رضي الله عنه : لم يفرض الله فريضة الا جعل الله لها حدا معلوما عذرا عاما في غيره الا الذكر فلم يعذر احدا فيه الا من غلب على عقله .

وذكره جلا وعلا الثناء عليه بأنواع التقديس والتمجيد والتهليل والتكبير ومما هو اهله واكبر .

﴿وسبحوه﴾ نزهوه عما لا يليق به .

﴿بكرة وأصيلا﴾ اول النهار وآخره خص التسبيح مع دخوله في الذكر تشريفا له لانه العمدة وافضل الذكر والتسبيح قراءة القرآن وخص الوقتين بالذكر لانهما طرفان والمراد عموم الاوقات ولكن العرب كثيرا ما تستغني بذكر طرفي الشيء عن ذكره كله لأن الشيء المتصل اذا

جئت بطرفيه فقد جئت به كله ولا سيما ان الوقتين المذكورين لهما فضل على سائر الاوقات لكونهما مشهودين فقد اخص من افضله ومن الاوقات افضلها .

وقيل : ان المراد يسبحوه بكرة واصيلا صلاة الفجر وصلاة الظهر والعصر وقيل صلاة الفجر وصلاة العصر وقيل صلاة الفجر والمغرب والعشاء لأن مراعاة هذه الثلاثة واداءها اشد وأشق وقيل الخمس وقيل اذكروا وسبحوا راجعان جميعا للبكرة والاصيل .

وعن بعض : ان الذكر الكثير ان لا تنساه ابدا على قدر الاستطاعة وقيل الذكر الكثير الاقبال على الطاعات فان كل طاعة قلبية او جارحية او لسانية ذكر فما يتصدق متصدق الا لتعظيم الله وحضوره في قلبه او لطلب رضاه فذلك ذكر له وعنه ﷺ : «ذكر الله على فم كل مسلم» وروي (في قلب كل مسلم) .

وعن ابن عباس رضي الله عنه : الذكر الكثير ان لا تنساه ابدا .

وعن ابي سعيد عنه ﷺ : «اكثر من ذكر الله حتى يقال مجنون» .

وفي ذكر الوقتين مناسبة لقوله ﷺ : «ان خير عباد الله الذين يراعون الشمس والقمر والاظلة لذكر الله سبحانه .

وقال قتادة : التسبيح ان تقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله . قال مجاهد : هذه الكلمات يقولها الطاهر والجنب والحائض والمحدث .

﴿هو الذي يصلي عليكم﴾ يلقي عليكم النعم اي يرحمكم وقيل يثني عليكم عند ملائكته .

﴿وملائكته﴾ عطف على المستتر في يصلي لوجود الفاصل وان قلت

اذا فسرت الصلاة بالثناء فلا اشكال لأن الملائكة تثني على المؤمن واذا فسرتها بالرحمة فكيف تكون الملائكة راحمة والرحمة من الله ؟ قلت : هي ايضا راحمة لان دعاءها للمؤمنين بالغفران رحمة ودعائها مستجاب فهو رحمة لأنه سبب رحمة الله وان اجزنا استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه او في معنييه فلتحمل الصلاة المذكورة على الرحمة التي هي الانعام نسبة الى الله عز وجل وعلى الاستغفار وبالنسبة الى الملائكة ولك جعل ملائكة فاعلا ليصلي محذوفا مفسرا بما يليق بهم كالاستغفار او مبتدأ خبره مقدر كذلك ولك حمل الصلاة على المعنى العام الصالح وهو فعل ما يصلح أمركم ويظهر شرفكم .

قيل : لفظ يصلي مستعار من الصلو واحد الصلوين وهما عظمان او عرقان ينعطفان عند الركوع .

وقد قيل لما كان من شأن المصلي ان ينعطف في ركوعه وسجوده استعير يصلي ونحوه لمن ينعطف على غيره حنوا عليه كعائد المريض والمرأة في حنواها على ولدها ثم كثر استعماله في الرحمة فمعنى صلاة الله رحمته ومعنى رحمته لازم الرحمة ومسببها وهو الانعام .

قال ابوبكر رضي الله عنه : ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد اشركنا فيه . . فأنزل (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) .

﴿ليخرجكم من الظلمات﴾ الكفر والمعاصي .

﴿إلى النور﴾ الايمان والعمل الصالح .

﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾ لا أرحم منه رحمهم بنفسه واستعمل ملائكته في رحمتهم بالاستغفار وهم مجاب الدعاء وهذا رافع لما يتوهم انما ذكر من الصلاة مختص بمن سمع الوحي في وقته .

وعن بعضهم ان ابابكر لما نزلت صلاة الله وملائكته على المؤمنين ونزل ﴿ان الله وملائكته يصلون على النبي﴾ قال ما خصك الله بشرف الا وقد اشركنا فيه نزل ﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾ .

﴿تحيتهم﴾ مصدر مضاف للمفعول .

﴿يوم يلقونه﴾ هو يوم القيامة .

﴿سلام﴾ من الله على لسان الملائكة يقولون سلام من الله عليكم ويحكون لهم عنه كلاما طيبا او يخبرونهم عنه انكم سالمون من كل مكروه او تسلم عليهم الملائكة انفسهم او تخبرهم كذلك لا عن الله .

وقيل المراد بيوم لقائه يوم الموت يسلم عليهم ملك الموت وغيره فذلك يوم لقاء الله وأرجع بعضهم الهاء لملك الموت .

قال البراء بن عازب : تحيتهم يوم يلقونه يلقون ملك الموت لا يقبض روح مؤمن الا ويسلم عليه او ويسلم عليه عند القبض عن الله .

قال بن مسعود : اذا جاء ملك الموت يقبض روح المؤمن (قال ربك يقرئك السلام) .

وقيل : يوم يلقونه يوم خروجهم من قبورهم اذا خرجوا سلمت عليهم الملائكة وقيل وقت دخولهم الجنة تسلم عليهم الملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم .

وقال قتادة : يوم دخولهم الجنة يحيى بعضهم بعضا بالسلام وعليه فاضافة المصدر للمفعول او الفاعل .

﴿وأعد لهم أجرا كريما﴾ هو الجنة ومقتضى السياق السابق ان يقول ولهم اجر كريم فعدل عن ذلك الى قوله ﴿وأعد لهم أجرا كريما﴾ تركا لمخالفة الفواصل والتأكيد والمبالغة بذكر الاعداد بكسر اللام او الهمزة

ان لم يكن نقل .

﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا﴾ يوم القيامة لأمتك وعليها وهو حال مقدرة لأنه في وقت ارسال الله اياه غير شاهد عليهم بالتكذيب ولا لهم بالتصديق وانما ذلك بعد اداء الرسالة .

وقيل : المراد انه شاهد للرسل بالتبليغ وقيل شاهد على الخلائق كلهم يوم القيامة .

وقالوا من قرأ ﴿يا ايها النبي إنا ارسلناك ـ الى وكيلا﴾ على دهن زنبق مذاب بمسك بعد سبعة ايام بعد صلاة الغداة ورفعه عنده في قارورة ودهن من ذلك الدهن حاجبيه وعارضه فان من لقيه من ملك او مملوك او حيوان او غيره من سائر المخلوقات هابه وخشيه وسمع قوله وقضى حوائجه وبلغ منه كل ما يريده من جميع المطالب ونجح قصده ومسعاه .

﴿ومبشرا﴾ في الدنيا لمن صدقك بالجنة .

﴿ونذيرا﴾ بالنار لمن كذب .

﴿وداعيا إلى الله﴾ توحيده ووصفه بصفاته ونفي صفات غيره عنه وطاعته .

﴿بإذنه﴾ بأمره وذكره تأكيد لأن قوله ﴿ارسلناك﴾ مع قوله ﴿داعيا إلى الله﴾ مغن عنه .

وقيل : المراد بتسهيله استعير لفظ الاذن للتيسير وذلك لأن الاذن في فعل شيء شبيه بتسهيل الشيء لأن كلا منهما انفاذ لذلك الشيء وتحصيل له او اطلق الاذن على التسهيل لأنه مسبب التسهيل فيكون ذلك من المجاز المرسل وعلى الوجهين فانما جيىء به لأن دعاء اهل الشرك والجاهلية الى التوحيد والشريعة امر في غاية الصعوبة والتعذر يحتاج الى

تسهيل من الله .

﴿وسراجا منيرا﴾ مثل سراج مضيء يزيل ظلمة الجهل والشرك والمعاصي بالتوحيد والعلم والطاعة كما يزيل السراج المضيء الظلمة ويمد بنور نبوتك، نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الابصار ووصف بالانارة لان من السراج مالا يضيء لقلة زيته مثلا ودقة فتيلة .

وان قلت فاذا اراد كثرة الضوء فهلا شبهه بالشمس ؟

قلت : انما يقتبس من السراج لا من الشمس ولذلك لم يعبر بها ولان لها وقتا مخصوصا والسراج يوجد متى شئت والعطف من عطف الأحوال بعضها على بعض الواحد وقدر بعضهم وذا سراج منيرا وتاليا سراجا منيرا وعليه فالسراج القرآن وصف النبي ﷺ بأنه صاحبه او بأنه تاليه وتجوز العطف على كاف ارسلناك فتكون في ذلك التفات من خطاب لغيبة لأن الظاهر من قبيل الغيبة وظاهر كلام بعض اختصاص جواز العطف على الكاف يقول من قدر ذا سراج او تالي سراج .

﴿وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا﴾ على سائر الأمم على جزاء أعمالهم واذا كانت الزيادة على ثواب اعمال المؤمنين فضلا كبيرا فما ظنك بنفس الثواب ويجوز ان يراد بالفضل الثواب وقد قيل : الفضل الجنة والظاهر ان المراد بالفضل الكبير جميع ما يعطيهم الله حتى يدخل فيه ما ذكره الضحاك عن رسول الله ﷺ : «مثل اصحابي مثل الملح الذي لا يصلح الطعام الا به» «ومثل اصحابي مثل النجوم يهتدى بها فبأيهم أخذتم اهتديتم» .

وما ذكر الحسن عن ابي مسلم الخولاني : مثل العلماء في الأرض مثل النجوم يهتدي بها الناس ما بدت واذا خفتت تحيروا .

وفي الآية تأنيس للنبي ﷺ وللمؤمنين وتكريم لجميعهم والواو في (وبشر) للاستئناف او للعطف على محذوف اي راقب احوال امتك وبشر المؤمنين .

﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ فيما يخالف شريعتك او في ما يوهنها .

﴿ودع أذاهم﴾ اترك ضرهم اياك ولا تكترث به ولا تهتم بمجازاتهم واصبر او اترك ضرك اياهم اي لا تضرهم على كفرهم حتى تؤمر فيهم فنسخ ذلك لما امر بالسيف كما نص عليه ابن عباس والاضافة على الأول اضافة مصدر لفاعله وعلى الثاني اضافة مصدر لمفعوله وقد يقال لا نسخ على وجه الأول لأن الصبر على مجازاة المسيء على اساءته مأمور به الى الآن وانما المنسوح ترك قتالهم على كفرهم ووقع في بعض الكتب التي تتكلم على النسخ ما حاصله (ان في سورة الأحزاب ثلاث آيات منسوخات) وذكر منها هذه فلم يفهم بعض عوام الطلبة مراد صاحب الكتاب فتكلم بكلام يؤدي الى الحكم على قائله بالشرك أعاذنا الله من الجهل وحاشاه من الشرك وانما اراد ان المنسوخ بعض تلك الآية وهو دع أذاهم لا مع قوله ﴿لا تطع الكافرين والمنافقين﴾ غايته انه عبر بالكل واراد البعض وهو جائز قطعا .

﴿وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا﴾ فهو كافيك قيل : وصفه الله سبحانه بأنه شاهد على امته وقابل هذا الوصف بما يناسبه وهو التبشير للمؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا وهذا الفضل هو ان امته شاهدة على الأمم او مناسب هو مع المراقبة التي قدرت قبل (وبشر المؤمنين) ووصفه بأنه مبشر وقابله بما يناسبه وهو ان لا يطيع الكافرين والمنافقين

وذلك اعراض عنهم فيكون اقباله كله على المؤمنين وهو يناسب البشارة ووصفه بالانذار وقابله بما يناسبه وهو ترك أذاهم فانه اذا ترك أذاهم في الحاضر والأذى لا بد له من عقاب عاجل أو آجل كانوا منذرين به في المستقبل ووصفه بالدعاء الى الله وقابله بما يناسبه وهو التسهيل اذ قال بإذنه أي بتسهيله في احد أوجه واذ قال وتوكل على الله ومن توكل على الله يسر عليه كل عسير ووصفه بأنه كالسراج وقابله بما يناسبه وهوْ الاكتفاء به وكيلا فان من انار له الله برهانه على جميع خلقه كان جديرا بأن يكتفي به عن جميع خلقه .

﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم**﴾ تزوجتم .

﴿**المؤمنات**﴾ ومثلهن الكتابيات . ولم يذكرهن تنبيها على ان الاولى بالمؤمنين والمؤمنات .

﴿**ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن**﴾ ان تجامعوهن بذكوركم في اي موضع من اجسادهن ومثل الجماع مس الفرج باليد فيما قال غير واحد من الفقهاء وفائدة (ثم) رفع توهم ان تراخي الطلاق عن وقت العقد يوجب العدة وقرأ حمزة والكسائي ﴿من قبل أن تماسوهن﴾ بضم التاء وبألف بعد الميم .

﴿**فما لكم عليهن من عدة تعتدونها**﴾ تستوفون عددها وهذا دليل على ان العدة حق للزوج على المرأة توسيعا له في مراجعة ممسوسته مالم تتم العدة وهذه التي طلق قبل الدخول بها تتزوج من حينها ان شاءت وان شاء زوجها تزوجها بنكاح جديد وان راجعها ودخل عليها حرمت عليه واذا خلا بها ولم يمسها وصدقته في ذلك فلا عدة وتأخذ نصف الصداق كالتي لم يدخل بها .

وقال ابوحنيفة : الخلوة توجب العدة والصداق الكامل ولو اقرت بعدم المسيس وان لم تقر وجاء عندنا ايضا وان طلقها ثلاثا قبل الدخول بها فطلاق واحد فرق الطلاق او جمع وقال النخعي ثلاث ويجب الصداق والعدة بمس الذكر في جميع البدن وبمس اليد في الفرج وقيل لا يمس اليد وكذا الخلف في النظر الى ما بطن منه وانما تجب العدة في من لم تمس لعدم الماء الذي يخاف به ان تكون حبلى واما من قال كل امرأة نكحتها فهي طالق او ان تزوجت امرأة فهي طالق واذا تزوجت امرأة فهي طالق أو عينّ في ذلك فاذا تزوجها لم تطلق عند علي وابن عباس وجابر ومعاذ وعائشة وسعيد بن المسيب وعروة وشريح وسعيد بن جبير والقاسم وطاووس والحسن وعكرمة وعطاء وسليمان بن يسار ومجاهد والشعبي وقتادة والشافعي والجمهور واستدلوا بقوله ﷺ : «لا طلاق فيما لا تملك ولا عتق فيما لا تملك» .

وعن جابر بن عبدالله عنه ﷺ : «لا طلاق قبل النكاح» وعن ابن عباس : جعل الله الطلاق قبل النكاح .

وقال النخعي واصحاب الرأي : انها تطلق وقال مالك والأوزاعي : ان عينّ طلقت والا فلا ولا حجة عليهم في الحديثين لانهما فيمن لا تملك مثل ان تطلق امرأة رجل او امرأة غير متزوجة تزوجتها بعد ذلك ام لا .

وروي عن ابن مسعود انها تطلق مطلقا فعن عكرمة عن ابن عباس : انهم كذبوا على ابن مسعود وان كان قالها فزلة من عالم وقرأ ابن كثير بتخفيف الدال من اعتداء اي تعتدونها اي تعتدون فيها وحذف الجار انشد ابن هشام :

* ويوما شهدناه سليما وعامرا *

أي شهدنا فيه وطبق ذلك في المعنى ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا .

﴿فمتعوهن﴾ سواء كان الصداق ام لا وقيل هذا التمتيع مستحب لا واجب وقال ابن عباس والشافعي : تجب لها المتعة ان لم يجعل لها صداقا والا فانما لها نصف الصداق ولا متعة ويوافقه قول قتادة ان الآية منسوخة بقوله جل وعلا (فنصف ما فرضتم) والواضح ان لكل مطلقة متعة ولا متعة للمفتدية والمخالعة والملاعنة والتي حرمت لشيء واوجب ابوحنيفة المتعة لمن طلقت قبل المس فقط وأجاز بعضهم كون الأمر في الآية مستعملا في المطالبة بالمتعة سواء كانت واجبة وهي واجبة للتي لم يفرض لها او غير واجبة بل سنة وهي سنة للتي فرض لها هذا كلام البعض وتمتيع المرأة اعطاءها ما تستمتع به .

﴿وسرحوهن﴾ خلوا سبيلهن بأن تطلقوهن .

﴿سراحا جميلا﴾ لا ضرر فيه ولا يفسر السراح الجميل .

بتطليقهن في اول الطهر بعد الغسل من دون جماع وهو طلاق السنة لأن طلاق السنة انما هو في المدخول بها والضمير في الآية لغير المدخول بها وهي يجوز طلاقها في كل وقت كالحامل واذا لم يكن جماع فمات احدهما من غير طلاق فالأكثر على ان للمرأة الصداق كاملا ان كان الميت الرجل ولورثتها ان كانت الميتة ويجب الميراث باتفاق .

﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت﴾ أي اتيتهن .

﴿أجورهن﴾ أي مهورهن لأن النساء أجيرات بمهورهن على فروجهن وانما قيل الاحلال الايتاء تعجيلا وندبا الى انهاء مهورهن اليهن وايثارا للافضل لا لكونها لا تحل الا ان اعطيت مهرها فانها تحل بدونه

لنا على الصحيح وتأخذ صداق المثل وقيل العقر ولا سيما رسول الله ﷺ فانه لا صداق عليه .

﴿وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك﴾ من الكفار بالسبي كصفية وجويرية وما ملكت يمينه من غير مما أفاء الله عليه منهم كذلك ولكن خص التي أفاء الله عليه بسيفه لأنها اطيب ولانها بدء امرها ان يتسراها وقد ملك مارية بالهبة وتسراها فولدت له ابراهيم .

﴿وبنات عمك وبنات عماتك﴾ قيل اراد نساء قريش .

﴿وبنات خالك وبنات خالاتك﴾ قيل يعني نساء بني زهرة وقيل المراد بنات اخ الأب وبنات اخته وبنات اخت الأم وبنات اختها وحكم على غيرهن ممن يحل تزوجه بحكمهن وخصت هؤلاء بالذكر تشريفا لهن على هذا القول .

﴿اللاتي هاجرن معك﴾ او لم يهاجرن ولكن خص المهاجرات معه لفضلهن ويحتمل ان الله سبحانه حرم عليه ﷺ وحده من لم تهاجر معه ويدل له ما ذكرت ام هاني بنت ابي طالب اني خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الآية فلم احل له لأني لم أهاجر معه كنت من الطلقاء اي من الذين اسروا واطلقوا وقيل كان شرط حل التزوج الهجرة في حق النبي ﷺ وغيره ثم نسخ .

﴿وامرأة﴾ على ما قبل ويقدر له العامل اي وأحللنا لك امرأة .

﴿مؤمنة﴾ بمجرد الهبة لا صداق ولا ولي .

﴿إن وهبت﴾ هي أو أبوها لكن اشترط بعض الهبة لأب ان تكون المرأة بكرا .

﴿نفسها للنبي﴾ ولا اشكال في قوله احللنا لك امرأة مؤمنة ان وهبت

نفسها للنبي من حيث ان الشرطية الدالة على الاستقبال حتى يدفعه القاضي بأن المعنى بالاحلال الاعلام بالحل وانما نكر امرأة للتقليل اي ان اتفق ان امرأة وهبت لك نفسها فقد احللناها لك بمجرد هبته وعلى كلام القاضي يقال فقد اعلمناك حلها وقرأ الحسن بفتح همزة ان على ان مصدرية تقدر قبلها لام التعليل اي لان وهبت او بجعل المصدر من الفعل بعدها ظرف زمان من نيابة المصدر عن اسم الزمان اي وقت هبتها نفسها لك واذا حلت له في الوقت وقبل الهبة استمر الحل الى ان يحدث مانع وقرأ ابن مسعود باسقاط ان على ان جملة وهبت نعت لامرأة او حال منها ولو وهبت كتابية للنبي ﷺ نفسها لم تحل له خلافا لبعض واختلف اصحابنا في انعقاد النكاح لنا بقول المرأة مع حضور الولي واجازته وهبت لك نفسي ويقول الولي وهبتها لك فقيل ينعقد وقيل لا بل يقول انكحتكها او زوجتكها وعليه الاكثر وابن المسيب والزهري ومجاهد وعطا ومالك والشافعي وقال النخعي والكوفيون بالأول واشترط بعضهم في انعقاد النكاح للنبي بالهبة ان لا تقتصر على لفظ الهبة بل تذكر معه لفظ التزويج والتمليك ونحوه كغيره وتقتصر على لفظ التزويج ونحوه بدون ذكر الهبة وصاحب هذا القول حمل الهبة في الآية على معنى انها ارادة التزوج به بلا مهر .

وعن ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد لم تكن امرأة عنده ﷺ بالهبة .

وقيل تزوج بالهبة ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة ام المساكين الانصارية الهلالية وام شريك بنت جابر بن عوف من بني اسد وقيل من بني عامر بن لؤي وهي قريشية واسمها غزية وقيل بنت داود بن عوف وطلقها بعد الدخول وقيل قبله وقيل ام شريك عرية الانصارية من بني

النجار وقيل ام شريك غزية بنت جابر الدوسية وخولة بنت حكيم وعن عائشة كانت خولة بنت حكيم من التي وهبن انفسهن لرسول الله ﷺ وذلك من عائشة دليل على انه كانت عنده بالهبة غير واحدة وهو ايضا مروي عن عروة بن الزبير وذلك خلاف قول الشعبي انه كانت عنده بذلك زينب بنت خزيمة وخلاف قول قتادة كانت عنده ميمونة بنت الحارث فقط وخلاف قول علي بن الحسين والضحاك ومقاتل كانت عنده ام شريك فقط وخلاف قول عروة بن الزبير كانت عنده خولة المذكورة وهي من بني سليم اللهم الا ان يقال يحتمل كلامها ان يكون معناه وهبن انفسهن سواء قبل منهن كما قيل عن خولة او لم يقبل ورد نكاحهن او تزوجهن بصداق فافهم ولا تتوهم وفي الصفوة ان الاكثر على ان الواهبة نفسها ام شريك غرية بنت جابر الدوسية فلم يقبلها ولم تتزوج حتى ماتت .

﴿إن أراد النبي أن يستنكحها﴾ السين والتاء هنا للعد اي ان اراد ان يعدها من جملة منكوحاته او للتصيير اي ان اراد تصيرها منهن والمراد ان قبل الهبة وان لم يقبل فلا تحل له وهذا فائدة الشرط كذا ظهر لي والحمد لله ورأيت جار الله ذكره وفي قوله (ان وهبت نفسها للنبي) التفات من الخطاب للغيبة واما (ان اراد النبي) الخ فتبع له وقيل السين والتاء هنا للطلب على الأصل اي ان يطلب نكاحها من غير صداق .

﴿خالصة﴾ من المصادر الآتية على صيغة اسم الفاعل كالعاقبة والعافية فيما قيل ومعناه خلوصا وهو مصدر مؤكد لاحللنا او هو وصفت حال من ضمير وهبت او من هاء في يستنكحها او نعت لمصدر محذوف اي هبة خالصة قيل او نعت للمرأة وقرىء بالرفع اي ذلك خلوصا لك

او تلك المرأة خالصة .

﴿لك من دون المؤمنين﴾ التفت من الغيبة الى الخطاب وانما التفت هنالك من الخطاب للغيبة وهنا منها اليه ايذانا بأن الهبة مخصوصة به ﷺ لشرف نبوته ولذا اعيد لفظ النبي بالاسم الظاهر فدل على انها تكرمة لاجل نبوته وتقريرا لاستحقاقه الكرامة لنبوته واستدل ابوحنيفة بالآية على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة من الولي مثلا يحضره الشهود كما عقد للنبي ﷺ بلفظ الهبة منها بلا ولي وشهود لانه ﷺ سواء في الأحكام هو وأمته الا ما خصه الدليل وأجازه الكرخي ايضا بلفظ الاجازة لقوله عز وجل (اتيت أجورهن) .

وقال ابوبكر الرازي : لا يصح لأن الاجارة عقد مؤقت وعقد النكاح مؤبد فهما متنافيان .

وقال الشافعي : خص رسول الله ﷺ بمعنى الهبة ولفظها جميعا لان اللفظ تابع للمعنى والمدعي للاشتراك في اللفظ يحتاج الى دليل وقيل يريد ربنا سبحانه بقوله ﴿خالصة لك من دون المؤمنين﴾ جميع هذه الاباحة لأن المؤمنين لم يبح لهم الزيادة على الأربع .

﴿قد علمنا ما فرضنا عليهم﴾ اي ما أوجبنا على المؤمنين .

﴿في أزواجهم﴾ من انهم لا يزيدون على اربع ولا يتزوجون الا بولي وصداق وشهود واذا اختلفت المرأة والزوج في الصداق كم هو ولا بينة فصداق المثل وقيل ما يقول الزوج قيل ويحلف وقيل لا بد ايضا من الشهود للنبي ﷺ ومما فرض على المؤمنين دون النبي ﷺ العدل .

﴿وما ملكت أيمانهم﴾ من انه يحل لهم تسري ما ملكوا بشراء او هبة او ارث او غير ذلك بلا عدد بشرط استبراء وقيل لا ان جاءته من طفل

لا يمكن جماعه او من امرأة وليس الاشهاد شرط بصحة التسري .

﴿لكيلا يكون عليك حرج﴾ تضييق في النكاح متعلق بأحللنا وقيل بخالصة وما بينه وبين متعلقه معترض وانما وسع على المؤمنين في الايماء فقط بالتسري وانما اعترض بذلك قيل للدلالة على ان الفرق بينه وبين المؤمنين في نحو ذلك لا بمجرد قصد التوسيع عليه بل لمعان تقتضي التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة وبالعكس اخرى .

﴿وكان الله غفورا رحيما﴾ غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما بالتوسعة في ذلك .

﴿ترجي﴾ بالياء عند الكسائي وحمزة ونافع في رواية حفص وقرأ الباقون بالهمز أي تؤخر .

﴿من تشاء منهن﴾ وتترك مضاجعتها او غيرها من الحقوق اللازمة لغيره .

﴿وتؤوي﴾ بتاء مفتوحة وهمزة على الواو ساكنة فواو مكسورة بعدها ياء في قراءة حمزة والكسائي ونافع في رواية حفص وقرأ الباقون بهمزة بعد الواو الاخيرة ومعناه تضم .

﴿إليك من تشاء﴾ وتضاجعها وتصنع لها ما تحب والمراد تؤخر من تشاء بالطلاق وتضم الى نفسك بالامساك من تشاء والأول هو قول مجاهد وقتادة والضحاك واختاره عياض لان سبب نزول الآية تغاير وقع بين ازواج النبي ﷺ تأذى به فاذا علمن ان الله لم يوجب عليه العدل بينهن زال بعض ما بهن والثاني قول ابن عباس رضي الله عنهما .

وقال الحسن بن علي : المعنى في تزوج من شاء وترك من شاء من النساء .

قال عياض : وعلى كل حال فالآية توسعة للنبي ﷺ واباحة له .
وقيل : «لا يحل لك النساء من بعد» الآية ناسخ لقوله «ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء» في تزوج من شاء وترك من شاء وقيل : بل هذه ناسخة لقوله ﴿لا يحل لك النساء﴾ الخ وروي عن الحسن في معنى الآية انه كان ﷺ يذكر للمرأة التزوج ثم يتركها وكان اذا ذكر امرأة لتزوج لم يجز لأحد ان يعرض لها بذكر حتى يتزوجها او يتركها وروي انه ارجى سودة وجويرية وصفية وميمونة وام حبيبة وكان يقسم لهن ما شاء كما شاء من غير طلاق وآوى الى نفسه عائشة وحفصة وام سلمة وزينب واراد طلاق سودة ووهبت ليلتها لعائشة وقالت لاتطلقني حتى احشر في زمرة نسائك وروي انه لما نزل التخيير خيرهن ان يطلقهن او يمسكهن على ان لا يعدل بينهن في شيء الا ان شاء فاخترن ان يمسكهن بلا عدالة واشفقن من الطلاق فقلن يا نبي الله اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت ودعنا على حالنا وكان ﷺ مع ذلك الشرط يعدل بينهن الا سودة فوهبت سهمها لعائشة كما مر قال بعض كان العدل بينهن واجبا عليه حتى نزلت هذه الآية فنسخت الوجوب وزعم بعض ان الآية نزلت حين تغايرن وأردن زيادة النفقة واللباس وأردن الحلي وقيل ايضا في معنى الآية ترد من شئت ممن طلبن ان تتزوجهن هبة منهن وتقبل من شئت وعن الحسن تترك جماع من شئت وتجامع من شئت من نسائك وفي المواهب قال عروة بن الزبير : كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن انفسهن للنبي ﷺ فقالت عائشة : اما تستحي المرأة ان تهب نفسها للرجل فلما نزلت ﴿ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء﴾ منهن قالت عائشة : يا رسول الله ما ارى ربك لا يسارع في هواك رواه مسلم

والبخاري والمراد بالهوى ما يقصده ويريده لا ميل وخولة هذه زوجة عثمان بن مضعون ولعل ذلك وقع منها قبل عثمان انتهى كلام المواهب .

﴿ومن ابتغيت﴾ طلبت بالرجعة .

﴿ممن عزلت﴾ طلقت طلاقا رجعيا .

﴿فلا جناح عليك﴾ في مراجعتها كذا قيل ويحتمل ان يكون المعنى ومن طلبت ان تأوي اليك بعد ما ابعدتها عن المقاسمة فلا جناح عليك في ان تأويها وتجعل لها في القسمة وتبعد الأخرى ان شئت وأجيز ان يكون مؤكدا ومقويا لقوله (ترجي من تشاء) .

﴿ذلك﴾ التخير والتفويض الى مشيئتك .

﴿ادنى﴾ اقرب الى .

﴿ان تقر أعينهن ولا يحزن﴾ عطف على تقر فهو في محل نصب وكذا قوله :

﴿ويرضين﴾ اي اقرب الى قرة اعينهن والى عدم الحزن وقلته والى رضاهن .

﴿بما آتيتهن﴾ من نفسك ومالك .

﴿كلهن﴾ لانه اذا سوى بينهن في الأرجاء والايواء والعزل والابتغاء وجدت كل واحدة انما يصيبها يصيب غيرها من الارجاء والعزل فتذهب الغيرة بذلك مع علمهن ان الله اساغ له ذلك وان عدل بينهن علمن انه تفضل منه ومع ذلك اتفقت الروايات على انه يعدل بينهن تطييبا لنفوسهن وقرأه (تقر) بضم التاء وكسر القاف ونصب عينهن فالفاعل ضميره ﷺ وقرىء بالبناء للمفعول ورفع الاعين وكلهن توكيد لنون يرضين وقرأ ابن مسعود بالنصب توكيدا للمفعول في آتيتهن وعلى الأول

فذلك من فضل التوكيد بمعمول الموكد .

﴿والله يعلم ما في قلوبكم﴾ من أمر النساء والميل الى بعضهن فاحذروا عدم العدل وهذا وعيد على عدم العدل وانما خيرناك يا محمد تسهيلا عليك في كل ما اردت لتفضيلنا اياك على غيرك ويحتمل عود الخطاب الى الرجال والنساء جميعا فيكون وعيدا لمن لم ترض من نساء النبي ﷺ بما دبر الله وعن لم ترض من نساء الرجال الا بما فوق حقها وللرجال ان لم يعدلوا ويجوز ان يراد بما في القلوب جميع ما يكون فيه ومنه ما ذكر من عدم الرضى والعدل ويحتمل ان يكون الخطاب للرجال فقط والذي في قلوبهم عام لأمر النساء وغيره .

﴿وكان الله عليما﴾ بخلقه ظاهرهم وباطنهم .

﴿حليما﴾ لا يعجل بالعقوبة فهو حقيق ان يتقى ولما رضي نساء رسول الله ﷺ اكرمهن بأن حرم عليه سواهن وحرم عليه ان يطلقهن ويبدل غيرهن الا ما ملكت يمينه كما قال جل وعلا :

﴿لا يحل﴾ ذكر الفعل للفصل بينه وبين فاعله ولكون الفاعل اسم جمع بمعنى الجمع وهو الفريق وكذا جمع التكسير نحو (وقال نسوة) وجمع التكسير نحو وجاءت الهنود مع ان التأنيث حقيقي وذلك للتأويل بالجمع وهو الفريق وقرأ ابوعمرو ويعقوب بالفوقية المثناة .

﴿لك النساء من بعد﴾ بعد التسعة التي اخترنك قيل وهن التسع التي مات عليهن عائشة وحفصة وام حبيبة بنت ابي سفيان وسودة بنت زمعة وام سلمة بنت ابي امية وصفية بنت حيي الخيبرية وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بن جحش الاسدية وجويرية بنت الحارث المصطلقية .

﴿ولا ان تبدل﴾ أي تتبدل حذفت احدى التائين اي ولا ان تستبدل .

﴿بهن من ازواج﴾ كلهن او بعضهن من صلة ازواج لا تطلقهن او بعضهن وتنكح مكان من طلقت اخرى .

﴿ولو أعجبك حسنهن﴾ اي حسن الأزواج التي تريد ان تجعلهن مكان ازواجك والواو عاطفة على محذوف اي لو لم يعجبك حسنهن ولو اعجبك او للحال وصاحب الحال فاعل تبدل لا مفعوله الذي هو ازواج لتوغله في التنكير كذا قيل والمشهور ان تقديم النفي مسوغ لمجيىء الحال من النكرة ولو جرت بمن الاستغراقية وتوغلت وقد مر ان هذه الآية ناسخة للآية التي تبيح له التوسيع في التزوج مطلقا وهو قول انس وقيل هذه ايضا ناسخة لمبيحة التوسع وهي ﴿ما كان على النبي من حرج﴾ الخ . وهو قول الحسن وقيل هذه منسوخة بالآيتين وان نزولها متقدم عليهما وهو قول عائشة اذ قالت : ما مات رسول الله ﷺ حتى احلت له النساء وفي رواية : حتى احل له ان يتزوج من النساء ما شاء .

وقيل ايضا منسوخة بقوله ﴿ترجي من تشاء﴾ الخ . وانها متقدمة النزول متأخرة الوضع وممن قال بأن هذه الآية منسوخة ابن عباس في رواية عنه وأجاز بعض ان يكون النسخ في ذلك بالسنة وقيل لأبي بن كعب لو مات نساء النبي ﷺ أكان يحل له ان يتزوج ؟

قال : وما يمنعه من ذلك .

قيل : لا يحل لك النساء من بعد ؟ قال : انما أحل الله ضربا من النساء اذ قال **﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك﴾** الآية ثم قال **﴿لا يحل لك النساء من بعد﴾** الخ اي لا يحل لك ان تترك من ذكر وتبدل به

من ليس من بنات عمك او عمتك او خالك او خالتك المهاجرات مثل ان تكون من تلك البنات غير مهاجرة او تبدل به من لم تؤتها اجرها ولم تهب لك نفسها او وهبت ولم تقبلها او تبدل به اما بالتزويج هذا مراد كعب ويحتمل ان يريد ما قال الكلبي : ان رسول الله ﷺ لما تزوج اسماء بنت النعمان الكندية وكانت من احسن البشر فقلن يتزوج علينا الغرائب ماله فينا حاجة فأحل الله له بنات عمه وعمته وخالته يعني بنات قريش وزهرة .

وقيل : معنى (لا يحل لك النساء من بعد) الخ لا تحل لك اليهوديات ولا النصرانيات ولا تبدل المسلمات بهن ولا ينبغي ان يكن امهات المؤمنين وهو قول ابن زيد وابن جبير ومجاهد وقيل : معنى التبدل المنهي عنه في الآية ما تفعله الجاهلية يقول الرجل للرجل بادلني بامرأتك وأبادلك بامرأتي فينزل كل منهما عن زوجته لصاحبه وقد طلب عيينة بن حصن ذلك من رسول الله ﷺ اذ دخل عليه وعنده عائشة من غير استئذان فقال ﷺ (اين الاستئذان يا عيينة) قال : يا رسول الله ﷺ ما استأذنت على رجل قط ممن مضى منذ ادركت .

ثم قال : من هذه الجميلة الى جنبك ؟ قال : (هذه عائشة أم المؤمنين) قال : أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق .

فقال ﷺ (ان الله حرم ذلك) فلما خرج قالت عائشة : من هذا يا رسول الله قال (أحمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه) قال ابن عباس : كان ممن اراد التبدل به لأعجاب حسنها اياه اسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن ابي طالب لما استشهد رضي الله عنه اراد رسول الله ان يخطبها فنهي عن ذلك .

﴿إلا ما ملكت يمينك﴾ فيجوز لك تسريه والاستثناء متصل لان النساء يشمل الأزواج والاماء وقيل منقطع لان النساء ذكرت على جهة التزوج بدليل السياق والاماء انما هن بالتسري فلا شك ان المتسرات لا تدخل في المتزوجة .

وعن بعضهم : هذا استثناء من تحريم ما عدا بنات العم والعمة والخال والخالة وعدم تحليل ما عداهن من العربيات اللاتي لسن كذلك ومن غير العربيات اي الا ما ملكت يمينك من الكتابيات فلك تسريهن مع انهن لسن من بنات العم والعمة والخال والخالة .

﴿وكان الله على كل شيء رقيبا﴾ حافظا فلا تجاوزوا حدوده وزعم الخازن ان في الآية دليل على جواز النظر لمن يريد نكاحها من النساء وانه يدل لذلك ما روي عن جابر قال قال رسول الله ﷺ : «اذا خطب أحدكم امرأة فان استطاع ان ينظر الى ما يدعوه الى نكاحها فليفعل» قال : وعن ابي هريرة ان رجلا اراد ان يتزوج امرأة من الانصار فقال النبي ﷺ «انظر اليها فان في أعين الانصار شيئا» قال : قال الحميدي (هو الصعر) .

قال : عن المغيرة بن شعبة خطبت امرأة فقال لي النبي ﷺ : «هل نظرت اليها فانه احرى ان يدوم بينكم» .

ازواج النبي ﷺ التي دخل بهن باتفاق وهن خديجة وهي اول من تزوج باتفاق وتدعى في الجاهلية الطاهرة تزوجها وهي بنت اربعين سنة وبعض اخرى وهو ابن خمس وعشرين سنة عند الاكثر او ابن احدى وعشرين او ابن ثلاثين اقوال هي على الصحيح افضل نسائه وتليها عائشة وعكس بعضهم وفاطمة ابنته افضل منها ومن غيرهما وقيل

خديجة افضل ومريم افضل من الثلاثة وغيرهن وقد قيل بنبوتها .
ماتت خديجة بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل بأربع وقيل بخمس ودفنت في الحجون وهي بنت خمس وستين ومدة مقامها مع رسول الله ﷺ خمس وعشرون وقيل اربع عشرون وهي التي طلبت تزوجه وسودة بنت زمعة تزوجها ﷺ بمكة بعد موت خديجة قبل العقد على عائشة ولما كبرت اراد طلاقها فقالت لا تفعل وسهمي لعائشة وماتت بالمدينة في شوال سنة اربع عشرة او خمسة عشرة في خلافة عمر وعائشة ولم يتزوج بكرا غيرها ومات عنها ولها ثمان عشرة سنة اقام معها تسعا وعقد بها ولها ست ودخل ولها تسع وماتت بالمدينة ولها ست وستون عام سبعة خمسين وتقدم الكلام عليها في غير السورة . وحفصة بنت عمر بن الخطاب تزوجها ﷺ بالمدينة عام ثلاثة وطلقها واحدة فأوحى اليه ان راجعها فانها صوامة قوامة وانها من ازواجك في الجنة ماتت في شعبان عام خمسة واربعين في خلافة معاوية وقيل احدى واربعين وهي بنت ستين وقيل في خلافة عثمان .

وأم سلمة واسمها هند على الصحيح وقيل رملة .

قال بعضهم : هي أول ضعينة دخلت المدينة مهاجرة وهي من اجمل الناس تزوجها ﷺ في ليال بقين من شوال من السنة التي مات فيها ابوسلمة وماتت سنة تسع وخمسين وقيل سنة اثنين وخمسين ودفنت بالبقيع وصلى عليها ابوهريرة وقيل سعيد بن زيد ولها اربع وثمانون سنة .

وأم حبيبة رملة بنت ابي سفيان بن حرب وقيل اسمها هند بعث ﷺ عمرو بن امية الى النجاشي ان يخطبها له وهي اذ ذاك في الحبشة مهاجرة

فخطبها فوكلت خالد بن سعيد بن العاص فزوجها واصدق النجاشي عنه اربع مائة دينار .

وقيل : رجعت الى المدينة فعقد عليها ولعل ذلك في الهجرة الثانية من مكة الى الحبشة وماتت بالمدينة سنة اربع واربعين وقيل اثنين واربعين .

وزينب بنت جحش تزوجها سنة خمس وقيل ثلاث وهي اول من مات من ازواجه بعده وتقدم الكلام عليها في السورة وهي زوجة زيد بن حارثة .

وزينب بنت خزيمة بن الحارث الهلالية تدعى في الجاهلية ام المساكين باطعامها اياهم تزوجها ﷺ سنة ثلاث ولم تلبث عنده الا شهرين او ثلاثة وقيل ثمانية اشهر فماتت في ربيع الاخير سنة اربع ودفنت بالبقيع .

وميمونة بنت الحارث الهلالية تزوجها ﷺ بمكة معتمرا سنة سبع بعد غزوة خيبر وبنى بها في سرف رجع وهو حلال وقيل تزوجها حلالا وبنى بها حلالا وماتت بسرف وهو على عشرة اميال من مكة انتهت خطبة النبي ﷺ وهي على البعير فقالت : البعير وما عليه لله ولرسوله وماتت كما مر في سرف سنة احدى وخمسين .

وقيل : ست وستين وقيل : ثلاث وستين وصلى عليها ابن عباس .

وجويرة بنت الحارث بن ابي ضرار سبيت من غزوة المصطلق ووقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبت نفسها فسألت رسول الله ﷺ اعانة فقال : «أدي عنك كتابتك وأتزوجك» فرضيت فسمع الناس فاطلقوا ما بأيديهم من السبي واعتقوهم وقالوا لانهم اصهار رسول الله ﷺ لانها وهؤلاء من بني المصطلق .

وقالت عائشة : ما رأينا امرأة أعظم بركة منها اعتق بسهمها مائة من قوم بني المصطلق وقيل سباها يوم المريسع فحجبها وقسم لها وكانت بنت عشرين سنة واسمها برة وحوله ﷺ جويرية تصغير جارية وماتت ولها خمس وستون في ربيع الأول سنة خمسين وقيل ست وخمسين وصفية بنت حيي بضم الحاء وفتح الياء بعدها الف بن اخطب وهي من ولد هارون بن عمران عليه السلام قال ابن عمر : رأى ﷺ بعينها خضرة فقال : ما هذه ؟ فقالت : كان رأسي في حجر ابن ابي الحقيق نائمة فرأيت قمرا وقع في حجري فأخبرته بذلك فلطمني وقال : تتمنين ملك يثرب وبنى بها ﷺ في الصهباء وماتت في رمضان سنة خمسين ودفنت بالبقيع ويأتي في غير هذه السورة كلام فيها رضي الله عنها .

وأزواجه المختلف فيهن من حيث التزوج او من حيث الدخول او من حيث سبب الفرقة وهن ام شريك وقد تقدم الكلام عليها وخولة بنت الهذيل بن هبيرة تزوجها ﷺ فهلكت قبل ان يصل اليه وعمرة بنت يزيد بن الجون الكلابية وقيل عمرة بنت يزيد الكلابية قال ابوعمرو : وهو الصحيح تزوجها وادخلت عليه فتعوذت منه فقال لها (لقد عذت بمعاذ) فطلقها وام اسامة بن زيد فمتعها بثلاثة اثواب وقيل كان ذلك في امرأة من سليم وقال ابوعبيدة : تزوج عمرة وذكرها أبوها له ﷺ ووصفها وقال وازيدك انها لم تمرض قط فقال عليه السلام : «مال هذه عند الله من خير» وطلقها واسماء بنت النعمان بن الجون تزوجها باجماع وفارقها لأنه قال : تعالي فقالت : تعال انت وانت ان تجيىء .

وقيل : قالت اعوذ بالله منك فقال (عذت بمعاذ وقد أعاذك الله مني) وقيل انها اجمل نسائه فخفن منها فقلن انه يجب ان تقولي اذا دنى منك

اعوذ بالله منك فقال (قد عذت بمعاذ) وطلقها وكانت تسمي نفسها الشقية .

وقال الجرجاني : قلن لها ان اردت ان تحضي عنده فتعوذي بالله منه فقالت ذلك فولى وجهه عنها ولعل قصة التعوذ تكررت وقيل فارقها لأن بها وضحا وقيل اسمها امية وقيل امامة ملكية بنت كعب الليثية قال بعض هي التي تعوذت منه ﷺ وقيل دخل بها وماتت عنده وقيل لم يتزوجها .

وفاطمة بنت الضحاك بن سفيان خيرها حين نزلت آية التخيير فاختارت الدنيا ففارقها فكانت تلفظ النفس وتقول هي الشقية اختارت الدنيا وعن بعض تزوجها سنة ثمان وعن بعض ان أباها قال : لم تصدع قط فقال ﷺ «لا حاجة لي بها» وعن قتادة وعكرمة : كانت عنده حين التخيير تسع مات عنهن .

وغالية بنت ظبيان بن عمر بن عوف وكانت عنده ما شاء الله ثم طلقها وقل من ذكر وقيل طلقها حين دخلت عليه .

وفتيلة بنت قيس اخت الأشعث بن قيس زوجه اياها اخوها في سنة عشر ثم انصرف الى حضرموت وحملها فقبض ﷺ سنة احدى عشرة قيل قدومها عليه ﷺ وقيل : تزوجها قبل وفاته بشهرين وقيل اوصى ان تخبر ان شاءت كانت من امهات المؤمنين وان شاءت الفراق فلتنكح من شاءت فاختارت الفراق فتزوجت عكرمة بن ابي جهل بحضرموت فقال ابوبكر : هممت ان احرق عليها بيتها . فقال عمر : ما هي من امهات المؤمنين ما دخل بها ﷺ ولا ضرب عليها الحجاب وعن بعض قال عمر ذلك لارتدادها .

وسباء بنت اسماء بن الصلت السلمية مات قبل الدخول بها وقيل طلقها قبله .

وشراف بنت خليفة الكلبية اخت دحية الكلبي ماتت قبل دخوله بها ﷺ .

وليلى بنت الخطيم وكانت غيوراء فاستقالته فأقالها فأكلها الذئب وقيل : هي التي وهبت نفسها .

وامرأة من غفار تزوجها ﷺ فأمرها فنزعت ثيابها فرأى بكشحها بياضا فقال (الحقني بأهلك) ولم يأخذ مما اتاها شيئا والله اعلم وخطب عدة نسوة وهن امرأة من بني مرة بن عوف بن سعد خطبها ﷺ الى ابيها فقال ان بها برصا وهو كاذب فرجع فوجد البرص بها وهي ام شبيب .

وامرأة قريشية يقال لها سودة ولها صبيان فقالت : أخاف ان يبكوا عند رأسك فدعى لها وتركها .

وصفية بنت بشامة اصابها ﷺ في سبي فخيرها فاختارت زوجها وامرأة خطبها فقالت : استأمر ابي فأذن لها ابوها فعادت الى رسول الله ﷺ فقال قد التحفت لحافا غيرك وأم هانيء اخت علي خطبها فقالت : اني امرأة ذات صبيان واعتذرت اليه فعذرها .

وضباعة بنت عامر بن فرط خطبها الى ابنها سلمة ابن هاشم فقال : استأمرها فقيل لرسول الله ﷺ كبرت فعاد ابنها وقد اذنت له فسكت عنه ولم ينكحها .

وامامة بنت عمه حمزة وذكروا انها عرضت عليه فقال : (هي ابنت اخي من الرضاعة) والحق اسقاط هذه لأنه لا يخطبها وهي كذلك وذكروا ايضا عزة بنت ابي سفيان عرضتها اختها ام حبيبة عليه ﷺ

فقال : «لا تحل لي لمكان اختها ام حبيبة» ولعل من ذكر هاتين اراد بالخطبة خطابه وخطاب غيره المرأة له او عرض غيره له امرأة والله اعلم .

وسراريه مارية القبطية بنت شمعون اهداها له المقوقس القبطي صاحب مصر والاسكندرية وهي ام ابراهيم ولد النبي ﷺ وماتت في خلافة عمر سنة ست عشرة ودفنت بالبقيع وريحانة بنت شمعون من بني قريظة وقيل من النظير وماتت حين رجع من حجة الوداع سنة عشر ودفنت بالبقيع وقيل : اعتقها وتزوجها واخرى وهبتها له زينب بنت جحش واخرى اصابها في بعض السبي .

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم﴾ نزلت في شأن وليمة زينب بنت جحش حين بنى بها .

قال انس : قدم النبي المدينة وانا بن عشر سنين وخدمته عشر سنين ومات وكانت امي تحضني على خدمته وكنت اعلم الناس بشأن الحجاب اذ نزل واول ما نزل في حين بنى بها اصبح ﷺ عروسا بها فدعي القوم فأصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقي رهط واطالوا المكث فقام ليقوموا فخرج وخرجت معه حتى وصل الى عتبة بيت عائشة وظن انهم خرجوا فرجع ورجعت معه فدخل فاذا هم جلوس فرجع حتى وصل عتبة بيت عائشة ايضا فاذا هم قد خرجوا فضرب بيني وبينه الستر وانزل آية الحجاب واني لفي الحجرة خلف الستر سمعته يقول **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت﴾** الخ وروي انه خرج ولما رجع ظنوا انه يريد الدخول فخرجوا والمصدر من يؤذن منصوب على الاستثناء المنقطع او على الظرفية نيابة عن اسم الزمان اي إلا وقت الاذن لكم وزعم القاضي انه يجوز

كونه حالا والمشهور ان المصدر المعبر عنه بالفعل مثلا وحرف المصدر لا يكون حالا وتقدم الكلام في تلك القصة .

وروي : أن انسا دعى الناس للطعام شاة وتمر وسويق حتى قال : يا رسول الله ما بقي من ادعوا وكانوا يترادفون افواجا ولما اكلوا قال (ارفعوا طعامكم) وانه انطلق وفي البيت ثلاثة رجال يتحادثون وفيه زينب الى عائشة فسلم عليها (السلام عليكم أهل البيت) فردت عليه بأن قالت وعليك السلام يا رسول الله كيف وجدت اهلك وطاف بنسائه كلهن يسلم ويرددن ودعون له فرجع فاذا هم جلوس فتولى حياء فخرجوا فنزلت الآية الى (لا يستحي من الحق) وكان عمر يحب الحجاب لدخول البر والفاجر على نساء النبي وكان يحب ان يتخذ من مقام ابراهيم مصلى ولما تغايرت ازواج النبي ﷺ قال عسى ربه ان اطلق كن ان يبدله ازواجا خيرا منكن فنزل ذلك كله .

قيل : مر عليهن وهن مع النساء في المسجد فقال لئن احتجبتن كان لكن الفضل على النساء كما لزوجكن الفضل على الرجال فقالت زينب : يابن الخطاب انك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا فلم يلبثوا الا يسيرا حتى نزلت وعلى هذا فنزلت بعد التزوج والوليمة وقيل كان ﷺ يأكل مع بعض اصحابه فأصابت يد رجل منهم يد عائشة فكره ﷺ ذلك فنزلت وقيل كانت نساء النبي ﷺ يخرجن ليلا للبول والغائط الى المواضع الخالية الواسعة وكان يقول يا رسول الله احجب نسائك فلم يكن يحجب فخرجت سودة بنت زمعة عشاء وكانت طويلة فناداها عمر : الا قد عرفناك يا سودة قال ذلك حرصا على الحجاب فنزلت الآية كذلك يقول الجمهور والصحيح كما قال بن عباس انها نزلت في ناس من

المسلمين يراقبون وقت طعام رسول الله ﷺ فيدخلون قبل ادراكه فينتظرونه فيأكلون ولا يخرجون فنزلت نهيا لهم عن الدخول لاجل الطعام ولو يأذن في الدخول حتى يأذن لهم ويدعوهم للطعام واذا لم يدعهم اليه فلا يأتوا اليه يراقبونه وكذا اناس تراقب وقت طعامك فيأتيك ويستأذن فتأذن له وانت كاره او غير كاره ولا يحل له ذلك .

وقيل : كان يحل ذهوب المراقبين المخصوصين الدخول في دار النبي ﷺ بغير اذن فكانوا يدخلون بغير اذن ويراقبون الطعام وان اراد الجمهور ان ذلك نزل في دخولهم وليمة زينب فأذن في الدخول لكن لم يؤذن لهم الى طعام اي لم يدعوا اليه بأن يأتوا فيستأذنوا وهم يريدون الطعام ولم يدعهم انس ولا غيره صح قولهم فالآية نهي عن المجيء للطعام من غير دعاء اليه ثم رأيت القاضي قال : ما قلته من ان النهي عن المجيىء للطعام بلا دعاء اليه ولو اذن في الدخول للجائي ، والحمد لله اذ وافقت عالما وما ذلك إلا من الله وقول عائشة رضي الله عنها وجماعة ان سبب نزول آية الحجاب كلام عمر للنبي ﷺ مارا في ان يحجب نساءه يحتمل قول الجمهور وقول غيرهم .

﴿إلى طعام﴾ مر لك ما تعرف به ان يؤذن عدي بإلي لتضمينه معنى الدعاء .

﴿غير ناظرين إناه﴾ غير حال مؤكدة لأنهم لا يدعون الى طعام الا وهو منضج فدرك فذلك زجر لهم عن مجيئهم يقعدون في البيت ينتظرون ادراكه وايضاح الآية هكذا لا تدخلوا بيت النبي للطعام ولو استأذنتم فأذن لكم الا ان دعيتم من أول الأمر للطعام فادخلوا توافقوه منضجا وصاحب تلك الحال واو تدخلوا او كاف لكم وأنى الطعام ادراكه وقيل

وقته اي غير ناظرين وقت أكله والهاء للطعام وقيل الاناء الجفنة والهاء للنبي ﷺ وامال حمزة والكسائي وهشام الف اناه ، وناظرين بمعنى منتظرين وقرأ بن ابي عبلة بجر (غير) وصفا للطعام من الوصف السببي الجاري على ما هو له وهو جائز هنا ولو لم يظهر ضمير ناظرين لعدم اللبس ولو كان مذهب البصريين المنع الا بالابراز ولو ابرز لقيل غير ناظرين انتم إناه .

﴿ولكن اذا دعيتم فادخلوا﴾ ولو بلا اذن ان خلي البيت لمن يدعى للطعام في الوقت مخصوص وبالاذن لمن دعي وتأخر أو لم يخل البيت لذلك .

﴿وإذا طعمتم﴾ أكلتم .

﴿فانتشروا﴾ تفرقوا ولا تمكثوا ومن قال ذلك في قوم مخصوصين كانوا يدخلون بغير اذن في بيت رسول الله ﷺ وينظرون الطعام ويلبثون بعد الأكل قال هذا اللبث بعد الأكل خاص بهم وكذا الدخول الطعام وانتظاره فأبطل الله سبحانه ذلك .

﴿ولا مستأنسين﴾ مستفعل من الانس بمعنى المؤانسة .

﴿لحديث﴾ والعطف على ناظرين أي وغير مقدرين للاستئناس بالكلام بعد الأكل بأن تأكلوا وتلبثوا متحدثين يأنس بعضكم بحديث بعض او حين الأكل او قبله او المراد ترتاحون لحديث اهل البيت مع الأكل وبعده او قبله باستماعه او يقدر لا تدخلوها مستأنسين .

﴿إن ذلكم﴾ المذكور من دخول بيته لانتظار طعامه بلا دعاية او عدم الخروج بعد الأكل او الاستيناف للحديث وكل ذلك .

﴿كان يؤذي النبي﴾ يضره ولا شيء اثقل ممن يضيق عليك المنزل او

عليك وعلى اهلك ويشغلك بمالا يعنيك ولا يعنيه بعد قضاء حاجته اولا حاجة له الا ذاك وعن عائشة مشيرة لهذه الآية : حسبك في الثقلاء ان الله تعالى لم يحتملهم اذ نهى عن ذلك من يفعله في بيت النبي وذكر انه يؤذي النبي وذكر انه لا يستحي من الحق كما يأتي .

﴿فيستحي منكم﴾ اي فلا يخرجكم لحيائه مع انه يضره ذلك وكان ﷺ اشد حياء من البكر في خدرها او يقدر مضاف اي من اخراجكم ويدل له قوله .

﴿والله لا يستحي من الحق﴾ ومن الحق اخراجكم فلا يتركه الله حياء صرح الله بالخروج تأديبا لهم ومن الحكمة تأديب الله خلقه ففي الآية تأديب للثقلاء وقرىء (لا يستحي) بكسر الحاء بعدها ياء واحدة ساكنة نقلت كسرة الأولى للهاء فحذفت للالتقاء الساكنين أو لما التقيا حذفت الثانية .

﴿وإذا سألتموهن متاعا﴾ اذا سألتم نساءه ﷺ شيئا ينتفع به ويستمتع به .

﴿فاسألوهن﴾ اياه .

﴿من وراء حجاب﴾ ستر ذكر بعض ان سبب نزول (واذا سألتموهن) الخ ذكر عمر للنبي ﷺ امر الحجاب لنسائه مرارا وكان يقول لو اطاع فيكن ما رأتكن عين وتقدم ما يخالف هذا وقيل سبب نزوله ما مر من ملاقاة يد بعض الصحابة ليد عائشة حين الأكل معها ومعه ﷺ وعن ثوبان وابي هريرة عن رسول الله ﷺ : «ثلاثة لا يحل لأحد أن يفعلهن لا يؤم الرجل قوما فيخص نفسه بالدعاء دونهم فان فعل ذلك فقد خانهم ولا ينظر في قعر بيت قبل ان يستأذن فان فعل فقد

خان ولا يصلي وهو حقن حتى يتخفف» وبعد آية الحجاب لم يكن لاحد ان ينظر الى نسائه ﷺ ولو من ثقب باب .

﴿ذلكم﴾ اي السؤال من وراء حجاب او هو وترك الاستئناس لحديث والمكث في البيت .

﴿أطهر لقلوبكم وقلوبهن﴾ من الخواطر الشيطانية والنفسانية وروي ان طلحة بن عبيدالله قال : أنهى أن نكلم بنات عمنا الا من وراء حجاب لئن مات محمد لأتزوجن عائشة فأنزل الله تعالى .

﴿وما كان لكم﴾ أي ما جاز لكم .

﴿أن تؤذوا رسول الله﴾ في شيء ما ولو في تزوج امرأة من نسائه بعد وفاته وقيل قال ذلك بعض المنافقين وان رسول الله ﷺ أغير خلق الله والله أغير منه كما اشار الى تحريم ازواجه على غيره بقوله :

﴿ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا﴾ بعد فراقه بالموت او بالطلاق وذلك داخل في عموم (وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله) ولكن نص عليه وخصه ايضاحا لأن الناس لا يفهمونه كذا ظهر لي ورأيت القاضي بعد ذلك قال ان قوله من بعده معناه (من بعد) موته او فراقه كما ظهر لي ولكن التي تزوجها ولم يدخل بها لموته او طلاقه لا يحرم نكاحها كما مر انه عقد على قتيلة بنت قيس ومات قبل الدخول بها وتزوجها عكرمة بن ابي جهل فاهتم ابوبكر بإحراق بيتها عليها فقال عمر ما هي من امهات المؤمنين ما دخل بها ولا ضرب عليها الحجاب وما احق ما قاله عمر رضي الله عنه لما ذكره ولكونها لو كانت من امهات المؤمنين لكانت من اهل الجنة فكيف يحرقها ويحرق بيتها وانما عليها التوبة ثم ظهر لي انها لو صح انها منهن وفعلت ذلك لم يمنعها كونها منهن عن الحد

فرأى ابوبكر رضي الله عنه حدها احراقا لا رجما كأنه شدد ولكن تبقى على الولاية ولا تموت الا تائبة قطعا ولكن ليست منهن .

وروي ايضا ان الاشعث بن قيس تزوج المستعيذة من النبي ﷺ وقد مر الخلف في المستعيذة فهم عمر برجمها وذلك في ايامه فأخبر بأنه ﷺ فارقها قبل ان يمسها فلم يرجمها وتحريم نساء رسول الله ﷺ تعظيم له حيا وميتا واعلمه بذلك ليخبر الناس ويطيب نفسا فان الغيرة لا يخلو منها نفس الرجل حتى ان من تفرط غيرته على زوجته او غيرها يتمنى لها الموت قبله مخافة ان تتزوج او تزني .

واشتد حب فتى لجارية وتنفس الصعداء وانتحب وعلا نحيبه شغفا ولم يزل به ذلك حتى قتلها مخافة ان تكون تحت يد غيره بعده .

قال جار الله وعن بعض الفقهاء ان الزوج الثاني في هدم الثلاث يجري مجرى العقوبة فصين رسول الله ﷺ عما يلاحظ ذلك .

﴿إن ذلك كان عند الله عظيما﴾ أي ان ذلكم المذكور من ايذائه وتزوج نسائه كان عند الله ذنبا عظيما وزاد مبالغة في الوعيد بقوله :

﴿إن تبدوا﴾ تظهروا .

﴿شيئا﴾ من نكاحهن .

﴿أو تخفوه﴾ في صدوركم .

﴿فإن الله كان بكل شيء عليما﴾ فيجازي به لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والمحارم ونحن ايضا يا رسول الله نكلم من وراء حجاب فنزل .

﴿لا جناح عليهن﴾ لا إثم عليهن والضمير لنساء النبي ﷺ .

﴿في آبائهن ﴾ في رواية آبائهن له وتكلمهم من غير حجاب ودخل

الأعمام في الآباء وكثيرا ما تسمي العرب العم ابا على ان يكون الآباء في الآية مستعملا في الحقيقة والمجاز والخال بمنزلة الأم وقيل يكره ترك الحجاب عنهما لأنهما يصفان لأبنائهما وهم غير محارم .

﴿ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا أبناء اخواتهن ولا نسائهن﴾ اراد النساء المسلمات فأخرج المشركات فلا يدخلن على نساء النبي ﷺ وذلك فائدة الاضافة وقيل المراد النساء مسلمات او مشركات والاضافة لانهن جنس واحد .

﴿ولا ما ملكت أيمانهن﴾ من عبيد واماء ولا ما ملكن بعضه وقيل ان عبد المرأة كالأجنبي وان المراد بما ملكت أيمانهن الاماء .

﴿واتقين الله﴾ بالاجتهاد في الستر والاحتجاب وليكن عملكن بعد الأمر بالاحتجاب افضل من عملكن قبله .

﴿إن الله كان على كل شيء شهيدا﴾ لا يخفى عنه شيء ولا تتفاوت في علمه الأشياء .

﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ قد مر الكلام على صلاة الله وصلاة الملائكة والجمع بين الحقيقة والمجاز او بين المعنيين وعلى المنع فليحمل صلاة الله وملائكته على المعنى الواحد اللائق بهم كالاعناء باظهار شرفه وتعظيم شأنه وكالتبرك وكتفسيرها بالانعام فان الله منعم وانعام الملائكة دعائهم او يقدر خبر لأن اي ان الله يصلي وملائكته يصلون على حد ان زيدا قائم وعمروا قاعد وقرىء برفع الملائكة على الابتداء ويصلون خبره وحذف خبر ان او على العطف على محل اسم ان وهذا مذهب الكوفيين او على محل ان واسمها فيما نسب لسيبويه او على الابتداء والخبر محذوف اي وملائكته كذلك او ملائكته يصلون ويصلون

المذكور خبر لان وضمير الجمع للتعظيم .

﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه﴾ ادعوا عليه بالرحمة .

﴿وسلموا تسليما﴾ حيوه تحية الاسلام فمن قال اللهم ارحم محمدا فقد صلى عليه ومن قال آت محمدا الوسيلة فقد صلى عليه وكل من دعا له بخير فقد صلى عليه·واذا قلت اللهم صل عليه فقد دعوت الله ان يرحمه دعاءك بذلك صلاة ولما كان امر الصلاة اكيد ابداء الله قبل الأمر به بالاخبار عن نفسه وملائكته انهم يصلون عليه فانتم اولى بأن تصلوا عليه لانكم ترجون شفاعته ومبعوث اليكم البعث التام الواضح وتحية الاسلام ان تقولوا السلام عليك يا رسول الله او يا ايها النبي والسلام على رسول الله او نحو ذلك واما قولك اللهم سلم عليه فهو صلاة لانه دعاء بالخير لكن لا يجزي عن الصلاة وقيل هو ونحوه سلام ولو افاد دعاء وما تقدم هو تحقيق المقام واما الصلوات الواردة عن النبي ﷺ فاخبار عن نوع فائق من انواع الصلاة لا حصر فمن حلف ان يصلي عليه افضل الصلاة وقال ذلك بر وقيل يبر إن زاد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون او سهى بدل غفل وقيل يبر .

وان قال اللهم صل على محمد كما هو اهله ويستحقه قيل يبر ان اخذ من كل رواية صحيحة ذكرا فيجمعهن .

عن عبدالرحمن بن ابي ليلى قال : جاءني كعب بن عجرة فقال ألا اهدي لك هدية ؟ بينما نحن عند رسول الله ﷺ اذ قال رجل يا رسول الله هذا السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة عليك قال : «تقولوا اللهم صل على محمد وعلى من صلح من آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد» ذكره الشيخ هود رحمه الله

والحديث في البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابوداود لكن فيهما ما نصه ان النبي ﷺ خرج علينا فقلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك ، وروى ابن ابي حاتم لما نزلت «ان الله وملائكته» الخ قلنا يا رسول الله فكيف الصلاة عليك فقال : «قولوا اللهم صلي على محمد وعلى آل محد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد» وقال عبدالرحمن بن ابي ليلى يقول وعلينا معهم وفيهما عن ابي حميد الساعدي قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال : «قولوا اللهم صل على محمد وعلى ازواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى ازواجه وذريته كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد» .

وفي مسلم عن ابن مسعود البدري وقد رواه مالك ايضا اتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد امرنا الله ان نصلي عليك يا رسول الله كيف نصلي عليك ؟ فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا انه لم يسأله ثم قال رسول الله ﷺ : «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد» والسلام كما قد علمتم وروى عنه ﷺ : «قولوا اللهم بارك على محمد وعلى من صلح من آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد» .

وعن ابي مسعود الأنصاري : «ان من افضل ايامكم يوم الجمعه فاكثروا علي من الصلاة فيه فان صلاتكم مفروضة علي» وروى الحسن : «اكثروا الصلاة علي يوم الجمعة» .

وعن انس بن مالك عن ابي طلحة عنه ﷺ : «من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرا» وعن عبدالله بن مسعود ان ملكا موكل بالعبد فاذا قال العبد صلى على محمد قال الملك وانت فصلى الله عليك .

وذكروا انه قيل يا رسول الله كيف تبلغك صلاتنا اذا ضمتك الأرض ؟ قال : «ان الله حرم على الأرض ان تأكل من اجساد الأنبياء شيئا» وعن ابي هريرة عنه ﷺ : «ما من احد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام» وعنه قال قال رسول الله ﷺ : «صلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم» .

وعن ابن مسعود ان النبي ﷺ قال : «اولى الناس بي يوم القيامة اكثركم علي صلاة» وعن انس عن رسول الله ﷺ : «من صلى علي مرة واحدة صلى الله عليه عشرا وحط عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات» وعن ابي طلحة ان رسول الله ﷺ جاء ذات يوم والبشرى في وجهه فقلنا انا لنرى البشرى في وجهك فقال : «أتاني الملك فقال : يا محمد ان ربك يقول اما يرضيك ان لا يصلي عليك احد الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد الا سلمت عليه عشرا» .

وعن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ قال : «ان لله ملائكة سباحين في الأرض يبلغوني من امتي السلام» .

وعن ابي هريرة عن رسول الله ﷺ : «من اراد ان يكتال بالمكيال الأوفى فليقل اللهم صلي على محمد النبي الأمي وأزواجه أمهات المؤمنين» .

وروي ان : «من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا ومن صلى علي عشرا صلى الله عليه مائة ومن صلى علي مائة صلى الله عليه الفا» .

وروي : «حسب المؤمن من البخل ان اذكر عنده ولا يصلي علي» ومفهومه ان الصلاة عليه واجبة وانها جود وسخاء ومن صلى على رسول الله في كتاب لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام اسم رسول الله ﷺ فيه ومن صلى عليه خلق الله ملكا له سبعون رأسا في كل رأس الف وجه في كل وجه الف فم في كل فم الف لسان كل لسان يسبح بألف لغة وله اجر ذلك كله . وعن ابن مسعود : (اذا صليتم على رسول الله ﷺ فأحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه فقالوا له : علمنا قال : قولوا اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير ورسول الرحمة اللهم اغبطه مقاما محمودا يغبطه فيه الأولون والآخرون اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد) .

وعن رويفع بن ثابت الأنصاري ان رسول الله ﷺ قال : «من صلى على محمد وقال : اللهم انزله المقعد الصادق المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي» .

قال طاؤوس : سمعت ابن عباس يقول : اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العلياء واعطيه سؤله في الآخرة والأولى كما اتيت ابراهيم وموسى وكان علي يعلم الناس ان يقولوا اللهم داحي المدحوات ـ أي باسط الأرضين ـ وباري المسموكات ـ أي المرفوعات وهي السماوات ـ اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورأفة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ لجيشات الأباطيل ـ اي المزيل لمرتفعات الاباطيل واصل

الدمغ اصابة الدماغ كما حمل فاضطلع اي قوي افتعل من الصلاعة وهو القوة ـ بأمرك بطاعتك مستوفرا في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ امرك حتى اوري قبسا لقابس آلاء الله ـ أي نعمه ـ تضل بأهله ـ اي بأهل القبس وهو الاسلام ـ اسبابه ـ اي المؤمنين به ـ هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم وانهج موضحات الاعلام وناثرات الأحكام ومنيرات الاسلام فهو امين المأمون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له في عدلك واجزه مضاعفات خير من فضلك مهنئات له غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المملول ـ اي المضاعف ـ كما تشرب بعد نهل اللهم اعل على بناء الناس ـ اي عملهم ـ بناءه واكرم مثواه لديك ونزله واتمم له نوره وابعثه مقبول الشهادة مرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظيم . والخطة الامر والتشبيه في قوله : كما صليت على ابراهيم اما لأنه قال ذلك قبل ان يعلم انه افضل من ابراهيم وقد قال له رجل يا خير البرية فقال (ذلك ابراهيم) ويبحث فيه بأنه لو صح ذلك لغير لفظ الصلاة بعد علمه بأنه افضل واما للتواضع والتشريع لامته ليكتسبوا بذلك فضيلة واما لان التشبيه بأصل الصلاة لا بالقدر كقوله ﴿**انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح واحسن كما احسن الله اليك**﴾ وقولك احسن الى والدك كما احسنت الى فلان تريد اصل الاحسان لا قدره ورجحه القرطبي في شرح مسلم واما لأن التشبيه عائد الى قوله : وعلى آل محمد اي صل على آل محمد كما الخ وبحث فيه بأن غير الأنبياء لا يساوي الأنبياء في الصفات ولا في الثواب الحاصل لهم وقد يجاب بأن المطلوب الثواب الحاصل لهم لا جميع الصفات التي كانت

سببا للثواب ونقل الغزالي هذا الجواب عن نص الشافعي وقال ابن القيم : لا يصح ذلك عن الشافعي لركته واجاب ابن حجر بأنه لاركة بل التقدير اللهم صل على محمد وصل على آل محمد كما صليت الخ فلا يمتنع تعلق التشبيه بالجملة الثانية المقدرة واما لانه من التشبيه بالمشهور سواء كان المشهور افضل او مساويا او دني وتعظيم ابراهيم مشهور في العالمين كما يدل له ذكر العالمين مع ابراهيم ، أي كما اظهرت الصلات على ابراهيم في العالمين ومن ذلك قوله جل وعلا ﴿**مثل نوره كمشكاة**﴾ افاني يقع نور المشكاة من نوره تعالى واما لأن التشبيه للمجموع بالمجموع وابراهيم افضل من آل محمد صلى الله عليهما وسلم . قال النووي : أحسن الأجودة ما نسبت الى الشافعي ان التشبيه لأصل الصلاة بأصل الصلاة او المجموع بالمجموع واما لأن محمدا ﷺ من آل ابراهيم أي صل على محمد وآله خصوصا بقدر ما صليت على ابراهيم وآله عموما فيحصل لآله ما يليق بهم ويبقى الباقي كله له وذلك القدر ازيد مما لغيره من آل ابراهيم والمطلوب له بهذا اللفظ افضل من المطلوب له بغيره من الالفاظ وقد ثبت ذلك عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿**إن الله اصطفى آدم**﴾ الآية وأما لأن التشبيه راجع الى قول الملائكة رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ومحمد من اهل البيت اي اجب صلاتنا عليه وعلى آله كما اجبت صلاة الملائكة على ابراهيم واهل بيته ولذلك ختم الحديث بحميد مجيد كالآية والآل في الصلاة عند الجمهور والشافعي من حرمت عليهم الزكاة ورجحوه وقيل ازواجه وذريته وقيل كل من آمن به من امته حكاه ابوالطيب الطبري عن بعض الشافعية ورجحه النووي في شرح مسلم وقيل اتقياء الأمة ذكره القاضي حسين ويقويه ما رواه تمام في

فوائده والديلمي عن انس قال : سئل رسول الله ﷺ من آل محمد فقال (كل امتي من امة محمد) زاد الديلي ثم قرأ (إن أولياءه إلا المتقون) وفي السند ضعف لكن يشهد له ما في الصحيحين كحديث : (ان آل ابي فلان ليسوا بأوليائي انما ولي الله وصالح المؤمنين) . وعن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ : «اذا تشهد احدكم في الصلاة فليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم محمدا وآل محمد كما صليت وباركت وترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد» وهذا دليل على جواز الترحم على النبي ﷺ وهو قول الجمهور ويدل له قول الأعرابي عنده ﷺ اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا احدا فقال له : (لقد حجرت واسعا) ومنعه جمهور المالكية وأجازه منهم ابن ابي زيد .

وان قلت ما وجه رواية كما صليت على ابراهيم ؟

قلت : وجهه احد الأوجه المذكورة في رواية (كما صليت على ابراهيم) وقد سبقت آنفا او الآل مقحم كما اقحم في قوله لأبي موسى (اعطيت مزمارا من مزامير آل داود) ولم يكن لداود آل مشهور بحسن الصوت وعن عبدالله بن عمرو بن العاص من صلى على رسول الله ﷺ مرة صلى الله عليه بها وملائكته سبعين صلاة فليقلل عبد من ذلك او ليكثر وقال ابي بن كعب : يا رسول الله اني اكثر الصلاة عليك فكم اجعل لك من صلاتي قال (ما شئت) فقال قلت الربع قال (ما شئت وان زدت فهو خير لك) قلت فالنصف قال (ما شئت وان زدت فهو خير لك)

قلت الثلثين قال (ما شئت وان زدت فهو خير لك) قلت اجعل لك صلاتي كلها قال (اذا تكفى همك ويغفر ذنبك) وعن ابي امامة ان رسول الله ﷺ امر باكثار الصلاة عليه ليلة الجمعة ويومها قال ابن القيم لأنه صلى الله عليه وسلم سيد الأنام ويوم الجمعة سيد الأيام فالصلاة فيه مزية ولأن كل خير نالته امته في الدنيا والآخرة فانما نالته على يده ﷺ فجمع الله به لأمته خيري الدنيا والآخرة واعظم كرامة تحصل لهم فانها تحصل لهم يوم الجمعة فان فيه بعثهم الى منازلهم وقصورهم في الجنة وهو يوم المزيد لهم اذا دخلوا الجنة وذلك بالقدر للأيام اذ لا يوم ولا ليلة في الآخرة وهو عيد لهم في الدنيا ولا يرد داع فيه وهذا كله حاصل لهم بسببه ﷺ فمن شكره وحمده واداء القليل من حقه ﷺ ان يكثر من الصلاة عليه ﷺ في هذا اليوم وليله وعن ابي الدرداء عن رسول الله ﷺ : «من صلى علي حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا ادركته شفاعتي يوم القيامة» وعن سهل بن سعد عن رسول الله ﷺ : «لا وضوء لمن لم يصل على النبي ﷺ» أي لا وضوء كامل وعن ابي رافع عن رسول الله ﷺ : «إذا طنت أذن احدكم فليذكرني وليصل علي وليقل ذكر الله من ذكرني بخير» .

وعن انس عن رسول الله ﷺ : «اذا نسيتم شيئا فصلوا علي تذكروه ان شاء الله تعالى» . وتستحب الصلاة على رسول الله ﷺ عند العطاس فيما قال بعض ، وقال بعض : هذا موضع يفرد فيه ذكر الله سبحانه

وتعالى كالأكل والشرب والجماع وعند زيارة قبره ﷺ لقوله ﷺ : «من صلى عليّ عند قبري سمعته» وعن ابي سعيد ما من قوم يقعدون ثم يقومون ولا يصلون على النبي ﷺ الا كان عليهم حسرة وان دخلوا الجنة لما يرونه من الثواب والحسرة قبل الدخول ، ومعنى وان دخلوا الجنة : وان كانوا ممن يدخلها ، وعن ابي هريرة عنه ﷺ : «ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيه الا كان عليهم ترأة (أي حسرة) فإن شاء عذبهم وان شاء غفر لهم» وتستحب الصلاة على رسول الله ﷺ عند الصفا والمروة وفي صلاة الجنازة على ما تقرر في كتبنا وبعد الفراغ من التلبية ذكره محمد بن ابي بكر رضي الله عنه ، وعند دخول المسجد وعند الخروج منه لما روت فاطمة ان رسول الله ﷺ يصلي على نفسه اذا دخله واذا خرج ، وذكر قومنا عن حذيفة وابي موسى والوليدين عقبة الصلاة على رسول الله ﷺ قبل كل تكبيرة من تكبيرات صلاة العيد لكن يفرق بالدعاء بين الصلاة عليه والتكبير ، وعن جابر بن عبدالله عنه ﷺ انه قال : «صلوا عليّ أول الدعاء ووسطه وآخره» وتتأكد الصلاة عليه بعد الوتر وبعد الآذان لما رواه عمرو بن العاص ان رسول الله ﷺ قال : «اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي واحدة صلى الله عليه وسلم بها عشرا ثم اسئلوا الله الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجوا أن أكون أنا هو فإن سأل الله لي الوسيلة حلت له الشفاعة ولا خطبة إلا بالصلاة على النبي ﷺ ومن صلى عليه في التحية الأولى أو الثانية فلا تفسد صلاته وتستحب في الثانية عند ذكره أو ذكر لفظ الرسول أو بعد ذلك وأوجبها بعض قومنا في التشهد الأول والآخر .

وقال بعض منهم تسن فيهما ولهم في استحباب الصلاة على الأول في التشهد الأول قولان الأصح المنع وفي وجوبها في الثاني قولان الاصح انها سنة واما الصلاة على رسول الله ﷺ فيه فواجب على الراجح عند الشافعية .

والأمر بالصلاة عليه كان في السنة الثانية من الهجرة وقيل ليلة الاسراء وقيل من شهر شعبان هو شهر الصلاة عليه ﷺ لأن قوله عز وجل (إن الله وملائكته) الخ نزلت فيه وصلاتنا عليه تقرب لله بامتثال امره وقضاء علينا ومكافأة له لا شفاعة فمثلنا لا يشفع لمثله وفائدتها للمصلي بحسب احترامه ﷺ فقيل تجب في الجملة من غير حصر واقل ما يحصل به الأجزاء مرة وقيل يجب الاكثار منها من غير تقيد بعدد وقيل يجب كلما ذكر لحديث جبريل (من ذكرت عنده يا محمد فلم يصل عليك ابعده الله) وحديث (رغم انف من ذكرت عنده فلم يصل علي) وحديث (شقي عبد ذكرت عنده فلم يصل علي) قال ابن العربي وجار الله هو ؟؟؟ ورد بأن فيه حرجا اذ تلزم عليه كل من ذكره ولو مؤذنا او سمعه وقارئه وسامع قراءته والأحاديث المذكورة خرجت مخرج المبالغة بالتأكيد وبقي في حفظي ان بعض الصحابة قال له يا رسول الله ﷺ الخ كلامه وزعم بعض انه لم يحفظ عن احد من الصحابة ذلك وانها لو وجبت كلما ذكر لوجب ان يقولوا ذلك وقيل تجب في كل مجلس مرة ولو تكرر ذكره مرارا وقيل في كل دعاء وقيل مستحبة والأمر فيها للندب وقيل تجب في العمر مرة في الصلاة وغيرها ككلمة التوحيد وقال ابوجعفر الباقر تجب في الصلاة من غير تعيين المحل وقال الشعبي تجب في التشهد وقال الشافعي تجب بين قول التشهد وسلام التحلل ونسب لابن مسعود وابي مسعود

البدري وجابر بن عبدالله وعمر بن الخطاب وابنه عبدالله ونسبه بعض للشعبي وابوجعفر الباقر ومقاتل والمشهور عن احمد بطلان الصلاة بدونها عمدا او سهوا وقيل هي ندب فيها ويكره افراد الصلاة عن السلام والسلام عن الصلاة لان الله سبحانه قرنهما ولو في الكتابة مع الجمع بينهما نطقا واجاز بعضهم احدهما في وقت والآخر قبل ذلك وقيل لاسلام ألا على حي وهو ضعيف وتجوز الصلاة على الأنبياء روى ابوهريرة (صلوا على أنبياء الله) وعن ابن عباس : (اذا صليتم علي فصلوا على انبياء الله فانهم بعثوا كما بعثت) . وروى عكرمة عنه اختصاص الصلاة به ﷺ وبه قال عمر بن عبدالعزيز ومالك واما على غير الأنبياء فبالتبع تجوز قيل باجماع وحكى بعض قولا بالمنع واما بغير التبع فقيل جائز اذ كان رسول الله ﷺ اذا اتاه قوم بصدقة قال (اللهم صل عليهم) واتاه ابي بصدقته فقال (اللهم صل على آل ابي أوفى) ومنعه الجمهور فلا يقال بوبكر ﷺ وان كان المعنى صحيحا كما لا يقال قال محمد عز وجل وان كان ﷺ عزيزا جليلا وعبارة بعض ان الصلاة على غير الأنبياء باستقلال مكروهة على قول الأكثرين كراهة تنزيه وخلاف الأولى عند بعض وحرام عند بعض ويدل للجواز قوله عز وجل (هو الذي يصلي عليكم) و(صل عليهم ان) الخ كذا قال جار الله وليس بشيء لأن المعنى في ذلك الرحمة والترحم والخلاف في لفظ الصلاة فائدة قال جار الله : روى انه قيل يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى (ان الله وملائكته يصلون على النبي) فقال عليه السلام : هذا من العلم المكنون ولولا انتم سألتموني عنه ما اخبرتكم ان الله وكل بي ملكين فلا اذكر عند عبد مؤمن فيصلي علي الا قال ذلك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته لذينك الملكين آمين)

قلت يستفاد منه ان امين قد تجيىء اسما للفعل المضارع المبدوء بهمزة لأن قول الله سبحانه امين استجيب .

﴿إن الذين يؤذون الله﴾ يفعلون ما نهى عنه وأبغضه .

﴿ورسوله﴾ يفعلون ما يكره فعله لأن الله حرمه ويلزم من ذلك تألم رسول الله ﷺ وانما فسرت بذلك المجاز ولم افسر بأن ايذاء الله فعل ما نهى عنه وايذاء رسوله ﷺ بفعل ما يتألم به لئلا يلزم استعمال الكلمة في مجازها وحقيقتها فان الايذاء حقيقة في فعل ما يؤلم والله لا يضره احد ومن اجاز الجمع بينهما فسر ايذاء الله بفعل ما نهى عنه وايذاء رسوله بفعل ما يؤلم او فسر بما ذكرت ويجوز تقدير يؤذون بمعنى يؤلمون للثاني اي ويؤذون رسوله وهم المشركون يصفون الله بالشريك والصاحبة والولد ونحو ذلك مما لا يليق ويعصونه ومن ذلك قولهم يد الله مغلولة والالحاد في اسمائه وصفاته وبه فسر بعضهم ايذاء الله ومن ذلك انكار البعث ومن ذلك التصوير قال الله سبحانه (ومن اظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة أو حبة) ويكذبون رسوله ﷺ ويصفونه بالشعر والجنون وكسروا رباعيته وشج وجهه وطعنهم في نكاحه صفية بنت حيي ويجوز ان يراد ان الذين يؤذون رسوله فذكر الله تعظيما لرسوله بأن فعل ما يكره رسوله هو فعل مالم يبحه الله فكان من آذاه قد آذى الله تعالى وهو لا يلحقه ايذاء قال رسول الله ﷺ : «قال ربي شتمني ابن آدم ولم ينبغ له ان يشتمني وأذاني ولم ينبغ له ان يؤذيني فأما شتمه إياي فقوله اني اتخذت ولدا وانا الأحد الصمد لم الد ولم أولد ولم يكن لي كفوء أحد» ، واما أذاه فقوله (ان الله لا يعيدني بعد ان بدأني وليس اول الخلق بأهون من اعادته وقال يسبني ابن آدم يسب الدهر وانا الدهر بيدي الأمر) ومر تفسيره

ويأتي ايضا ان شاء الله وقيل ايذاء الله ايذاء اوليائه فصح حمل الايذاء اولا وثانيا على الايلام قال الله سبحانه (من آذى لي وليا فقد آذنته بحرب ومن هان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة) .

وقيل : هؤلاء الذين يؤذون الله ورسوله المنافقون يستخفون بحق رسوله ويهينونه ويرفعون اصواتهم عنده استخفافا .

﴿لعنهم الله﴾ ابعدهم عن رحمته ورضاه .

﴿في الدنيا والآخرة﴾ ومعنى لعنهم في الدنيا انه لم يجعل لهم في رضاه ودينه سهما وانهم موصوفون وهم في الدنيا بأنه لا نصيب لهم في الجنة .

﴿وأعد لهم عذابا مهينا﴾ يهنهم مع الايلام .

﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا﴾ من غير جناية استحقوا بها الأذى وانما قيد ايذاءهم ولم يقيد ايذاء الله ورسوله لان ايذاءهما ابدا لا يكون الا بغير حق واما المؤمنون والمؤمنات فقد يؤذون بشيء فعلوه يتأهلون به للايذاء .

﴿فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا﴾ ظاهرا شبه البهتان والاثم بشيء ثقيل يصعب حمله ولذا عبر بالاحتمال الذي فيه زيادة علاج على الحمل قيل نزلت الآية في عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى جارية انصارية متبرجة فضربها وكره ما رأى من زينتها فشكته الى اهلها فخرجوا اليه فآذوه .

وقيل : في الزناة الذين يمشون في المدينة ويتبعون النساء اذا برزن في الليل لقضاء حوائجهن فاذا رأوا امرأة دنوا منها وغمزوها بأيديهم فان سكنت تبعوها وان زجرتهم انتهوا عنها وانما يطلبون الاماء ولم تعرف يومئذ الحرة من الأمة لكونهن يخرجن في درع واحد وخمار فشكون الى

أزواجهن فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فنزل ذلك ويناسبه قوله جل وعلا :

﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين﴾ الخ .

وكانت المدينة ضيقة ولا كنيف فيها وانما يخرجون للفضاء وذكر بعضهم انهم اذا رأوا على المرأة قناعا تركوها وقالوا حرة وان لم يكن عليها قالوا امة فتبعوها فقد تكون حرة وقد تكون امة وقيل نزلت في شأن عائشة وقد مر في النور وقيل نزلت في منافقين يؤذون عليا وعليه فمعنى كونه مؤمنا انه غير مشرك وان افعاله افعال الموفي وسيندل وعن الفضل : لا يحل ان تؤذي كلبا او خنزيرا بغير حق فكيف مؤمنا . وكان ابن عون لا يكري حوانيته الا لأهل الذمة للروع عند تمام الحول .

﴿يدنين﴾ يقربن .

﴿عليهن﴾ اي على انفسهن .

﴿من جلابيبهن﴾ نعت لمفعول محذوف اي شيئا من جلابيبهن ومن أجاز زيادة من في الايجاب ومع المعرفة اجاز ان يكون جلابيبهن مفعولا ومن قال بإسمية من التبعيضية جعلها مفعولا مضافا لما بعدها والجلابيب جمع جلباب وهو ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء تلوي منه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها .

وعن ابن عباس : الجلباب الذي يستر من فوق الى اسفل . وعنه عن ابن مسعود انه الخمار وقيل الملحفة وكل ما يستر به من كساء او غير وقيل هو ثوب يكون فوق الدرع والخمار .

قال ابن عباس : أمر الله نساء المؤمنين ان يغطين رؤوسهن ووجوههن بالجلابيب الا عينا واحدة ليعلم انهن حرائر وهو خلاف ما

رأيته لبعضهم لباس المؤمنة ان تكشف وجهها كله او تغطيه كله وان لباس المنافقة ان تكشف عينا واحدة وقيل تستر شق وجهها الايمن وتستر عينها اليمنى وأنفها .

وقال قتادة ذلك ان تلويه على الجبين وتشده ثم تعطفه على الانف وان ظهرت عيناها لكنه يستر الصدر ومعظم الوجه وهو رواية عن عبدالله بن عباس اخي الفضل بن عباس وفي معناه قول عبيدة السلماني ان تضع رداها فوق الحاجب وتديره حتى تضعه على انفها وقال السدي : ان تغطي احدى عينيها وجبهتها والشق الآخر على العين .

﴿ذلك﴾ الادناء .

﴿أدنى﴾ اقرب .

﴿أن يعرفن﴾ الى ان يعرفن انهن حرائر .

﴿فلا يؤذين﴾ بتعرض الفساق لهن كانوا في اول الاسلام تخرج نساءهم ليلا لقضاء الحاجة في النخيل والغيطان وكانت النساء على عادتهن في الجاهلية يتبرزن في خمار ودرع كالاماء فربما تعرض الفساق للحرة بعلة الأمة يقولون حسبتها امة فأمرن ان يخالفهن بزيهن عن زي الاماء بلبس الأردية والملاحف وستر الرؤوس والوجوه ليحتشمن ويهبن فلا يسكن لتعرض الفساق لو تعرضوا لهن ولا يتعرضوا لهن وليس ذلك مبيحا للزنا بالاماء كيف وقد نزل الله تحريم الزنا بالاماء والحرات تصريحا ولكن منع وحصن وازالة لبعض المنكر من الفساق وكان عمر رضي الله عنه يضرب الاماء على لباس الحرائر محافظة على زي الحرائر ورأى أمة متنقبة فعلاها بالدرة فقال : يا لكاع اي يا خسيسة اتتشبهين بالحرائر .

﴿وكان الله غفورا﴾ لما سلف منهن من التفريط مع التوبة لأن هذا مما يعرفه العقل ويفهمه من أمور الاسلام المنزلة ويأخذ منها ولو لم يصرح به .

﴿رحيما﴾ بهن اذ سترهن وراعى مصالحهن كلها او المراد غفورا رحيما بعباده .

﴿لئن لم ينته المنافقون﴾ عن نفاقهم والايذاء قالوا اذا انتصب العدو لعداوتك ووصلك ضرره فابعث اليه ثلاث مرات انته عما انتصبت له الي وامرك الى الله والا انزل عليك بلاء عظيما فان ينته فنجذ من ماء بئر معطلة شرقية قدر رطل واكتب (لئن لم ينته ـ الى ـ الرسولا) في ورقة واغسلها في الماء المذكور وادفعه لمن يرشه في منزله تبلغ ما تريد والله اعلم .

﴿والذين في قلوبهم مرض﴾ ضعف ايمان او فجورهم عن تزلزلهم في الدين كالزنا والتعرض له وعن عكرمة : المرض الغزير وحب الزنى .

﴿والمرجفون﴾ المزلزلون بالكذب .

﴿في المدينة﴾ بأخبار السوء عن سرايا المسلمين وعن النبي من قتل او انهزم وكانوا يحبون ان تشيع الفاحشة واخبار السوء وكان ذلك ضار للمؤمنين قيل ويجوز ان يكون الصنفان من المنافقين .

﴿لنغرينك بهم﴾ لنسلطنك عليهم بقتل او اجلاء او بما يضطرهم الى طلب الجلاء والباء للالصاق واغريت الشيء بالشيء الصقته به .

﴿ثم لا يجاورونك فيها﴾ لا يساكنوك فيها .

﴿إلا قليلا﴾ جوارا قليلا او زمانا قليلا قدر ما يرتحلون بأنفسهم وعيالهم ومالهم وانما عطف بثم لأن اجلاءهم عن المدينة اصعب ما

يصابون به فرتبته بعيدة وهذا ان كان الاغراء باخراجهم وان كان بالقتل فالقليل قدر ما يؤتى بهم فيقتلون .

﴿ملعونين﴾ مطرودين مبعدين حال فتكون إلا داخلة على الظرف او المفعول المطلق وعلى الحال ويجوز كون قليلا حالا ايضا أي إلا أقلاء اذلاء ملعونين وعليه فانما قدر لأنه فعيل بمعنى فاعل يجوز اطلاقه على غير الواحد ولا يجوز ان يكون ملعونين حالا من ضمير ثقفوا لأن معمول الشرط لا يتقدم على اداة الشرط ولا من ضمير اخذوا لأن جواب الشرط لا يتقدم معموله على الأداة خلافا للكسائي وان جعل اخذوا دليلا لجواب الشرط مقدما نية ومعناه الاستقبال صح جعل ملعونين حالا من ضميره .

﴿أينما ثقفوا﴾ وجدوا وادركوا .

﴿أخذوا وقتلوا﴾ بتشديد التاء للمبالغة فان القتل تتفاوت مراتبه ومن القتل الشديد قتله سريعا وقتله وهو يرى فانه لو أخّر قتله يوما أو أقل أو اكثر كان أحب اليه .

﴿تقتيلا﴾ قال انس بن مالك وابن عمر وابوهريرة : نادى رسول الله ﷺ بصوت رفيع (يا معشر من قد اسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ولا تعيروهم فان من يتبع عورة اخيه المسلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله) إلا أن في رواية انس خرج ينادي بصوت اسمع العواتق في الخدور ويفضحه في ملأه وفي رواية ابن عمر وابي هريرة صعد المنبر فنادى بصوت رفيع وعن الحسن قال : بلغنا انه من استحمد الى الناس شيء ثم يستحمد فيه الى الله نادى مناد يوم القيامة الا ان فلانا قد

ستحمد الى الناس بشيء لم يستحمد فيه الى الله ومن ذمه الناس بشيء لم يستذمه الله به نادى مناد الا ان فلانا ذمه الناس بشيء لم يذمه الله عليه .

﴿سنة الله في الذين خلوا﴾ مضوا .

﴿من قبل﴾ من الأمم الماضية في منافقيهم ومن في قلبه مرض منهم ومن يزلزل المؤمنين وسنة مفعول مطلق لمحذوف الاصل من الله ذلك سنة حذف العامل واضيف المصدر للفاعل اي سن الله ان يقتلوا حيث وجدوا وقال مقاتل : الذين خلوا من قبل هم المشركون المقتولون والمأسورون يوم بدر .

﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ لانه سبحانه وتعالى لا يبدلها ولا يقدر احد ان يبدلها وكان المشركون يسألون رسول الله ﷺ عن قيام الساعة متى هو تكذيبا به واستهزاء وكان اليهود يسألونه عنها امتحانا والله سبحانه وتعالى اخفاها في التوراة وفي كل كتاب ولم يطلع عليها ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا فأنزل الله جلا وعلا :

﴿ويسألك الناس عن الساعة﴾ متى تقوم .

﴿قل إنما علمها عند الله﴾ وحده لا عند احد من خلقه .

﴿وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا﴾ اخبر انها قريبة الوقوع تهديدا للمستعجلين واستكانا للممتحنين وانما قال قريبا لا قريبة لان فعيلا بمعنى فاعل يجوز تذكيره مع المؤنث او لان الساعة وقت زمان ويعبر عنها ايضا باليوم لانه يقال يوم القيامة كما يقال الساعة او التقدير تكون شيئا قريبا او يكون وقوعها قريبا قيل او قريبا ظرف كما تقول آخر النهار يكون في النهار اي بعض منه وتقول العصر من النهار والسحر من الليل وال في الساعة للعهد الذي في قلت النبي ﷺ وغيره واما في الساعة ثانيا

فان اعتبر جانب مضيها في الذكر فللعهد الذكري كأنه قبل لعل الساعة التي تقدم انهم يسألونك عنها وان لم يعتبر ذلك الجانب فللعهد الذهني فافهم .

﴿إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا﴾ نارا شديدة الاتقاد .

﴿خالدين فيها﴾ التأنيث باعتبار معنى السعير فان السعير اسم لكل نار كذلك وان ابقيت كلمة سعير على الوصفية فالتأنيث باعتبار منعوت يقدر اذ ذاك اي نارا سعيرا وعليه فذكر سعيرا لانه بمعنى فاعل اي شديدة الاتقاد كما مر او بمعنى مفعول وقد قامت قرينة على ان المراد النار فجاز تذكيره كما تقول امرأة قتيل اي نار موقدة ايقادا شديدا وخالدين حال مقدرة .

﴿أبدا لا يجدون وليا﴾ يحفظهم .

﴿ولا نصيرا﴾ عن العذاب .

﴿يوم﴾ متعلق بقوله (لا يجدون) او بنصيرا او بيقولون بعده او بمحذوف نعت نصيرا او نعت نصيرا ووليا او بمحذوف خبر لمحذوف اين ذلك يوم او مفعول لا ذكر .

﴿تقلب وجوههم في النار﴾ وقرىء (تقلب) بفتح التاء اي تتقلب فحذفت احدى التائين وقرىء (تقلب) بضمها وكسر اللام ونصب الوجوه على ان الفاعل ضمير السعير وقرىء (نقلب) بالنون ونصب الوجوه والمراد بالوجوه نفس الوجه واقتصر عليه مع ان كل الجسم يقلب لانه اعز عضو فتقليبه اشد اهانة وعذابا ومستلزم لتقليب الجسد ويجوز ان يراد بالوجوه الاجساد تعبيرا بالبعض الأعز عن الكل ومعنى تقليبها تصريفها من جهة الى جهة كلحم يشوى في النار او كما ترى الضعة تدور

في القدر اذا غلت او تغييرها عن حالها الأول او عن حال الى حال الى ما لا نهاية له لا اله الا الله اعاذنا الله من ذلك او طرحها في النار مقلوبة منكوسة او يقلب ظهر لبطن .

﴿**يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا**﴾ في الدنيا فلا يصيبنا هذا العذاب وذلك يقوله الاشراف والاتباع .

﴿**وقالوا**﴾ اي الاتباع بقرينة السياق .

﴿**ربنا إنا أطعنا سادتنا**﴾ جمع سيد وقرأ ابن عامر (ساداتنا) بالف وتاء مكسورة فهو جمع الجمع الذي هو سادة وكذا قرأ يعقوب وذلك تكثير لجماعات السادة .

﴿**وكبراءنا**﴾ جمع كبير وهم السادة فذلك عطف صفة على اخرى لموصوف واحد لو ارادوا الكبراء غير من ارادوا بالسادة والمراد اطعناهم في الكفر زينوه لنا ودعونا اليه .

﴿**فأضلونا السبيلا**﴾ سبيل الحق الذي هو لا سبيل في الحقيقة الا هو وهو مفعول ثان لان ضل بدون همزة يتعدى الواحد فمعها يتعدى لاثنين يقال ضل الكافر السبيل وأضله الشيطان السبيل ويجوز ان يكون منصوب الثلاثي على تقدير الخافض فكذا في ذي الهمزة اي اضلونا عن السبيل والف الرسولا والسبيلا لاطلاق الصوت اشباعا لموافقة رؤوس الابي التي يوقف عليها بألف لا باسكان وقيل الالفان بدل من النون وفواصل الآي كفوا في الشعر وفائدتها الوقف والدلالة على انقطاع نوع من الكلام .

﴿**ربنا آتهم ضعفين من العذاب**﴾ مثلي عذابنا من العذاب عذابا لضلالهم وعذابا لاضلالهم .

﴿والعنهم لعنا كبيرا﴾ متتابعا كثيرا العدد وبكثرة اللاعنين وقرأ عاصم (كبيرا) بالموحدة ليدل على اشد اللعن واعظمه ولا ينفعهم ذلك الكلام ولكل ضعف وكل كلام ذكر عن اهل النار فانما يتكلمون به قبل ان يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون .

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا﴾ اي اظهر براءته منه اي لا تؤذوا نبيكم كما آذى هؤلاء موسى قيل نزلت في شأن زيد وزينب وما قال بعض الناس في ذلك والذين آذوا موسى هم الذين كذبوه هذا احب الأقوال الى الفقهاء .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما وابوهريرة وجماعة الاشارة الى ما تضمنه حديث النبي ﷺ من ان بني اسرائيل كانوا يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوءة بعض وكان موسى رجلا ستيرا لا يرى من جسده شيء ما يستحي منه وكان يغتسل وحده وقال بعض بني اسرائيل والله ما منع موسى ان يغتسل معنا الا انه أدز أي كبير البيضتين ومنتفخهما او ان به برصا او آفة فذهب يغتسل فوضع ثوبه على حجر فاغتسل فخرج يلبسه ففر الحجر بثوبه فتبعه يقول ثوبي حجر ثوبي حجر اي دع ثوبي يا حجر فمر وهو عريان بجماعة فرأوه احسن خلق الله ما به آفة فقالوا والله ما بموسى من بأس فوقف الحجر فأخذ ثوبه فطفق يضرب الحجر بعصاه . قال ابوهريرة والله ان بالحجر أثر ست ضربات او سبع وفي رواية ثلاثا او اربعا او خمسا وقيل ان الحجر مر حتى وقف بين جماعة من بني اسرائيل فتبعه وقيل ان ايذاء موسى استئجار قارون ومن معه امرأة بغيا ان تقذف موسى بنفسها على رؤوس من الملأ واهلك قارون ومن معه وبرىء موسى وقيل انه ما مت هارون في التبه قالوا ان موسى قتله وقد مرت القصتان

قيل مر به الى البل فمات هناك واحياه الله تعالى فأخبرهم ان موسى لم يقتله وقيل قتلته الملائكة ومروا به على بني اسرائيل فعلموا انه لم يقتله واعطى رسول الله ﷺ يوم حنين الاقرع مائة من الابل وعيينه مائة واعطى ناسا من اشراف العرب واثر في السمة للتأليف فقال رجل هذه قسمة ما عدل بها وما اريد به وجه الله فقال بن مسعود رضي الله عنه والله لأخبرن بذلك رسول الله ﷺ فأخبره فتغير وجهه حتى كأنه تغير بالصرف وهو صبغ احمر يصبغ به الأديم ثم قال فمن ذا يعدل اذا لم يعدل الله ورسوله قال يرحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر . .

﴿وكان عند الله وجيها﴾ كريما له شأن وحرمة وقال ابن عباس لا يسأل الله شيئا عند الوحي وحضور الملك الا اعطاه وقيل مستجاب الدعاء وتلك الأقوال كلها تدل على انه محبوب مقبول عند الله وكذا قول بعضهم المعنى كان ذا جاه ومنزلة عند الله فكان يميط عنه التهم والنقايض كما يفعل الملك بمن احبه ونص بعض اصحابنا على انه لا يقال في الدعاء بجاه النبي عند الله او عندك يا الله وقيل وجيها بالرسالة والطاعة وقراه ابن مسعود والاغمش وابو حبوه وكان عبدالله وجيها بالموحدة وضم الدال قال ابن خالويه وقراءة العامة اوجه لانها تفصح عن وجاهته عند الله .

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ في القول والفعل والاعتقاد .

﴿وقولوا قولا سديدا﴾ عدلا وصوابا لا خطأ كحديث زينب وسداد القول رأس الخير كله وقيل القول القول السديد لا اله الا الله وهو قول عكرمة ﴿يصلح لكم اعمالكم﴾ . قال ابن عباس يتقبل حسناتكم وقيل يصلح اعمالكم بالقبول والاثابة وهو معنى قول ابن عباس وقيل يوفقكم

للاعمال الصالحة .

﴿ويغفر لكم ذنوبكم﴾ بالتوبة والاستقامة قولا وعملا .

﴿ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾ يكون رجلا من اهل الجنة واهل رضي الله يمشي على وجه الأرض وقد ظفر بمطلوبه وما درى الا ما يطمع .

﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال﴾ أتحمل هذه الأمانة بما فيها قلن : وما فيها ؟ قال : إن أحسنتن جوزيتن وظفرتن بالجنة وان أسأتن عوقبتن بالنار وقد ركب فيهن العقل إذ ذاك وذلك قبل خلق آدم .

﴿فأبين﴾ إمتنعن .

﴿أن يحملنها وأشفقن منها﴾ تعظيماً لدينه أن يضيعنه وقلن : لا نريد ثواباً ولا عقابا نحن مسخرات لأمرك وكان العرض عليهن تخييرا لا إلزاما وإلا لما أبين .

﴿وحملها الإنسان﴾ آدم وتلك الأمانة جميع الفرائض عند الجمهور وبه قال : ابن عباس والكلبي ومجاهد ، قال الكلبي : قال الله عز وجل لآدم : إني عرضت الأمانة على السماوات والأرض والجبال ولم تطقها وخافت ان لا تقوم بها فيلحقها العذاب فهل انت آخذها بما فيها ؟ فقال : يا رب وما فيها ، قال : إن أحسنت جوزيت وإن أسأت عوقبت فتحملها فقال : بين أذني وعاتقي فقال : أما إذا تحملت فسأعينك وأجعل لبصرك حجابا فاذا خشيت أن تنظر الى ما لا يحل سأرخ عليه حجابه وأغلق لحييك على لسانك إذا خفت منه وأجعل لفرجك لباساً فلا تكشفه على ما حرمت عليك . قال مجاهد : فما كان بين أن حملها

وبين أن خرج من الجنة إلا مقدار ما بين الظهر والعصر . وقال ابن مسعود : الأمانة الصلاة والزكاة وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضاء الدين والعدل في الكيل والوزن وأشد من هذا كله الودائع حتى ان ابن عباس في رواية فسر الأمانة بالودائع والوفاء بالعهود ، وقال زيد بن اسلم : قال رسول الله ﷺ : «أيأتمن الله ابن آدم على ثلاث الصلاة ولو شاء قال : صليت وعلى الصيام ولو شاء قال : صمت على الغسل من الجنابة ولو شاء قال : قد اغتسلت ثم تلا الآية وتلا يوم تبلى السرائر» وهذا قول ابن عباس في رواية إبراهيم بن محمد بن صالح قال الله سبحانه : ثلاث من حفظهن فهو عبدي حقا ومن ضيعهن فهو عدوي حقا الصلاة والصوم والغسل من الجنابة : وقال عبدالله بن عمر وابن العاصي بإسكان الميم وإثبات الياء بعد الصاد وتركها أول ما خلق الله من الإنسان الفرج وقال : هذه الأمانة استودعكها الله فالفرج أمانة والإذن أمانة والعين أمانة واليد أمانة ولا إيمان لمن لا أمانة له ، وقيل : صوم رمضان وغسل الجنابة وما خفي من الشرائع . ويجوز ان لا يكون تم عرض على السماوات والأرض والجبال حقيقة ولا على الانسان حقيقة ولكن المعنى انا خلقنا السماوات والأرض والجبال على حالة لا يليق بهن حمل الأمانة وخلقنا الانسان على حالة تقبل حملها فأمتناعهن عن الحمل عدم إمكان الحمل وقبول الانسان إمكان الحمل ويجوز ان يريد بقوله (فأبين أن يحملنها) فأبين ان يضمنها فان الشيء اذا ضيعته فأنت حامل له مترتب في ذمتك اي علمن انهن لا يقدرن فلو قبلتها لضيعتها وكان دينا عليهن ، ومعنى حمل الانسان لها كونها دينا عليه لازما له معاقبا به لتضييعه إياها المترتب على قبوله إياها ،

وقيل : عرضت عليهن امانة وهن الخضوع والانقياد فامتنعن ان تكن حاملات لها اي ضامنات اي لا يضيعن فضلا عن ان يضمنها بل وفين بها بخلاف الانسان ، وقيل : المراد عرضناها على أهلهن وهو الملائكة فانهم في الأرض والجبال والسماوات .

﴿إنه كان ظلوماً﴾ لنفسه إذ لم يفِ بها وعصى ربه .

﴿جهولا﴾ لأمر ربه وعاقبة حمل الأمانة وعاقبتها عدم الوفاء بها المترتب عليه المعاقبة . وقال الحسن : الإنسان الكافر والمنافق حملا الأمانة وخانا فيها ، وقيل : الناس كلهم ، والوصف بالظلومية والجهولية على هذا باعتبار الأغلب ولا يخفى أن الكافر والمنافق جاهلان لدين الله وأمره ، والجملة مستأنفة او تعليل للحمل لكن على معنى قولك حملها لما سبق في علم الله أنه ظلوم لا يفي بها جهول وهذا التعليل مجاز بمعنى العاقبة والصيرورة أو على معنى أنه حملها لانه كان ذا قوة غضبية وقوة شهوية خلق العقل لقهرهما .

﴿ليعذب﴾ تعليل للعرض أي كان ما كان من العرض عليهن وامتناعهن والعرض على الانسان وقبوله ليُعذب فلو قبلتها لم يصل التكليف بها اليه فضلا عن التعذيب عليها ، او اللام للصرورة متعلقة بحملها اي نتيجة حمله التعذيب لعدم وفائه .

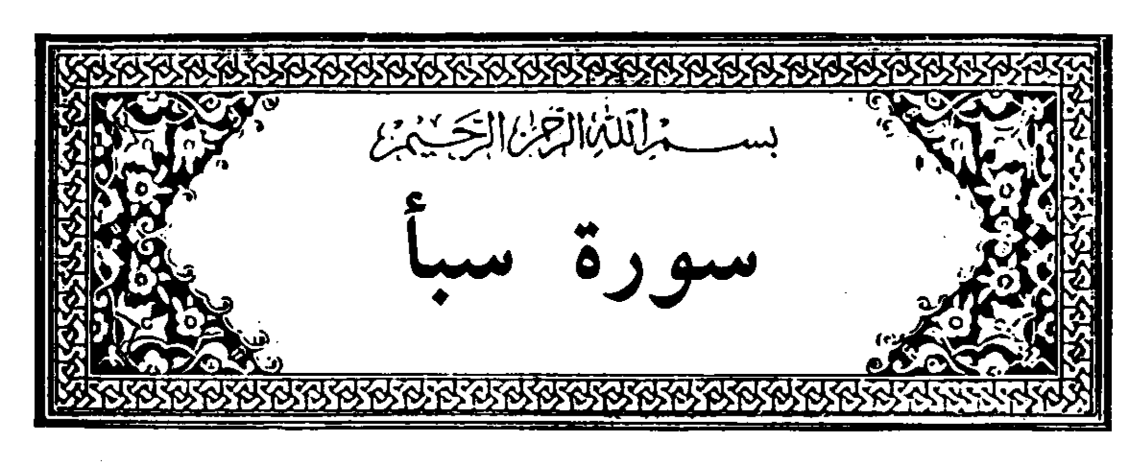
﴿الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات﴾ لخيانتهم الأمانة ونقض العهد قال ﷺ : «ينام الرجل فتقبض الأمانة من قلبه» يعني الإيمان والاقامة بالوديعة المستلزم عدمها عدم الإيمان أو ضعفه فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد احد يؤدي الأمانة حتى يقال : ان في بني فلان رجلا أمينا حتى يقال للرجل : ما أجلده وما أظفره وما أعقله وما في قلبه

مثقال حبة من الإيمان . قال حذيفة : لقد مر عليّ زمان وما أبالي أيكم بايعت مسلما او يهوديا او نصرانيا وأما اليوم فما أبايع منكم إلا فلانا وفلانا ، وكان رسول الله ﷺ يحدث القوم فجاء أعرابي فقال : متى الساعة ؟ وتركه حتى قضى التحديث فقال : (أين السائل) فقال : أنا يا رسول الله . قال : (إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة اذا كان الأمر لغير أهله) فانتظرها وقوله اذا كان الأمر الخ . تفسير لتضييعها .

﴿ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات﴾ المؤدين للأمانة وتوبته عليهم عفوه عن تفريطهم في بعض الأوقات المستلزم له كون الظلم والجهل لا ينفكان عنه لتوبتهم قال رسول الله ﷺ : (أدى الأمانة الى من إئتمنك ولا تخن من خانك) وهذا الحديث ربما أبطل ما أجازه بعض العلماء من أن اتأخذ أمانة من إئتمنك عليها أو بعضها إذا كان لك عليه حق مثلها أو بعضها وأنكره او نسيه او مات ولا شهوة لك ، والصحيح جواز هذا في غير الأمانة لا فيها ، وقرأه الأغمش برفع يتوب على الإستئناف فلا يدخل في التعليل .

﴿وكان الله غفوراً رحيما﴾ لمن تاب من الشرك والنفاق والله أعلم اللهم بسيدنا محمد ﷺ والسورة أخر النصارى وأهنهم واكسر شوكتهم وغلب المسلمين والموحدين عليهم وصلي الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم !




بسم الله الرحمن الرحيم
سورة سبأ

مكية في قول الجميع الا آية واحدة اختلف فيها وهي قوله :

﴿ويري الذين أوتو العلم﴾ الآية وقال فروة بن مسيك المرادي : أتيتُ النبي ﷺ فقلت : يا رسول الله ﷺ ألا أقاتل من أبر من قومي الحديث ، وفيه وأنزل في سبأ ما أنزل ﴿لقد كان لسبأ﴾ الآية وقد مر في النمل وإنما أسلم فروة أو هاجر بعد إسلام ثقيف سنة تسع ويحتمل ان يكون قوله وأنزل في سبأ حكاية لما تقدم نزوله قبل الهجرة ، وآيها أربع وخمسون وكلمها ثمانمائة وثلاث وثلاثون وحروفها الف وخمسمائة وإثنا عشر . قال رسول الله ﷺ : «من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي إلا كان له يوم القيامة رفيقا أو مصافحا» رواه ابو أمامة عن أُبي بن كعب ، وقال : «من كتبها في قرطاس وجعله في خرقة بيضاء وأمسكها عنده أمن من جميع الهوام ولم تصبه آفة مادامت فيه» .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الحمد لله﴾ حمد نفسه تلويحا بأن له الوصف الجميل الذي لا كنه له او على معنى قولوا الحمد لله .

﴿الذي له ما في السموات وما في الأرض﴾ ملكا وخلقا وأنعاما تقرران الموصول والصلة كشيء واحد فتعلق الحمد بهما كتعلق الحمد بمشتق وتعلق الحكم بالمشتق يؤذن بأن مضمون ذلك المشتق عله للحكم فانه قيل : الحمد لله على ثبوت ما في السماوات والأرض له ثبوتا يستلزم الإنتفاع منه وهذا حمد على تمام القدرة وكمال النعمة وهو واجب على الخلق كله في الدنيا .

﴿وله الحمد في الآخرة﴾ على رضاه ونعمه الدائمة فيها يحمده أولياء اذا دخلوا الجنة حمداً يتلذذون به كتلذذ العطشان بالماء البارد لا مشقة فيه ولا تعب وليس بتكليف في الآخرة وانما هو نعمة يتلذذون بها في الآخرة كتلذذ الملائكة به في الدنيا والآخرة ، وقدم الجار والمجرور لان نعم الآخرة لا تجري على يد أحد كما تجري نعم الدنيا كثرا فلا يستحق الحمد عليها سواء وقد بان لك ان عطف هذه الجملة على الاول من عطف احد المتغايرين على الآخر كقولك زيد بن عمرو في المسجد وزيد بن بكر في السوق لا من عطف المطلق على المقيد وكذا على قول من قال المعنى له الحمد في الدنيا على نعم الآخرة .

﴿وهو الحكيم﴾ الذي أحكم وأتقن أمور الدنيا والآخرة على ما ينبغي ويليق وكل أفعاله على ما تقتضيه الحكمة .

﴿الخبير﴾ ببواطن المخلوقات .

﴿يعلم ما يلج في الأرض﴾ يدخل فيها من مطر وميت وكنز .

﴿وما يخرج منها﴾ من ماء يتصاعد بواسطة وبدونها وشجر ونبات ومعادن وموتى بالبعث وبالخلق وبالخروج بعد الإستتار كالحيات والعقارب .

﴿وما ينزل من السماء﴾ من ماء وثلج وبرد وملك وبركة وكتاب ومقدار ورزق وإيذاء وصاعقة ، وقرأ علي بالنون والتشديد على طريق الإلتفات .

﴿وما يعرج فيها﴾ كملك وعمل عبد ونجار ودخان والعروج الصعود وفي بمعنى إلى أو ضمن معنى الدخول فعدي بني الظرفية .

﴿وهو الرحيم الغفور﴾ بخلقه لمن تاب من التفريط في شكر هذه النعم الكثيرة التي لا تحصر والمراد الرحمة العامة رحمة الدنيا للمؤمن والكافر ورحمة الآخرة للمؤمن أو الرحمة الخاصة بالمؤمنين وهي رحمة الآخرة لهم رحمة الآخرة بعد هذه الرحمة التي في الدنيا .

﴿وقال الذين كفروا﴾ قيل المراد ابوسفيان ومن رضى بقوله .

﴿لا تأتينا الساعة﴾ إنكار لمجيئها فقط لا إنكار لمجيئها واستبطاء استهزأ بالوعد بها كما قيل لأن الآية صرحت عنهم بالنفي للساعة وهي ساعة البعث وإنما الذي اجتمع فيه الإنكار والإستبطاء استهزأ قولهم متى هذا الوعد ونحو ذلك .

﴿قل﴾ لهم .

﴿بلى﴾ ليست لا تأتي .

﴿وربي لتأتينكم﴾ قسم وجوابه تأكيدا لقوله بلى وكذا ما بعد هذا الى ليجزي تعظيما لأمر المثبت الذي هو البعث ، وقرىء بالتحتية لتأويل الساعة باليوم او الوقت او نحو ذلك او على ان الفاعل عالم الغيب اي

يأتي امره وان قلت كما لم يصدقوا بما يقوله النبي ﷺ لا يصدقونه اذا حلف فماذا يجذي الحلف قلت لا يستوي التوكيد وعدمه ومن جودة الكلام توكيده للمنكر عساه يتدرج الى التصديق ولو بقليل فالتأكيد ابلغ في الحجة عليهم وان سلمنا ان الحلف لا يجدي شيئا لكن اذا لم يتبع حجة اما اذا ابلغ حجة بجد وقد اتبع بها هنا فان الله جل وعلا قد وضع في العقول وركب في الغرائز وجوب الجزاء وان المحسن لا بد له من ثواب والمسيء لا بد له من عقاب .

﴿عالم الغيب﴾ خبر المحذوف اي هو عالم الغيب الذي هو ما خفي عن الخلق ومنه البعث وفسر الحسن الغيب هنا لما لم يكن او مبتدأ خبره جملة قوله .

﴿لا يعزب﴾ اي لا يغيب من العزوب وهو البعد وما غاب فهو بعيد ولو حضر وقرأه الكسائي بكسر الزاي .

﴿عنه مثقال﴾ وزن .

﴿ذرة﴾ اصغر نملة .

﴿في السموات ولا في الأرض﴾ متعلق بيعزب او بلا او بمحذوف نعت مثقال او حال منه وقرأ غير نافع وابن عامر ورويس بجر عالم نعت الذي لان اضافة عالم للمعرفة تفيد التعريف لأنه ليس للاستقبال بل للماضي والاستمرار وكذا في قراءة من قرأ (علام الغيب) بالجر وقراءة من قرأ (عالم الغيب) بالجر ايضا وقرأ بعضهم (عالم الغيوب) بالرفع على ما مر .

﴿ولا أصغر من ذلك﴾ المثقال .

﴿ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾ جملة مبتدأ وخبره مؤكدة لقوله (لا

يعزب عنه) الخ وأصغر مبتدأ واكبر معطوف عليه وفي كتاب خبر وقرىء بفتح الرائين على ان اصغر اسم لا وهي عاملة عمل ان وهو معرب لانه عامل فيما بعده وكذا اكبر والخبر للأولى او الثانية ويقدر للآخر مثله اولا الثانية زايدة واكبر معطوف على اصغر ولا يجوز العطف في قراءة الرفع على مثقال وفي قراءة الفتح على ذرة على ان الفتحة نائبة عن الكسرة لان الاستثناء يأتي ذلك .

قال جار الله : الا ان جعلت الضمير في عنه للغيب وجعلت الغيب بمعنى الخفيات قبل ان تكتب في اللوح المحفوظ وهو الكتاب المبين لان كتبها فيه نوع من البروز عن الحجاب على معنى لا ينفصل عن الغيب شيء ولا يزول عنه الا مسطورا في اللوح .

﴿ليجزي﴾ متعلق بقوله لتأتينكم ومبين لما يقتضي ثبوت الساعة كما مر من ان العقل جبل على انه لا بد من جزاء المحسن والمسيء .

﴿الذين آمنوا﴾ بالساعة وغيرها .

﴿وعملوا الصالحات﴾ بايمانهم وعملهم .

﴿أولئك لهم مغفرة ورزق كريم﴾ حسن في الجنة وفسر بعضهم الرزق الكريم بالجنة وكرمه ورحمته هو انه لا تعب فيه ولا من عليه .

﴿والذين سعوا في آياتنا﴾ اي في ابطالها وهي القرآن وذلك انهم يكذبونه ويزهدون الناس فيه ويصدون عنه .

﴿معاجزين﴾ مقدرين عجزنا او مسابقين ليفوتونا يحسبون انهم قادرون على ذلك وقرأ ابن كثير وابو عمرو (معجزين) باسكان العين اي مثبطين عن الايمان من اراد الايمان .

﴿أولئك لهم عذاب من رجز﴾ عذاب سيء قاله قتادة .

﴿أليم﴾ مؤلم وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص هنا وفي الجاثية برفعه على انه نعت لعذاب .

﴿ويرى﴾ مستأنف مرفوع ومعناه يعلم .

﴿الذين أوتوا العلم﴾ من الصحابة ومن تابعهم من الأمة او المراد بالذين اوتوا العلم مسلموا اهل الكتاب ككعب الاحبار وعبدالله بن سلام وبالأول قال قتادة .

﴿الذي أنزل اليك﴾ مفعول اول ليرى وهو القرآن .

﴿من ربك هو الحق﴾ بنصب الحق على انه المفعول الثاني ولفظ هو ضمير لا محل له او حرف قولان اصحهما الاول واجاز بعضهم كونه بدلا من الذي مستعارا للنصب وزعم بعض انه يجوز كونه تأكيدا للذي وقرىء برفع الحق على انه خبر لهو والجملة مفعول ثان وذلك المرفوع المستأنف وما بعده استشهاد بأولى العلم على الجهلة الساعين في ابطال الآيات .

وقيل : يرى منصوب معطوف على يجزي فهو داخل في التعليل اي ليعلم اولوا العلم عند مجيىء الساعة انه الحق علما عيانا تعدى العلم الذي لهم في الدنيا بأنه حق بالبرهان فهم يزيدون في الآخرة يقينا لا يقين فوقه ويوبخوا بذلك هؤلاء الساعين ويجوز ان يراد بالذين اوتوا العلم الأحبار الذين لم يؤمنوا اي وليراه هؤلاء الأحبار في الآخرة انه الحق فيشتد غمهم وحسرتهم .

﴿ويهدي إلى صراط العزيز الحميد﴾ اي الى طريق الله العزيز المحمود ذاتا وصفة وفعلا وطريقة هو دين الاسلام .

﴿وقال الذين كفروا﴾ بعضهم لبعض .

﴿هل ندلكم على رجل﴾ يعنون محمدا وانما نكروه مع شهرته كنور على علم وتنبآته بالبعث شائعة وعبروا بالدلالة كما يدل على مجهول لقصد الهزوء والسخريه فخرجوه مع اخباره بالبعث مخرج اعجوبة نكيرة غريبة يتحاجا بها للضحك والتلهي والتجاهل .

﴿ينبئكم﴾ وقرأ زيد بن علي باسكان النون وتخفيف الموحدة .

﴿إذا مزقتم﴾ قطعتم .

﴿كل ممزق﴾ كل تمزيق فكل مفعول مطلق وممزق مصدر مبني بزنة اسم مفعول غير الثلاثي لانه من غير الثلاثي ويجوز ان يكون اسم مكان كذلك وكل ظرف اي في كل مكان تمزيق كبطون الطير والسباع والوحوش والأودية والبحر وغير ذلك وجملة يبني صفة رجل وقوله :

﴿إنكم لفي خلق جديد﴾ جملة في محل نصب قامت مقام المفعول الثاني والثالث لينبيء وجواب اذا الناصب لاذا محذوف دلت عليه هذه الجملة اي فانكم لفي خلق جديد اي ستكونون فيه او قد حصل وثبت انكم تكونون فيه وليست هذه الجملة جوابا لاذا لخلوها عن الفاء وليس جوابها ينبيء محذوفا لأن التنبئة في الحياة لا اذا مزقوا والخلق الجديد هو انشاءهم بعد العدم والجديد فعل بمعنى فاعل يقال جد الشيء فهو جديد اي صار جديدا لا قديما او بمعنى مفعول اي مقطوع بمعنى انه خلق مخترع ومالي به وانما قدمت اذا اعتناء بالتمزيق ووقته اي يخبركم بأعجوبة وهي انكم تبعثون مع انكم قد مزقتم وذلك منهم استبعاد .

﴿افترى﴾ اقترح مالم يكن وان قلت افترى ماض خماسي فهمزته وصلا لا تثبت في الدرج وان اثبتت فحقها الكسر لا الفتح قلت همزة الوصل محذوفة لصيرورتها بهمزة في الدرج والهمزة المفتوحة همزة

الاستفهام وتقلب همزة ال الفا وتسهل اذا دخلت عليها همزة الاستفهام .

﴿على الله﴾ في ذلك .

﴿كذبا﴾ مفعول به لافترى اي اقترح كذبا اي شيئا مكذوبا فيه لم يكن او مفعول مطلق .

﴿أم به﴾ فيه .

﴿جنة﴾ جنون تخيل به ذلك قلت ظاهر هذا انه لا يسمى الكلام الذي هو على خلاف الواقع كذبا الا ان كان على العمد بدليل مقابلة الكذب بالجنون الذي هو من تكلم في حالة غير معتمد او متعمد مالم يصح مثلا معتقداته صحيح ولذلك جعل الجنون قسيما للافتراء ومضاددا له حتى كأنه قيل افترى ام لم يفتر فعبر عن عدم الافتراء بالجنون وقد اختلفوا في الصدق والكذب فقال الجاحظ الصدق مطابقة الخبر للواقع مع اعتقادهما والكذب عدم مطابقته للواقع مع اعتقاد عدمهما في من الخير عنده ما ليس صدقا ولا كذبا وهو اربعة الاول المطابقة مع اعتقاد عدمها والثاني المطابقة مع عدم اعتقاد الثالث عدمها مع اعتقاد ثبوتها الرابعة عدمها مع عدم اعتقاد عدمها ولا ثبوتها واستدل بهذه الآية لأن القضية مانعة الخلو اما مفترى واما مخبر حال الجنون حاشاه عن ذلك كله فالأخبار حال الجنون غير الافتراء لانهم جعلوه قسيما للافتراء وقسيم الشيء غيره كما سلمناه والأخبار حال الجنون غير صدق لاعتقادهم عدم الصدق ولو كان مقوله ﷺ صدقا في نفس الأمر ويرده ان معنى قولهم ام به جنة ام لم يفتر فعبروا عن عدم الافتراء بالجنون لأن المجنون لا يصدق عليه انه مفتر لان الافتراء الكذب عن عمد ولا عمد له وربما تعمد لكن

يعتقد انه ما قال الا شيئا صحيحا وقولهم ام به جنة ليس قسيما للكذب بل لما هو اخص وهو الافتراء لان المعنى ام لم يفتر والافتراء الكذب عن عمد فذلك حصر للخبر الكاذب في زعمهم الكاسد في نوعي الكذب الكذب عن عمد والكذب لا عن عمد كذا قيل وقال النظام الصدق مطابقة الخبر لاعتقاد المخبر ولو كان اعتقاده خطأ والكذب عدم مطابقة الخبر لاعتقاد المخبر ولو كان خطأ فقوله الأرض فوقنا صدق ان اعتقد انها فوقنا مع اعتقاده أن هذا خطأ وقوله الأرض تحتنا كذب ان اعتقد انها فوقنا واستدل بقوله سبحانه وتعالى (ان المنافقين لكاذبون) وقد اخبرنا الله سبحانه وتعالى بأن المنافقين كاذبون في خبرهم وهو قولهم انك لرسول الله لان كونه رسولا ولو كان صادقا لكن لم تعتقده قلوبهم انه رسول ويرده ان التكذيب راجع الى ما يوهمه قولهم انك رسول الله من انهم معتقدون رسالته حتى كأنهم قالوا انا نقر لك عن قلوبنا انك رسول الله فرد الله عليهم بأنهم كاذبون ليس ذلك الاقرار عن قلوبهم انما هو في السنتهم فقط او راجع الى ما يعتقدون من ان قولهم انك رسول الله غير مطابق للواقع فكذبهم الله بأنه مطابق او راجع خلف المنافقين وزعمهم انهم لم يقولوا لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وهذه الأوجه التي ذكرتها صحاح والحمد لله لا يجد القزويني ولا السعد ولا السيد انكارها لاني قد تجنبت ما به ردوا على الغير يظهر لك هذا ان لم يختلط عليك قول بآخر.

وقال الجمهور : الصدق مطابقة الخبر للواقع الماضي او الآتي والكذب عدمها فقولك زيد قائم صدق ان كان قائما وقولك لم يقم صدق ان كان غير قائم وكذب ان كان قائما ولا يخفى انه لا واقع للانشاء

لا ماض ولا آت فان قولك اي قم يفيد ان القيام قد وقع ولا انه قد يقع بل يفيد طلب القيام فان حصل القيام بعد فليس مدلولا عليه بقم ولكنه امتثال لقولك قم واذا قلت لعبدك انت حر فليس قولك له انت حر مقيدا انه كان حرا فيما مضى ولا انه سيكون حرا بل يفيد ايجاد التحرير في الحال مع النطق لا قبل ولا بعد .

﴿بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد﴾

بل للاضراب الابطالي كأنه قال هو لا مفتر ولا مجنون وانما البشاعة والفضاعة والخسة لهم وهي عذاب النار وهي الضلال البعيد عن الحق حتى لا ترجى رجوعهم اليه ومع هذا هم غافلون وهذا أجن جنون واعتقاد صوابيته اشد خطأ وافتراء والعذاب انما هو يوم القيامة والضلال في الدنيا ولكن قرنهما وجعلهما كأنهما في وقت واحد لان الضلال ليس سبب العذاب وملزومه وقدم العذاب في اللفظ اعتناء بمواجهتهم به قبل كل شيء لشدة استحقاقهم ولو كان حق المسبب التأخير عن السبب في مجرد الذكر لهما سردا وقد يستدل بالآية مجيز الجمع بين الحقيقة والمجاز او مجيز الجمع بين معنى كلمة وذلك انك اما ان تقدر ثابتون للاستقبال او يثبتون بالنظر للعذاب وتنوي بهما المضي او الحال او الاستمرار في جانب الضلال واما ان تقدر ثابتون او ثبتوا كليهما للمضي نظرا لجانب الضلال او ثابتون للحال او الاستمرار وتنوي بهما الاستقبال في جانب العذاب والوجه الأول اولى لتقدم العذاب وقد يقدر للفظ الاستقبال للعذاب ويقدر لفظ المضي او الحال والاستمرار للضلال اي واثبتوا في الضلال حذفت الجملة وحذفت في وبقي عملها لذكر مثلها كذا ظهر لي والبعد صفة لمن ضل وانما وصف به الضلال مبالغة وذلك تجوز في الاسناد

كقولك جد جده وصام صيامه اذا رفعت الجد والصيام مبالغة في جده وصيامه حتى كان اجتهاده اجتهد وصيامه صام .
والصيام مبالغة في جده وصيامه حتى كان اجتهاده اجتهد وصيامه صام .

﴿أفلم يروا إلى ما بين أيديهم﴾ الهمزة داخلة على محذوف وقع العطف عليه اي اعموا فلم ينظروا الى ما فوقهم وهو السماء .

﴿وما خلفهم﴾ تحتهم وهي الأرض كما بين ذلك بقوله :

﴿من السماء والأرض﴾ الدالتين على كمال قدرتنا لغلظهما وسعتهما حتى لا يقدر قادر ان يخرج من تحت السماء او من فوق الأرض وهبة خرج من فوقها فليس بخارج عن ملك الله فان كل مكان ملك له ولا يقدر ان يخرج من تحت السماء ومن قدر على خلق هاذين العظيمين كيف لا يقدر على الخلق الجديد اعني احياء الموتى وذلك تهديد على استحالتهم احياء الموتى حتى جعلوه افتراء وابطال لها وتذكير بما عاينوه من الهيكلين ثم ظهر لي ان الأولى تفسير بين وخلف بما هو ظاهرهما فانك حيث ما كنت فبين يديك اي امامك سماء وارض وخلفك سماء وارض .

﴿إن نشأ﴾ وقرأ الكسائي وحمزة بالتحتية وكذا نخسف ونسقط ولا التفات بين قوله نشأ وما بعده بالنون وقوله على الله كما قد يتوهم لانقطاع هذا الكلام عن ذلك .

﴿نخسف بهم الأرض﴾ نجعلها خاسفة بهم اي بالعة لهم كما فعلنا مع قارون وروي عن الكسائي انه ابدل الفاء باء وادغمها في الباء بعدها وهو ضعيف .

﴿أو نسقط عليهم كسفا﴾ قطعة وقرأ حفص بفتح السين وانظر ما في الشعراء .

﴿من السماء﴾ لتكذيبهم الآيات والرسول كما فعلنا بأصحاب الائكة واذا كان هذا الجسمان العظيمان في قبضتنا نفعل بهما ما نريد من خسف واسقاط فكيف لا نقدر على احياء الموتى وكيف لا تخافون فتؤمنوا .

﴿إن في ذلك﴾ الذي من شأنه ان ينظر اليه نظر تفكر واستدلال او ان في ذلك المذكور من قدرتنا على الخسف والاسقاط .

﴿لآية﴾ دلالة .

﴿لكل عبد منيب﴾ راجع الى ربه بالتوبة والطاعة فيزداد بهما تأملا وايمانا وطاعة او منيب في علم الله في الأزل فاذا جاء وقت خروج انابته الى الوجود كانت الآية سببا لانابته فيدخل في الانابة بها وخص الآية بالمنيب لانه المنتفع بها ولو كانت منصوبة ايضا لغيره لانه لا ينتفع بها فكأنها لم تنصب له او التقدير لكل عبد منيب وغيره .

﴿ولقد آتينا داود منا﴾ متعلق بآتينا اي في ملكنا او حال من المنصوب بعده .

﴿فضلا﴾ على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وهو ما ذكر بعد من امر الجبال بالتأويب معه ، والطير وإيلانة له الحديد ، أو على سائر الناس فتدخل في ذلك النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن وغير ذلك وفسر الشيخ هود رحمه الله الفضل بالنبوة وبعض بها وبالكتاب وبعض بالملك .

وان قلت : كيف يكون الفضل على الأنبياء فيكون افضل من خاتم النبيين ﷺ .

قلت : لا ضير في فضله عليه بنحو إلانة الحديد والصوت الحسن وتأويب الجبال والطير مع كونه افضل النبيين مرتبة ومنزلة عند الله وذكر

في المواهب ان الله سبحانه وتعالى اعطى نبينا ﷺ اخضرار العود اليابس في يده وايراقه كما ألان الحديد لداود عليه السلام ومسح على شاة ام معبد فدرت وروت واقول اولى من ذلك ذكر ما وقع له في غير موضع من انخفاض الحجر وانضمامه لداخل لجسده ﷺ كما ينضم الطين بمس من يمسه فيبقى فيه مكان منخفض وقد اشتهر ان كلامه ﷺ لشدة حلاوته يؤثر في الاعرابي الجلف وانه يسمع تسبيح الحجارة والحصى وانه كلمته الجمادات والحيوان وعرض له شيطان في صلاته وقيل ابليس أبا الشياطين وقيل ما منعه من ربطه إلا قوله عز وجل (لا ينبغي لأحد من بعدي) .

﴿يا جبال﴾ نكرة مقصودة والقول مقدر اي قلنا يا جبال وهذه الجملة بدل من اتينا او استئناف وان قدرنا المفرد اي قولنا يا جبال كان بدلا من فضلا والجبال هذه هي جبال بلدة القريبة اليه والجبال التي كانت حيث كان .

﴿أوبي﴾ من التأويب اي الترجيع والمعنى رجعي .

﴿معه﴾ تسبيح وقرىء (أوبي) بوزن قولي بضم القاف من آب يؤب اي ارجعي معه فيه كلما رجع فيه لأنه اذا رجعه فقد رجع فيه وتسبيح الجبال حقيق يخلق الله لها عقلا ونطقا وقيل تأويب الجبال معه سيرها معه .

﴿والطير﴾ مفعول معه ناصبه اوبي او مفعول به لمحذوف اي وأمرنا الطير بالتسبيح ايضا معه او سخرنا الطير ومعطوف على فضلا او معطوف على محل جبال وقرأ عاصم بالضم عطفا على لفظ جبال لشبه ضمته بحركة الاعراب لحدوثها بسبب حرف النداء او عطفا على باء

أوبي ذكر ابن هشام بعض ذلك ولا يخفى ما في ذلك من الدلالة على كمال قدرة الله تعالى حيث كانت الجبال والطير منقادة اليه لا تمتنع عما اراد منها ونزلها منزلة العقلاء وذلك معجزة لداود عليه السلام كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تساعده بأصدائها والطير بأصواتها وذلك الصدى منها يومئذ هو صوت تسبيح وكان اذا لحقه ملل او فتور اسمعه الله تسبيح الجبال فينشط له .

في عرائس القرآن عن وهب بن منبه عن ابي هريرة عن رسول الله ﷺ : (خفف على داود القرآن) اي قراءة الزبور او المقروء وهو الزبور وكان يأمر بدوابه ان تسرح وكان لا يأكل الا من عمل يده وعن ابي بردة ابن ابي موسى عن ابيه قال قال لي رسول الله ﷺ : «قد أعطيت مزمارا من مزامير آل داود» قلت : والله يا رسول الله لو علمت انك تسمع لحبرته لك تحبيرا .

وعن البراء بن عازب سمع النبي ﷺ صوت ابي موسى فقال (كان صوت هذا من صوت آل داود) .

وكان اذا صعد داود الجبل يسبح جعلت الجبال تجاوبه بالتسبيح نحو ما يسبح ثم وسوس له في نفسه كيف يسمع صوتي من هذه الأصوات فهبط عليه ملك فأخذ بعضده حتى انتهى به الى البحر فركله برجله فانفرج له البحر حتى ظهرت الأرض فركل صخرة برجله فانفرجت عن دودة فقال له : ان ربك يسمع نشيد هذه الدودة في هذا الموضع .

وقيل : قال في نفسه ليلة لاعبدن الله عبادة لم يعبد مثلها فصعد الجبل ولما كان في جوف الجبل دخلته وحشة فأوحى الله الى الجبل أن آنس داود فضج بالتسبيح والتهليل فقال داود عليه السلام كيف يسمع

صوتي مع هذه الأصوات فهبط عليه ملك فأخذ بعضده الى آخر ما مر .

﴿وألنا﴾ ليّنا والماضي وحده ألان كأقام حذفت الفه لسكون ما بعدها .

﴿له الحديد﴾ كان في يده كالشمع والطين يصرفه كيف شاء من غير نار ومطرقة قال في عرائس : القرآن سبب ذلك ما روي ان داود عليه السلام لما ملك بني اسرائيل كان من عادته ان يخرج للناس متنكرا فاذا رأى رجلا لا يعرفه تقدم اليه يسأله عن داود ما تقولون فيه فيثني الرجل خيرا وقيض الله له ملكا على صورة رجل فسأله فقال نعم الرجل هو لولا خصلة فيه فراع داود ذلك فقال وما هي يا عبدالله ؟ قال : انه يأكل ويطعم عياله من بيت المال فتنبه لذلك وسأل ان يسهل له شيء يستغني به عن بيت المال فألان له الحديد يصنع منه الدرع ويبيعها بأربعة آلاف درهم وهو اول من اتخذها وكانت قبل ذلك صفائح يأكل ويتصدق على الفقراء والمساكين اهـ .

قيل انما زاد الله في قوته حتى كان الحديد له كالطين المبلول أي وألنا له الحديد بتقويته والأوضح الأول .

﴿أن اعمل﴾ ان مفسرة لوحي او امر محذوف اي اوحينا اليه او امرناه ان اعمل لا لقول محذوف كما قيل لانها لا تفسر لفظ القول ويجوز كونها مصدرية مقدرة بحرف الجر او المصدر مفعول للايحاء عند مجيز دخول ان المصدرية على الأمر .

﴿سابغات﴾ اي دروعا سابغات ذكره ابن هشام وغيره وهو واضح والسابغات الواسعات الكاملات الطوال تسحب الأرض وكان يعمل الواحدة في يوم وزعم بعض انه اقتنى من ذلك مالا وهو جائز بأن اقتناء

المال مباح مع اداء حقه ولا سيما من هو نبي فانما يقتنيه لأمور أخروية .

﴿وقدر﴾ اي ضيق .

﴿في السرد﴾ نسج الدرع على قدر الحاجة وفي عرائس القرآن : لا تجعل المسامير رقاقا فينفتق ولا غلاظا فتكسر الحلق وقال ابن زيد لا تعمل الحلقة صغيرة فتضعف فلا يقوى الدرع ولا كبيرة فينال لابسها من خلالها .

﴿واعملوا صالحا﴾ الخطاب لداود عليه السلام وآله او لهم اي اعملوا معه صالحا .

﴿إني بما تعملون بصير﴾ فأجازيكم .

﴿ولسليمان الريح﴾ اي وسخرنا له الريح او وآتينا له الريح كما تقول اتى زيد لعمر واتيت زيدا لعمرو فالعطف على اتينا داود جائز باعتبار المحذوف او يعطف قوله (لسليمان الريح) على (داود فضلا) فتكون اللام للتقوية لما ضعف اتينا بالبعد قوي باللام وقرأ ابو بكر (الريح) بالرفع و(الرياح) بالرفع والجمع على الابتداء وحذف الخبر اي والريح او الرياح مسخرة لسليمان او لسليمان تسخير الريح بتقدير المضاف ويجوز ان لا يقدر .

﴿غدوها﴾ اي جريها بالغداة .

﴿شهر﴾ اي مسيرة شهر .

﴿ورواحها شهر﴾ اي جريها في الرواح وهو العشي شهر مسيرة اي شهر وقرىء (غدوتها وروحتها) وهو يسير في اليوم مسيرة شهرين . قال الحسن يغدو ويقيل باصطخر ثم يروح فيكون رواحه بكابل وروي ان بعضهم رأى مكتوبا في منزل بناحية جدلة كتبه بعض

اصحاب سليمان (نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبايتون بالشام ان شاء الله .

قال قتادة : تقطع به في الغدو الى قرب الزوال مسيرة شهر وتقطع في الرواح من بعد الزوال الى الغروب مسيرة شهر . قال هذا معنى الآية واذا اراد قوما لم يشعروا حتى يظلهم في جو السماء .

وقيل : كان من دمشق فيقيل باصطخر وبينهما مسيرة شهر ثم يروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع وروي انه يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند ومعه الانس والشياطين والجن والدواب والطير ، كما مر وكانت الجن يومئذ ظاهرة للانس يحجون ويعتمرون معا ويتلاقون .

﴿وأسلنا﴾ اي اذبنا وهو رباعي سال اي ذاب تعدى بالهمزة .

﴿له عين القطر﴾ عن النحاس فكان يجري له كعين الماء ثلاثة ايام بلياليهن وكان ذلك بأرض اليمن وقيل معنى اسالته له اذابته له كما ألان الحديد لداود وقيل : معناها اظهار معدنه وعبّر بالاسالة لانها ماءلة .

وعن ابن عباس : كانت تسيل له باليمن عين جارية من نحاس يصنع له منها ما أحب .

وروي انه كان يسيل في الشهر ثلاثة ايام وفي عرائس القرآن : وانما ينتفع الناس اليوم بما اخرجه الله لسليمان عليه السلام وهو مشكل ولو قرأ السيوطي .

﴿ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه﴾ بأمر ربه .

﴿ومن يزغ﴾ يمل .

﴿منهم عن أمرنا﴾ له بطاعته وقرىء (يزغ) بالبناء للمفعول من

ازاغه ولم يقل عن ارادتنا لأنه لا يقع في العالم شيء يخالف ارادته سبحانه ويقع ما يخالف اوامره .

﴿نذقه من عذاب السعير﴾ النار في الآخرة وقال السدي : ذلك في الدنيا كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى عليه جني او شيطان ضربه من حيث لا يرى فيحترق ذكره في عرائس القرآن وذكره الشيخ هود رحمه الله وغيره .

﴿يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل﴾ قصور حصينة ومساكن شريفة يصعد اليها بدرج والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال وسمي ذلك محاريب لانها يحامى عليها ويذب عنها ويحارب عليها .

وعن مجاهد : المحاريب القصور وقال الحسن : المساجد وقال الكلبي : المساجد والقصور بناء بيت المقدس .

من عرائس القرآن قال ﷺ : «صخرة بيت المقدس على نخلة من نخيل الجنة وتلك النخلة على نهر من انهار الجنة على ذلك النهر آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران ينظمان حلي اهل الجنة الى يوم القيامة» ، قال : بارك الله في نسل ابراهيم حتى جعلهم في الكثرة غاية لا يحصون ولبث داود عليه السلام مدة مديدة بأرض فلسطين وهم يزدادون في كل يوم كثرة فأعجب داود عليه السلام بكثرتهم وأراد ان يعلم عدد بني اسرائيل فأمر بعدهم وبعث لذلك عرفاء نقباء وأمرهم ان يخبروه بمبلغ عددهم وعدوا زمانا فعجزوا وأوحى الله سبحانه (يا داود قد علمت اني قد وعدت اباك ابراهيم حين امرته بذبح ولده فصدقني وائتمر بأمري ان ابارك له في ذريته حتى يصيروا اكثر من عدد نجوم السماء واجعلهم بحيث لا يحصى عددهم واني قد اقسمت اني ابتليتهم ببلية يقل منها

عددهم ويقل عنك اعجابك بكثرتهم فاختاروا ان ابتليكم بالجوع والقحط ثلاث سنين او اسلط عليكم العدو ثلاثة اشهر او الموت ثلاثة ايام) فجمع داود بني اسرائيل واخبرهم بما اوحى الله اليه وخيره فيه وقالوا له انت اعلم بما هو ايسر لنا وانت نبينا فانظر لنا غير ان الجوع لا صبر لنا عليه وتسليط العدو امر فاضح فان كان ولا بد فالموت بيده لا بيد غيره فأمرهم داود عليه السلام ان يتجهزوا للموت فاغتسلوا وتحنطوا ولبسوا الاكفان وبرزوا الى صعيد بيت المقدس من قبل بناء بيت المقدس بالدارين والاهلين وامرهم ان يضجوا الى الله ويتضرعوا اليه لعله يرحمهم فأرسل الله عليهم الطاعون في يوم وليلة فأهلك الله منهم ألوفا كثيرة لا يدري عدد الموتى الا الله ولم يفرغوا من دفنهم الا بعد شهرين فلما اصبحوا من اليوم الثاني خر داود عليه السلام ساجدا وقال : يا رب انا اكل الحماض ويضرس بنوا اسرائيل فاستجاب الله دعاءه فكشف عنهم الطاعون ورفع عنهم الموت فرأى داود عليه السلام الملائكة سالين سيوفهم يغمدونها ويرقون في سلم من ذهب من الصخرة الى السماء فقال داود عليه السلام : ان الله هون عليكم ورحمكم فجددوا له ذكرا قالوا وكيف تأمرنا قال آمركم ان تبنوا من هذا الصعيد الذي رحمكم الله فيه مسجدا لا يزال فيه الذكر والعبادة الى يوم القيامة فأخذ داود عليه السلام في امر بنائه فلما أرادوا ان يبتدأوا البناء جاء رجل صالح فقير يختبرهم ليعلم كيف اخلاصهم في توبتهم فقال لبني اسرائيل : ان لي فيه موضعا وانا محتاج اليه ولا يحل لكم ان تخرجوني عن حقي فقالوا : يا هذا ما احد من بني اسرائيل الا وله في هذا الصعيد مثل حقك فلا تكن من ابخل الناس ولا تضايقنا فيه فقال : انا اعرف حقي وانت لا

تعرفون حقوقكم قالوا : اما ان ترضى وتطيب نفسا والا اخذناه كرها ؟ قال : او تجدون ذلك في كتاب الله فقال داود عليه السلام : خذوه بحقه فقالوا : بكم تأخذوه منه يا نبي الله ؟ فقال : بستمائة شاة فقال الرجل : زدني فقال : داود مائة بقرة قال : زدني قال : مائة بعير قال : زدني فانما تشتريه لله عز وجل وما زال يستزيده حتى قال نبني حوله جدارا مشرفا ثم يملأه ذهبا وان شئت وزقا قال داود : هو هيّن قال : لئن يغفر الله لي ذنبا واحدا احب الي من كل شيء وهبته لله ولكني اختبرتكم فأخذ في بناء بيت المقدس لاحدى عشرة خلت من ملكه وكان ينقل الحجارة على عنقه عليه السلام وكذا الأحبار حتى رفعوه قامة رجل فأوحى الله سبحانه وتعالى الى داود عليه السلام (هذا بيت مقدس وان رجلا في قومك سفاك فلست ببانيه ولكن ابن لك املكه بعدك اسمه سليمان اسلمه من سفك الدماء واقضي تمامه على يده ويكون اجره وذكره لك دائما) ولما مات واستخلف سليمان امره الله سبحانه وتعالى باتمامه فجمع الجن والانس والشياطين وقسم عليهم الأعمال وارسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام الأبيض الصافي وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفائح وجعلها اثنى عشر ربطا لكل سبط من الاسباط الاثنا عشر ربط ولما فرغوا منها ابتدؤا في بناء المسجد فوجه الشياطين فريقا لاستخراج الذهب والفضة واليواقيت وفريقا يغوصون في البحر للدرر وفريقا يتبعون الجواهر والحجارة فأتوا بما لا يحصيه الا الله من ذلك ثم احضر الصناع وامرهم بنحت الحجارة وتصييرها الواحا واصلاح تلك الجواهر وثقب اليواقيت واللآلىء فكانوا يعالجونها وتصوت صوتا شديدا لصلابتها فكره سليمان تلك الأصوات فدعى الجن وقال لهم : هل لكم

حيلة في نحت هذه الجواهر من غير تصويت ؟ فقالوا : يا نبي الله ليس في الجن اكثر تجاربا ولا اكثر علما من صخر العفريت فأرسل اليه عشرة رجال واعطاهم تمثال خاتمه وكان يطبع للشياطين بالنحاس ولسائر الجن بالحديد واذا طبع بخاتمه لمع التمثال كالبرق الخاطف فلا يراه جني ولا شيطان الا إنقاد له بإذن الله سبحانه وتعالى فأتوا به من بعض جزائر البحر اروه الطابع فكاد يصعق خوفا فأقبل مسرعا معهم حتى دخل على سليمان عليه السلام فسأل سليمان من ارسله عما احدث العفريت في طريقه فقال : يا نبي الله كان يضحك في طريقه من الناس فقال له سليمان عليه السلام : ما رضيت بتمردك علي في ترك المجيىء الي هنا حتى تسخر من الناس ؟ قال : يا نبي الله اني لم اسخر غير ان ضحكي كان تعجبا مما اسمع وأرى فقال له سليمان عليه السلام : وما ذاك ؟ قال : اني مررت برجل على شاطىء نهر ومعه بغلة يريد أن يسقيها فسقاها وملأ الجرة ثم اراد قضاء حاجته فشد البغلة بأذن الجرة فجرت البغلة الجرة فكسرتها فضحكت من حمق الرجل حيث توهم ان الجرة تمسك البغلة ومررت برجل جالس عند اسكاف يستعمله في صلاح خف له فسمعته يشترط معه ان يصلحه بحيث يبقى معه اربع سنين ونسي نزول الموت فضحكت من غفلته وجهله ومررت بعجوز تتكهن وتخبر الناس بما لا يعلمون من خبر السماء وقد كنت عهدت رجلا دفن في موضع فراشها ذهبا كثيرا في الدهور الماضية فرأيتها تموت جوعا وتحت فراشها ذهب كثير لا تعلم مكانه فضحكت منها ومررت برجل في بعض المدن وكان به داء فيها قيل فأكل البصل فبرئ من دائه فصار يتطبب للناس بالبصل فلا يأتيه احد يسأله عن علة إلا أمره بأكل البصل وانه لا اضر

منه حتى ان ضرره ليصل الى الدماغ فضحكت منه ومررت ببعض الأسواق فرأيت الثوم وهو أفضل الأدوية كلها يكال كيلا ورأيت الفلفل وهو احد السموم القاتلة يوزن وزنا فضحكت من ذلك ومررت بناس يبتهلون الى الله سبحانه وتعالى يسألونه المغفرة والرحمة فمل منهم قوم فقاموا فمروا وجاء آخرون وجلسوا فرأيت الرحمة قد نزلت عليهم فنالتهم رحمة الله وحرم منها الذين قاموا فضحكت تعجبا للقضاء والقدر قالوا فقال له سليمان عليه السلام : هل علمت من كثرة تجاريبك وجولاتك في البحر شيئا تنحت به هذه الجواهر فتلين ويسهل نحتها وثقبها ؟ قال : نعم يا نبي الله اعرف حجرا ابيض كاللبن يقال له السامور غير اني لا اعرف معدنه الذي هو فيه وليس في الطير شيء هو أحيل من العقاب فمر بفراخه ان تجعل في الصندوق من معه يوما وليلة ثم يسرح العقاب صباحا ويترك فراخه وقيل من زجاج ففعلوا فذهب العقاب فجاء بالحجر بعد يوم وليلة وقد اتبعه جماعة من الجن فنقب به الصندوق حتى وصل الى فراخه وأتت الجماعة بما يكفي واستعمل ذلك في أدوات الصناع فسهل عليهم نحتهن من غير تصويت وهو حجر يستعمل في نقش الخواتم وثقب الجواهر الى اليوم وهو ثمين عزيز وقيل قيل سليمان ان لزوبعة في جزيرة عينا يردها في كل سبعة ايام فأتوها فنزحوها ثم صبوا فيها خمرا وجاء فلما ابصر الخمر قال لها اما علمت انك اذا شربك صاحبك يظهر عليه عدوه لا اذوقك اليوم فذهب ثم رجع لسبع آخر فجاء فقال كما قال فرجع وجاء لتمام احدى وعشرين مذ شرب فقال لها اما علمتك تذهبين الهم فشرب منها فسكر فجاءوا فأروه الخاتم فانطلق الى سليمان فقال لهم دلوني على بيض الهدهد فدلوه فاكب

عليه زجاجة فجاء الهدهد فكان يرى بيضه ولا يصله فانطلق فجاء بالماس ويسمى السامور وهو الذي يثقب به اللؤلؤ والياقوت فوضعه على الزجاجة فقصمها نصفين ثم اراد اخذه فأزعجوه فجاءوا بالماس الى سليمان فبنى عليه السلام المسجد بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر وقصصته الشياطين بأنواع الجواهر النفيسة وقصصوا سقوفه وحيطانه باللؤلؤ والياقوت وسائر الجواهر وبسط ارضه بألواح الفيروز فلم يكن يومئذ في الأرض بيت ابهى ولا انور من ذلك المسجد يضيء في الظلمة كالقمر اذا كمل فلما فرغ منه جمع احبار بني اسرائيل واعلمهم انه بناء لله عز وجل واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ فيه عيدا لم يتخذ في الأرض عيدا اعظم منه قط ولا من الأطعمة اكثر منه ذبح فيه الفا من الجزور وخمسة وعشرين الفا معلوفة سمينة ومن الغنم اربع مائة الف شاة ومن العجائب ما اتخذ سليمان ببيت المقدس ان بنى بيتا وطين حيطانه بالخضرة فكان اذا دخله مؤمن استبان خياله في ذلك الحائط ابيض واذا دخله الفاجر استبان خياله فيه اسود فارتدع كثير من الناس عن الفجور والخيانة ونصب في زاوية من زوايا المسجد عصى من ابنوس وكان من مسها من ابناء الأنبياء لم يضره مسها ومن مسها من غيرهم احرقت يده ولما فرغ سليمان عليه السلام من بناء بيت المقدس قرب قربانا على الصخرة ثم قال اللهم انك وهبت لي هذا الملك منا منك علي وجعلتني خليفة في ارضك واكرمتني به من قبل ان اكون شيئا فلك الحمد اللهم اني اسألك لمن دخل هذا المسجد خصالا فمن دخله وصلى فيه ركعتين مخلصا فيهما خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه ولا يدخله مستنيب الا تبت عليه ولا خائف الا امنته ولا سقيم الا شفيته واذا اجبت دعوتي فاجعل

لي علامته ان تقبل قرباني فنزلت نار من السماء فسد ما بين الخافقين ثم امتد منها عنق فاحتمل القربان وصعد به الى السماء فكان بيت المقدس على بناء سليمان عليه السلام الى أن غزا بخت نصر بني اسرائيل فخرب بيت المقدس والقى فيه الجيف وفلاءه بالتراب ونقل ما فيه من الذهب والفضة والجواهر الى بابل في العراق وهو مملكته وكان خربا إلى أن بناه المسلمون .

وتماثيل الصور صور الأنبياء والأولياء والصالحين والملائكة قال مجاهد من نحاس وصفر وزجاج ورخام كانت تصور في المسجد ليراها الناس فيزداد في العبادة ويعبدوا نحو عبادتهم قال الحسن وابو العالية لم يكن التصوير يومئذ محرما وقيل كانوا يصورن له صور السباع والطير وغيرها ولم يكن التصوير قيل محرما الا في هذه الشريعة المحمودة جعلنا الله من اهلها ويجوز ان تكون تلك التصاوير تصاوير حيوان عاقل او غير عاقل لكن بلا روس وذلك غير محرم او التصاوير غير الحيوان كالجبال والشجر وروي انه عملوا له اسدين

في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فإذا أراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اضله النسران باجنحتهما وذلك بأعمال وحيل وعملوا له الطواريس والعقبان والنسور على درجات سريره وفوق كرسيه لكي يهابه من اراد الدنو منه وفي عرائس القرآن امر سليمان عليه السلام الشياطين باتخاذ كرسي يجلس عليه للقضاء واراد ان يكون بديعا مهولا بحيث لو رآه مبطل او شاهد زور ارتاع قالوا فعملوا له كرسيا من انياب الفيلة ووفصوصه بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد وأنواع الجواهر وسفوه بأربع نخلات من ذهب شماريخها الياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر على

رأس نخلتين منهما طاووسين من ذهب وعلى رأس الاخرين نسران من ذهب بعضها مقابل بعض وجعلوا من جانب الكرسي اسودا من الذهب على رأس كل واحد منها عمود من الزمرد الاخضر وقد عقدوا على النخلات اشجار عنب من الذهب الاحمر واتخذوا عناقيدها من الياقوت الاحمر وكان سليمان عليه السلام اذا راد صعوده وضع قدميه على الدرجة السفلى فيستدير الكرسي كدوران الرحى المسرعة وتنشر تلك الاطيار اجنحتها وبسط الاسدان ايديهما ويضربان الارض بأذنابهما وكذا يفعل في كل درجة واذا استوى باعلاه اخذ النسران اللذان على النخلتين تاج سليمان عليه السلام فوضعاه على رأسه ثم يستدير الكرسي بما فيه ويدور معه النسران والطاووسان والاسدان مائلا بروسهما الى سليمان عليه السلام ينضحان عليه اجوافهما المسك والعنبر ثم تتناول حمامة من ذهب قائمة على عمود من جوهر من اعمدة الكرسي التوراة فتفتحها لسليمان عليه السلام يقرأها على الناس فيدعوهم الى فصل القضاء ويجلس عظماء بني اسرائيل على كراسي الذهب مفصصة بالجواهر وهي الف كرسي عن يمينه وعظماء الجن عن يساره على الف كرسي ثم تحف به الطير تظلله ويقدم الناس اليه للقضاء فاذا ادعى البينة وتقدمت الشهود لاقامة الشهادة دار الكرسي بما فيه من جميع ما حوله دوران الرحى المسرعة قال معاوية ووهب ابن منبه : ما الذي كان يدير ذلك الكرسي ؟ .

قالوا : بلبلان عظيمان من ذهب وذلك الكرسي مما عمله صخر الجني قالوا واذا دار الكرسي بسط الاسدان ايديهما يضربان الارض باذنابهما وينشر النسران والطواويس اجنحتهما فتفزع الشهود ويدخلهم من ذلك رعب شديد فلا يشهدون الا بحق ولما توفي سليمان حمله بخت نصر الى

انطاكية فأراد الصعود عليه ولم يكن له علم بالصعود عليه ولا باحوا له ولما وضع قدمه على الدرجة رفع الاسد يده اليمنى فضرب ساقه ضربة شديدة دقها وادمتها فلم يزل يعرج منهاويتوجع حتى مات وبقي الكرسي بانطاكية حتى غزاهم ملك من ملوك الشام يسمى كراسي بن سعد ان فهزم خليفة بخت نصر ورد الكرسي إلى بيت المقدس فلم يستطع احد من الملوك الجلوس عليه والاستمتاع به فوضع تحت الصخرة فغاب ولم يعرف له خبر ولا عرف اين هو الى الآن انتهى وفي قصة تميم بن حبيب الداري او غيرها ان سليمان ممدود على ذلك الكرسي بيده خاتمه في قرب البحر المحيط او في جزيرة منه وفي اخبار القصاصين ان بيننا وبينه سبعة ابحر .

﴿وجفان﴾ جمع جنة وهي النعمة .

﴿كالجواب﴾ جمع جابية وهي الحوض الكبير اعني البركة سميت جابية لانها تجبي الماء اعني تجمعه واصل ذلك وصف ثم تغلبت عليه الاسمية ويجوز ابقاءه على الوصفية فيكون اسناد الجبى اليها مجازا وقرىء بحذف الياء اكتفاء بالكسرة قيل انه كان يقعد على الجفنة الواحدة منهن الف رجل يأكلون وياء الجوابي اثبتها ابن كثير في الوصل والوقف وورش وابو عمرو في الوصل .

﴿وقدور﴾ برم .

﴿راسيات﴾ ثابتات لا يحملن لثقلهن ولهن ارجل ليتجافين عن الارض لايقاد النار تحتهن وقيل ركبن على اثاف وانما يصعد اليهن بالسلاليم لعظمهن فلا يمكن انزالهن عن الاثافي وكانت باليمن .

﴿ اعملوا﴾ اي قلنا اعملوا .

﴿آل﴾ يا آل .

﴿داود﴾ الاعمال الصالحة .

﴿شكرا﴾ مفعول لاجله اي لشكر نعمائي او مفعول مطلق على حد جلست قعودا او على حذف مضاف اي عمل شكر على ان العمل باق على المصدرية او حال اي ذوي شكرا وشاكرين والمفعول به في ذلك كله مقدر كما رأيت او شكرا مفعول به كأنه قيل أوجدوا شكرا فان عمل الشيء ايجاد له او مفعول به على حذف مضاف اي اعملواعمل شكر على ان العمل هو ما يعمل وفي الآية دليل على ان الطاعة يجب ان تؤدىء على طريق الشكر اي اعراب اعربت شكرا ولا تختص الدلالة بالاعراب الاول كما قد يتوهم من عبارة بعض العلماء وآل داود اهل بيته كسليمان قال ثابت البناني كان داود عليه السلام بعد ؟؟؟؟؟ بالعمل شكرا قدر جزاء ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تاتي ساعة الا وانسان من اله قائم يصلي ، وقيل المراد بآل داود نفسه وكان يأكل الشعير ويطعم اهله والمساكين الطعام الجيد وما شبع قط فقيل له فقال اخاف ان انسى الجائع .

وعن النبي ﷺ انه صعد المنبر وقرأ ﴿اعملوا آل داود شكرا﴾ وقال «ثلاث من اوتيهن فقد اوتى مقل ما اوتى داود» وفي رواية «فقد اوتى العمل شكرا العدل في الرضى والغضب والقصد في الفقر والغنى وخشية الله في السر والعلانية» وفي رواية «وذكر الله في السر والعلانية» .

﴿وقليل من عبادي﴾ وقرأ حمزة بإسكان الياء .

﴿الشكور﴾ هذا من كلام الله سبحانه وتعالى لسيدنا محمد ﷺ ويحتمل ان يكون من كلام الله عز وجل لسيدنا داود عليه السلام

والشكور من شغل قلبه ولسانه وجوارحه بالطاعة في أكثر اوقاته على قدر طاقته وليس من فعل هذا مؤديا بالحق النعمة لان توفيقه الى ذلك نعمة وهكذا بتسلسل ولذا قيل الشكو من يرى عجزه عن الشكر .

وعن السدي : هو من يشكر على الشكر كما قال الشاعر :

* اذا كان شكري نعمة الله نعمة * عليّ له في مثلها يجب الشكر *
* فكيف بلوغ الشكر الا بمنه * وان طالت الايام واتصل العمر *
* فان مس بالسراء عم سرورها * وان مس بالضراء رادفها الاجر *
* وما منهما الا له فيه نعمة * تضيق به الاوهام والبر والبحر *

وقال الآخـــر :

* لك الحمد مولانا على كل نعمة * ومن جملة النعماء قولي لك الحمد *
* فلا حمد الا ان تمن بنعمة * تعاليت لا يقوى على حمدك العبد *

وقال الآخـــر :

* لك الحمد مولانا على ما هديتنا * ودينا دينا حنيفـا مطهـرا *
* واورثتنا بعد الجهالة حكمـة * وعلما مبينا للقلوب منورا *
* وكم نعمـة البستنيهـا جليلة * سـترت بها ذاعيلة فتسـترا *
* وكم كربة فـرجتها وعـظيمة * دفعت وكم يسرت ما قد تعمرا *

وقال الآخـــر :

* الهي لك الحمد الذي انت اصله * على نعم ما كنت قط لها أهلا *

وقال الآخـــر :

لك الحمد حمدا لا انتهاء لطوله * عـلى منن اوليتها فـاولت *

وعن ابن عباس : الشكور من يشكر على احواله كلها .

قال ابن عطاء الله : من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن

شكرها فقد قيدها بعقالها وفي الحكم الفاروقية (لا تغفل عن شكر الصنائع وسرعة استرجاع الودائع) وفيها (ياميتا نشر من قبل العدم بحكم الجود والكرم لا تنس سوالف العهود والذمم اذكر أعهد الايجاد وذمة الاحسان والأرفاد وحال الاصداه والايراد وفاتحة المدار وخاتمة المعاد) وفيها (يا دائم الغفلة عن عظمة ربه امعن النظر في عجائب صنعه والتفكر في غرائب حكمته اين شكر ما افاض عليك من ملابس احسانه ونعمه يا ذا الفطنة اغتنم نعمة المهلة وفرصة المكنة وخلسة السلامة قبل حلول الحسرة والندامة) .

وسمع عمر ـ رضي الله عنه ـ رجلا يقول : اللهم اجعلني من القليل فقال عمر : ما هذا الدعاء فقال الرجل : اني سمعت الله يقول وقليل من عبادي الشكور فأنا اريد ان يجعلني من ذلك القليل فقال عمر : كل الناس اعلم من عمر .

﴿فلما قضينا﴾ انزلنا .

﴿عليه﴾ على سليمان .

﴿الموت ما دلهم﴾ اي ماد الجن وقيل الانس والجن .

﴿على موته إلا دابة الارض﴾ هو مصدر أرضت الخشبة بالبناء للمفعول اي اكلتها الدابة التي تأكلها فاضافة دابة إليه لانه فعلها وليس الارض هو الارض التي يمشى عليها والدابة هي الارضة بفتح الهمزة والراء وقد نسكن الراء لا تضم الهمزة واسكان الراء ويقال لها السرقة وهي التي تأكل الخشب وقرىء ﴿فلما قضى عليه الموت﴾ اي قضى الله وقرىء ﴿الا دابة الارض﴾ بفتح الراء وهو مطاوعة الخشبة لتلك الدابة المسماة بالارضة بالتاء اعني تأثرها بها يقال أكلت الارضة الخشبة ارضا

فارضت الخشبة ارضا كما يقال أكلت الدودة الاسنان أكلا فأكلت الاسنان أكلا .

﴿تأكل منساته﴾ بألف خالصة بدل من همزة في قراءة نافع وابي عمرو ، وقرأ ابن ذكوان بهمزة ساكنة والباقون بهمزة مفتوحة وحمزة اذا وقف جعلها بين بين على اصله وقرىء ﴿منسأته﴾ بألف فهمزة كما يقال ميضأة وميضاءة بهمزة بعد الف وتركها وهي الموضع الذي يتوضى فيه والمراد العصا لانه ينسائها اي يطرد ويزجر بها ونسأت البعير طردته واخرته وقرىء بفتح الميم وتخفيف الهمزة بقلبها الفا وحذفها وبكسر الميم وحذف الالف فتتصل السين بالتاء وقرىء ﴿منساته﴾، على ان من حرف جر وساءة مجرور وهي طرف العصا .

قال جار الله : سميت بساءة القوس على الاستعارة وفيها لغتان كقولهم قحة وقمة انتهى .

قال الاستاذ قدس الله سره : فلان عربي قح اي محض وعربيته قحة اي محضة وكل محض خالص فهو قح ورجل قح جاف لئيم كأنه خالص في اباه واللئوم وقح عظيم الكرم ولغتا القحة بضم القاف وكسرها وفي القاموس (وقول الفراء يجوز يعني في الاية من ساته بفصل من على أنه حرف جر والساة لغة في سية القوس فيه بعد وتعجرف .

وذكر جار الله ان تخفف المنسأة بقلب الهمزة الف وبحذفها ليس بقياس وان القياس في التخفيف اخراج الهمزة بين بين وانه قرىء ﴿اكلت منساته﴾ وجملة تأكل او أكلت حال .

﴿فلما خر﴾ ميتا او وقع للارض بانكسار العصا لاكل الارضة إياها وكان متكئا عليها .

﴿تبينت الجن﴾ علمت واصله العلم بعد بحث وتطلع يقال تبين زيد الامر اي علمه بعد تشوف له .

﴿ان﴾ مخففة واسمها ضمير الشان .

﴿لو﴾ حرف امتناع .

﴿كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين﴾ وكل ذلك خبر لان ويقدر المصدر منه ويضاف اليه

اسم دال على السلب يكون هذا المضاف مفعولا به لتبين اي تبينت الحق عدم لبثهم في العذاب المهين لو كانوا يعلمون الغيب ، ويجوز ان يكون تبينت بمعنى انكشفت وظهرت والاسم الدال على السلب بدل اشتمال من الجن .

قال ابن هشام : قالت جماعة : في الآية حذف مضافين اي علمت ضعفاء الجن ان لو كان روساءهم ، وهنا معنى حسن الا ان فيه حذف مضافين لم يظهر الدليل عليهما والاولى ان نبين بمعنى وضح وان وصلتها بدل اشتمال من الجن انتهى .

وقرأ أبي ﴿تبيت الإنس ان لو كانوا﴾ اي ان لو كان الجن .

وقرأ الضحاك (تباينت الانس) اي تفارقت على ان لو كان الجن الخ واعلم بعضهم بعضا ان لو كان الجن الخ .

وقرأ ابن مسعود ﴿تبينت الانس ان الجن لو كانوا﴾ ، وقرأ يعقوب ﴿تبينت الجن﴾ بالبناء للمفعول لان المبين في المعنى هو البدل لو على ان المعنى اعلمتهم الانس بان لو كانوا الخ ، والمهين الموقع في الهوان والذل وكانت الضعفاء من الانس والجن يصدقون من ادعى علم الغيب من الجن وبعض الجن والإنس التبس عليهم الامر والذين يدعون الغيب

هم كبار الجن وربما ادعاء غيرهم فذكر الله سبحانه وتعالى انه يتبين الجن والانس ان من يدعي الغيب من الجن كاذب وانهم لو علمواالغيب مالبثوا في العذاب المهين يظنون ان سليمان حي وما بينهم وبينه الإ زجاج شفاف وهلا علموا بموته فيتركوا الخدمة وهي المراد بالعذاب المهين ، وان قيل : المراد بالجن من يدعي الغيب منهم جاز التفسير المذكور وجاز التفسير للتهكم بهم وذلك انهم ولو ادعوا الغيب قد علموا انهم كاذبون كما نتهكم بمدعي الباطل اذا دحضت حجة فتقول له هل تبين انك مبطل وانت تعلم انه لم يزل لذلك متبينا .

وقيل : الجن جمهور الجن والخدمة منهم والضمير لكبراءهم وهم الذين يدعون علم الغيب لاتباعهم من الجن والانس .

روي انه كان من عادة سليمان ان يعتكف في مسجد ببيت المقدس المدد الطوال السنة والسنتين والشهر والشهرين واقل واكثر ومعه طعامه وشرابه .

قال ابن مسعود وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : ان سليمان عليه السلام لما احس بقرب أجله جد في العبادة وجاءه ملك الموت واخبره انه امر بقبض روحه وانه لم يبق له الا مدة يسيرة .

وروي : انه لما دنا اجله لم يصبح الا راى في محراب بيت المقدس شجرة نابتة قد انطقها الله فيسألها مااسمك فتقول كذا ويقول لأي شيء انت ؟ ، فتقول لكذا ويغرسها ويكتب ما يداوي بها حتى اصبح ذات يوم فرأى الخروبة فسألها فقالت : نبتت الخراب هذا المسجد فقال : ما كان الله ليخربه وانا حي انت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها في حائط له ثم قال : اللهم اعمِ على الجن

موتي حتى يعلم الناس ان الجن لا يعلمون الغيب ويتمموا بناء بيتك وكان مبنيا في موضع قسطاط موسى وكانوا يخبرون الانس انهم يعلمون من الغيب اشياء ويعلمون ما في غد وذلك انهم يسترقون السمع ويموهون على الناس وقال لملك الموت : اذا أمرت بي فاعلمني فقال : أمرت بك وقد بقيت من عمرك ساعة فدعى الشياطين فبنوا عليه صرحا من زجاج لا باب له فقام يصلي متكيا على عصاه فمات قائما ، وقيل : كان في الصرح كوي بين يديه ومن خلفه ودام قائما ميتاً متكياً على العصا بحيث يتماسك ولا يقع وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه اينما صلى فلم يكن شيطان ينظر اليه في صلاته الا احترق وبقيت الجن تعمل الاعمال الشاقة التي تعمل في حياته عاما كاملا وينظرون اليه يحسوبه حيا ولا ينكرون احتباسه عن الناس لطول صلاته وانقطاعه عن الناس المدد الطوال قبل ذلك حتى اكلت الأرضة عصاه فانكسرت فوقع فعلموا بموته .

قال ابن عباس : فشكرت الجن الارضة وقالوا لها : لو كنت تأكلين لاتيناك بأطيب الطعام والشراب ولكن سننقل اليك الماء والطين فهم ينقلون ذلك اليها حيث كانت شكراً لها في جوف الخشب .

وروي : انه مر به شيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظره فاذا هو ملقي على الارض إلقاء الميت وكان ذلك بسبب إنكسار العصاء به لأكل الأرضة فالدليل الارضة فلا يرد على هذا القول ان الله سبحانه اخبرنا انه ما دلهم على موته الا دابة الارض وايضاً يحتمل على بعد ان يكون المعنى ما دلهم على مدة موته إلا دابة الارض كما روي انهم بعد ذلك فتحوا عليه وتيقنوا موته وكان موته فجأة وأرادوا أن يعرفوا

وقت موته فوضعوا الارضة التي وجدوها أكلت العصا على العصا يوما وليلة فراوا ما اكلت وحسبوا ذلك لنحو فوجده قد مات منذ سنة وكان عمره ثلاث وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وبقي في ملكه اربعين سنة .

قيل : وكان بقاءهم في العذاب المهين عاما عوضا عن الاربعين يوماً التي تلف عنه خاتمه فيها ، وفي رواية : ان سليمان عليه السلام قال ذات يوم لأصحابه : قد أتاني الله من الملك ما ترون ما مر علي يوم في ملكي بحيث صفا لي من الكدر وقد احببت ان يكون لي يوم واحد يصفو لي الى الليل ولا أغنم فيه ولكن ذلك اليوم غد فدخل قصره في الغد واغلق أبوابها ومنع الناس من الدخول عليه ورفع الأحبار اليه أملاً يسمع شيئاً ثم اخذ عصاه بيده وصعد فوق قصره واتكأ عليها فنظر في مملكته اذ نظر الى شاب حسن الوجه عليه ثياب بيض خرج عليه من جانب القصر فقال : السلام عليك يا نبي الله فقال : وعليك السلام كيف دخلت هذا القصر وقد منعت من دخوله ؟ ، اما منعك الحجاب والبواب ؟ ، ما هبتني حيث دخلت قصري بغير أذني ؟ فقال : الذي لا يحجبني حاجب ولا يدفعني بواب ولا أهاب الملوك ولا اقبل الرشا وما كنت ادخل هذا القصر بغير اذن فقال سليمان عليه السلام : فمن أذن لك في دخوله؟ فقال : فارتعد سليمان عليه السلام وعلم انه ملك الموت فقال له : انت ملك الموت ؟ فقال : نعم قال : فلم جئت ؟ قال : جيئت لأقبض روحك .

قال : يا ملك الموت هذا يوم أردت ان يصفو لي ولا أسمع فيه ما يغمني .

قال : انك اردت يوماً يصفو لك فيه عيشك حتى لا تغنم فيه وذلك اليوم لم يخلق في الدنيا فارض بقضاء ربك فإنه لا مرد له .

قال : فامض لما أمرت به . فقبض ملك الموت روحه وهو منتكيء على عصاه .

وروى : انه لما رد اليه ملكه بعد نزعه عنه استعمل الشياطين في عمل المحاريب والتماثيل والجفان والقدور وغير ذلك وحمل الحجارة الثقيلة فجاءهم ابليس فقال : كيف انتم ؟ فقالوا : ما لنا طاقة لما نحن فيه .

قال : تذهبون حاملين وترجعون فراغا ؟ قالوا : نعم .

قال : فأنتم في راحة ، فابلغت له الريح ذلك فأمرهم بالحمل ذاهبين وراجعين فقال لهم ابليس : تنامون بالليل ؟ قالوا : نعم .

قال : فأنتم في راحة ، فأبلغت اليه الريح ذلك فأمرهم بالعمل ليلاً ونهاراً فشكوا الى ابليس فقال لهم : أوقد فعلها ؟ قالوا : نعم .

قال : فتوقعوا الفرج فقد بلغ الامر منتهاءً فما لبثوا الا يسيرا .

﴿لقد كان لسبأ﴾ هم أولاد سبأ بن يشحب بن يعرب بن قحطان سميت أولاده بإسمه وصرف الاعتبار الاولاد والقوم او نحو ذلك او لأن المراد به الأب فيقدر مضاف اي أولاد سبأ وفتح ابن كثير وابو عمر وهمرته منعاً من الصرف مراعاةً المعنى القبيلة وعن ابن كثير : قلب همزته ألفاً مع عدم التنوين رواه بعض تلاميذه ، ولعل ابن كثير أخرج الهمزة بين بين فتوهم هذا التلميذ انه أبدلها الفاً .

وقيل : سبأ لامرأة ملكتهم ، وقيل : إسم لبلدهم وسموا به ، وما ذكرته اولاً هو قول الجمهور .

قال فروة ابن مسيك : نزل في سبا ما نزل فقال رجل : يا رسول الله وما سبأ أرض او امرأة ؟ .

قال : ليس بأرض ولا امرأة ولكنه رجل ولد عشرة من العرب تيامن منه ستة الازد والاشعريون وحمير وكندة ومدحج وانمار .

قال رجل : وما انمار يا رسول الله ؟ .

قال : الذين منهم ختعم وبجيلة وتشاءم منهم اربعة لخم وجذام وغسان وعاملة ، وفي القاموس : وسبأ كجبل ويمنع بلدة بلقيس ولقب انب بشخب بن يعرب واسمه عبد شمس بجميع قبايل اليمن عامة انتهى . وقوله يمنع معناه صرفه .

﴿في مساكنهم﴾ جمع مسكن وهي باليمن ويقال لها مارب بينها وبين صنعا ثلاثة ايام وقراء حمزة وحفص في مسكنهم بفتح الكاف والافراد وكذا قراء الكسائي بالافراد لكن يكسر الكاف على خلاف القياس لان مضارعه مضموم العين وقياس اسم المكان كالزمان والمصدر فتح العين اذا فتحت في المضارع او ضمت ومسكنهم بلدهم او مسكن كل واحد منهم .

﴿آية﴾ علامة تدل على وجود الصانع المختار وانه قادر على ما بداه من الامور العجيبة مثيب معاقب اخذه بعضد الاية التي اظهرها على يد داود والتي ظهرها على يد سليمان عليهما السلام .

﴿جنتان﴾ بدل آية او خبر لمحذوف اي هي جنتان ويدل له قراءة جنتين بالنصب على المفعولية لمحذوف على المدح وانما جعل الجنتين آية باعتبار قصتهما واعراض اهلهما عن الشكر عليهما وليس المراد بهما بستانين فقط بل جماعتان من البساتين .

﴿عن يمين﴾ جماعة عن يمين بلدهم .

﴿وشمال﴾ اي وجماعة عن شماله كل واحدة من الجماعتين في تقاربهما وتضامهما كانهما جنة واحدة ويعتبر يمين بلدهم حين الخروج منه وقيل المراد يمين وادبهم وشماله كان لهم واذا حاطت به الجنتان ويحتمل ان يكون المراد بستاني كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله .

﴿كلوا من رزق ربكم واشكروا له﴾ اي قيل لهم كلوا او قلنا لهم كلوا او قال لهم انبياءهم كلوا او قال لهم لسان الحال او هم احقاء ان يقال لهم ذلك والمراد بالرزق ثمر الجنتين والهاء في له عائدة الى الرب سبحانه وتعالى .

﴿بلدة﴾ اي بلدتكم بلدة .

﴿طيبة﴾ ثمرة ليست بسيخة لا بعوض فيها ولا قملة ولا برغوث ولا ذباب ولا حية ولا عقرب ولا شيء من الهوام ويجيء الرجل من غيرها بقمل في ثوبه فيموت لكون هواها طيبا وكانت اخصب البلاد واطيبها الاتصيبا الافة من نحو جراد وفساد ثمار او غير ذلك .

قال ابن عباس تخرج المرأة على رأسها المكتل وتعمل بيدها شغلها كغزل وتسير بين الشجر فيمتلى بما يتساقط من الثمار من غير ان تجنيها .

﴿ورب﴾ اي وربكم رب او وهو رب .

﴿غفور﴾ لذنوب من يشكره وقرى بنصب بلدة طيبة ورب غفور على المدح او على ان بلدة مفعول لا شكروا وله متعلق باشكروا كما في قراءة الرفع وفي الوجه الاول من النصب او حال من بلدة المنصوب وقوله وربما غفورا على تقدير واشكرروا ربا غفورا والتنكير للتظغيم .

﴿فاعرضوا﴾ عن الفكر وكفروا وقالوا لانبياءهم لما ذكروهم بنعم

الله ادعوه ليجبها عنا .

﴿فارسلنا عليهم سيل العرم﴾ أي سيل الامر الصعب يقال عرم الرجل فهو عرم وعارم ساءت خلقه او سهل المطر الشديد او الفار نسب السيل للفار لانه ثقب السد الذي حبسه .

روي ان بلقيس ضربت لهم سدا مرصوصا بحجارة مركبة من جبل لاخر حبست به ماء الانهار والعيون وجعلت فيه كوي على مقدار ما يحتاجون اليه في صرف الماء لصقبهم او العرم جمع عرمه وهي الحجارة المركومة وكل مركوم عرمة وقيل العرم اسم واذ جاء السيل من قبله وكان ذلك بين سيدنا عيسى وسيدنا محمد ﷺ .

وروي ان

وروي ان الله بعث اليهم ثلاثة عشر نبيا يدعونهم إلى الله ويذكرونهم نعمته عليهم فكذبوهم فقالوا ما نعرف لله نعمة فسلط الله عليهم فارا يسمى الخلد خرب سدهم من أسلفه فاغرقوا هم واموالهم وكان من صخر وقار قيل كانوا قبل ذلك يقتتلون على ماء واديهم فحبسته بلقيس بين الجبلين وجعل له ثلاثة ابواب بعضها فوق بعض وبنت دونه بركة وجعلت فيه اثني عشر مخرجا على عدة انهارهم يفتحونها اذا احتاجوا إلى الماء ويسدونها اذا استغنوا فاذا جاء المطر اجتمع اليهم ماء اودية اليمن واحتبس وراء السد فتأمر بفتح الاعلى فيجري ماءه إلى البركة ثم يسقون من الباب الثاني تحته ثم من الثالث الاسفل فلا ينفذ حتى يجيء ماء السنة الاخرى .

قال وهب : وجدوا في علمهم فيما زعموا ان تخرب سدهم فارة فلم يتركوا فرجة بين حجرين الا ربطوا عندها هرة وجاء فارة حمراء كبيرة الى

هرة منهن فتأخرت الهرة فدخلت الفارة في الفرجة فأوهنت السد للسيل وهم يعلمون ولما جاء السيل وجد خلالا فابتلع السد واغرقهم واموالهم وادخل الرمل بيوتهم فتفرق من لم يمت وقيل ما غرق الا قليل منهم والعرب تضرب المثل بتفرقهم تقول تفرقوا ايادي سبأ وذهبوا أيدي سبأ اي تفرقا مثل تفرق أولاد سبأ .

وقيل : سيل العرم سيل الامر الشديد وكان من ماء أحمر أرسله الله عليهم من حيث شاء وذكر بعضهم : ان ذلك السد كان اخر الوادي وجنتهم تشرب من فيضه وكانت بجنبه وان بانيه بلقيس وقيل حمير ابو القبائل اليمنية وان الله سبحانه بعث اليهم جرذا وهو نوع من الفار وكان اعمى وأنه توالد في السد وخرقه شيئا بعد شيء وان الماء اهلك كثيرا ممن لم يمكنه الفرار وان ابن عباس فسر العرم بالشديد وان عياضا قال : كأنه صفة للسيل وان الاضافة الى الصفة مبالغة وانها كثيرة وذكر بعضهم ان ذلك السد رد الماء نحو فرسخين وان الله سبحانه بعث اليهم اثنى عشر نبيا فكذبوهم وان ماء السد اهلكهم جميعا الا شيخا وامرأة كاهنة وحمارة وان الكاهنة اخبرت الحاكم عليهم واسمه عمر وان الجرذان تهدم السد ويهلك الماء البلد فارحلوا قبل نزول البلاء فسار الى السد ونظر فبينما هو ينظر اذ راى الجرذان تثقب السد ورأى مقدمها جرذا احمر كبيرا قد رمى بحجر من السد في الماء لا يرفعه مائة رجل فقال ان الكاهنة صادقة واخبر اهله وامرهم بكتم الامر ثم قام الى مجلس حكمه والتفت الى ابن عم له كان قد اطلعه على الامر وقال له اريد منك ان تلطمني في مجلس الحكم بين العرب واعطيك كذا وكذا فلطمه فقام عمر وقال : اني لا اسكن التي الطم فيها من يشتري مالي من ارض واشجار

ودور ؟ فابوا عليه الذهاب فصمم فاشتروها بأغلا ثمن ورحل الى بعض بلاد اليمن وما مضى بعده شهر الا وقد انفتح السد وغرقت الارض وذكر بعضهم ان تلك الدابة التي خربت السد ليس لها عينان ولها نابان تحفر بهما .

﴿وبدلناهم بجنتيهم﴾ تثنية جنة وهما الجنتان المذكورتان .

﴿جنتين﴾ حقيرتين .

﴿ذواتي أكل﴾ بضم ياء التثنية نقلا من همزة اكل وغير ورش يسكن الياء ويضم همزة اكل ويثبتها والاكل بضم الهمزة ما يؤكل واسكان الكاف قراءة نافع وابن كثير وضمها غيرهما .

﴿خمط﴾ اي مر بشيع وبالنظر لهذا المعنى صح أن يكون نعتا ولك أن تقول هو بدل أو بيان من أكل على حذف مضاف اي ذواتي اكل اكل خمط واضاف ابو عمروا اكل لخمط .

قال ابن عباس : الخمط شجر الاراك .

وقيل : كل شجرة لهاشوك وثمرها كريه الطعم بمرارته وحموضته او غير ذلك فهي خمط .

وقال ابو عبيدة : كل شجرة ذات شوك وقال الزجاج : كل نبت أخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله وقيل شجرة يقال لها فسوة الظبع على صورة الخشخاش .

﴿واثل﴾ شجر يشبه الطرفاء لكنه اعظم منه وقيل نوع من الطرفاء ولا ثمر له فهو معطوف على اكل لا على خمط .

﴿وشي﴾ عطف على اثل او اكل ولا يمنع من ذلك كونه له ثمر ويجوز عطفه على خمط .

﴿من سدر قليل﴾ وصف السدر وهو شجر النبق بالقلة لان ثمره وهو النبق طيب حتى انه قد يغرس في الاجنة فكأنه قيل ما أعطيناهم مما هو طيب بعض طيب الا قليلا اشار الى بعض ما ذكره الحسن وتسميت البدل جنتين للمشاكلة وفيها ضرب من التهكم فان ذلك لا يكون قيمة للجنتين اللتين عن يمين وشمال ولا يقرب القيمة بعض قرب ظاهر التبديل ان بعضهم بقي في تلك الارض او معظمهم ومن قال هلكوا كلهم الا رجلا وامرأة فمعنى التبديل عنه ازالة الجنتين الطيبتين وجعل هاتين الجنتين الحقيرتين بدلهما بدون ان ينتفع به وهو خلاف ما مر الرمز اليه عن الحسن من انه قلل السدر لانه اكرم ما بدلوا وقرىء ﴿اثلا وشيئا﴾ بالنصب عطفا على جنتين .

﴿ذلك﴾ التبديل هو مفعول مطلق للفعل بعده من قوله .

﴿جزيناهم﴾ وقدم التعظيم لا للحصر او هو مفعول به او منصوب على نزع الخافض او مبتدأ محذوف الرابط اي جزيناهم اياه وهذه الاوجه على ان الاشارة المذكورة من الخمط والاثل والشيء القليل من السدر لا للتبديل .

﴿بما كفروا﴾ سبب كفرهم النعمة وبالرسل .

﴿وهل نجازي﴾ بمثل ذلك .

﴿إلا الكفور﴾ الا المبالغ في كفران النعم او الكفر بالرسل والجزاء هنا خاص بالكافر وهو العقاب وليس من الجزاء الذي هو بمعنى المكافأة على الفعل سواء كان خيرا لفاعل الاحسان او شرا ؟؟؟؟ والجزاء الذي يجازي به الكفور عذاب الاخرة وهو نظير ذلك الجزاء في ان كلا منهما مؤلم كأنه قيل لا يعاقب بمثل ذلك الا الكفور لانه ان عمل حسنة فقد

احبطت واما المؤمن فتكفر سئاته بحسناته فيجوز ان يراد بالمجازاة مطلق العقاب والآية من باب التذييل الذي لم يخرج مخرج المثل وهو تعقيب الجملة بجملة مشتملة على معناها غير مستقلة بافادة المراد بل تتوقف على ما مثلها ان قلنا المراد هل يجازي ذلك الجزء لمن بالغ في العناد والكفر ويجوز ان تكون من التذييل الذي خرج مخرج المثل وهو كالاول الا ان الجملة الثانية تكون مستقلة كلية جارية مجرى المثل في كثرة الاستعمال وذلك اذا قلنا المراد بالمجازاة مطلق المعاقبة او اريد بالكفور العامل لكن عبر عنه بالكفور ليطابق قوله ﴿**الذين كفروا**﴾ وهذا ان اريد ايضا بالمجازاة مطلق المعاقبة وقرىء ﴿وهل يجزي﴾ باسكان الجيم والبناء للمفعول وقرىء ﴿وهل يجازي﴾ بالتحتية على ان الضمير لله ونصب الكفور، وقرىء ﴿هل يجزى﴾ كذلك لكن باسكان الجيم وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص ﴿نجازي﴾ بالنون ونصب الكفور .

﴿**وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها**﴾ على اهلها بالماء والشجروهي قرى الشام التي يسيرون اليها بالتجارة .

﴿**قرى ظاهرة**﴾ ترى كل واحدة من التي تليها او ظاهرة لمن يمشي في الطريق لا تخفى عنه يقيل في قرية ويبيت في اخرى حتى يصل الشام ولا يحتاج الى حمل زاد وكانت اربعة الاف وسبعمائة قرية متصلة من سبأ الى الشام لا يحملون طعاما ولا شرابا ولا يخافون عدوا وقيل معنى كونها ظاهرة ظهورها للعين لكونها في الاكام وهي افضل القرى .

وقال عياض الذي يظهر لي ان معنى ظاهرة خارجة عن المدن وهي عبارة عن القرى الصغار التي هي في ظواهر المدن .

﴿**وقدرنا فيها السير**﴾ يسيرون مقدار نصف يوم فيصلون قرية فيها

ماء وشجر وما يحتاجون ويبيتون في اخرى كذلك كما مر .
﴿سيروا﴾ اي قيل لهم سيروا او قلنا لهم سيروا او قال الله لهم سيروا او قال لهم لسان الحال سيروا .

﴿**فيها ليالي وإياما آمنين**﴾ من آفات السفر كخوف عدو وجوع وعطش وانقطاع اي سير ما فيها ليلا ونهارا لا يختلف عليكم الامر باختلاف الليل والنهار تأمنون فيها ليلا كما تأمنون نهارا وذلك مسيرة اربعة اشهر لو لقي الرجل قاتل ابيه لم يحركه او سيروا فيها آمنين وان سفركم مدة سفركم وامتدت اياما وليالي او سيروا فيها لياليكم وايامكم مدة اعماركم فمالكم فيها إلا الأمن وفي الموضعين ظرفية مجازية او بمعنى بين والضمير للقرى فيها .

﴿**فقالوا ربنا**﴾ اي ياربنا .

﴿**باعد بين أسفارنا**﴾ بطروا النعمة وملوا العافية وطلبوا مباعدة الاسفار كما استبدل بني اسرائيل الثوم والبصل بالمن والسلوى فأجاب الله دعاءهم فخرب جل القرى المتوسطة بينهم وبين الشام وانما طلبوا ذلك ليتطاولوا على الفقراء بركوب الرواحل في المفاوز وتزود الازواد وليتمتعوا طعام الحضر وثمار الجنان ويشتهوها وقرىء ﴿بعّد﴾ بتشديد العين مكسورة وقرىء ﴿يا ربنا﴾ والمعنى واحد وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام ويعقوب برفع ربنا على الابتداء وفتح عين باعد وداله ومعنى هذه القراءة فإنهم اشتكوا بعد مسايرهم مع أنها متقاربة حتى انهم لا يقيلون الا في بلد ولا يبتون الا في أخرى لفرط تنعمهم وترونههم حتى حسبوا ذلك بعد او مثل هذه القراءة قراءة من قرأ ﴿وربنا بعد﴾ برفع ربنا وتشديد عين بعد وفتحها وفتح الدال وقراءة من قرأ ﴿ربنا بعد﴾ بفتح

الباء على النداء وضم عين بعد وفتح داله على ان بين فاعل .
﴿وظلموا أنفسهم﴾ بالبطر والطغيان وعدم الاعتداء بالنعمة .
﴿فجعلناهم﴾ بالتفريق .
﴿أحاديث﴾ عبرة يتحدث بها بعدهم تعجبا يضرب بهم المثل في التفرق يقال تفرقوا ايدي سبا وتفرقوا ايادي سبا وذهبوا ايدي سبا اي تفرقا وذهابا كتفرق وذهاب نعم سبا واقوات سبا قال كثير أيادي سبا ؛ ياعزما كنت بعدكم . فلم يحل للعينين بعدك منظر .
وفي الاية مبالغة بتصير احاديث لكثرة ما يتحدث الناس بتفريقهم .
﴿ومزقناهم كل ممزق﴾ فاما غسان فلحقوا بالشام والازد لحقوا بعمان وجدام لحقوا بتهامة وانمار لحقوا بالمدينة والذي قدمها عمرو بن عامر وهو جد الاوس والخزرج قيل ولحق آل خزيمة بالعراق وزعم الثعالبي ان هذا التمزيق هو مامر في الحديث المروي عن قروة ان ستة تيامنوا واربعة تشاموا .
﴿إن في ذلك لآيات﴾ دلالات .
﴿لكل صبار﴾ على المعاصي وعلى الطاعات والمصائب .
﴿شكور﴾ لنعم الله وذلك صفة المؤمن يصبر على البلاء ويشكر على النعماء .
﴿ولقد صدق عليهم﴾ على اهل سبا وعلى الناس .
﴿ابليس ظنه﴾ منصوب على نزع الخافض اي في ظنه وبظنه قيل وظنه فعل ماض ومفعول نعت لمحذوف اي بظن ظنه ويرده انه انما يحذف المنعوت بجملة ان كان بعض مجرور بمن ويجوز أن يكون مفعولا به لصدق كما مر في صدق وعده ونحوه ، وكما يأتي وشدد الكوفيون

الدال فيكون ظنه مفعولا به اي حقو ظنه او وجده صادفا وقرى بالتشديد ورفع الظن ونصب ابليس اي وجده ظنه صادقا او جعله صادقا اذ لم يخالف مما في نفس الامر وبالتخفيف ورفع الظن ونصب ابليس أي قاله ظنه الصدق واخبره به وبالتخفيف ورفعها على ابدال الظن من ابليس بدل استعمال وذلك ان ابليس لعنه الله ظن فيهم ظنا اذ قال : ﴿ولا تجد اكثرهم شاكرين﴾

وقال لأغوينهم اجمعين وغير ذلك وجد ادم ضعيف العزم قد أصغى إلى وسوسته وراءه قبل ذلك اذ كان ممدودا بلا روح اجوف فعرف انه لا يتبالك فقال ان ذريته اضعف منه فظن بها اتباعه وقال لأضلنهم ولأغوينهم وظن ذلك عند اخبار الملائكة انه يجعل فيها من يفسد فيها او لعلمه انه تركب فيهم الشهوة والغضب او صدق ظنه على اهل سبأ لما رأى من انهاكهم في الشهوات .

﴿فاتبعوه الا فريقا﴾ نكره للتقليل .

﴿من المؤمنين﴾ من بيانية اي فريقا هم المؤمنون وقيل المؤمنون المقرون فمن للتبعيض والفريق من اتبع العمل الاقرار وعلى ان هاء عليهم لكفار سبأ وكذا واو اتبعوه يكون الاستثناء منقطعا اي لكن مؤمنوهم لم يتبعوه .

﴿وما كان له عليهم من سلطان﴾ تسلط بوسوسة اي مكان له ذلك .

﴿الا لنعلم﴾ أي ليظهر علمنا السابق في الازل .

﴿من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك﴾ او لنعلم ذلك علما نحتج به عليهم في الجزاء وهذا العلم ايضا ازلي وكل علم لله فهو ازلي ولكن

المراد لنتصف عندهم بهذا العلم ولو اكتفينا بالأزلي لقالوا لو امرتنا لاطعنا ونهيتنا لانتهينا واذا امرهم ونهاهم ولم يمتثلوا اتضح ان يقول امرتكم ونهيتكم فلم يمتثلوا وقد علمتكم وميزتكم ممن امتثل فلا يجدون الا الاذعان لهذا العلم الذي قاله او المراد من حصول العلم متعلقه الذي هو تمييز المؤمن من اشراك او ايمان من قدر ايمانه وشك من قدر شكه وقرىء ليعلم بالتحية والبناء للمفعول وظاهر تفسير الحسن بقوله والله ما كان له سيف ولا وسوط ولكن استمالهم فمالوا بتزينيه ان الكلام تم في قوله سلطان وان قوله الا لنعلم ليس ايجابا لذلك متصلا به بل هو منقطع ولعل الاتيان بجملة الايمان فعليه مضارعه عندي على التحدد المستمر فان الايمان يتزايد ويتناقص فأتى بذلك ليدل على تحدده اعني تزايده وفي الاتيان بجملة الشك اسمية لدلالة على ثبات شكلهم واستحكامه وعدم تزلزله الى تركه بالكليه او الجحود بالكلية .

﴿وربك على كل شيء حفيظ﴾ اي حافظ والحفظ هناالمراقبة او عدم التضييع .

﴿قل﴾ يا محمد لكفار مكة .

﴿ادعوا الذين زعمتم﴾ انهم آلهة من ملك وصنم وكوكب .

﴿من دون الله﴾ ليكشفوا عنكم الضر النازل بكم من الجوع في سنى الجوع فإن الآية نزلت في الجوع الذي اصاب قريشا وقيل ليكشف الضر عنكم مطلقا أي ضر كان .

﴿لا يملكون مثقال ذرة﴾ لا يملك الذين زعمتم وزن نملة صغيرة جدا من جلب نفع ولا دفع ضر لانفسهم فضلا عن غيرهم .

﴿في السموات ولا في الأرض﴾ ذكر السموات والأرض لأنهم

يعبدون الملائكة والنجوم وهي من السماء والأصنام وهي من الأرض ولأن أسباب الضر والنفع سماوية وأرضية وذكر ذلك تعميما عرفيا كما تقول لا اعطيك كذا ولو طلبته مني سبعين مرة وانت لا تعطيه ولو طلبه اكثر من ذلك والذي يظهر ان جملة لا يملكون إلى آخره اما مستأنفة لبيان حال آلهتهم من العجز واستئنافها في كلام الله الذي لم يسلط عليه القول او في كلام رسوله ﷺ فيسلط عليها القول وهذا كما تحكي بالقول جملا بعضها متصل وبعضها منقطع عن غيره واما حال من الذين على نوع من التهكم كما تقول لمن تتهكم عليه ادع هذا الصبي او الشيخ الهرم يقاتل عنك العدو او يقتل عنك الاسد .

﴿وما لهم﴾ للالهة .

﴿فيهما﴾ في الصنفين اللذين احدهما السموات والآخر الآرض .

﴿من شرك﴾ شركة ملك ولا خلق .

﴿وماله﴾ لله .

﴿منهم من ظهير﴾ معين على تدبير امرهما .

﴿ولا تنفع الشفاعة عنده﴾ عند الله .

﴿الا لمن اذن له﴾ ان يكون شافعا فحيئنذ تكون شفاعته نافعة وهؤلاء الذين زعمتم لم يأذن لهم في الشفاعة فضلا عن ان يشفعها فتنفع شفاعتهم فمن واقعة على من يكون شافعا واللام مثلها في قولك الكرم لزيد على انه المكرم بفتح الراء والمعنى لا تنفع الشفاعة اي لا تجلب خيرا الا لمن اذن الله ان يشفع له شافع فمن واقعة على المشفوع له واللام في قولك الكرم لزيد على انه المكرم بفتح الراء لا المكرم بكسرها ولا يأذن الله ان يشفع للمشركين وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي ببناء اذن

للمفعول .

﴿حتى اذا فزع﴾ بالبناء للمفعول والنائب المجرور بعده توصل اليه بالحرف وقرا ابن عامر ويعقوب بالبناء للفاعل وهو ضمير الله وحتى حرف ابتداء لإجازة (إذا) خلافا لبعض .

﴿عن قلوبهم﴾ كشف الفزع عنها بالاذن فيها والضمير للشافعين والمشفوعين اي يتوقفون وينتظرون خائفين وجلين حتى يكشف الفزع عنهم باذن في الشفاعة وليست حتى الابتدائية خارجة عن الغاية بالكلية بل فيها دلالة عليها وقد قرىء فرع بالتخفيف والبناء للفاعل وهو ضمير الله اي نفي الوجل عنها كقولك فزع الزاد اذا فزع وفزعته افزعته وقرأه فزع بالتخفيف والبناء للمفعول وقيل الضمير في قلوبهم للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنا .

﴿قالوا﴾ جواب اذا اي قال بعضهم لبعضهم استشارا .

﴿ماذا قال ربكم قالوا الحق﴾ اي قالوا قال الحق وهو القول الحق الذي هو الاذن في الشفاعة وقرىء بالرفع اي الذي قاله ربكم الحق فالانسب بالقراءة الاولى ان يجعل ماذا اسم استفهام مفعولا لقال وبالثانية ان يجعل ماذا مبتدأ وخبرا وقال ربكم صلة ذا اي ما الذي قاله ربكم .

﴿وهو العلي﴾ اي القاهر .

﴿الكبير﴾ أي العظيم الشأن لا كلام يومئذ ولا شفاعة لملك ولانبي الا باذنه .

وقال الشيخ هود في تفسير الآية : ان أهل السموات لم يسمعوا الوحي فيما بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم وذلك خمسمائة سنة

او ستمائة ولما بعث الله جبريل إلى محمد بالوحي سمع أهل السموات صوت الوحي كجز السلاسل على الصخور فصعقوا مخافة ان تكون الساعة ولما فرغ من الوحي انحدر جبريل جعل كلما مر بأهل سماء كشف عن قلوبهم فسأل كل أهل سماء من فوقهم ماذا قال ربكم فيقولون الحق من عند الحق وفي رواية يسأل أهل كل سماء بعضهم بعضا وكذا ذكره الخازن واقول لا يصح ذلك تفسير للاية لان هذا قبل القيامة والسياق السابق في الشفاعة والرواية عن ابن مسعود انهم يصعقون عند كل وحي حتى يمر بهم جبريل فيسألونه يقولون ماذا قال ربكم يا جبريل فيقول الحق وانهم يسمعون الوحي كصوت الاجراس الصلبة بعضها ببعض وصعقهم مخافة على انفسهم من غضب الله او مخافة من الساعة .

وكذلك روي عن ابي هريرة عن رسول الله ﷺ انه اذا قضي الله امرا في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعا لقوله كانه صلصلة على صفوان وهو الحجر الاملس فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير وليس ذلك منه ﷺ تفسيرا للاية بل حكاية لما تقول الملائكة .

وعن كعب ان اقرب الملائكة الى الله سبحانه وتعالى عن حلول الاماكن اسرافيل فاذا اراد الله امرا جاء اللوح حتى يكون فوق جهته فيرفع رأسه فينظر فاذا الامر مكتوب فينادي جبريل فيأتيه فيقول امرت بكذا وكذا فلا يهبط جبريل من سماء إلى سماء الا فزع اهلها مخافة الساعة حتى يقول جبريل الحق من الحق فيهبط على النبي فيوحيه وقد يقال على بعد ان تلك الروايات تفسير للاية على معنى من اين للاصنام الجمادات ان تكون شافعة ومن اين للملائكة ان تكون شافعة وشريكة له في

السموات وهذه حالها في الدنيا اجلالا لله عز وجل فكيف تشفع في الاخرة الا باذنه كانه قيل أمر الله عظيم حتى ان حال الملائكة كذا وكذا وقيل الآية عند الموت او افزع عن قلوب المشركين اي كشف الفزع عنها عند الموت قالت الملائكة ماذا قال ربكم في الدنيا لاقامة الحجة قالوا الحق فاقروا حين لا ينفعهم الاقرار .

﴿قل من يرزقكم من السموات﴾ بالمطر .

﴿والارض﴾ بالنبات وذلك تقرير لقوله لا يملكون الخ فلما لم يكن لهم جواب اذ لا يصح ان يقولوا ان الرازق غيره تعالى فانهم قد اقروا بذلك بقلوبهم ولكن لا ينطقون اذا سئلوا خوف الالزام والغلبة امر الله سبحانه نبيه بالجواب .

﴿قل الله﴾ اي الذي يرزقكم هو الله فكيف تعبدون سواه .

﴿وانا واياكم لعلى هدى او في ضلال مبين﴾ او في الموضعين للابهام .

وقال ابن هشام التي للابهام هي الاولى وحدها ووجه الشمني بان اعتبار الابهام في احداهما يغني عن اعتباره في الاخرى والاولى اولى بالاعتبار لسبقها والتحقيق ان الابهام معتبر فيهما معا والمعنى وان احد الفريقين منا ومنكم لثابت له احد الامرين كونه على هدى وكونه في ضلال مبين اخرج الكلام في صورة الاحتمال مع العلم بان من وجد الله المنفرد بالقدرة الذاتية والرزق وعبده فهو على هدى وان من عبد غيره ممن ليس كذلك فهو في ضلال مبين توطينا لنفوس المخاطبين ليكونوا اقبل لما يلقي اليهم إن التعريض اوصل بالمجادل الى الغرض وفل شوكة الخصم بالهويناء ومع كون او للابهام لا يخفي الرمز الى التعبير لاقتضاء التناسب

صرف ما بعد او الثانية لما بعد او الاول وصرف ما قبلها لما قبلها ولاقتضاه الترتيب ايضا ذلك وانما ادخل على الهدى علي وعلى ضلال في لان صاحب الحق كالراكب على جواد يركض حيث شاء وكمن صعد منارا ينظر حيث شاء ويطلع على ما شاء وصاحب الباطل كانه منغمس في بحر او مطمورة او ظلام لا يدري اين يتوجه ، وقيل التي للابهام هي الثانية لان الشرط تقدم كلام خبري وهو انما يتحقق بقوله لعلى هدى لان ما قبله ليس كلاما وقد يقال لعلى هدى أو في ضلال مبين خبر عن الاول وحذف خبرالثاني او بالعكس لانه لا يتعين كونه خبرا عنهما ان صلح لذلك وعلى كل وجه فالشرط موجود مع انه قد يمنع اشتراطه وقرأ ابي وانا او اياكم اما على هدى او في ضلال مبين وذكر القاضي ان في القول بان الآية على اللف والنشر نظرا قيل لان ذلك في العطف بالواو باجعل او هنا بمعنى الواو نادر شاذ قلت لا يختص ذلك بالواو كما قال وقد لا نسلم ان كون او بمعنى الواو هنا نادر شاذ .

﴿قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون﴾ لا يسألكم ربنا سؤال مؤاخذة ولا غيرها عما اجرمنا اذنبنا ولا يسألنا كذلك عما تعملون من الشرك والمعاصي وعن بعضهم المراد به بالاجرام الزلات التي لا يخلو منها مؤمن والصغاير لكن النبي لا يفعل الصغائر وقيل قد تصدر منه وكذا النبيون والظاهر أن المراد الكبائر اي لا تسألون عما اجرمنا لو اجرمنا وفي التعبير في جانبهم بالاجرام وفي جانب المشركين بالعمل ما هو ابلغ في الانصاف والتواضع تدريجا لهم الى الانصات للحق لعلهم يتأثرون به والآية منسوخة بآية السيف ان كان معناه المهادنة والمتادكة وما في الموضعين مصدرية او اسم موصول واقع على معنى الاجرام والعمل

او على المعمول فيكون اجرمنا مضمنا معنى عملنا .

﴿قل يجمع بيننا ربنا﴾ يوم القيامة .

﴿ثم يفتح بيننا﴾ يحكم بيننا .

﴿بالحق﴾ بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار والفتاح بمعنى القاضي

مشهور في لغة اليمن .

﴿وهو الفتاح﴾ القضاء فلا اقضي منه ولا مثله في الامور المنغلقة .

﴿العليم﴾ بما ينبغي ان يقضي به ولا اعلم منه ولا مثله .

﴿قل اروني﴾ اعلموني او بصروني .

﴿الذين الحقتم به﴾ بالله .

﴿شركاء﴾ في العبادة وهم الاصنام والنبي ﷺ رأهم وعرفهم ولكن امره الله ان يقول لهم أروني اياهم ليبكتهم بان يريهم الخطأ العظيم مشاهدة كيف تلحقون من لا يخلق ولا يرزق ولا يدفع عن نفسه ذبابا في العبادة بالقادر الخالق الرازق واروني امر من ارى الذي هو رباعي رأى الذي هو بمعنى علم المتعدي لواحد كعرف او بمعنى ابصر فمع الهمزة يتعدى لاثنين وشركاه حال من الذين اومن رابط الصلة المحذوف .

﴿كلا﴾ ردع لهم عن الاشراك بعد ابطال المقايسة كيف يقاس الجماد بمن يخلق ويرزق .

﴿بل﴾ ابطال لما يدعونه بعد ابطالين .

﴿هو﴾ اي ربكم او الله ولا ضمير بالاخبار عن لفظ الجلالة بلفظ الجلالة لان اللفظ الثاني مقرون بغيره وهو الوصف بالحكمة .

﴿الله﴾ خبره .

﴿العزيز الحكيم﴾ خبر ثان او نعت ويجوز كون هو ضمير شأن والله مبتدأ والعزيز خبر والحكيم خبر ثان او نعت والجملة خبر الشأن والكلام على الحصر اي لا يستحق العبادة من لا يوصف بالعزة والحكمة بل بالذلة وعدم القدرة على شيء الحكيم في تدبير الامر العالم بكل شيء فلا شريك له في ملكه .

﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾ الا رسالة كافة لهم عامة ، كفتهم عن ان يخرج واحد منهم عنها فكافة مفعول مطلق على حذف موصوف وتاءه للتأنيث وقال الزجاج كافة حال من الكاف والتاء للمبالغة كرجل رواية اي كثير الرواية وعليه ابن هشام اي عاما لهم بالرسالة او مانعا لهم من الكفر وقيل كافة حال من الناس بناء على جواز تقديم الحال عن صاحبها المجرور بحرف غير زايدة وهو مذهب الفارسي وابن جني وابن كيسان وابن برهان وابن ملكون .

قال ابو مالك وابو حيان : وهوالصحيح لوروده في الآية وغيرها ورد هذا الاعراب ابن هشام بان فيه تقديم الحال المحصورة وتعدي ارسل باللام وهو قليل الاول ممتنع والثاني خلال الاكثر ورد بن مالك مذهب الزجاج بان تاء المبالغة في غير صيغ المبالغة مقصورة على السماع وحمل كافة على رواية حمل على شاذ ونقل ابن الدهان ان كافة لا تستعمل الا حالا قيل ولا تستعمل الا لعاقل وعلى هذا فلا يكون مفعولا مطلقا لان فيه خروجا عن الحالية وقوعا على الرسالة وهي غير عاقلة لكي لا تسلم ذلك لانها قد استعملها عمر بن الخطاب مجرورة واقعة على غير عاقل كتب لبني كاكلة قد جعلت لبني كاكلة على كافة بيت مال المسلمين لكل عام مائتي مثقال ذهبا ابريزا كتبه عمر بن الخطاب وختمه كفى بالموت

واعظا يا عمر ، وهذا الخط موجود في بني كاكلة زمانا طويلا الا ان يقال هذا شاذ وما ذكره ابن هشام من لزوم تقديم الحال المحصورة قد يجاب عنه بجواز تقديمها لعدم اللبس مع انه قد يجعل المحصور ارساله المحصور فيه كونه للناس كافة وما ذكره من ان تعدى ارسل باللام قليل يجاب عنه بان التخريج على القليل الفصيح المقيس سايغ وشدد جارا له في جعل كافة حالا من الناس بأنه خطأ لان تقدم حال المجرور عليه كتقدم المجرور على الجار وان من جعله حالا ومن جعل اللام بمعنى الى فقد ارتكب خطأين ، والواضح انه لا خطأ في الثاني واعلم ان ارساله ﷺ الى جميع الناس من خصوصياته ولعل معنى ذلك ارسله الى من مضى ومن غير انس وجن والا فقد شاركه بعض الانبياء في الارسال الارسال الى غير الخاصة او لعل رسالته اعم لا يخرج عنها احد ممن في زمانه او بعده وغيره ولو ارسل الى الجميع لكن جميع من بلغه وارسل اليه كتابا او رسولا والا فغير مرسل اليه ولو سمع به وخص بالرعب مسيرة شهر نصره الله به ويجعل الارض مسجدا وطهورا فحيثما ادركته اوقات الصلاة صلوا ويحل الغنايم له ولأمته واعطاء الشفاعة العامة ثم رأيت في الحديث كان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة قالت العلما بعثه الله للاولين والاخرين والرسل انما هم نواب عنا .

﴿بشيرا ونذيرا﴾ مبشرا بالجنة لمن امن ومنذرا بالنار لمن كفر .

﴿ولكن اكثر الناس﴾ كفار مكة .

﴿لا يعلمون﴾ فحملهم جهلهم على مخالفة امر الله .

﴿ويقولون﴾ للنبي والمؤمنين على جهة انكار القيامة لفرط جهلهم .

﴿متى هذا الوعد﴾ الوعد بقيام الناس من قبورهم للاثابة بالجنة

والعقاب بالنار والوعد بمعنى الموعود به او يقدر مضاف اي متى محط هذا الوعد .

﴿ان كنتم صادقين﴾ فيه .

﴿قل﴾ يا محمد مجيبا عن نفسك وعن المؤمنين .

﴿لكم ميعاد يوم﴾ وعدم يوم فميعاد مصدر ميمي لكن على غير قياس لكسر ميمه وفتح عينه مع ان الفاء والواو زيادة الف وياء عن واو قلبت ياء لسكونها بعد كسرة او اسم زمان على غير قياس كذلك وعلى هذا فاضافته لليوم اضافة عام لخاص وحصل بها التبيين ويؤيد كونه اسم زمان قراءة بعضهم بتنوين ميعاد ورفع يوم على الابدال وقراءة بعض بتنوين ميعاد ونصب يوم على المفعولية لا عني اولا زيد ويجوز كون الرفع على الاخبار لمحذوف وجملة .

﴿لا تستأخرون عنه ساعة﴾ تعهد يوم .

﴿ولا تستقدمون﴾ عنه ساعة اذا فجأهم وذلك جواب سؤالهم الانكاري التعنتي وكان تهديدا ليطابقه .

﴿وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه﴾ ما تقدمه من الكتب الدالة على البعث ويروى أن كفار مكة سألوا اهل الكتاب فاخبروهم انهم يجدون صفة رسول الله ﷺ في كتبهم فاغضبهم ذلك وقرنها إلى القرآن جميع ما تقدمه من كتب الله في الكفر وقيل الذي بين يديه التوراة والانجيل وقيل القيامة ويجوز ان يراد بالذي بين يديه النبي ﷺ فعليه تكون الهاء والذي له ﷺ والضمير المستتر في الصلة للقرآن أي ولا بالذي ثبت القرآن بين يديه ولم يظهر الضمير لعدم اللبس وليس القرآن في الآية علما لوقوعه تابعا لاسم الاشارة بل بمعنى

المقر وكما لا تقول جاء ذلك الحارث فيمن اسمه الحارث .

﴿ولو ترى﴾ يا محمد وهذا اولى من رد الخطاب الى من يتأهل للروية .

﴿اذ الظالمون﴾ المشركون .

﴿موقوفون﴾ محبوسون .

﴿عند ربهم﴾ اي في موضع المحاسبة واذا استعملت في الاستقبال على خلاف اصل وضعها لان ذلك في يوم القيامة ولما يكن او استعملت في المضي واعتبر ان القيامة كانها قد كانت لانها لا بد منها .

﴿يرجع بعضهم الى بعض القول﴾ يتجابذون باطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم وجواب لو لرأيت العجب يقدر هنا او بعد قوله اندادا وعلى كل حال فقد بين مراجعة القول بينهم بقوله .

﴿يقول﴾ الخ وجملة يرجع بعضهم الى بعض القول حال من المستتر في ﴿موقوفون﴾ ويجوز ان تكون للتمنية كانه قيل تمن يا محمد ان ترى ذلك او لتمني على معنى ان لهم حالا عجبة من شانها أن تتمنى رؤيتها .

﴿الذين استضعفوا﴾ اعتقد ضعفهم او عدوا ضعفاء او صبروا ضعفاء هم كذلك والمراد بهم الاتباع فان التابع لك ضعيف ولو كان فيه بعض قوة اذ كان تابعا لا متبوعا .

﴿للذين استكبروا﴾ وهم الرؤساء .

﴿لولا انتم﴾ الخبر محذوف جواز الاية كون خاص اي لولا انتم مانعون لنا عن الايمان وان قدر مضاف كان الحذف واجبا لكون الخبر عاما حينئذ اي لولا منعكم ايانا عن الايمان موجود وقيل الخبر بعد لولا ابدا محذوف وجوبا .

﴿لكنا مؤمنين﴾ بالله ورسوله .

﴿قال الذين استكبروا﴾ هذا جواب مستأنف من غير المستضعفين ولذلك لم يقرن بالواو .

﴿للذين استضعفوا نحن صددناكم﴾ منعناكم .

﴿عن الهدى بعد اذ جاءكم﴾ الاستفهام انكاري واذ مضاف اليه .

﴿بل كنتم مجرمين﴾ كافرين باختياركم واتباع اهوائكم لابتزيننا ولذلك اتوا بجملة الانكار اسمية للتأكيد وقيل المعنى بل اجرتم بإيثار التقليد وتناسبه ايضا الجملة الاسمية الانكارية .

﴿وقال الذين استضعفوا﴾ جواب معطوف على الجواب الأول او على الثاني .

﴿للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار﴾ اضراب عن اضرابهم ومكر فاعل لمحذوف اي لم يكن اجرامنا هوالصاد لنا بل صدنا مكركم في الليل والنهار والمراد بذكرهما الدوام ما زلتم تمكرون بنا حتى اغويتمونا واضيف المكر اليهما اما للملابسة لوقوعه فيهما او على انها فاعلان للمكر فيكون من المجاز الحكمي واسند المكر اليهما لوقوعه فيهما وملابسته لهما ونطير الوجه الاول اضافة الضحى لضمير الشمس في عشية او ضحاها وهو ايضا مجاز والمكر خداعهم اياهم بالتزيين والامر بالكفر ويجوز كون مكر خبر المحذوف اي بل الصاد مكر الليل والنهار او سبب ذلك مكرهما او مبتدأ اي مكرهما صاد لو مكرهما سبب ذلك وقرىء بتنوين مكر ونصب الليل والنهار على الظرفية وقرىء بل مكر الليل والنهار وينصب مكر على المفعولية المطلقة وخفض ما بعده على الاضافة اي مكرتم مكر الليل والنهار وقيل معنى مكر الليل والنهار ومكرهما بطول السلامة

والامل فيهما .

﴿اذ﴾ بدل من الليل والنهار كذا زعم من زعم ويرده ان اذ لا يضاف اليه غير الزمان ولما ليل قد اضيف اليه المكر الا ان كان من الاغتفار في الثاني بل متعلق بمكر كقولك اعجبتني قراءة يوم الجمعة وقت الظهر او بتمكرون محذوف او بتصدوننا كذلك او تعليل وعلى قراءة عدم الاضافة يجوز ابداله من الليل والنهار .

﴿تأمروننا ان نكفر﴾ بأن نكفر .

﴿بالله ونجعل له اندادا﴾ شركاء .

﴿واسروا الندامة﴾ كتموها والواو للمستضعفين والمستكبرين والضلالة والاضلال مخافة التعبير او العنى اظهر والندامة فان افعل ياتي للسلب ويأتي للاثبات .

﴿لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال﴾ ما يربط به .

﴿في اعناق الذين كفروا﴾ المستضعفين والمستكبرين ولم يعبر بالضمير ليشعر بموجب الاغلال وهو الكفر .

﴿هل يجزون الا ما كانوا يعملون﴾ من كفر ومعصية وما منصوب على نزع الباء او مفعول ثان على تضمين تجزون معنى يعطون او نحوه مما يتعدى لاثنين وزعم بعض انه يتعدى لاثنين بلا تضمين ويتعدى لواحد .

﴿وما أرسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها﴾ رؤساها المتنعمون القليلو تعب النفس والبدن لأن تنعمهم واستكمال الشهوات داع الى التعظم والتكبر واهانة الفقير والتكذيب .

﴿إنا بما أرسلتم به﴾ الجمع نظر لمعنى نذير لوقوعه في سياق النفي او

على التوزيع وقد مر مثله .

﴿كافرون﴾ وهذه تسلية لرسول الله ﷺ على ما بلى به من قومه بان كل مرسل قد بلى بقومه .

﴿وقالوا نحن اكثر أموالا واولادا﴾ ممن آمن ولولا رضي الله علينا على ما نحن فيه لم يعطنا تلك الاموال والاولاد .

﴿ومانحن بمعذبين﴾ ولوكان يعذبنا لما عطانا ذلك ويجوز أن يريدوا انا كما كنا اكثر اموالا واولادا في الدنيا نكون اولى بالجنة او كانت ولسنا نعذب ويجوز ان يريدوا بقولهم ما نحن بمعذبين انه لا عذاب في الاخرة ولا بعث اصلا فذلك نفي للاخرة ويجوز ان يكون ولو قالوا لقريش او لمترفيهم ورد الله عليهم قوله .

﴿قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء﴾ امتحانا.

﴿ويقدر﴾ يضيفه على من يشاء امتحانا ويح ابن ادم ماخلق في الدنيا الا للامتحان فتوسيع الرزق وتقليله امتحان بمشيئته لا لكرامة الموسع عليه وهو ان المقلل عليه فترى الشخصين متماثلين في الأفعال والصفات وقد تخالفا توسيعا وتضييقا وقرىء يقدر بضم الياء وكسر الدال مشددة أي يجعل الرزق بمقدار ، واما البسط فكأنه جزاف والتشديد مبالغة في التضييق وكم ناس لا يصلح بهم الا الفقر الشديد ولا ينتبهون لذلك ولا يصلون إلى معرفته .

﴿ولكن اكثر الناس لا يعلمون﴾ ذلك فيظنون أن كثرة المال والولد لكرامة وانها ابدا خير من القلة .

﴿وما اموالكم ولا اولادكم بالتي﴾ بالجماعة التي وبالخصلة التي وقرأه

الحسن باللاتي لانها جماعات وقرىء بالذي اي بالشيء الذي ﴿تقربكم عندنا زلفى﴾ اسم مصدر الفه للتأنيث ومعناه قربى وهو مفعول مطلق نائب عن التقريب وعن الحسن عن رسول الله ﷺ ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم والى اعمالكم واعلم انه لا ينجو من اصحاب المال الا قليل .

وعن ابي ذر ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ الاكثرون هم الاقلون يوم القيامة اي الاكثر مالا قال الا من قال بالمال هكذا وهكذا واشار بيده لامامه وجنبه يعني فرقه بالصدقة وقليل ما هم .

وعن رسول الله ﷺ ان الشيطان قال لن ينجو مني الغني من احدى ثلاث اما ان زين له ماله فيمنعه من حقه واما ان اسهل له سهلة فينفقه في غير حقه واما ان احبه فيكسبه بغير حقه .

﴿الا من آمن وعمل صالحا﴾ هذا استثناء من كاف يقربكم اي الا المؤمن العامل الصالحات فإن ماله وولده يقربانه الينا لأدائه حق المال مع كسبه من حله وتربيته ولده على الشريعة والصلاح واستثناء من اموال واولاد على حذف مضاف اي الاموال واولاد من امن وعمل صالحا وقيل الاستثناء منقطع .

﴿فأولئك لهم جزاء الضعف﴾ الجزاء بمثلي الشيء وامثاله وقد صح ان من نوى عملا صالحا كتب له ومن عمله كتبت له بالحسنة عشر واكثر الى سبعمائة والتضعيف الى هذا نزل بالمدينة ونزل قبله بالعشر .

وعن ابن مسعود الحسنة واحدة قبلت عني احب الي من الدنيا وما فيها .

وعن سعيد بن جبير من كتب الله له حسنة دخل الجنة وانما يتقبل

الله من المتقين واضافة جزاء الى الضعف اضافة مصدر لمفعوله اي يجاوزن الضعف وقرىء بتنوين الجزاء ونصب الضعف على المفعولية وقرأ . يعقوب برفع الجزاء وتنوينه ورفع الضعف على ابداله من الجزاء على انه بمعنى المجازى به وقرىء بنصب جزاء منونا على انه تمييز على حد طاب نفسا زيدا وعلى الحال من ضمير الضعف في لهم المستتر فان الضعف في هذه القراءة مبتدأ خبره لهم او على المفعولية المطلقة لقوله لهم فان فيه معنى يجازون او ليجازون دل عليه لهم .

﴿بما عملوا وهم في الغرفات﴾ غرفات الجنة وقرأ حمزة في الغرفة بالافراد على الجنس .

﴿آمنون﴾ من الموت وكل خوف وضر ، وقرىء في الغرفات بالجمع وفتح الراء واسكانها ﴿والذين يسعون في آياتنا معاجزين﴾ يجتهدون في القرآن بالابطال والرد والطعن مقدرين انهم يعجزوننا ويفوتوننا او سابقين لانبيائنا في غلبتهم عما ارادوا بالصد عن الايمان .

﴿اولئك في العذاب محضرون﴾ كرها لا يتركون غائبين عنه .

﴿قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له﴾ أي لمن يشاء فالانسان الواحد تارة يبسط له وتارة يضيق عليه او الضمير لمن يشاء على طريق الاستخدام فيعود لمن يشاء التضيق عليه غير الذي أراد البسط له والوجه الاول اولى لئلا تتكرر هذه الاية مع ما مر وفي الوجه الثاني تكرير معه للتأكيد وعليه الشيخ هود .

﴿وما انفقتم من شيء﴾ حال من مفعول انفقتم أي وما أنفقتموه وان جعل ما مفعولا مقدما وهو اولى واصح كان قوله من شيء نعتا لما ولو اشتهر انما لا تكون منعوتة .

﴿فهو يخلفه﴾ لكم في الدنيا وفي الاخرة لكون الانفاق لوجه الله وكثيرا ما يكون الانفاق بغير نية الخير ولا الشر سببا للخلف في الدنيا وتارة ينفق الانسان بنية الخير ويخلف له في الاخرة فقط ومن الخلف عطاء القناعة فانها كنز لا ينفد .

وقال مجاهد المراد بهذا الخلف الخلف في الآخرة فلا ينفقن احدكم جميع ما بيده اعتمادا على الآية ويبقى طول عمره فقيرا يتكلف فينفق الانسان على قدر ماله ولا يجوز لاحد ان يعطي جميع ماله ويبقى سائلا فان فعل صح للمعطي وقيل يرد له كله وقيل ثلثاه وقيل لا اثم عليه ان يبقى له مالا يستغني عنه في الوقت وقيل ان بقي غداءه وعشاءه ولباسه ، وقيل قوت مقدار ما يستفيد فيه من السوق ان كان سوقيا وما يوصله لبلده ان كان مسافرا وما يوصل الى علة ان كان من أهل الاصل وأهل البادية على قدر ذلك .

وعن رسول الله ﷺ قال الله تعالى انفق ينفق عليك وفي رواية يا ابن آدم انفق انفق عليك .

وعن رسول الله ﷺ ما من يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان وفي رواية يطلعان مع الشمس فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ، وفي رواية عجل للمنفق خلفا والاخر ، اللهم اعط ممسكا تلفا .

وعن ابي كبشة الانصاري ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ ثلاث اقسم الله عليهن واحدثكم حديثا فاحفظوه ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة فصبر الا زاده الله عزا ولا فتح عبد بابا لمسألة الا فتح الله له باب فقر وما تواضع عبد الا رفعه الله ولما تلا رسول الله ﷺ الآية اذ نزلت جاء رجل بماله صدقة فقال ﷺ امسك

عليك شطره فهو خير لك .

﴿وهو خير الرازقين﴾ فان غيره ممن يجري الرزق على يده بان كان ينفق على غيره كولد وزوجة وقريب ولو كان رازقا لكن بمعنى جار الرزق على يده وهو من الله .

﴿ويوم نحشرهم﴾ أي واذكر يوم .

﴿جميعا﴾ المستضعفين والمستكبرين .

﴿ثم نقول للملائكة اهؤلاء إياكم﴾ بتحقيق همزة اياكم والتي قبلها وبابدال التي قبلها ياء وباسقاطها .

﴿كانوا يعبدون﴾ قد علم سبحانه ان الملائكة لم يريدوا تلك العبادة وانهم براء منها ولا سبب لهم فيها ولكن وجه اليهم الخطاب لينكروا تاهلهم للعبادة فيكون ذلك اشد تقريعا وتعييرا وتخيلا للكفار العابدين لهم فهذا وجه السؤال التقريري المذكور والجواب بقوله .

﴿قالوا سبحانك﴾ نزهناك عن ان نعبد معك .

﴿انت ولينا﴾ نواليك ونعبدك فكيف نكون معبودين .

﴿من دونهم﴾ أي لا ولاية بيننا وبينهم ولسنا براضين بعبادتهم لنا .

﴿بل﴾ للانتقال .

﴿كانوا يعبدون الجن﴾ الشياطين اذا طاعوهم في عبادة غير الله فهم ولو عبدونا لم نرض بعبادتهم في الحقيقة ليست لنا اذ لم نقبلها ولم نأمرهم بها فيكونوا مطيعين لأمرنا بل هي عبادة للجن اذ أمروهم بها ففعلوا وقيل كانت الجن تتمثل لهم وتتخيل انهم الملائكة فيعبدونهم وقيل صوروا لهم صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها وقيل يدخلون في اجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها وانما خاطب

الله الملائكة بذلك لانهم شرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم وادخل في الانكار للتأهل للعبادة ولو كان كل الشركاء التي هي الاصنام منكرة ولان عبادتهم بدء الشرك واصله وقرأ حفص بحشر ويقول بالتحية .

﴿اكثرهم﴾ اي كل المشركين واستعمال الاكثر بمعنى الكل سايغ في العربية او اكثر الانس فالاكثر على اصله .

﴿بهم﴾ بالجن .

﴿مؤمنون﴾ مصدقون لهم فيما يقولون فاليوم .

﴿فاليوم لا يملك بعضكم﴾ وهو المعبودون .

﴿لبعض﴾ وهو العابدون .

﴿نفعا ولا ضرا﴾ واليوم متعلق﴿يملك﴾والقول مقدر أي فيقال لا يملك اليوم الخ ، والمراد باليوم يوم القيامة ويجوز اذ لا يقدر القول فتجعل(ال)في اليوم المحصور كأن يوم القيامة حاصر لانه آت لا محالة وهويوم شديد لا ضار ولا نافع فيه الا الله ويوم ثواب وعقاب على الاعمال واما الدنيا فقد رأيت الناس يتضارون ويتنافعون .

﴿ونقول للذين ظلموا﴾ كفروا .

﴿ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون﴾ العطف على القول المقدر في قوله فاليوم وان لم يقدر فالعطف على لا يملك بعضكم او الواو للاستئناف وعلى كل حال فالاخبار بأنهم لا يملك بعضهم لبعض نفعا ولا ضرا تمهيدا يبقى الأمر لله فيامر بهم الى النار .

﴿واذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾واضحات وهي القرآن قالوا لهذا﴿ما هذا﴾ أي محمد ﷺ ﴿الا رجل يريد ان يصدكم عما كان﴾فيه ضمير عائد الى

ما ﴿يعبد آباؤكم﴾ اي يعبده ويجوز جعل كان تامة فالرابط للموصول هاء يعبده ويضعف جعل كان زائدة (ويعبده آباؤكم) صلة ما .

﴿وقالوا ما هذا﴾ أي القرآن .

﴿الا افك﴾ اي كذب .

﴿مفترى﴾ على الله .

﴿وقال الذين كفروا للحق﴾ وهو امر النبوة والاسلام والقرآن .

﴿لما جاءهم﴾ قالوا حين المجيء بعجلة من غير تأخير وتفكر وهذا امر عجيب ومنكر عظيم اذ واجهوا ما هو حق واضح كالشمس بالرد فجاءه وقصره على السحر كما قال ﴿ان هذا الا سحر مبين﴾ وتأكيد السحر بانه مبين وفي تكرير القول والتعبير بالظاهر وهم الذين المستدعي وصفهم بالكفر مثلا وذكر الحق بالاسم الظاهر تأكيد انكار وتعجب فانه كلما زادوا انكارا زاد الانكار عليهم والتعجب من حالهم ونسبة القرآن الى السحر باعتبار اللفظ فانه عزو إلى الكذب والافتراء باعتبار المعنى .

﴿وما آتيناهم﴾ أي المشركين .

﴿من كتب يدرسونها﴾ ويجدون فيها جواز الشرك وانك كاذب والقرآن سحر وقرىء بتشديد الراء للمبالغة او هو موافق للتخفيف وقري بتشديد الدال ابدالا لتاء الافتعال دالا وادغام الدال فيها .

﴿وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير﴾ يخبرهم بجواز الشرك وما ذكر فما ذلك الا اتباع لأهوائهم وتقليد فلا اجهل منهم ولا اسفه رأيا فهم اجهل واسفه من أهل الكتاب لانهم لا ربحوا ولا رأوا يوما ابيض يدعون إلى التوراة والانجيل والى نبيين عليهما السلام وكان ذلك شبهة تمسكوا بها لكن لا تنفعهم وقد حرفوا والنبيان امراهم باتباع هذا

النبي عليه السلام .

﴿وكذب الذين من قبلهم﴾ من الأمم السابقة رسلنا .

﴿وما بلغوا﴾ اي قريش .

﴿معشار﴾ عشر ﴿ما اتيناهم﴾ اي الذين من قبلهم من طول الاعمار وقوة الاجساد وكثرة الاموال .

ذكر ذلك ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وابن زيد ولم يأت مفعال الا من العشرة والاربعة .

﴿فكذبوا رسلي﴾ اليهم .

﴿فكيف كان نكير﴾ انكاري عليهم بالاهلاك أي هو عذاب عظيم ومع انهم طبق تكذيبهم فليحذر قريش ان يقع بهم مثله وهم قليلو عدد ومال وضعاف اجساد فماذا يرد عنهم عذابي وهذا بالنظر إلى ما يتوهمون وسبحان من اهلاك القوي والضعيف عنده سواء ولا تكرير بين كذب الاول والثاني فان الاول مطلق مفيد للتكثير والثاني مراد به التكذيب لا تأكيد ومقيد بالرسل لا مطلق ولذا عطف بالفاء التي يعطف بها المفصل على المجمل وياء نكيري حذفها في الوقت ورش .

﴿قل انما اعظكم بواحدة﴾ خصلة واحدة .

﴿ان تقوموا﴾ المصدر من هذا الفعل معرفة بالاضافة بدل من واحدة وعطف بيان بناء على جواز بناء النكرة بالمعرفة والنكرة بالنكرة ومفعول لمحذوف اي اريد او اعني او اخبر لمحذوف أي هي نظرا لقوله واحدة او هو نظرا لتذكيره الخبر .

﴿لله﴾ لاجل الله .

﴿مثنى﴾ متفرقين اثنين اثنين .

﴿وفرادى﴾ واحدا واحدا فان الازدحام يشوش الخاطر ويخلط القول ويوصل للمراء والتقليد والمراد ان تقوموا من مجلس رسول الله ﷺ او تنهضوا وتجدوا بالهمة في الامر لله معرضين عن الجدال والمتابعة .

﴿ثم تتفكروا﴾ في امر محمد وما جاء به ليتبين لكم الحق وقوله .

﴿ما بصاحبكم﴾ في محمد .

﴿من جنة﴾ جنون اما تعليل لقوله تتفكروا وما نافية وفي الكلام التفات وهو من جملة المقول أي لآية ليس بي جنة فالتفت عن التكلم الى الغيبة بوضع المظهر موضع المضمر فانكم قد علمتم اني العقل وامين فكيف لا تصدقوني ام كيف ادعي ما لا صحة له فافتضح على رؤوس الملأ ومع ذلك فمعي معجزات مصدقات لي وقوله .

﴿ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾ تابع له في الالتفات واما مستأنف من كلام الله غير داخل في القول ولا التفات فيه اي لا جنون به بل هو كمل عقلا كما قد علمتم بقلوبكم واذا لم يكن به جنون فكيف لا تصدقونه مع انه قد انضم الى كمال عقله دلائل على صحة قوله ومعجزات وهو قول ابي حاتم فالوقف على تتفكروا واما مفعول لمحذوف معطوف على تفكروا أي فتعلموا ما بصاحبكم من جنة فيكن فيه الالتفات المذكور ويكون من جملة للقول واما مفعول لنتفكر على ان ما نافية كما في الاوجه المذكورة كلها وتتفكروا يلوح الى العلم واما مفعول لتتفكروا على ان ما استفهامية مبتدأ مخبر عنها بقوله بصاحبكم وفي الوجهين الالتفات ومن صلة في المبتدأ المخبر عنه بقوله بصاحبكم في الاوجه كلها الا الاخير فبيان للمستر في بصاحبكم وهو ضمير الاستقرار

والاستفهام فيه انكاري اي ثم تتفكروا اي شيء به من ايثار الجنون لا اثر فيه من الجنون ومعنى كونه ﷺ بين يدي عذاب شديد انه قدم العذاب والعذاب متصل به خلفه قريب منهم وهو عذاب الاخرة ، قال ﷺ بعثت انا والساعة كهاتين مشيرا للوسطى والسبابة وقال بعثت في نسم الساعة في تنفسها والمراد اولها .

﴿قل ما سألتكم﴾ ما شرطية مفعول سالت على الانذار .

﴿من اجر﴾ ثواب وهو ان اتخذوا الى ربهم سبيلا او المودة في القربى .

﴿فهو لكم﴾ نفعه عائد عليكم ادبه تفوزون دنيا واخرى وذلك مثل قوله قل ما سألتكم علي من اجر ان شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وقوله قل ما اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى ويجوز ان يكون المراد نفي سؤال الأجر مع بقاء ما على الشرطية كقولك لانسان ما اعطيتني فخذه وانت تعلم لم يعطك شيئا وقيل ما موصولة زيدت الفاء في خبرها وقيل ما نافية أي ما سألتكم اجرا فانما الانذار نفع لكم والأجر الذي تدعونه أو تتنوهمونه هو لكم كانهم توهموا انه ادعى النبوة لمجنون فنفاه الله بقوله ما بصاحبكم من جنة او لأجر فنفاهما بقوله ما اسألكم عليه من أجر فهو لكم .

﴿ان اجري الا على الله﴾ وقرأ ابن كثير وابو بكر وحمزة والكسائي باسكان الياء .

﴿وهو على كل شيء شهيد﴾ فطلع فهو يعلم صدقي وخلوص نيتي .

﴿قل ان ربي يقذف بالحق﴾ يدفع الباطل بالوحي او المراد مجرد انزال الوحي من السماء او المراد يرمي به الى الاوفاق وعلى هذا فهو وعد

باظهار الدين .

﴿علام الغيوب﴾ هو علام الخفيات عن خلقه في السموات والارضين من ماء ونبات وغيرهما او خبر ثاني لان او بدل من ضمير يقذف قيل او نعت على محل ان واسمها وقرىء بالنصب بامدح او اعني او على انه نعت لاسم ان وقرأ ابو بكر وحمزة بكسر الغين كما يقال بيوت بضم الباء وكسرها وقرىء بفتح الغين وعلى الفتح فهو مفرد للمبالغة كصبور .

﴿قل جاء الحق﴾ الاسلام وقيل القرآن وقيل السيف .

﴿وما يبدىء﴾ ما يجعل الشيء مبتدأ .

﴿الباطل﴾ الكفر .

﴿وما يعيد﴾ بعد ذهابه وذلك يكون به عن ذهاب الشيء وهلاكه فانه اذا هلك لم يبق له ابد له ولا اعادة والمراد ان الباطل زاهق لم يبق له اثر ولا يصنع شيئا وقيل الباطل هو ابليس او الصنم والمعنى لا ينشىء خلقا من عدم ولا يبعثه بعد موت او لا يبديء خيرا لأهله ولا يعيده وقيل لابليس باطل لانه صاحب الباطل او لانه هالك كما يقال شاط يشيط بمعنى هلك فهو شايط وشيطن ، وقال الزجاج ان ما استفهامية مفعول لما بعدها وان المعنى اي شيء يسيء ابليس ويعيدة .

﴿قل ان ضللت﴾ عن الحق .

﴿فانما اضل على نفسي﴾ فانما اسعى بابال ضلالي عليها لان الضلال بسببها اذ هي الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وقرىء بكسر لام الماضي وفتح ضاد المضارع نقلا من لامه المدغمة وقرأ بكسر همزة المضارع وفتح ضاده .

﴿وان اهتديت فبما يوحي اليّ ربي﴾ أي فاهتدوفانما اهتدى بما يوحي الي ربي فان الاهتداء بتوفيقه وهدايته والضلال بخذلانه بان ينقاد الانسان مثلا إلى نفسه الامارة بالسوء الجاهلة بالذات فكأنه قيل إن ضللت فبنفسي وان اهتديت فبربي ولهذا اصح ان يكون ان اهتديت الخ معادلا لقوله ان ضللت الخ وانما امر رسول الله ﷺ ان يسند الضلال إلى نفسه ليدل على غيره بالاولى وذكر بعض ان المشركين قالوا لرسول الله ﷺ ، قد ضللت حين تركت دين آبائك فنزلت الآية الذي يوحى اليه هو القرآن والحكمة وما موصول اسمي آي بما يوحيه الى اي ينزله الي ويوصله الى أخر وسكن ابن كثير وابو بكر وحمزة والكسائي باء ربي .

﴿انه سميع قريب﴾ يعلم ما اظهر او اخفي من قول او فعل او عتقاد من خطأ او صواب .

﴿ولو ترى﴾ يا محمد والمفعول محذوف أي ولو تراهم اولا يعتبر له مفعول .

﴿اذ فزعوا﴾ وهو وقت الموت او يوم بدر او وقت البعث .

وقال الحسن : وقت النفخة الاولى وحكي عنه بعض قومنا انه قال هو وقت البعث ورجح عياض التفسير بوقت البعث وجواب لو محذوف تقديره لرأيت امرا فظيعا او نحوهذا واذ في ذلك مستعملة للاستقبال والماضي مستعمل له ايضا او نزل الامر المستقبل منزلة الماضي .

وقال ابن عباس نزلت الآية في خسف البهداء وذلك ان ثمانين الفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا البداء خسف بهم .

﴿فلا فوت﴾ لم يفوتوا بهرب ولا تحصين .

﴿واخذوا من مكان قريب﴾ من الموقف الى النار او من ظهر الارض الى بطنها اذا ماتوا او من تحت اقدامهم اذا خسف بهم او من صحراء بدر الى القليب او من تحت اقدامهم اذا سمعوا النفخة لانهم قيل يسمعونها من تحت اقدامهم والعطف على فزعوا او على فوت اذا المعنى فلم يفوتونا ويؤيده قراءة بعض واخذ بفتح الهمزة وسكون الخاء والتنوين على انه لا فوت هناك وهناك اخذ فهو مبتدأ محذوف الخبر وقيل معطوف على لا واسمها عطف توهم باعتبار معنى قولك هناك عدم فوت واخذ برفع اخذ .

﴿وقالوا آمنا به﴾ بمحمد ﷺ وذلك عند الياس وقيل الضمير للقرآن لان ذكر الوحي اقرب من ذكر الصاحب في قوله ما بصاحبكم من جنة وقيل الضمير لله .

﴿وانى لهم التناوش﴾ استفهام تعجيب اي من اين لهم التناوش او كيف لهم التناوش والتناوش التناول بسهولة او المراد تناول الايمان وقرا أبو عمرو وحمزة والكسائي التناؤش بالهمزة ومعناه ما ذكر ومن تناءش الخبر اذا طلبته وكذا الاول اوهما من ناشت اذا تأخرت .

وقال البحاري : التناوش الرد من الاخرة إلى الدنيا .

﴿من مكان بعيد﴾ قال ابن عباس من الاخرة الى الدنيا يسألون ذلك فيقال لهم من اين لكم ذلكم وهذا صحيح لا تفسير البخاري التناوش وحده بالرد من الاخرة الى الدنيا كان الايمان قريبا منهم في الدنيا فضيعوه فبعد وطلبوا ان يردوا فلم يجدوا ولم ينفعهم ايمانهم يومئذ مثلت حالهم بحال من اراد تناول ما بعد بما يتناول به ما قرب كمن يريد ان يتناول بذراعه ما بعد عنه قدر باع .

فائدة : قال ابو عمر والداني الحرميان وابن عامر وحفص التناوش بضم الواو والباقون بهمزها واذا وقف همزة جعلها بين بين لان ذلك من النيش وهو الحركة في الابطال واصله الهمزة أجيز أن تكون من النوش وهو التناول فيكون اصله الواو ثم تهمز للزوم ضمتها فعلى هذا يقف بضم الواو ويرد ذلك الى اصله .

﴿وقد كفروا به﴾ بذلك الذي قالوا امنا به اليوم وقيل بالعذاب في قوله بين يدي عذاب شديد .

﴿من قبل﴾ قبل اليوم وهو يوم المعاينة لامر الاخرة .

﴿يقذفون بالغيب﴾ يرمون بالظن رسول الله ﷺ بالطعن والتكذيب او يوم القيامة او القرآن بالانكار ان يكونا من الله ومن ذلك قولهم في رسول الله ﷺ كاذب ساحر مجنون وقولهم لا بعث ولا جنة ولا نار .

﴿من مكان بعيد﴾ جانب بعيد عن مقام رسول الله ﷺ وقيل المكان البعيد هو نفس ما يقولون في محمد ﷺ او القرآن وقيل الغيب الشيء الغائب وهو ما ذكر من مقولهم وانما ذكر لمكان البعيد تنزيها له ببعده عما قالوا وتلويحا بانهم كمن يرمي شيئا من مكان لا تصله رميته منه ويقذفون معطوف على كفروا حكاية للحال الماضية وقرىء بالباء للمفعول لان الشياطين تأتيهم بذلك وتلقنهم اياه ويجوز رجوع الجملة الى قولهم امنا أي ايمانهم في الاخرة كقذف شيء من بعيد بحيث لا يظن لحوقه او مقذوف به من جهة بعيدة لان دار الجزاء لا تنقاس على دار التكليف ويجوز العطف على قالوا تمثيلا بحالهم حال القاذف في تحصيل ما ضيعوا من الايمان .

﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾ من ان ينفعهم ايمانهم في ذلك

الوقت والنجاة من النار ودخول الجنة او من الرجوع الى الدنيا للايمان والاعمال وهو قول الحسن وقتادة او من ان يكونوا ترابا .

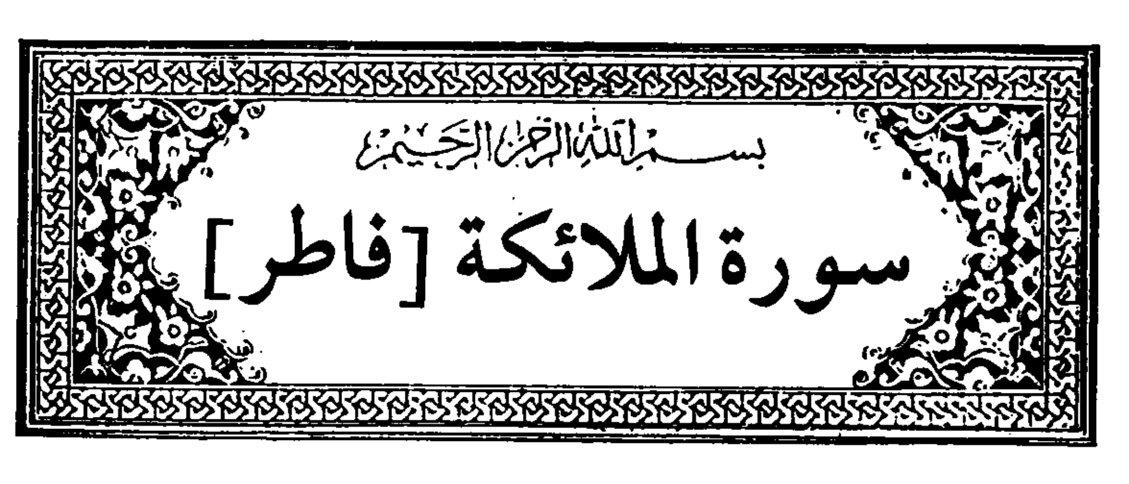
وقال مجاهد : من نعيم الدنيا من مال وولد وزهرة وقيل نعيم الجنة واتم ابن عامر والكسائي حيل هنا وسيق في الزمر والباقون يخلصون الكسرة والغيب ضمير الحول المعهود من قوله فلا فوت ومن قوله اني لهم التناوش وانما احتجت الى هذا ترجيحا لمنع نيابة المصدر المفهوم من الفعل بلا تقدم ما يدل له وبينهم متعلق بحيل او النائب محذوف نابت عنه صفته وهي بينهم اي حيل بينهم واجاز الاخفش
نيابة الظرف الذي لا يتصرف مع بقاء نصبه كبين وعند فيكون في محل رفع .

﴿كما فعل بأشياعهم﴾ وهو ما ذكر من عدم نفع الايمان في ذلك الوقت وغير ذلك مما مر والاشياع نظراءهم من الامم قبلهم الذين ماتوا كفارا .

﴿من قبل﴾ قبلهم .

﴿انهم كانوا﴾ الضمير ان للاشياع او الكفار المحول بينهم وبين ما يشتهون او للكل ﴿في شك﴾ من امر الدين والبعث والجزاء .

﴿مريب﴾ موقع لهم في الريبة مما امنوا به الان فهو من اراب بهمزة التعدية او ذا ريبة كقولك اراب الرجل صار ذا ريبة والنعت بهذا للمبالغة كقولك شعر شاعر بتنوين شعر اشار الى الوجهين ، ابو حيان قال اجار الله وكلاهما مجاز اللهم بسيدنا محمد ﷺ والسورة اخز النصارى واهنهم واكسر شوكتهم وغلب المسلمين والموحدين عليهم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما .


بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الملائكة [فاطر]

وهي مكية وآيها خمس واربعون وقيل اربع واربعون وكلها سبعمائة وسبع وسبعون وحروفها ثلاثة آلاف ومائة وثلاثون .

عن ابي بن كعب عن رسول الله ﷺ «من قرأ سورة فاطر دعته يوم القيامة ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي الابواب شئت» وقالوا تعلق على الدابة فتحفظ من كل طارق وسارق وان وضعت في حجر رجل على غفلة لم يقدر ان يقوم من موضعه حتى ترفع ومن كتب ﴿ان الذين يتلون﴾ الى ﴿شكور﴾ في اربع خرق قطن جدد طاهرة وحملها في متاعه وتجارته فانه يرى الربح والبركة والفائدة .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الحمد لله فاطر السموات والارض﴾ منشئهما من العدم ومبتدعهما قال ابن عباس - رضي الله عنهما - ما كنت ادري ما فاطر السموات والارض حتى اختصم الى رجلان اعرابيان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدعتها وعن بعض انه من الفطر بمعنى والشق كانه شق العدم باحراجهما منه والوصف هذا بمعنى الماضي كما قرىء الحمد لله الذي فطر السموات والارض فاضافته محضه فهو نعت لله .

﴿جاعل الملائكة رسلا﴾ الى الانبياء بالوحي والى الصالحين بالالهام وربما تكلموا لغير الانبياء والى الانبياء وغيرهم بالرؤيا والى العصاة بالاهلاك والى غير ذلك كارسالهم بالمطر الى البلاد وقرىء جعل الملائكة بالفعل ونصب الملائكة وجاعل الملائكة بالوصف مضافا مرفوعا وهذا الوصف كالذي سبق ان كان المراد انه قد جعل ذلك وقد يجعل للاستمرار وقرىء رسلا باسكان السين .

وعن ابن عمر ان الله خلق الملائكة والثقلين فجزأهم عشرة اجزاء تسعة اجزاء منهم الملائكة وجزء واحد الجن والانس وجزأ الملائكة عشرة ، تسعة الكروبيون والذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون وجزء لرسالته وخزانته ولما شاء من امره ، وجزأ الثقلين عشرة ، تسعة الجن وجزء الانس فلا يولد من الانس واحد الا ولد من الجن تسعة وجزأ الانس عشرة تسعة يأجوج ومأجوج وجزء باقي بني آدم .

﴿اولي اجنحة مثنى﴾ نعت اجنحة معدول عن قولك اثنين اثنين واجنحة جمع جناح والى بمعنى اصحاب اسم جمع مفرده من غير لفظه وهو ذو وانما منع مثنى للعدل عما ذكر والوصف وكذا في قوله .

﴿وثلاث﴾ انه معدول عن ثلاثة ثلاث .

﴿ورباع﴾ عن اربعة اربعة والمراد ان من الملائكة نوعا اجنحتهم اثنان اثنان لكل واحد ونوعا اجنحتهم ثلاثة ثلاثة لكل واحد ونوعا اجنحتهم اربعة اربعة لكل واحد ، وليس ذلك حصرا لأجنحة الملائكة في تلك الاعداد وقد صح ان رسول الله ﷺ رأى جبريل عليه السلام ليلة المعراج وله ستة اجنحة فقوله عز وجل .

﴿يزيد في الخلق ما يشاء﴾ اما ان يكون المراد به انه يزيد في عدد الاجنحة وفي غيره من خلقته ما اقتضت مشيئته وحكمته كزيادة الصور والمعاني كملاحةالوجه وبياضه وحمرته وحسن الصوت والفصاحة وحدة اللسان ورجحان العقل وسخاء النفس كل ذلك للحكمة للذوات المشتركة والالزام تنافي لوازم الامور المتفقه .

وعن الحسن المعنى يزيد في اجنحتها ما يشاء واما ان يكون المراد ان الزيادة على الجناح الواحد وعلى الاثنين وعلى الثلاثة فتكون اربعة تصرف له في خلقه كما يشاء وعلى كل حال فالجملة مستأنفة او حال وعلى الوجه الاول يكون ذلك دليلا للزيادة على الاربعة لكن الدليل المحتمل لا يحتج به بل لا يستحق اسم دليل وعلى الثاني يكون دليل الزيادة عليها من خارج قطعا كما ذكروا ان صنفا من الملائكة لهم ستة اجنحة ، جناحان يلقون بها اجسادهم وجناحان يطيرون بهما في امر من امور الله وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله ، وكما روي ان رسول الله ﷺ قال رأيت جبريل عند سدرة المنتهى وله ستمائة جناح ينتشر من ريشه الدر والياقوت ، وكما روي انه ﷺ سأل جبرائيل عليه السلام ان يترأ له في صورته فقال انك لن تطيق ذلك فقال اني احب ان تفعل فخرج

رسول الله ﷺ في ليلة مقمرة فأتاه جبريل في صورته فغشى على الرسول ﷺ ثم افاق وجبريل عليه السلام مسدل له احدى يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت ارى شيئا من الخلق هكذا فقال جبريل لو رأيت اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب والعرش على كاهله وانه ليتضاءل الأحايين لعظمة الله حتى يصير مثل الوضع وهو العصفور الصغير الى غير ذلك مما يدل على زيادة اجنحة الملائكة وفي رواية عن رسول الله ﷺ في قوله يزيد في الخلق ما يشاء هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن ، وقيل الخط الحسن وقال قتادة الملاحة في العينين والظاهر اطلاق الاية في كل زيادة فتشمل زيادة العقل والتمييز وفي رواية عن الحسن وابن شهاب في الاية حسن الصوت .

وذكر الثعالبي ما روي عن رسول الله ﷺ ان لله نهرا يغتمس فيه جبرائيل كل يوم فينتفض فما من قطرة تقطر من ريشه الا خلق الله منها ملكا .

وعن مجاهد : يدخل جبريل نهر النور كل يوم سبعين مرة فيغتسل فيه ثم يخرج فينتفض فتسقط منه سبعون الف قطرة تعود كل قطرة ملكا يسبح الله الى يوم القيامة .

وعن عبدالله بن عمر انه قال : بلغنا ان في السماء ملكا قد عظمه الله وشرفه ، فيه ثلاثمائة وستون عينا بعضها مثل الشمس وبعضها مثل القمر وبعضها مثل الزهرة يسبح الله منذ خلق كل تسبيحه تخرج من فيه تعود ملكا ، قال وبلغنا ان لله ديكا ارجله في الارض السفلى وعنقه تحت العرش اذا بقي الثلث الاخير من الليل خفق بجناحيه وقال سبوح

قدوس رب الملائكة والروح فتسمع الديكة فتصرخ لصراخه ، أو قال لصوته .

وعن رسول الله ﷺ انه قال اذن لي ان احدث عن ملك من حملة العرش رجله في الارض السفلى وعلى عاتقه العرش وبين شحمة اذنيه الى عاتقه خفقان الطير مسيرة سبعمائة سنة يقول سبحانك وذكر بعض العلماء ان ملكا نصفه من نار ونصفه من ثلج يقول يا مؤلف بين الثلج والنار الف بين قلوب عبادك الصالحين ، وفي رواية سبحان من الف بين الثلج والنار وكان ملك يقول سبحان من زين الرجال باللحا والنساء بالنواصي .

﴿ان الله على كل شيء قدير﴾ لكن لا يفعل الا ما اراد فما لم يفعله فلعدم الارادة لا لعدم القدرة .

﴿ما يفتح الله للناس من رحمة﴾ كمطر ورزق وخير وامن وصحة وعافية وعلم ونبوة وغير ذلك من فنون نعمائه .

وعن ابن عباس الرحمة التوبة اي الهداية الى التوبة والتوفيق فيها والله سبحانه يشاء التوبة من كل عاص لكن العصاة تمتنع والفتح للارسال والاطلاق عنها بالفتح لانه سببها لها في الجملة .

﴿فلا ممسك لها﴾ يحبسها الضمير عائد الى ما مراعاة لمعناها وهو الرحمة كما بينت في الآية انما نكرت الرحمة للاشاعة والابهام أي اي رحمة سماوية او ارضية ويدل على ان الفتح للارسال والاطلاق قوله فلا ممسك لها ومقابلة ذلك بقوله .

﴿وما يمسك فلا مرسل له﴾ يطلقه والهاء لمراعاة للفظها لا لمعناها وهو الرحمة وانما اعتبر معناها هناك ولم يعتبر هنا لانها هناك ذكر تفسيرها

فرجح اعتباره مطابقة لما فسرت به وهو الرحمة وهنا لم يذكر فرجح اعتبار لفظها ولو اعتبر معناها جاز كما قرىء فلا مرسل لها ولم يفسر لدلالة الاول على تفسيره ويجوز ان تكون مراعاة اللفظ هنا لعدم وقوع ما على الرحمة فقط بل عليها وعلى الغضب ولم تفسر على هذه الدلالة على ان رحمته سبحانه وتعالى سبقت غضبه .

﴿من بعده﴾ بعد امساكه .

﴿وهو العزيز﴾ الغالب في امره من امساك وغيره .

﴿الحكيم﴾ في افعاله من ارسال وغيره كل افعاله متقنة وكان ﷺ يقول في دبر كل صلاة لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ، اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معط لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد بعدم تنوين مانع ومعطي فكون قوله لما متعلقا بمحذوف خبر لا وان نونا تعلق بهما والجد الغنى والبخت أي لا ينفع صاحب الغنى والبخت غناه وبخته عند الله بل تنفعه الطاعة والاخلاص والجد القوة اي لا تنفع القوة عند الله في الاعطا والمنع كم من اقوياء كانوا فقراء لم تنفعهم قوتهم او الجد الاجتهاد اي ينفع الاجتهاد عند الله بل الامر لله كم مجتهد لا يقدرون على قوتهم باجتهاد .

﴿يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم﴾ الخطاب لأهل مكة عند ابن عباس وقيل للناس كلهم لانهم مغمورون في نعمة الله قال ابن عباس النعمة العافية وفي رواية عنه هي تمكينهم من الحرم ومنعهم من جميع العالم وسوا الناس يتخطفون حولهم وذكر النعمة هو تفكرها والشكر عليها لله المختص بايجادها لا شريك له فيها كما انكره بقوله .

﴿هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا اله الا هو فأنى تؤفكون﴾ من أي وجه تصرفون عن التوحيد الى الاشراك مع علمكم بانه الخالق الرازق واقراركم بذلك وخالق مبتدأ مجرور بمن المؤكدة وغير فاعل له اغنى عن الخبر أو خالق خبر مقدم وغير مبتدأ مؤخر وجملة نرزقكم مستأنفة استئنافا نحويا وليست خارجة عن تسليط الاستفهام او مستأنفة كذلك لكن

معسرة لخالق فان الخالق يجب ان يكون رازقا ونعت لخالق اذا جعل خبرا واذا جعل ايضا مبتدأ على قول من اجاز وصف الوصف المغني مرفوعة عن الخبر ولك ان تجعل خالق مبتدأ وغير الله نعته او بدله ويرزقكم خبره ولك ان تجعل خالق فاعلا لمحذوف يفسره يرزقكم وجعله بعضهم واجبا متعينا اذا وقف الكلام بينه وبين الوجه الذي قبله نظرا الى طلب هل الفعل لذكره بعدها وقرأ حمزة والكسائي نجر غير نعتا او بدلا على لفظ خالق وغير لا لتعرف بالاضافة فهي نكرة تجوز زيادة من معها وان قلنا تتعرف فقد يقال يغتفر في الثواني ما لا يغتفر في الأوايل وجملة يرزقكم خبر لخالق او مفسر لفعل له محذوف وقرىء بنصب غير على الاستثناء وذكر جار الله ان في الكلام دلالة على انه لا يطلق الخالق على غير الله ان جعلت يرزقكم كلاما مستأنفا قال واما على وجه الوصف ووجه التفسير فقد تقيد فيهما بالرزق من السماء والارض وخرج من الاطلاق فكيف يستشهد به على اختصاصه بالاطلاق وذكر أن الرزق من السماء المطر ومن الارض النبات وجملة لا اله الا هو مستأنفة قال ولو وصلت كما وصل يرزقكم لم يساعد المعنى لأن قولك هل من خالق آخر سوى الله لا اله الا هو الخالق غير مستقيم لان قولك هل من خالق

سوى الله اثبات لله فلو ذهبت تقول ذلك لكنت مناقضا بالنفي بعد الاثبات ، واقول انما هذا لو ذكر لفظ الخالق بعد هو كما في العبارة بل لو ذكر لم نسلم التناقض بل يكون الكلام من التأكيد كقولك هل رأيت قائما غير زيد لا قائم الا زيد القائم تريد الا زيد الذي اقررت بقيامه وثبت عندك قيامه وذكر بعضهم ان خالق مبتدأ خبره محذوف اي لكم وانه لا يصح ان يكون غير فاعلا لخالق اغني عن الخبر لان الوصف الذي يرفع ما يغني عن الخبر بمنزلة الفعل والفعل لا تدخله من الزايدة وانه لا يجوز كون يرزقكم خبرا لان هل لا تدخل على مبتدأ خبره فعل الا شذوذا عند سيبويه .

﴿**وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك**﴾ فاصبر كما صبروا وهذه تسلية لرسول الله ﷺ والجواب محذوف ناب عنه فقد كذبت تقديره فاصبر وانما ناب عنه لانه سبب له ونكر رسلا للتعظيم او للتكثير او لكليهما والتعظيم بزيادة التقوى او بايات عظام وفي التعظيم والتكثير زيادة تسلية أي كذبت رسل كثيرة ذوو آيات ونذر واعمار طوال وعزم فصبروا فاصبر انت وقد صبر ﷺ صبرا جميلا شاقا .

قال الحسن : قال رسول الله ﷺ «والذي نفسي بيده ما اصاب احد من هذه الامة من الجهد في الله ما اصابني» .

﴿**والى الله ترجع**﴾ وقري بفتح التاء وكسر الجيم .

﴿**الامور**﴾ في الاخرة فيعاقب المكذبين عقابا لا يشبهه عقاب ويثيب المؤمنين اثابة لا تشبهها اثابة ويثيب الصابرين اكثر من ذلك .

﴿**يا ايها الناس**﴾ الخطاب لقريش او لكل احد .

﴿**ان وعد الله**﴾ بالبعث والجزاء بالثواب والعقاب .

﴿حق﴾ لا خلف فيه .

﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا﴾ بلذاتها وزخاريفها عن الايمان بالله والطاعة وطلب ما عند الله ينبغي للعبد ان يقلل الدخول في اسباب الدنيا ما استطاع وقد قال ﷺ ان قليل الدنيا يلبي عن كثير الاخرة ، وقال ﷺ ما طلعت شمس الا وبجنبها ملكان يناديان يا ايها الناس هلموا الى ربكم فانما قل وكفي خير ما كثر والهى .

﴿ولا يغرنكم بالله﴾ عن الله او بحلم الله وامهاله يقول اعملوا ما شئتم فان الله يغفر الذنوب الكبار والصغار .

﴿الغرور﴾ قال ابن عباس : هو ابليس ابعده الله فانه ابلغ مخادع وغار واخذ الخداع عادة وظاهر اللفظ نهي الشيطان عن الغرور والمخادعة والمراد نهي الناس عن ان يتأثر فيهم غروره بان يطيعوه في فعل الذنوب والاصرار عليها اعتمادا على ان يغفرها الله فان غفرانه الذنوب مع الاصرار عليها غير ممكن لأنه خلاف الحكمة فتناولها كتناول السم مع العلم بأنه قاتل ومع عدم تهيئة دافع طيعته وقرىء بضم الغين مصدرا أغر جمعا لغار كقعد قعودا وهو قاعد وهم قعود .

﴿ان الشيطان لكم عدو﴾ عداوة عامة لازمة بينة قديمة من لدن ابيكم ادم وهذا من اقامة الظاهر مقام المضمر على قراءة الجمهور بفتح عين الغرور تفسير الغرور بالشيطان الذي هو ابليس وذلك للايضاح وان فسرنا الغرور بزخرف الدنيا او بجنس الغار المبالغ في الغرر فليس ذلك من موضع الظاهر موضع المضمر وكذا على قراءة الضم وليس كقوله ان الشيطان لكم عدو مقروء بالقراءة الجمهور وتفسير ابن عباس اذ لقائل ان يقول الاصل عدم وضع الظاهر موضع المضمر فلو كان

الغرور بالفتح وكان هو الشيطان لقيل انه لكم عدو واذ لم يكن دليل فالحمل على الاصل اولى .

﴿فاتخذوه عدوا﴾ في اعتقادكم وفعلكم وقولكم وبالغوا في عداوته واغضابه سرا وجهرا وفي كل حال لا تغفلوا ولا تعاملوه معاملة من لا تعلمون حاله نعوذ بالله العزيز الجبار لقد عاملوه الجمهور معاملة الصديق في المطاوعة فيما يريد .

﴿انما يدعو حزبه﴾ الذين اتبعوه في الكفر الى زيادة الكفر والمعاصي او المعنى يدعو من سبق في علم الله انهم حزبه الى الكفر والمعاصي .

﴿ليكونوا من اصحاب السعير﴾ هذا دليل على ان المراد بحزبه متبعوه من قريش او من الامة اعني من بعث اليهم النبي ﷺ ويجوز ان يكون المعنى ان كل من دعاه فانما دعاه ليكون من اصحاب السعير في كل زمان والسعير النار الشديدة وقيل الباب الرابع منها وفي الاخبار بانه يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير تنفير عنه وتقرير لعداوته وتحذير عن الركون الى الدنيا فانه موجب لكون الراكن من حزبه .

﴿الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير﴾ هو الجنة دون الذين كفروا وعصوا فلا مطمع لهم في ذلك كما افصح به قوله .

﴿افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا﴾ او كاد يفصح والخبر محذوف اي كمن لم يزين له العمل السوء ووفق فتركه الى ما امر الله به او كمن هداه الله ودل على المحذوف قوله .

﴿فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾ وكأنه لما قال له ربه عز وجل افمن زين له سوء عمله فراه حسنا أي كمن لم زين له قال لا فقال له هذا ما قضى الله عليهم فان الله

يضل من يشاء ويهدي من يشاء .

وقال الزجاج تقدير الخبر ذهبت نفسك عليهم حسرات دل عليه فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقيل دل عليه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات والفاء في قراءة وفي فان الله وفي فلا تذهب للسببية لكنها في الاول والثاني دخلت على السبب وفي الثالث على المسبب كذا قال القاضي والحق انها في الاول داخلة على المسبب بالميم كما في الثالث وقرىء بضم التاء تذهب وكسر الهاء ونصب النفس وعليهم متلعق بحسرات ولو كان مصدر لان الظروف يتسهل فيها ولا سيما ان هذا المصدر لا ينحل الى الفعل وحرف المصدر ومختار ابن هشام في المصدر الذي ينحل انه يجوز تقديم معموله واجازه بعض في الظروف ولو لا ينحل ومنعه بعض مطلقا ويجوز تعليق عليهم بتذهب على ان على للتعليل وحسرات جمع حسرة وهي التلهف مفعول لاجله او حال من نفس مبالغة كأن نفسه صارت نفس الحسرات لكثرة تلهفه وحرصه على ايمانهم وانما جمع لفظ الحسرة لزيادة الدلالة على مضاعفة اغتمامه على عدم ايمانهم وللدلالة على كثرة افعالهم المقضية للتحسر عليهم واذا لم يتعلق على بحسرات قدر له متعلق اي حسرات على ضلالهم وان علق عليهم بمحذوف حال من حسرات اعني عن تقدير المتعلق والآية نهي له ﷺ عن الاهتمام بأمرهم .

﴿ان الله عليم بما يصنعون﴾ فيجازيهم وهذا تهديد لهم على سوء صنيعهم .

﴿والله الذي أرسل الرياح﴾ مبتدأ وخبر وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح بالافراد .

﴿فتثير سحابا﴾ تزعجه من مكانه او تجمعه فيجيء به وانما لم يقل فأثارت سحابا مع انه المناسب لأرسل بل قال تثير ليدل على حكاية الحال الماضية حتى كأنها حاضرة مشاهدة وفي ذلك زيادة اعتبار ودلالة على كمال الحكمة فان المرئي اقوى من الغائب وليبين بذلك انه يحدث الرياح بحيث تثير السحاب في الحال لا تترك اثارته ولا تتأخر عن اثارته وان قوة الاثارة موجودة .

﴿فسقناه إلى بلد ميت﴾ فيه التفات عن الغيبة التي في والله الذي ارسل الى التكلم ليكون سوقه ادخل في الاختصاص لما فيه من مزيد الصنع وكذا في قوله .

﴿فاحيينا به الأرض بعد موتها﴾ فانه تابع لسقناه في التكلم وفيه مزيد صنع ومن ذلك الالتفات قول تأبط شرا :

* فاني قد لقيت الغول تهوي * بسهب كالصحيفة حصحاني *

* فاضربها بلا دهش فجرت * صريعا لليدين والجراني *

والجران مقدم العنق قال اضربها كانه احضرها فهو يضربها بمرآى منهم ليدل على جرأته ويجوز ان يكون تثير للاستمرار والماضي لا يدل على حكاية الحال الماضية وعلى الاستمرار وتشديد تاء ميت قراءة نافع وحمزة والكسائي وحفص وقرأ الباقون بالاسكان وموت البلد والارض اليبس وعدم النبات يحتمل ان يكون المراد الارض البلد الميت الذي هو نفس الموضع الذي اصابه المطر فذلك من وضع الظاهر موضع المضمر وان يكون المراد بالارض نفس الموضع الذي اصابه المطر وبالبلد الناحية العامة التي تلك الارض المصابة بالمطر بعضه وهاء به عائدة للمطر والماء المفهوم من السحاب او الى السحاب فانه سبب للماء الممطر ومحل له .

﴿كذلك النشور﴾ بعث الموتى مثل احياء الارض الميتة يبعثهم كما يحييها وهما سواء في قدرته وانما اختلفا في المادة فقط فان لا حياء الارض مادة هي الماء ولا مادة لاحياء الموتى وقيل له مادة وهي ماء كنطفة الرجل يرسل من تحت العرش تنبت به اجسادهم ثم ينفخ صاحب الصور في الارواح فتذهب كل روح الى جسدها حتى تدخل فيه ويجيبون اجابة رجل واحد سراعا الى صاحب الصور في بيت المقدس .

وروي ان ابي بن زين العقيلي قال لرسول الله ﷺ كيف يحيي الله الموتى وما اية ذلك في خلقه فقال ﷺ هل مررت بواد هلك محلا اي جدبا ثم مررت به يهتز خضرا فقال نعم قال فكذلك يحيي الله الموتى وتلك ايته في خلقه ذكره في الكشاف ولعل ابن الجوزي اخذه منه ببعض تفسيره .

﴿من كان يريد العزة﴾ الشرف والنجاة .

﴿فلله العزة جميعا﴾ حال من ضمير الاستقرار لا شيء منها بيد غيره فلتعبد الله وحده يعزه دينا واخرى وفي ذلك ازراء بعبدة الاصنام رجاء ان تعزهم ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا واتخذوا من دونه الهة الخ ، فما العزة الا لله ورسوله ولمن يتناولها بالايمان والعمل الصالح وهذا قول قتادة وقال مجاهد من كان يريد العزة الكاملة فليس منها افإنها ليست الا لله عز وجل والاول قول الجمهور واولي كما قال :

﴿إليه يصعدالكلم﴾وقرىء ﴿يصعد﴾ بالبناء للمفعول من اصعد المتعدي بالهمزة الكلم وقرىء ﴿يصعد﴾ بضم الياء وكسر العين أي الله من اصعد كذلك ونصب الكلم ويصعد بفتح الياء .

﴿الطيب والعمل الصالح﴾ أداء الفرائض وصعودهما قبول الله

اياهما او صعود الملائكة بصحيفتهما وجملة .

﴿يرفعه﴾ مستأنفة او حال من العمل او من الكلم والمسترفية عائد إلى الله والمنصوب للكلم او للعمل او المستتر للكلم ويدل له قراءة نصب العمل على الاشتغال وهذه القراءة تدل على وجه اخر وهو كون العمل مبتدأ وان قلت كيف يكون الكلم رافعا للعمل الصالح ؟ .

قلت : صحيح هذا الوجه فان العمل الصالح لا يقبل ولا يكتب ولا يرفع الى السماء الا بالكلم الطيب وهو لا إله إلا الله محمد رسول الله وما جاء به حق وان قلت فكيف يكون العمل الصالح رافعا للكلم الطيب في الوجه الاخر قلت وجهه انه مقو للايمان ومحقق له فانه بلا عمل كالعدم .

قال ابن المقفع : قول بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه من الكلفة ويجوز كون المستتر عائد للمتكلم بالكلم والمنصوب للعمل او عائدا للملك والمنصوب للعمل .

وقيل : المراد بالكلم الطيب كل قول حسن ككلمة الاخلاص والذكر والدعاء وقراءة القرآن والامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وعن النبي ﷺ «هو قول العبد سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر إذا قالها العبد عرج بها الى السماء فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل» .

وروي ذلك عن ابن مسعوْد بزيادة : وتبارك الله بعد قوله : والله اكبر .

وقال : انه ما يقولهن مسلم الا اخذهن ملك تحت جناحه فلا يمر بهن

على ملك الا استغفر لقائلهن .

وقال أبي : لا أحدثكم بحديث إلا انبأتكم بمصداقه من كتاب الله قال ومصداق ذلك قوله عز وجل ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ وفي الحديث عن رسول الله ﷺ «لا يقبل الله قولا بلا عمل ولا قولا وعملا وبلا نية ولا قولا وعملا ونية بلا إصابة السنة» .

﴿والذين يمكرون السيئات﴾ نعت لمصدر محذوف اي المكرات السيئات ومتعلق المكر محذوف اي يمكرون بالنبي ﷺ والذين يمكرون به هم قريش فإنهم يمكرون به انواعا من المكرات السيئات ومن ذلك انهم اجتمعوا في دار الندوة وتداولوا الرأي اما ان يحبسوه اويقتلوه او يجلوه وقاموا على ان يجتمع القبائل على قتله كما مر في محله ﴿واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك﴾ .

وقيل : المعنى والذين يعملون السيئات وهي الاشراكات وقيل المراد اصحاب الرياء .

﴿لهم عذاب شديد﴾ هو عذاب جهنم لا يساويه عذاب وهو جزاء على مكرهم مع انه لا ينفد كما قال : ﴿ومكر أولئك هو يبور﴾ لا ينفد لان الامور بقضاء الله وقدره ولا يقع شيء لم يرد الله ان يقع وقد بار مكرهم ووقع عليهم اذ اخرجهم الله عز وجل من مكة وقتلهم واثبتهم في قليب بدر ولا يحيق المكر السيء الا باهله .

﴿والله خلقكم من تراب﴾ اي بواسطة خلق ابيكم ادم منه .

﴿ثم من نطفة﴾ كل من نطفة آية .

﴿ثم جعلكم أزواجا﴾ اصنافا ذكورا واناثا وقيل زوج بعضكم ببعض وهو قول قتادة .

﴿وما تحمل من أنثى﴾ فاعل ومن موكدة .

﴿ولا تضع﴾ حملها .

﴿إلا بعلمه﴾ الا بمصاحبة علمه وحضرته وعند علمه فالعلم باو على المعنى المصدري متعلق بما قبله على طريق التنازع او مجرد الحذف على ما يأتي ان شاء الله تعالى وقيل حال ﴿وما يعمر من معمر﴾ مطول العمر ومن زائدة في النائب للتأكيد .

﴿ولا ينقص من عمره﴾ من زائدة في المفعول ان اجزنا زيادة من في المعرفة وضمير ينقص لله تعالى او متعلقة بمحذوف وقعت لفاعل ينقص اي لا ينقص شيء ثابت من عمره او من مفعوله اي لا ينقص الله شيئا من عمره .

﴿إلا في كتاب﴾ علم الله او اللوح المحفوظ او الصحف متعلق بما قبله على ما مر في الذي قبله او بمحذوف حال من المعمر والعمر باعتبار التعمير والنقص .

وان قلت كيف يقال ما يعمر من معمر ؟ .

قلت : على معنى قولك ان كل من عمّره الله فما ذلك التعمير الذي عمّره الله اياه الا في كتاب فاندفع ما قد يتوهم من تحصيل الحاصل او ان كل من مصيره الى الكبر فالتعمير الذي سيبلغه انما هو في كتاب وعلى هذا فتسميته معمرا من مجاز الاول .

وان قلت : فما معنى ولا ينقص من عمره ؟. الخ قلت : معناه لا ينقص الله عمرا لمعمر لغيره بأن يعطي من عمره لغيره ويجوز ان يكون معنى النقص من عمره جعل عمره ناقصا والضمير لصاحب العمر الناقص المدلول عليه بالمقابلة فهو على معنى قولك ضيقت فم البئر بمعنى

نشأته ضيقا ولست تريد انه كان واسعا ثم ضيقته اوالضمير للعمر على طريق الاستخدام فالمعمر المذكور بمعنى مطول العمر والضمير الراجع ليه بمعنى الذي اثبت له العمر فان المعمر كما يطلق على طويل العمر يطلق على صاحب العمر مطلقا طويلا او صغيرا والمراد من الضمير الصغير ولك ان تجعل المعمر بمعنى صاحب العمر طويلا او صغيرا والتطويل يفهم من يعمر والتصغير من ينقص هذا ما ظهر لي من الاوجه في تفسير الآية الموافقة للقواعد المعقولة وذكروا ايضا ان المعمر والمنقوص واقعان على شخص واحد باعتبار اسباب مثل ان يكتب في اللوح المحفوظ ان صدق وصلي كان عمره ستين سنة والا كان ثلاثين فان فعل عمّر والا نقص وكان عمره ثلاثين ومثل ان يثبت في اللوح ان حج وغزا فعمره ستون وان فعل احدهما فثلاثون وهذا عندي ضعيف لعدم فائدته فان الله سبحانه عالم بما يفعل الانسان وما يذر وما يكون عمره على القطع لا يزيد ولا ينقص فما فائدة الكتابة على طريق الشك الا ان يقال فائدته التحريض على الطاعة والمبالغة في الاعداد وقد اوصل ذلك إلى الناس كما امر الكافر بالطاعة والايمان وقد علم حاله واما قوله ﷺ «ان الصدقة والصلاة تعمران الديار وتزيدان في الاعمار» فمعناه ان من اسباب عمارة الدنيا وزيادة الاعمار الصدقة والصلاة كم ناس كتب الله انهم سيتصدقون ويصلون وان اعمارهم تطول وتكون كذا وكذا بسبب تصدقهم وصلاتهم وليست اعمارهم اقل ثم يزيد فيها كذا يظهر لي ويجوز ان يكون المعنى ما يعطى لصاحب العمر شيء من عمره ولا ينقص من عمره هذا الذي اعطي له وعاشه الا في كتاب يكتب فيه مضى لفلان كذا وكذا من عمره ذهب يوم ذهب يومان حتى يأتي على

آخر عمره ويكتب قبل ذلك عمره كذا وكذا سنة ذكره سعيد بن جبير قال ما مضى من عمره هو النقص وما بقي هو الذي يعمره .

وعن قتادة : المعمر من يبلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبلها وقرىء ﴿ولا ينقص﴾ بالبناء للمفعول والنائب من عمره او محذوف نائب عنه نعته وهو عمره .

﴿إن ذلك﴾ الحفظ والزيد او النقص .

﴿على الله يسير﴾ سهل وزعموا عن كعب الاحبار انه قال حين طعن عمر ـ رضي الله عنه ـ لو ان عمر دعى الله لأخر في اجله ، فقيل : أليس قد قال الله : ﴿اذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ .

قال كعب : فقد قال : ﴿وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب﴾ ، وفي رواية انه قال حين احتضر عمر : والله لو دعى الله عمر ان يؤخر اجله لاخر فقيل : له ان الله يقول ﴿فإذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ .

قال هذا اذا حضر الاجل واما قبل ذلك فيجوز ان يزاد وقرأ الآية وقول كعب في هذا مردود عليه .

﴿وما يستوي البحران﴾ العذب والمالح مثل المؤمن والكافر .

﴿هذا عذب﴾ حلو .

﴿فرات﴾ شديد العذوبة كسار للعطش .

﴿سائغ شرابه﴾ سهل انحداره في الحلق خفيف فالشراب بمعنى الشرب وقرىء ﴿سيغ﴾ بالتشديد والاسكان .

﴿وهذا ملح﴾ وقرىء بفتح الميم وكسر اللام شديد الملوحة وقيل

مر .

﴿أجاج﴾ يحرق الحلق بملوحته .

﴿ومن كل﴾ من البحرين .

﴿تأكلون لحما طريا﴾ السمك هذا وما بعده استطراد خارج عن المثل في صفة البحرين وما فيهما من النعم ويجوز ان يكون تماما للمثل لا استطرادا فيكون ذما للكافر واحترازا عن ان يكون فيه نفع كما كان في المالح فان في المالح كالعذب اللحم الطري وفيهما ما ذكره الله بقوله .

﴿وتستخرجون حلية﴾ اللآلىء ، واليواقيت .

﴿تلبسونها﴾ تتزينون بها وتعلقونها على اجسادكم كما تعلقون اللباس فكر بعضهم ان في المالح عيونا عذبة تمتزج بالمالح فيكون اللؤلؤ والياقوت منهما فصح انهما من البحرين اي الماء العذب والماء المالح والاولى عندي ان استخراج الحلية مختص بالمالح عائد اليه وحده دون تكلف باعتبار العيون العذبة في البحر المالح وتكلف ان المالح بحر عذب وبحر مالح لتلك العيون فيه وفي البحر المالح ايضا كالعذب ما ذكره بقوله .

﴿وترى الفلك فيه﴾ اي في كل من البحرين .

﴿مواخر﴾ فوق الماء اي تشقه يجري بها فيه مقبلة ومدبرة بالريح ولا منفعة في الكافر فالبحر المالح افضل منه ويجوز ان يكون ذلك من تمام المثل كما مر لكن على طريق اخرى هي ان الماء العذب باق على اصله من الحلاوة وفيه المنافع غيرها ايضا والمالح متغير عن اصل خلقته بالملوحة المفسدة له المبطلة للمنفعة العظمى والعهد الاول والكافر متغير وناقض ولو اشتركا في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة .

﴿لتبتغوا من فضله﴾ اي من فضل الله بالتجارة عليها واللام متعلقة

بمواخر فتكون للصيرورة أو بمحذوف تقديره سخرناها او فعلنا ذلك فتكون للتعليل .

﴿ولعلكم تشكرون﴾ الله على نعمته فلعل هنا للتعليل ومن الشكر الاقرار بالوحدانية وهو مطلوب كما يقتضيه المقام .

﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل﴾ منهما .

﴿يجري لأجل مسمى﴾ هو مدة دوره او منتهاه او يوم القيامة .

﴿ذلكم الله ربكم له الملك﴾ اسم الاشارة راجع الى فاعل ذلك والله خبره وربكم خبر ثان وله الملك خبر ثالث وفي معاني هذه الاخبار تقرير اثبات لفعله ذلك او جملة له الملك مستأنفة .

﴿والذين تدعون﴾ تعبدون او تطلبون او تسمونهم آلهة وقرى بالتحية .

﴿من دونه﴾ وهم الاصنام .

﴿ما يملكون من قطمير﴾ ما يلف به النوى وهو المشهور . قال الضحاك وغيره : القطمير القمع الذي على التمر فالله سبحانه هو المتفرد بالالوهية والربوبية .

﴿إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم﴾ لانها جماد .

﴿ولو سمعوا﴾ على سبيل الفرض والتقدير .

﴿ما استجابوا لكم﴾ ما اجابوكم لعدم قدرتهم على الكلام او لتبريهم منكم وعبادتكم او ما نفعوكم .

﴿ويوم القيامة يكفرون﴾ تصريحا .

﴿بشرككم﴾ يتبرؤن منكم ومن عبادتكم اياهم او يقولون ما كنتم

ايانا تعبدون لانهم جمادات لا علم لهم بعبادة من عبدهم ولا بتعظيمه لهم ولا بعابديهم .

﴿ولا ينبئك﴾ يخبرك .

﴿مثل خبير﴾ هو الله والتنكير للتعظيم كأنه قيل لا يخبرك بالامر مخبر مثل الخبير العظيم الذي اخبرك وهو الله سبحانه وهو الذي اخبر به على الحقيقة دون سائر المخبرين ولا شك فيما اخبر الله به عن الاصنام .

﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله﴾ فضل الله واحسانه ما من احد الا هو فقير في ذاته ومعيشته ولباسه وغير ذلك وغير الناس كالملائكة والجن والدواب كالناس في الافتقار ولكن لشدة افتقار الناس جعل افتقار غيرهم كلا افتقار حتى انه اتى بصيغة الحصر اذ عرف الطرفين .

﴿والله هو الغني﴾ عن خلقه والغنى على الاطلاق بمعنى انه لا يصيبه افتقار اصلا .

﴿الحميد﴾ الذي وجب له الحمد على خليقته لانعامه عليهم وفي ذكر الحميد دلالة على ان غناه نافع للخليقة .

قال بعضهم : من ادعى الغنى حجب عن الله ومن اظهر فقره اليه سبحانه وتعالى اوصل الله فقره بغناه .

فليكن العبد في جميع احواله منقطعا عن غيره حتى تكون عبوديته محضة ويجوز ان يكون المراد بالحمد انه لا يفعل الا ما هو مقبول عدل صواب لاجور .

﴿إن يشأ يذهبكم﴾ لكفركم .

﴿ويأت بخلق جديد﴾ لا يكفر وهذا كلام من غضب مثل ﴿وان تتولوا يستبدل قوما غيركم﴾ ويجوز ان يراد بالخلق الجديد عالم اخر لا

يعرفونه .

﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾ ممتنع متعسر .

﴿ولا تزر وازرة وزر اخرى﴾ اي لا تذنب نفس مذنبة ذنب نفس اخرى اي لا تتصف بذنب غيرها ولا تحمله ولا تؤاخذ به كما تصنع الظلمة من اخذ الولي بالولي والجار بالجار .

وان قلت : لم قال﴿لا تزر وازرة وزر اخرى﴾دون لا تزر نفس وزر اخرى ؟ .

قلت : تلويحا الى معنى قولك ان النفس التي تراها حملت الذنوب لا شيء من الذنوب التي حملتها ذنبا لغيره بل كلها ذنوب لها واما قوله جل وعلى ﴿وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم﴾ فمعناه انهم يحملون الذنوب التي باشروها بابدانهم وجوارحهم حتى السنتهم وبقلوبهم والذنوب التي تكون من سنهم سننا سيئة مضلة وليس من ذلك شيء ذنبا لغيرهم فمن امر احدا بالزنا فعليه من الذنب مثل ذنب الزاني .

﴿وإن تدع مثقلة﴾ بالاوزار .

﴿إلى حملها﴾ الى ما حملت من الاوزار ليحمل عنها مدعوها بعضها .

﴿لا يحمل منه شيء﴾ اي لا يحمل مدعوها منه شيئا كما يحمل عليه من وزر غيره شيء .

﴿ولو كان﴾ المدعو المقبول من تدع .

﴿ذا قربى﴾ كالام والاب والابن قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ يلقي الاب او الام الابن فيقول او تقول يا بني احمل عني بعض ذنوبي ؟ فيقول لا استطيع حسبي ما عليّ .

وقريء ﴿ذو قربى﴾ اما على ان كان ناقصة محذوفة الخبر اي ولو كان

ذو قربى المدعوا ولو كان ذو قربى الداعي واما على انها تامة اي ولو حصل ذو قربى وحضر لم يكن شيء من حملها محمولا عنها بعد دعائها الى حملها .

﴿**إنما تنذر الذين يخشون ربهم**﴾ يخافونه .

﴿**بالغيب**﴾ متعلق بيخشون والباء بمعنى في اي يخافونه في غيبهم الذي هو عدم رؤيتهم اياه او في عيبهم عن العذاب او عن الناس او بمحذوف حال من الواو او من ربهم على حذف مضاف اي عذاب ربهم وانما خص هؤلاء لانهم المنتفعون بالانذار واما غيرهم فانهم مع انذارهم اياهم ووجوب انذارهم عليه كأنه غير منذر لهم لعدم تأثره فيهم او استعمل الانذار في اثره اي انما يتأثر انذارك في الذين يخشون ربهم بالغيب او يقدر انما تنذر الانذار النافع الذين يخشون ربهم بالغيب .

﴿**وأقاموا الصلاة**﴾ المفروضة اداموها على الوجه الحسن ولعله عبر في الخشية بالمضارع وفي الاقامة بالماضي بما ان الخشية مستمرة في قلوبهم تكون مادة للاقامة فهم قد أقاموها وتركوها منارا لمن يأتي بعدهم وهذا صفة اصحاب رسول الله ﷺ وهذا الكلام متصل بقوله ﴿**ان يشأ يذهبكم**﴾ الآتى على طريق الغضب المعقب بذكر الوعيد وأهوال القيامة ولم ينفع ذلك فقال ﴿**انما تنذر**﴾ الخ .

﴿**ومن تزكى**﴾ تطهر من الشرك والمعاصي .

﴿**فإنما يتزكى لنفسه**﴾ فان ثواب تركيه له وقرى ﴿**ومن ازكى فانما يزكى لنفسه**﴾ بابدال التاء زايا وادغام الزاي في الزاي بعدها وجلب همزة الوصل لسكون اول الكلمة وجملة ﴿**ومن تزكى فإنما يتزكي لنفسه**﴾ مؤكدة للخشية والاقامة فان للخشية والاقامة والتزكي من واد واحد .

﴿وإلى الله المصير﴾ للجزاء .

﴿وما يستوي الاعمى والبصير﴾ الكافر والمؤمن أو الصنم والله أو الجاهل والعالم وذلك إما على الحقيقة بمعنى ان الاعمى والكافر او الصنم او الجاهل والبصير المؤمن او الله او العالم من نيابة لفظ عن لفظ كما تقول القمح وتقول البر والمعنى واحد وانما اردت بالحقيقة نفس الشيء الذي لم يعبر عنه بكناية لا الحقيقة المقابة للمجاز فان اطلاق العمى على الكفر او عدم الرؤية فمن لا عين له كالصنم او الجهل مجاز والبصر بمعنى الايمان او الخبرة بالاشياء او العلم مجاز ايضا واما على الكناية على طريقة ان المراد بالاعمى الذي لا تبصر عيناه وبالبصير الذي تبصر ملوحا بهما الى من عمي قلبه بكفر او جهل او من لا يوصف بخير فعله وهو الصنم والى من له نور في قلبه نور ايمان او علم او من يتصف بالخبرة والافعال المحكمة الحسنة وهو الله ، واما على طريق المجاز بان شبه الكفر او الجهل او عدم آلة البصر بعمي آلة البصر وشبه الايمان او العلم بالابصار بالعين فافهم وهكذا يظهر ولك مثله فيما يأتي .

﴿ولا الظلمات﴾ الباطل .

﴿ولا النور﴾ الحق وقيل الكفر والايمان وصاحب هذا القول لا يفسر الاعمى والبصير بالكفر والمؤمن الا ان اراد انه مثال اخر لهما وقيل الجهل والعلم وصاحب هذا القول لا يفسر الاعمى والبصير بالجاهل والعالم الا ان اراد مثالا اخر لهما .

﴿ولا الظل ولا الحرور﴾ اي الثواب والعقاب وقيل الجنة والنار وقال ابن عباس والفراء : الحرور الريح الحارة بالليل والسموم بالنهار وهو صفة مبالغة في الحر وقيل هو السموم تغليبا .

﴿وما يستوى الأحياء ولا الأموات﴾ المؤمنون والمشركون ولا تغفل عن الاوجه السابقة من الحقيقة والكناية والمجاز وصاحب هذا القول لا يفسر الاعمى والبصير بالمؤمن والكافر الا ان أراد ان هذا مثال اخر وهو ابلغ من الاول فان في الاعمى ما ليس في الميت ولذا كرر الفعل وقيل العلماء والجهلاء وصاحب هذا لا يفسر الاعمى والبصير بالجاهل والعالم الا ان اراد ان هذا مثال آخر ولا في ذلك كله لتأكيد النفي الذي افادتها .

﴿إن الله يسمع﴾ الموعظة والايات .

﴿من يشاء﴾ هدايته يوفقه لسماعها وفهمها والاتعاظ بها .

﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾ من الموتى والموعظة والآيات تلويح الى ان هؤلاء الذين حرصت على ايمانهم لعدم علمك بحكم الله عليهم بأنهم لا يؤمنون مثل الموتى المقبورين لا مطمع فيهم فهذا اقناط له ﷺ من ايمانهم وجسد الميت لا يسمع وانما تسمع الروح اذا ردها الله اليه وقد مر بحث في هذا .

﴿إن أنت الا نذير﴾ وقد انذرت ولا تستطيع اسماع من قضى الله بانه لا يسمع ، قيل ويجوز ان يكون مصدر قوله ﴿ان الله يسمع من يشاء﴾ انه قادر على ان يهدي المطبوع على قلوبهم الذين هم بمنزلة الموتى .

﴿إنا أرسلناك بالحق﴾ حال من نا او من الكاف او نعت لمصدر محذوف او متعلق بقوله .

﴿بشيرا ونذيرا﴾ اي بشيرا بالوعد الحق للمؤمن ونذيرا بالوعيد الحق للكافر .

﴿وإن من أمة﴾ من صلة مؤكدة لأمة الجماعة الكثيرة واهل العصر والمراد هنا الثاني وفي حدود المتكلمين الامة هم المصدقون بالرسل دون من لم يصدق وذلك ان الامة تطلق على امة الاجابة وهو الذي يذكره المتكلمون وذلك انهم اجابوا الى الايمان فبعضهم متق وبعضهم عاص وعلى امة البعث وهي من ارسل اليهم رسول .

﴿إلا خلا﴾ مضى .

﴿فيها نذير﴾ نبي او عالم ينذر اي وبشير وحذفه للعلم به ولذكره قبل فان العالم ينذر ويبشر كالنبي ولان الانذار عن موجبات العذاب تبشير بعدم العذاب لترك موجبه ولان الانذار هو الاهم من البعثة واثر النذراة باق بين سيدنا عيسى وسيدنا محمد صلى الله عليهما ، وحجة الله على عباده لم تنقطع منذ ارسل الله ابانا ادم الى أولاده وزوجته الى سيدنا محمد ﷺ ولا الى هذا الزمان ولا تنقطع الى يوم القيامة .

﴿وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ بالمعجزات الدالات على نبوتهم ورسالتهم .

﴿وبالزبر﴾ صحف ابراهيم عليه السلام .

﴿وبالكتاب المنير﴾ المضيء المزيل لظلمات الجهل او الواضح وهو التوراة والزبور والانجيل ، فأل للجنس والكلام على التوزيع فان من بعض من قبلهم كانت له صحف ابراهيم ، وبعض كانت له التوراة وبعض كان له الزبور وبعض كان له الانجيل ويجوز ان يراد بالزبر والكتاب شيء واحد والعطف وادخال الباء لتغائر الوصفين وهما الزبر بإسكان الباء وهي الكتابة والكتابة المقيدة بالانارة .

﴿ثم أخذت الذين كفروا﴾ بكفرهم اخذ اهلاك .

﴿فكيف كان نكير﴾ مر مثله ومن اوجهه ان يكون معناه تعظيم انكاره عليهم وتغييره بهم بعذاب عظيم واثبت ورش الياء في الوصل .

﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها﴾ فيه التفات من الغيبة الى التكلم لمزيد اختصاصه سبحانه وتعالى بإخراج الثمرات المختلف الوانها مثل ان يكون اخضر ثم احمر او اصفر ثم الى حمرة وصفرة او الى سواد ويجوز ان يراد كل صنف منها خالف لونه لون الصنف الاخر وقد يرجح هذا الوجه .

﴿ومن الجبال جدد﴾ اي ومن الجبال جبال ذات جدد او صنف ذو جدد والجدد جمع جدة وهي طريق في الجبل وغيره والخطة السوداء على ظهر الحمار والخطة مطلقا في الحمار او غيره سوداء او غير سوداء .

﴿بيض﴾ جمع ابيض واصله ضم الباء فتقلب الياء واوا فكر هو هذا القلب فكسروا الباء .

﴿وحمر﴾ جمع احمر وذكر البياض والحمزة تفسير لتلك الخطط فالجبل الواحد ترى فيه بعضا ابيض وبعضا احمر وقرىء ﴿جدد﴾ بضم الجيم والدال جمع جديد بمعنى الجدة وهي الخطة او بمعنى ضد القديم اي من الجبال ما هو كالشيء الابيض والاحمر الجديدين وقري جدد بفتح الجيم والدال وهو الطريق الواضح وان قلت البيض والحمر نعتان للجدد الذي هو جمع او للجبال المحذوفة ؟ قلت : هو نعت جدد او نعت للصنف المحذوف باعتبار معناه او نعت المجال المحذوف .

﴿مختلف ألوانها﴾ نعت مؤكد فان ذكر الجدد والبيض والحمر مقيد لاختلاف الالوان وان فسرنا اختلاف الوانها باختلافها في الشدة والضعف فالنعت .

﴿وغرابيب﴾ جمع غريب اي سود .

﴿سود﴾ نعت مؤكد جمع اسود وهذا على القلة والكثير تقديم الغريب يقال اسود حالك واسواد غريب واصفر فاقع وابيض يقق بتأكيد اللفظ الاول بالثاني في ذلك كله ويجوز ان يقدر في الآية سود قبل غرابيب ويدل عليه لفظ غرابيب لشهرة تبعيته لسود ولفظ سود المذكور فيكون الكلام مقيد للسواد بالمذكور والمحذوف تأكيدا ومن ذلك قول النابغة :

* والمؤمن العائذات الطير يمسحها * ركبان مكة بين الغيل فالسند *

أي او لله الذي يؤمن الطير العائذات اي الملتجات ببيت الله محذوف الطير قبل العائذات وذكر بعده بدلا او بيانا والاولى عدم التقدير هناوفي الآية ووجه التقدير كما مر أن المشهور الكثير تأخير الغربيب عن الاسود مثلا وقالوا ان الغربيب شديد السواد اخذا من الغراب او من قولك اغرب في السواد أي ابعد فيه ووجه التقدير ايضا التأكيد وقوله سبحانه وغرابيب سود مقابل لقوله مختلف الوانها اي ومنها ما هو اسود كله وعنه ﷺ ان الله يبغض الشيخ الغربيب اي الذي يخضب بالسواد والعطف على جدد او اصناف او جبال المقدرين او البيض وقال عكرمة الغرابيب السود الطوال السود .

﴿ومن الناس والدواب﴾ وقرىء بتخفيف الباء فرارا من التقاء الساكنين ولو على حد التقائهما .

﴿والانعام مختلف الوانه كذلك﴾ قال ابن هشام أي صنف مختلف الوانه اختلافا كالاختلاف المذكور في لون الجبال اي وفي لون الثمر

فالوقف هنا وهو واضح والاختلاف في الناس والدواب والانعام يجوز ان يكون ايضا في الاحاد فالانسان الواحد مثلا ترى بعضه ابيض وبعضه اسود وبعضه احمر وبعضه اصفر وقرىء الوانها اي جماعة مختلف الوانها او نحو ذلك ويجوز ان يكون الوقف على الوانه ويكون كذلك متصلا بقوله .

﴿انما يخشى الله من عباده العلماء﴾ اي كما جاءت القدرة في هذا كله كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء الناظرون في هذه العبر وانما اخر الفاعل لانه المحصور فيه أي لا تصدر الخشية الا من العلماء ، ولو قدم كان المعنى ما يخشى العلماء الا الله وهومعنى صحيح لكنه غير مراد ومن عباده حال من العلماء فمن التبعضية او متعلقة بيخشى فمن ابتدائية فافهم وليس المراد بالعلماء الا الذين علموه علما داهم الى تعظيمه والى ترك الاجتراء عليه بفعل ما نهى عنه وترك ما اوجب فهم الذين يخشونه سبحانه وتعالى ويراعونه في اعتقاداتهم واقوالهم وافعالهم ومن ازداد به علما ازداد منه خوفا ومن كان علمه اقل كان خوفه اقل وكم ناس علموه بصفانة وافعاله لم ينفعهم ذلك العلم .

وعن رسول الله ﷺ اعلمكم بالله اشدكم خشية ، وقال ﷺ اني اخشاكم بالله واتقاكم له ، وقال انا ارجو ان اكون اتقاكم لله واعلمكم به ، وذكرت عائشة ـ رضي الله عنها ـ ان رسول الله ﷺ صنع شيئا ورخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي ﷺ فخطب وحمد الله واثنى عليه فقال ما بال قوام يتنزهون عن الشيء اصنعه فوالله اني لاعلمهم بالله واشدهم خشية .

وعن انس ان رسول الله ﷺ خطب خطبة ما سمعت مثلها قط فقال

لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى اصحابه وجوههم يبكون بصوت يخرجونه من الانف والمعنى لكان ضحككم قليلا وبكاؤكم كثيرا وقال مسروق كفى المرء علما ان يخشى الله وكفى بالمرء جهلا ان يعجب بعلمه وفي رواية كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا وقيل قاله ابن مسعود لا مسروق وقال رجل للشعبي افتنا ايها العالم فقال العالم من خشى الله عز وجل . •

وعن رسول الله ﷺ الحكمة مخافة الله وقال .

وقال الربيع بن انس ومجاهد والشعبي : من لم يخش الله فليس بعالم .

وعن ابن عباس في تفسير الآية كفى بالزهد علما ويقال ان فاتحة الزبور الحكمة خشية الله ولا يخفى ان العلم حيث ما ذكر في القرآن او السنة المراد به العلم النافع الذي تقارنه الخشية والتواضع والتخلق باخلاق الايمان وذكروا ان الآية نزلت في ابي بكر ـ رضي الله عنه ـ وقد ظهرت عليه الخشية حتى عرفت فيه وان قلت هل بين الآية وما قبلها مناسبة ام لا قلت بينهما مناسبة وذلك انه ذكر آيات القدرة الدالة عليه فذكر ان العلم بها غير نافع ان لم تقارنه الخشية او لما ذكر ما دل على كمال القدرة ذكر انه انما يعرفه تلك الدلائل المعرفة التامة من يخشاه وقراء عمر بن عبدالعزيز وقيل ابو حنيفة انما يخشى الله من عباده العلماء رفع الله ونصب العلماء اما على القلب اللفظي لظهور المعنى ككسر الزجاج الحجر برفع الزجاج ونصب الحجر واما على تضمين يخشى معنى يعظم اي انما يعظم الله العلماء واما على غيرهم فلا يعظمه ووجه ذلك ان المعظم يكون مهيبا ومخوفا منه .

﴿ان الله عزيز﴾ في ملكه معاقب لمن اصر على الطغيان لا يرده عنه راد .

﴿غفور﴾ للخاشي ويدل الغفران على الاثابة لأن من غفر له يثاب فذلك تعليل لوجوب الخشية الذي يدل عليه للمقام فكأنه قيل اخشوه لانه المعاقب المثيب .

﴿ان الذين يتلون كتاب الله﴾ يداومون على قراءته مداومة تجدد والمراد قراءة تفهم وعمل بمضمونها ويجوز ان يكون المراد بقراءته العمل بما فيه بمداومة حتى صار عملهم به لكثرته ودوامه كانه قرآن يتلى ويسمع وكانه مكتوب عليهم وكتاب الله القرآن والذين يتلونه الصحابة المؤمنون مطلقا ثم ظهر لي وجه اخر وهو ان يتلو بمعنى يتصلون به ويتبعونه كقولك تلا زيد عمرا يتلوه فالمراد انهم يتبعون القرآن في الامر والنهي ويجوز ان يراد بكتاب الله جنس كتبه وبالتالين قارئيها او العاملين بها من كل امة فيكون ذلك ثناء على المصدقين من كل امة بعد ذكر المكذبين .

﴿واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم﴾ انفاق زكاة وغيرها .

﴿سرا وعلانية﴾ المراد بهما الاكثار من النفقة في كل ، ومثله قولك فلان يقرأ القرآن ليلا ونهارا تريد الاكثار من قراءته ولو كان يقرأه ليلا ونهارا فقط والمراد انهم ينفقون سرا اذا عرض لهم في العلانية مفسد او لم تظهر لهم فيها فائدة وينفقون علانية اذا ظهرت لهم فائدة العلانية كاقتداء الناس بهم او المراد ينفقون النفقة الواجبة كالزكاة علانية والمندوبة سرا .

﴿يرجون تجارة لن تبور﴾ جملة يرجون خبر إن ولن تبور نعت تجارة او جملة يرجون حال من واو انفقوا والخبرة ، قوله بعد ذلك انه غفور

شكور على حذف الرابط اي غفور لفرطاتهم شكور لطاعتهم والتجارة تحصيل الثواب بالطاعة والبوا والكساد والهلاك بالخسران .

﴿ليوفيهم اجورهم﴾ ليعطيهم اياها كاملة وافية لا كأجرة ما كد تكون ناقصة وذلك تعليل لقوله لن تبور او ليتلون او اقاموا او انفقوا على التنازع او المحذوف اي فعلوا ذلك ليوفيهم او اللام للمال متعلقة بيرجون .

﴿ويزيدهم من فضله﴾ على اجورهم وقيل يضاعف لهم الثواب .

وقال الحسن المراد تضعيف الحسنات .

وعن ابن عباس يزيدهم سوى الثواب مما لم تر عين ولم تسمع اذن وقيل يعطيهم الشفاعة في غيرهم .

وعن أنس عن رسول الله ﷺ يصف اهل الجنة فيمر الرجل من أهل النار أي من الذين لا عمل لهم يدخلون به الجنة سوى انهم ماتوا تائبين متنزهين طول عمرهم فيما يشتهون برجل من أهل الجنة فيقول يا فلان اما تذكر يوم استسقيتني فسقيتك شربة فيشفع له وذلك بيان من الله انه دخل الجنة بتلك الشربة وكذا فيما ياتي ويمر الرجل على الزجل فيقول اما تذكر يوم ناولتك طهورا فيشفع له ويمر الرجل فيقول يا فلان اما تذكر يوم بعثتني لحاجةكذا وكذا فذهبت لك فيشفع له .

﴿انه غفور﴾ لفرطاتهم وذنوبهم ولفرطات وذنوب كل مؤمن .

﴿شكور﴾ للطاعة أي مثبت عليها وذلك تعليل لقوله يوفيهم والذي اوحينا اليك من الكتاب من للتبيين والكتاب القرآن او للتبعيض والكتاب جنس كتبه المنزلة ولا مانع من ان تجعل من للتبعيض والكتاب القرآن فان الذي اوحى اليه بعض من القرآن .

﴿والذي أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه﴾ لما حضر بين يديه من كتب الله فانما تقدم من كتب الله شيء موجود فصح أن يقول هو بين يديه لانه غير مفقود وانزاله هو نفس وجوده والهاء للذي اوحينا ومصدقا حال موكدة لان الحق لا ينفك عن هذا التصديق وحقية القرآن تستلزم موافقة الكتب السابقة في العقائد واصول الاحكام، وعن بعضهم المراد بما بين يديه التوراة والانجيل .

﴿ان الله بعباده لخبير بصير﴾ عالم ببواطنهم وظواهرهم وقدم خبير ليدل على ان العهده الامور القلبية ولو كان في احوالك او قلبك يا محمد ما ينا في النبوة لم يوح اليك هذا الكتاب المعجز المتضمن لسائر الكتب .

﴿ثم اورثنا الكتاب﴾ العطف على اوحينا اي ثم حكمنا بايرات الكتال او الماضي بمعنى المضارع قيل او المراد اورثناه من الامم الماضية فانه متضمن لكتبهم فكانه كان عندهم ثم انتقل الينا ويدل لهذا والذي اوحينا اليك هو الحق مصدقا لما بين يديه وعلى هذا فالعطف على ان الذين يتلون كتاب الله .

﴿الذين اصطفينا﴾ اخترنا .

﴿من عبادنا﴾ وهم علماء الامة من الصحابة وممن بعدهم او الامة باسرهم فان الله فضلهم على الامم كما ان نبيهم افضل الانبياء وكتابهم افضل الكتب .

﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾ مقصر بالعمل بالقرآن ويعمل المعاصي واتباع الشهوات ولم يتعب بالطاعة ولكن مات تائبا .

﴿ومنهم مقتصد﴾ متوسط يعمل بالقرآن والطاعة تارة يعصي تارة ويتبع الشهوات ومات تائبا وقيل الذي يعمل به في غالب الاوقات﴿ومنهم

سابق بالخيرات﴾ يعمل ويعلم غيره ويرشد الى المعروف ويجتهد طاقته .

﴿باذن الله﴾ بارادته وتيسيره لا بقوة ذلك السابق .

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ اما السابق فمن مضى على عهد رسول الله ﷺ شهد له رسول الله ﷺ بالجنة واما المقتصد فمن تبع اثره من اصحابه حتى لحق به اما الظالم فمثلي ومثلكم تشير الى يوم الجمل للقتال .

وقال ابن عباس السابق المؤمن المخلص والمقتصد المراي ان ختم له بالتوبة والظالم كافر النعمة اي عامل الكبائر ان مات تائبا وقيل الظالم من رجحت سيئاته على حسناته والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته وختم له بالتوبة والسابق من رجحت حسناته على سيئاته وقيل الظالم من كان ظاهره خيرا من باطه والمقتصد الذي استوى ظاهره وباطنه والسابق الذي باطنه خير من ظاهره وقيل الظالم التالي للقرآن ولم يعمل به وهذا يصح عندنا على شرط التوبة والمقتصد التالي له العامل به والسابق التالي له العامل به العالم وقيل عن الجمهور الظالم العاصي المسوف والمقتصد المتقي للكبائر والسابق المتقي على الاطلاق وقيل الظالم اصحاب الكبائر والمقتصد اصحاب الصغائر بعدم الاصرار وقيل الظالم الجاهل اي الذي لم يعتن بالعلم وان كان عنده علم الحال والا فليس في الجنة جاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وانما احتجنا لتلك التأويلات بناء على ان واو يدخلونها عائد للاصناف الثلاثة وان هاء منهم عائدة للذين اصطفينا ولو رجعنا الهاء للعباد والواو للذين اصطفينا جاز ابقاء تفسير الظالم بالجاهل او صاحب الكبائر ونحو ذلك ممن فيه الخصال المانعة من الجنة وكذا المقتصد وقد فسر بعضهم الظالم باصحاب المشيئة والمقتصد

باصحاب الميمنة والسابق بالسابقين المقربين وهذا يصح على ان الضمير في منهم للعباد وهذا قول الحسن وعكرمة وقتادة والذي لابن عباس انه للذين اصطفينا وعلى ان واو يدخلونها لمن يصلح لدخولها فعلى ان الضمير لعباد تكون الاصناف في الامة وغيرها وعلى انه للذين اصطفينا تكون في الامة ولك رجع الضمير للذين اصطفينا وابقاء معاني تلك الاقوال على ظاهر فان الاصطفاء عام للامة الا من ابى منها فان المشركين والمنافقين من هذه الامة قد خصهم الله بمزايا كالقرآن ونبيه محمد ﷺ فابوا وخصوا بعدم المسخ والخسف .

﴿ذلك﴾ الايراث او الاصطفاء او السبق .

﴿هو الفضل الكبير جنات﴾ مبتدأ .

﴿عدن﴾ اقامة وقرىء بالافراد .

﴿يدخلونها﴾ خبر وقرأ ابو عمرو بضم الياء وفتح الخاء بناء للمفعول من ادخل بالهمزة وقرىء جنات بالكسر نصبا على الاشتغال ويجوز ان يكون جنات بدلا من الفضل الكبير تنزيلا للسبب منزلة المسبب فان الاصطفاء أو السبق او الايراث سبب لدخول الجنة فسمي باسمها فافهم وواو يدخلونها للأصناف الثلاثة بالقيد المذكور وهو قول ابي سعيد الخدري وعائشة وابن مسعود وكعب واسامة ابن زيد قالت عائشة وكعب يدخلونها كلهم ورب الكعبة .

قال ابن مسعود هذه الامة ثلث يدخلون الجنة بغير حساب وثلث يحاسبون حسابا يسيرا ثم يدخلونها وثلث يدخلون بذنوب عظام تابوا يقول الله عز وجل ما هؤلاء وهو اعلم بهم فتقول الملائكة مذنبون الا انهم لم يشركوا فيقول عز وجل ادخلوهم في سعة رحمتي وقرأ عمر الآية

فقال قال رسول الله ﷺ سابقا سابق ومقتصدنا مقتصد وفي رواية لاحق ناج وظالمنا مغفور له وكذا روى ابن مسعود واسامة انهم كلهم فيَ الجنة وقيل عن رسول الله ﷺ ان الظالم لنفسه بكثرة المعاصي اي ان مات تائبا يحبس بطول الحشر ثم يدخلونها ولك ان تقول الواو في يدخلونها لسابق والمقتصد ، واما الظالم فالكافر .

وعن جعفر بن زيد ان رجلا بلغه انه قال من أتى بيت المقدس لم يشخصه الا الصلاة فصلى ركعتين خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه قال فاتيت بيت المقدس فدخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم قلت اللهم صل وحدتي وانس وحشتي وارحم غربتي وسق الي جليسا صالحا تنفعني به اذ جاء رجل فقام عند سارية فصلى ركعتين ثم جلس فقمت اليه ثم سلمت عليه ثم جلست فقلت من انت يرحمك الله فقال ابو الدرداء فقلت الله اكبر قال مالك يا عبدالله قلت بلغني ان من اتى هذا المسجد ان لم يشخصه الا الصلاة فيه فصلى فاتم ركعتين خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه قال الحديث كما بلغك قال فقلت فجئت الى هذا المسجد فصليت فيه ركعتين ثم قلت اللهم صل وحدتي وانس وحشتي وارحم غربتي وسق الي جليسا صالحا ينفعني فقال انا احق بالحمد منك اذ شكرني الله في دعوتك وجعلني ذلك الجليس الصالح لاجرم لاحدثك بحديث سمعته من رسول الله ﷺ لم احدث به احدا قبلك ولا احدث به احدا بعدك سمعت رسول الله ﷺ يقول في هذه الآية ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها﴾ الآية قال فيجيء السابق فيدخل الجنة بغير حساب ويجيء هذا المقتصد

فيحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة ويجيء هذا الظالم لنفسه فيعير ويحزن ويوبخ ثم يتجاوز الله عنه فيدخل الجنة وهم الذين قالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور يغفر الذنب الكبير ويقبل العمل اليسير سبحانه وتعالى .

وروي ان حبرا من الأحبار لقي كعبا فقال يا كعب تركت دين موسى واتبعت دين محمد فقال بل انا على دين موسى واتبعت دين محمد قال فما حملك على هذا قال اني وجدت امة محمد ثلاثة اثلاث ثلث يدخلون الجنة بغير حساب وثلث يحاسبون حسابا يسيرا وثلث يقول الله تعالى لملائكته قلبوا عبادي فانظروا ماذا كانوا يعملون وهو اعلم بهم فيقلبون فيقولون ربنا نرى ذنوبا كثيرة وخطايا عظيمة فيقول قلبوا السنتهم فانظروا ماذا يقولون فيقلبون فيقولون ربنا نراهم يخلصون بك ولا يشركون بك شيئا فيدخلهم الجنة .

قال جعفر الصادق : بدا بالظالم اخبارا بانه لا يتقرب الظالم الا بكرم الله ولا يؤثر فيه الاصطفاء وثني بالمقتصد لانه بين بين ثم ختم بالسابق لئلا يامن احد مكره وكلهم في الجنة وليس لأحد ان يأمن مكر الله وقيل رتب كذلك لان الرجل بالعصيان يدخل في حيز الظالمين وبالتوبة يدخل في جملة المقتصدين وبصحتها واجتهاده يدخل في السابقين وقيل قدم الظالم لكثرته وثني بالمقتصد لقلته بالنسبة الى الظالم وهم اكثر من السابق واخر السابق لانه اقل القليل وقيل قدم الظالم لان الظلم والميل للهوى مقتضي الطبيعة ومن الظلم الجهل واما الاقتصاد والسبق فعارضان .

﴿يحلون﴾ من حلاها بالتشديد أي البسه حلية وقرىء يحلون بفتح الياء واسكان الحاء من حلي يحلي كرضى يرضي أي لبس الحلي .

﴿فيها من اساور من ذهب﴾ من الاولى للتبعيض متعلقة بمحذوف نعت لمفعول محذوف او من صلة في المفعول او للابتداء متعلق يحلون ومن الثانية للبيان او للتبعيض .

﴿ولؤلؤا﴾ معطوف على محل اساور ومن جعل من التبعيضية مفعولا اسما فالعطف على محلها وذلك قراءة نافع وعاصم وقرأ غيرهما بالجر عطفا على ذهب اواساور وقرىء بتخفيف الهمزة الاولى فقد سبق الكلام في الحجم وان قلت ما معنى كون الاساور من ذهب ولؤلؤا قلت معناه ان بعضها من ذهب وبعضها من لؤلؤ او ان السوار الواحد من ذهب مرصع باللؤلؤ او من ذهب في صفاء اللؤلؤ .

﴿ولباسهم فيها حرير﴾ عن ابي هريرة دار المؤمن درة مجوفة في اوسطها شجرة تنبت الحلل ويأخذ باصبعه سبعين حلة مبطنة باللؤلؤ والمرجان .

﴿وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن﴾ جميع الاحزان .

وعن ابن عباس : حزن النار ، وفي رواية عنه حزن الامراض والافات وفي رواية عنه حزن الموت ، وقال الضحاك حزن ابليس ووسوسته وقيل حزن خوف العاقبة وحزن المعصية ورد الطاعة وقيل حزن هول يوم القيامة وقال ابو الدرداء القائلون الظالمون لانفسهم وحزنهم ما يصيبهم من التوبيخ والتضييق عليهم في المحشر وقيل هم المعاش والحرص وقيل حزن زوال النعم وقيل كراء الدار ولعل المراد كل حزن حتى هذا .

وعن ابن عمر عن رسول الله ﷺ ليس على أهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم وكأني باهل لا اله الا

الله يخرجون من قبورهم وهم ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن .

﴿ان ربنا لغفور﴾ للذنوب العظام .

﴿شكور﴾ للعمل القليل وقيل ان ذكر الشكور دليل على ان القوم كثيرو الحسنات .

﴿الذي احلنا﴾ انزلنا .

﴿دار المقامة﴾ أي الاقامة .

﴿من فضله﴾ لا بوجوب عليه اذ لا واجب عليه .

﴿لا يمسنا فيها نصب﴾ تعب سمي لانه ينتصب له قياما في الجملة .

﴿ولا يمسنا فيها لغوب﴾ هو ما يتولد من التعب من الكلام والفتور وهذا تصريح بما يفهمه نفي النصب وقرىء بفتح اللام فيكون صفة مبالغة أي لا يصيبنا فيها امر يفترنا ويكللنا او لغوب ، لغوب بضم لام الاول وفتح لام الثاني كقولك موت مائت بتنوين موت او هو مصدر كالقبول والا ولوع او هو اسم لما يلقب منه كالوقود .

﴿والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى﴾ بالموت .

﴿عليهم فيموتوا﴾ ليستريحوا مما هم فيه والنصب بان في جواب النفي وقرىء بثبوت النون عطفا على يقضي أي فلا يموتون ﴿ولا يخف عنهم من عذابها﴾ طرفة بل كلما خبت زدناهم سعيرا .

﴿كذلك﴾ مثل ذلك الجزاء .

﴿نجزي﴾ وقرأ نجازى فينصب ﴿كل كفور﴾ مبالغ في الشرك او المعاصي .

﴿وهم يصطرخون﴾ يفتعلون من الصراح وهو الصياح ابدلت التاء طاء لتقدم الصاد .

﴿فيها﴾ قوله .

﴿ربنا اخرجنا﴾ منها .

﴿نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل﴾ مفعول لقول محذوف مفسر للاصطراخ أي قائلين او يقولون ربنا الخ ، او مفعول يصطرخون متضمنا معنى يقولون بصياح ربنا اخرجنا وغير نعت لصالح ولو اضيف لمعرفة لانه لا يتعرف بالاضافة اليها وقيل يتعرف بالاضافة اليها مطلقا وقيل ان كان بين ضدين كما هنا وعلى القولين فهو بدل لانعت والاول هو المشهور وهو قول المبرد والثاني قول بعض والثالث قول ابن السراج وابي سعيد السيرافي ووصف الصالح بغير الذي كنا نعمل تحسر على الذي كانوا يعملونه في الدنيا من شرك ومعاص وتندم عنه حين لا ينفع واعتراف به ولا ينفع الاعتراف اذ ذاك واشعار بان طلبهم الخروج انما هو لاصلاح ذلك وانهم كانوا يحسبونه صالحا والان ظهر انه غير صالح .

﴿او لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾ قيل هو ما قبل البلوغ وقيل ما قبل تسع عشرة سنة وقيل اربعون وقال ابن عباس وعلي ستون وقيل ما بين العشرين الى الستين وليس المراد انه يعذر في ذلك فانه لا عذر له الا قبل البلوغ فالواضح انه كل عمر يتمكن في المكلف من التذكر ولذلك قال ﷺ من بلغ ستين سنة فقد اعذر الله اليه وفي رواية اعذر الله الى كل امرء اخر اجله حتى يبلغ ستين سنة ، وقال اعمار امتي ما بين الستين الى السبعين وفي رواية ان العبد اذا بلغ اربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان على وجهه فقال بأي وجه لا يفلح وتذكر بمعنى يتذكر

المعنى ما يتذكر فيه من قد تذكر لو رجع .

﴿وجاءكم النذير﴾ عطف على او لم نعمركم ولو كان انشاء لان الاصل ونقول او لم نعمركم فالكلام حكاية فالمعنى على ونقول جاءكم النذير او لان المعنى عمرناكم وجاءكم النذير والنذير الرسول وقيل القرآن وقيل العقل وقيل الشيب وقيل موت الاقارب والظاهر ان يقال بدل القول بالرسول وبدل القول بالقرآن الرسل والكتب فان الآية تعم الامم الا ان اريد بالرسول الجنس كما ان النذير الجنس قال بعض الجمهور ان النذير الانبياء واستحسن بعضهم ان النذير الشيب وذكروا انه ما من شعرة تبيض الا قالت لاختها استعدي فقد قرب الموت وقرىء ما يذكر فيه من اذكر الخ . بابدال تاء يتذكر ذالا وادغامها في الذال واجتلاب همزة الوصل وتكتب في الماضي لا في المضارع .

﴿فذوقوا﴾ أي عذاب .

﴿فما للظالمين من نصير﴾ يرد عنهم العذاب .

﴿ان الله عالم غيب السموات والارض﴾ فلا يخفي عليه حالهم .

﴿انه عليم بذات الصدور﴾ فكيف لا يكون عليما بغيرها فهذا تعليل لما قبله وذات الصدور الامور التي هي صاحبة الصدور أي مضمرة في الصدور او الخصلة ذات الصدور او المعنى بالصدور نفسها وعينها فالعلم بها كناية عن العلم بما فيها .

﴿هو الذي جعلكم خلائف﴾ يخلف بعضكم بعضا ملقيا اليكم مقاليد التصرف خلف زيد عمرا صار اميرا بعده او جعلكم يموت بعض ويولد بعض جمع خليفة واما خليف فيجمع على خلفاء وقيل جمع خليف .

﴿في الارض﴾ ويجوز ان يراد جعلكم امة خلفت من قبلها من الامم في الارض ورأت ما يجب عليها ان تعتبر به فتوحد وتطيع .

﴿فمن كفر فعليه كفره﴾ أي جزاء كفره .

﴿ولا يزيد الكافرين كفرهم﴾ الذي يتجدد لهم ويتقوى .

﴿عند ربهم الا مقتا﴾ أي اشد البغض وهو بغض الله سبحانه لهم وقيل المقت الغضب كلما ازدادوا كفرا ازدادوا بغضا وغضبا .

﴿ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا﴾ خسارة الاخرة وهذا بيان لما قبله والتنكير في الموضعين للتعظيم او هو في الثاني للتكثير وانما كرر يزيد والكافرين وكفرهم تقبيحا للكفر واشعارا بان اقتضاء الكفر للمقت واقتضاه للخسار كل واحد منهما مستقل بتقبيحه وبايجاب التجنب عنه .

﴿قل﴾ لقريش وقيل للناس كلهم .

﴿أرايتم شركاءكم﴾ اضافهم اليهم مع انهم في زعمهم شركاء الله تعالى عنهم لا لهم لانهم جعلوهم شركاء له فكانه قيل آلهتكم او لانهم جعلوهم شركاء لانفسهم فيما يملكونه .

﴿الذين تدعون﴾ تطلبون او تعبدون .

﴿من دون الله اروني﴾ الرؤية بصرية .

﴿ماذا﴾ مفعول لقوله .

﴿خلقوا﴾ او مبتدأ وخبر وخلقوا صلة ذا .

﴿من الارض﴾ وهذا الاستفهام والذي في او لم نعمركم للتوبيخ وجملة اروني الخ بدل اشتمال من ارأيتم شركاءكم لان المعنى اخبروني عن شركائكم وعما استحقوا به الالوهية اروني بعضا من بعاض الارض خلقوه ومن للتبعيض وعبر عنه ابن هشام بالجنس واستظهره ومراده

التبعيض فان ذلك البغض من جنس هو الارض واجاز كونها طرفية ويأتي كلام في ذلك ان شاء الله .

﴿ام لهم شرك﴾ بل لهم شركة والضمير للشركاء وان جعل للعابدين فالشرك بمعنى الشريك .

﴿في السموات﴾ في خلقهن فيستحقون بذلك الالوهية .

﴿ام آتيناهم كتابا﴾ بينا فيه انهم شركاؤنا .

﴿فهم﴾ المشركون .

﴿على بينة﴾ واضحات .

﴿منه﴾ من الكتاب بانهم شركاؤنا وجمع البينة ايماء إلى ان الشرك من الاشياء البعيدة جدا التي لا بد فيها من دلائل كثيرة متقارنة وذلك قراءة نافع وابن عامر ويعقوب وابي بكر والكسائي وقرأ الباقون بالافراد اي على بينة عظيمة مستقلة كافية في مدعاهم ويجوز ان يكون هم عائدا للشركاء أي فهم على بينة ان لهم شركة في الألوهية .

﴿بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا﴾ ان نافية والظالمون المشركون والغرور الباطل بقولهم ان الاصنام تشفع لنا يتداولون ذلك فيما بينهم او وعدت الاسلاف ذلك فتبعتهم الاخلاف او وعدت الروساء ذلك فتبعتهم السفلة او الشياطين فتبعهم الانس لما نفى الحجيج عنهم اضرب ببل الذي هي اصرح في الاضراب من ام بذكر الحامل على الاشراك وهو وعد الغرور .

﴿ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا﴾ اي تفنيا او تنتقلا عن موضعهما او كراهة ان تزولا او لئلا تزولا فحذفت اللام ولا وهو ابعد والامساك هو امساك قدرته تعالى عن المماسة والملاصقة او هو منع

وعلى كل حال فالممكن الموجود لا بد له من حافظ او ذلك كناية عن عظم كلمة الشرك حتى ان منها انهداد السموات والارض فلو لا ان الله امسكهما لانهدتا ومثله يكاد السموات والارض يتفطرن منه وتنشق الارض .

﴿ولئن زالتا﴾ قسم متقدم وشرط متأخر فقوله .

﴿ان﴾ أي ما .

﴿امسكهما من﴾ زايدة مؤكدة .

﴿احد من بعده﴾ دونه جواب القسم دال على جواب الشرط وقيل كاف عن جواب الشرط وقرىء ولو زالتا ومن الداخلة على بعد وقيل زائدة عند ابن مالك ولو في الاثبات او التعريف او فيهما وللابتداء عند بعض .

﴿انه كان حليما غفورا﴾ اذ امسكهما مع فعلهم ما يجب به وقوعهما .

وعن ابن عباس انه قال لرجل مقبل من الشام من لقيت به قال كعب قال وما سمعته يقول قال سمعته يقول ان السموات على منكب ملك قال كذب كعب ، اما ترك يهوديته بعد ثم قرأ هذه الآية .

وعن الاعمش عمن حدثه عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ انه رأى رجلا عليه اثر السفر فقال له من اين قدمت ، فقال من الشام قال لقيت قال لقيت فلانا وفلانا ولقيت كعب الاحبار قال فما حدثك به قال حدثني ان السموات تدور على فلك فقال عبدالله بن مسعود كذب كعب السماء لا تدور وانما تجري فيها الكواكب فان الله سبحانه وتعالى يقول ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده سبحان الله كيف يكون كعب كاذبا وامساك الملك السموات على

منكبه امساك لله لهن ودورانهن ليس هو الانتقال الذي ذكر الله فان الموضع الذي تدور فيه كله هو موضع لها والله اعلم وبلغ قريشا قبل مبعث النبي ﷺ ان أهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم ولما بعث رسول الله ﷺ كذبوه ونزل في ذلك .

﴿**واقسموا بالله جهد ايمانهم**﴾ أي غاية اجتهادهم فيها .

﴿**لئن جاءهم نذير**﴾ اي رسول .

﴿**ليكونن اهدى من احدى الامم**﴾ اليهود والنصارى فالجمع بمعنى التثنية او لان في اليهود والنصارى اِمما او المراد اليهود والنصارى وغيرهم ومعنى كونهم اهدى من احدى الامم انهم يكونون اهدى من امة ذات هدى وفضل من بين الامم تفضيلا لانفسهم على من هو فاضل فكانه قيل ليكونن اهدى من الامة التي يقال فيها هي احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدي والاستقامة او المعنى انهم يكونون اهدى من احدى الامم اليهود والنصارى او وغيرهم لا نستوي معها بل نكون احسن حالا منها في امر الرسول .

﴿**فلما جاءهم نذير**﴾ واي نذير وهو رسول الله سيدنا محمد ﷺ .

﴿**ما زادهم**﴾ أي النذير او مجيئه .

﴿**الا نفورا**﴾ تباعدا عن الحق واسناد الزيادة للنذير من الاسناد للسبب فان رسول الله ﷺ ومجيئه هما السببان في نفورهم وقد كانوا من قبل على شرك ولما جاء ازدادوا شركا ولو لم يجيء لم يتصفوا بالنفور وهذا كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم .

﴿**استكبارا في الارض**﴾ عن الايمان وانما قال في الارض ايماء الى ان

استكبارهم من جملة الفساد في الارض المستقبح ولو في العقول وهو بدل من نفورا بدل مطابق فان النفور عن الايمان والتكبر عنه واحد فان التكبر عن الشيء تجنب عنه او مفعول لاجله عامله نفورا كانه قيل ان النفور الذي هو لاجل كبرهم ما زادهم اياه الا النذير ومجيئه وهذا على ان الاستكبار مراد به الاستكبار الذي طبعت عليه النفس مطلقا او حال أي ذوي استكبار او مستكبرين .

﴿ومكر السيء﴾ معطوف على استكبار او على نفور والسيء نعت لمكر محذوف اي ومكر المكر السيء كانه قيل ما زادهم الا ان نفروا وان استكبروا وان مكروا المكر السيء او لان استكبروا ولئن مكروا المكر السيء ناب المصدر عن الفعل وحرف المصدر او وماكرين او ذوي مكر وقرأ حمزة باسكان الهمزة في الوصل لاستثقال الحركات مع الياء والهمزة ولا سيما ان الياء مشددة والحركة كسرة كذا روي عنه ولعله اختلس فظن سكونا او وقف وقفة خفيفة واسكانها وروماها في الوقف جائزان ، وقرأ ابن مسعود ومكرا سيئا والمكر السيء هو اجتماعهم على الشرك او مكرهم بالنبي ﷺ .

﴿ولا يحيق﴾ يحيط وينزل ولا يستعمل الا في الشر .

﴿المكر السيء الا باهله﴾ وقرىء بضم ياء يحيق ونصيب المكر السيء أي لا يحيق الله وقد حاق بهم يوم بدر قتلوا واسروا فالقتل والاسر مكرا حاقة الله بهم في الدنيا ولهم في الاخرة ما هو اشد وذلك جزاء شركهم او مكرهم بالنبي ﷺ على الخلف في المكر السيء هل هو شركهم او مكرهم بالنبي ﷺ وقد قال ابن عباس في تفسير الآية عاقبة الشرك لا تحل الا بمن اشرك والظاهر ان مكرهم به ﷺ قال ﷺ لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا

فان الله يقول ولا يحيق المكر السيء الا باهله ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا يقول الله تعالى انما بغيكم على انفسكم .

وفي رواية عن ابن عباس ان كعبا قال له قرأت في التوراة من حفر مهواة وقع فيها فقال ان وجدت ذلك في كتاب الله فقرأ الآية وفي امثال العرب من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا .

﴿فهل ينظرون﴾ ينتظرون ومنه إلى ربها ناظرة أي منتظرة نهية املها إلى ربها .

﴿الا سنة الاولين﴾ سنته في تعذيب المكذبين الاولين او في تعذيب المكذبين من الاولين جعل الله سبحانه استقبال العذاب اليهم وثبوتهم له لا محالة اذ لا قدر لهم عن الامتناع عنه كانتظارهم له وهذا كما يشبه المال بالغرض .

﴿ فلن تجد لسنة الله تبديلا﴾ أي لا تبدل سنته التي هي العذاب بضدها الذي هو الانعام .

﴿ولن تجد لسنة الله تحويلا﴾ لا تحول سنته التي عذاب المكذبين بالابطال لها وبتعذيب غير المكذبين او بجعل غير التعذيب تعذيبا بل لا بد من تعذيبهم عذابا مؤلما .

﴿او لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ ساروا في متاجرهم الى الشام والعراق واليمن ، ورأوا اثار الماضين وعلامات هلاكهم فهلا ازدجروا لئلا يصيبهم ما اصاب هؤلاء .

﴿وكانوا اشد منهم قوة﴾ ولم تغن عنهم قوتهم سحبان من لا تتفاوت الاشياء في قدرته .

﴿وما كان الله ليعجزه من شيء﴾ يسبقه ويفوته ﴿في السموات ولا في الارض انه كان عليما﴾ بالاشياء كلها .

﴿قديرا﴾ عليها﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبو﴾من المعاصي .

﴿ما ترك على ظهرها﴾ اي ظهر الارض بدليل قوله .

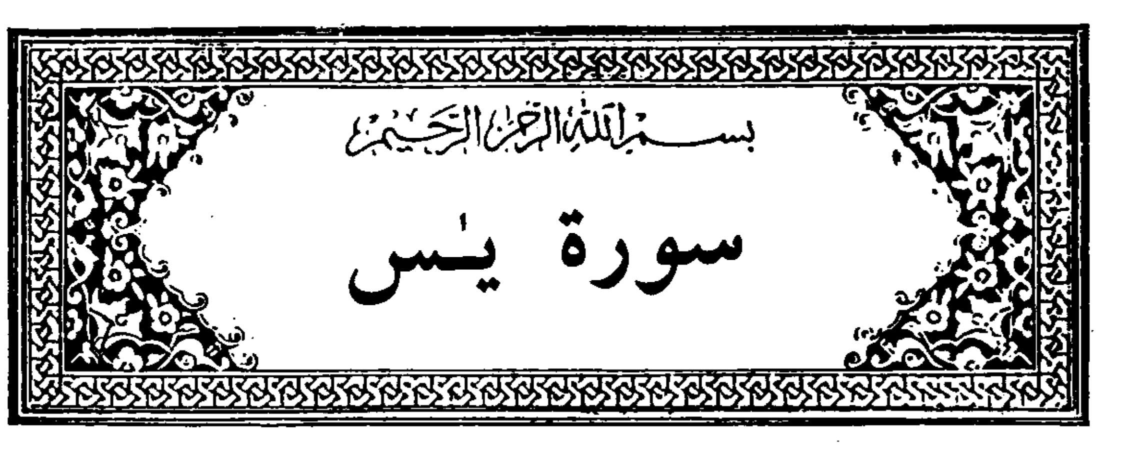
﴿من﴾ زائدة في المفعول .

﴿دابة﴾ فان الدبيب يكون على الارض والمراد بالدابة الناس بدليل قوله عز وجل﴿ولكن يؤخرهم إلى اجل مسمى﴾وهو يوم القيامة وقيل المراد بالدابة الناس وغيرهم يهلك الجميع من شوم ذنوب بني آدم والجن وفي جعل الدواب منافع لهم .

قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ كاد الجعل يعذب في جحره بذنب ابن آدم ثم تلا وقال انس ان الضب ليموت هزالا في جحره بذنب ابن آدم وان المطر يحبس وتهلك اشياء .

﴿فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا﴾ بأهل الطاعة وأهل المعصية فيجازي كلا فهذا وعد للطائعين ووعيد للعاصين .

اللهم بسيدنا محمد ﷺ وبالسورة اخز النصارى واهنهم واكسر شوكتهم وغلب المسلمين والموحدين عليهم رضي الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .


بسم الله الرحمن الرحيم
سورة يٰس

وتسمى قلب القرآن . قال ﷺ : «قلب القرآن يس» رواه انس وعن ابي بكر عنه ﷺ سورة يس تدعى في التوراة المعمة قيل يا رسول الله وما المعمة قال نعم صاحبها بخيري الدنيا والآخرة وتكابد عنه بلوى الدنيا وتدفع عنه اهاويل الآخرة وتدعى المدفعة والقاضية تدفع عن صاحبها كل سوء وتقضي له كل حاجة . قال البيهقي وهو حديث منكر وهي مكية كلها وقيل الا قوله سبحانه﴿إنا نحن نحيي الموتى﴾الآية لماروا‌ه ابو سعيد أن بني سلمة في ناحية المدينة فأرادوا النقلة إلى قرب المسجد فنزلت هذه الآية فقال ﷺ : إن أتاكم تكتب فلم ينتقلوا واستثنى بعضهم﴿واذا قيل لهم انفقوا﴾الآية نزلت في المنافقين وحكى ابوسليمان الدمشقي قولا أن سورة يس مدنية قال وليس بالمشهور وآيها ثلاث وثمانون وكلها سبعمائة وعشرون وحروفها ثلاثة آلاف . قال ﷺ : «ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب الله بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات» رواه الدارمي والترمذي عن انس وقلب الشيء لبه وذلك لاحتوائها مع قصرها على الآيات الساطعة والمعاني الرقيقة والزواجر البالغة . وقال الغزالي : لأن الإيمان صحة الاعتراف بالحشر والنشر وهذا المعنى مقرر فيها بأبلغ وجه وقال رسول الله ﷺ«من قرأها يريد بها وجه الله سبحانه وتعالى غفر الله له واعطاه من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنين وعشرين مرة وايما ما مسلم قرىء عنده اذا نزل به ملك

الموت يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويشيعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة يشربها وهو على فراشه فتقبض روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حتى يدخل الجنة وهو ريان». قال ابن عباس رضي الله عنه كنت لا اعلم ما روي في فضل يس كيف خصت به فاذا انه للآية الاخيرة منها . وعن انس عن رسول الله ﷺ : «إن لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات». وعن مقاتل بن يسار قال : قال رسول الله ﷺ : «اقرأوا على موتاكم يس» . وفي رواية «قلب القرآن يس لا يقرأها رجل يريد الله والدار الآخرة الا غفر له اقرأوها على موتاكم«وقالوا من كتبها وشربها ادخلت جوفه الف دواء والف نور والف يقين والف بركة والف رحمة والف حكمة ونزعت عنه كل داء وغل . قال اليافعي : وبلغنا من قرأ يس في المقابر خفف عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنات ومن قرأ يس مساء لم يزل في فرح حتى يصبح او صباح لم يزل في فرح حتى يمسي ومن قرأها عند مسلم اذا نزل به الموت نزل بعدد كل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشيعون جنازته ويشهدون دفنه وايما ما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يرى رضوان ويحييه ومن قرأ يس امام حاجة له فقضيت

ومن قرأها وهو خائف امن او جائع شبع او ظمآن روي . وقال رسول الله ﷺ : «ان في القرآن سورة تدعى العزيز عند الله ويدعى صاحبها الشريف عند الله يشفع قارئها يوم القيامة في اكثر من ربيعة ومضر وهي سورة يس». وقال رسول الله ﷺ «تهرب المردة من سورة يس وآخر الحشر والمعوذتين» وقال رسول الله ﷺ : «ان في القرآن سورة تشفع لقارئها ويغفر لمستمعها الا وهي يس» . وقال رسول الله ﷺ : «من قرأ سورة يس ليلة الجمعة اصبح مغفورا له» .

وعن الحسن ان رسول الله ﷺ قال : «من قرأ سورة يس وحاميم الدخان في ليلة جميعا ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وقال رسول الله ﷺ الحمد لله الذي اكرمني واكرم امتي بسورة يس وآية الكرسي وقل هو الله احد . وقال رسول الله ﷺ : «من قرأ سورة يس في ليل او نهار لم يدركه يومئذ ذنب واتى رجل الى ابراهيم بن ادهم فقال : ما تقول في يس ؟ قال : ان في يس اسما من علمه ودعا الله تعالى به اجيبت دعوته برا كان او فاجرا اذا دعا به في الشيء الذي هو خاص له فقال له الرجل أرأيت اصلحك الله ان دعوت بجميع السورة قال لا حتى تدعو بالاسم بعينه في الشيء الذي هو خاص له أرأيت ان اتيت حانوت الصيدلانيّ وبك داء وانت تعلم ان فيه دواك ولكن لست تعلمه بعينه واخذت من جميع ما في الحانوت وشربته لدائك هل كان ينفعك حتى تقصده لدوائك بعينه فتستعمله على ما تحب وكما خلق الله الداء خلق له الدواء ينجع فيه كذلك لكل اسم من اسمائه تعالى شيء خاص يدعى به في ذلك الامر فيجاب من اجله قال بعضهم ولم يقرأ احد يس ودعا بها وهو مهموم الا

فرج الله تعالى همه ولا غريق الا نجاه الله تعالى من الغرق ولا مسجون الا انطلق ولا جائع الا شبع ولا عاطش الا روي ولا خائف الا أمن ولا على ميت الا خفف الله عذاب القبر وتوسطت يس خمس كلمات من كتبها ومحاها بماء طاهر مستقبل القبلة وشربها انطقه الله باذنه بالحكمة وابان عن اسرار العوالم وذكر بعضهم انه يستقبل ايام زيادة الهلال ويتطهر فيها ثلاثة ايام ويطهر ثيابه ويتطيب بما امكن وليصم الجمعة والسبت ولا يرفث ولا يجهل ولا يتكلم بالخفاء ويتصدق ولا يكون الا على وضوء ولا يفعله ساهيا ولا لاهيا ولا مستخفا ولا اشرا ولا بطرا فان ذلك اسم عظيم به ينفخ اسرافيل في الصور فاذا كان يوم الاحد صلى الصبح ويستقبل الشمس عند الطلوع ويدعو به ثلاثا ويسأل حاجته ويدعو به مرتين اذا توسطت الشمس ويدعو به مرة عند الغروب وينفع للمعقود تقول بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . اللهم اني أسألك بيس والقرآن الحكيم يا باعث المرسلين يا هادي من يشاء الى صراط مستقيم يا مهلك الظالمين ومبيد الفاسقين وكل لديه محضرون يا من يحيي الموتى ويكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء احصيناه في امام مبين يا من يحيي الأرض بعد موتها واخرج منها حبا فمنه يأكلون يا من جعل فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون يا مسبحا بكل لسان يا خالق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون يا من سلخ من الليل النهار فإذا هم مظلمون يا من قدر الشمس منازل تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز

العليم يا عزيز يا عليم يا من قدر القمر منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون يا من حملنا في الفلك المشحون وخلق لنا من مثله ما نركب وإن يشأ أغرقنا فلا صريخ لنا منه ولا مهرب يا رحيم يا من خلق لنا انعاما وذللها لنا فمنها اكلنا وركوبنا وجعل لنا فيها منافع ومشارب افلا يشكرون يا من خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين يا من يحيي العظام وهي رميم يا من انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم يا من جعل لنا من الشجر الأخضر نارا يا من خلق السماوات والأرض يا قدير يا خلاق يا عليم يا من أمره إذا اراد شيئا أن يقول له كن فيكون يا سبوح يا من بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون ومن كان مهموما فليقرأ سورة يس وإذا ختمها فليدع بهذا الدعاء يقول سبحان المفرج عن كل مهموم سبحان المنفس عن كل مديون سبحان من جعل خزائنه بين الكاف والنون إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون يا مفرج الهم فرج همي يا مفرج الهم فرج همي يا مفرج الهم فرج همي . ومن كتب يس بما ورد وزعفران سبع مرات وشربها سبعة ايام متوالية كل يوم مرة وعي ما سمع وغلب من يناظره وعظم في الاعين وتشرب لادرار البول ومن سقاها لامرأة مرضعة درّ لبنها وكان فيه للمرضع غذاء حسن وشفاء تام باذن الله تعالى ومن علقها على جسده امن من الاعين السوء والجن والهوام والاوجاع وذكر الكلبي انه كان رجل قتل قتيلا خطأ وكان ولي المقتول يتهمة ان يكون قتله عمدا فكان يطلبه ليقتله فقال له رجل من

لصالحين إن كنت في مقاتلتك صادقا فاقرأ سورة يس قبل خروجك من منزلك واخرج عليه فإنه والله لا يراك فإنه ظلمك فكان الرجل يقرأها قبل خروجه من منزله فلا يشاهد في طريقه طالبة وقد صح ان رسول الله ﷺ قرأ اولها حين خرج على قريش لما بيتوا قتله فخرج ولم يروه وجعل على رؤوسهم ترابا ومن خاف من جائر او هاجه فزع او ضل عن الطريق فليقرأ سورة يس ثم يقول بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم بسم الله الذي لا اله الا هو ذو الجلال والاكرام بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم . . اللهم إني أعوذ بك من شر فلان وقوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا إلى قوله لا يبصرون لدفع كيد الأعداء ورد صررهم وتدبيرهم وصد وجوههم واعمى ابصارهم وخذلانهم ومن نقشه على صحيفة نحاس او ذهب وسمرها على قبضة الترس ويلقيه للاعداء خذلوا ورد كيدهم في نحورهم ومن قرأها عند اخذه فراشه امن في ليلته من اللص والمفسد ومن قرأها عند مخاصمة رجلين خذل الظالم منهما بقدرة الله سبحانه .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يس﴾ باخلاص فتحة الياء وآمالها ابوبكر وروح وحمزة والكسائي وادغم ابوبكر وابن عامر والكسائي وورش ويعقوب النون في الواو بعدها ويبقون الغنة وكذا في ن والقلم غير ان عامة اهل الاداء يأخذون من مذهب ورش بالبيان في السورتين للنون وقرىء بكسر النون على البناء وبالفتح على البناء او على الاعراب اي اتلو يس وعلى اضمار حرف القسم فالفتحة لمنع الصرف للعلمية وتأنيث السورة وبالضم بناء او اعرابا على ان التقدير هذه يس فقيل الله اعلم بمراده . وقال قتادة اسم للقرآن وقيل للسورة وقيل للنبي ﷺ وعن ابن عباس هو قسم وعنه ان المراد يا انسان بلغة طي وهو سيدنا محمد ﷺ او اقتصر على شطره وكسرت السين وذلك الاقتصار لكثرة نداء الإنسان وقال جاز الله الأصل يا انيسين اقتصر كذلك كما قيل في ايمن من وم وفي رواية عن ابن عباس ان المعنى يا انسان بالحبشية وفي رواية عن قتادة انه قسم وقيل ان يس انسان بالسريانية وهو قول الكلبي وممن قال انه بلغه طي الحسن وعكرمة والضحاك وسعيد بن جبير وقيل بلغة كلب واقول الذي حفظت في تصغير انسان انيسيان على غير قياس ويرد على مدعي التصغير ان النبوة تمنع منها وقد نصوا على ان التصغير لا يدخل الأسماء المعظمة

شرعا ولما قال ابن قتيبة ان المهيمن مصغر مؤمن بابدال الهمزة هاء قيل له هذا يقرب من الكفر فليتق الله قائله وقيل معناه يا محمد ذكره ابن الحنفية والضحاك قال ابو العالية وقيل يا رجل وقال ابو بكر الوراق ، ياسيد البشر .

وقال جعفر الصادق : انه اراد ياسيد مخاطبة للنبي ﷺ ، وفيه من تعظيمه وتمجيده ما لا يخفى .

وعن طلحة عن ابن عباس انه قسم اقسم الله به وهو من اسماء الله تعالى وقال كعب اقسم الله به قبل ان يخلق السموات والأرض بالفي عام يا محمد إنك لمن المرسلين قال النقاش لم يقسم الله تعالى لأحد من أنبيائه بالرسالة في كتابه إلا له ﷺ **﴿والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين﴾** رد على الكفار إذ قالوا لست مرسلا ولا يخفى ما في ذلك من التأكيد بالقسم ووصف المقسم به وهو القرآن بالحكمة فهو أقسم بما لا ينطق الا بالحكمة والتأكيد بأن الجملة الإسمية ولو أراد لأكد بالاسمية وحدها والتأكيد باللام وبالادخال في زمرة المرسلين فإنه أبلغ من قولك إنه لمرسل ويجوز أن يكون وصف القرآن بالحكمة لأنه كلام الله والله حكيم وفيه التأكيد والوا عاطفة ان جعل يس قسما والمعطوف على المقسم به مقسم به وقسمية إن لم يجعل يس قسما .

﴿على صراط مستقيم﴾ دين الله وهو التوحيد والاستقامة ويتعلق ذلك بمحذوف خبر ثان لأن أوحال من ضمير الاستقرار وان قلت لا مرسل الا على صراط مستقيم فما افاد قوله على صراط مستقيم قلت ذكر تأكيدا لما دل عليه كونه من المرسلين بالالتزام .

﴿تنزيل العزيز الرحيم﴾ أي هو تنزيل العزيز الرحيم وهو اسم للقرآن منقول من المصدر او هو مصدر بمعنى اسم مفعول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالنصب باضمار اعني او مفعول مطلق على انه مصدر باق على المعنى المصدري ويقدر له عامل من لفظه وقرىء بالجر على الابدال من القرآن .

﴿لتنذر﴾ أي ارسلناك لتنذر او متعلق بتنزيل او بقوله من المرسلين لنيابته عما يصح التعليق به او بما تعلق به وهو ثابت مثلا باعتبار كونه منفعلا عن المثبت بكسر الباء وهو الله او بقدر مثبت بفتح الباء .

﴿قوما﴾ وهم قريش .

﴿ما انذر آباؤهم﴾ ما نافية قاله قتادة والجملة صفة قوما وقريش الادنون لم يأتهم رسول قبل سيدنا محمد ﷺ وذلك لتطاول مدة الفترة واما قريش الاوائل فقد انذروا فالذين في زمان النبي ﷺ احوج ما يكونون إلى الانذار لطول الفترة ويجوز ان يكون ما موصولا اسميا مفعولا ثانيا لا نذر واقعة على العذاب اي لتنذرهم العذاب الذي انذر به اباءهم الأوائل وهو قول عكرمة كقوله سبحانه انا انذرناكم عذابا قريبا أو حرفيا فالمصدر مفعول مطلق أي لتنذر قوما انذار ابائهم الاوائل

أو نكرة موصوفة .

﴿فهم غافلون﴾ عما يراد بهم من الإيمان والرشد وهو متفرع على قوله ما انذر آباؤهم إن كانت ما نافية وتعليل لقول إنك لمن المرسلين مع علته إن كان لتنذر علة له او تعليل لتنذر ان لم تجعل نافية وقد تجعل تفريعا على ما انذر آباؤهم ولو كانت غير نافية لأن الكلام يفهم لم ينذروا .

﴿لقد حق القول﴾ وجب العذاب أو لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين .

﴿على أكثرهم﴾ وهم الذين قضي الله أنهم لا يؤمنون .

كما قال عز وعلا ﴿فهم لا يؤمنون﴾ أي لأنهم قضى الله عليهم انهم لا يؤمنون .

﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا﴾ الغل ما يربط به شبه الله سبحانه خذلانهم وعدم توفيقهم للإيمان بربط أيديهم مثلا إلى أعناقهم فهم مصممون على الكفر لا تؤثر فيهم الآيات .

﴿فهي﴾ أي الاغلال .

﴿إلى الأذقان﴾ أي منتهية إلى الأذقان جمع ذقن وهو اسفل اللحيين ، يعني أن الأغلال ملئت أعناقهم ، وانتهت الى الأذقان فمنعتهم من ان يطأطئوا برؤوسهم لعظمها أو كثرة ليها أو بحلقتها الثانية التي يكون فيها العمود وهذا ترشيح للتشبيه المذكور او تمثيل اخر لعدم تطأطئهم للايمان .

وقال الطبري : الضمير للأيدي لأن الغل يجمع اليد إلى العنق وفيه بعد لأنه خلاف الظاهر ولأن الأقماح يناسب المعنى الاول وقرا ابن عباس انا جعلنا في أيديهم ، وابن مسعود في ايمانهم .

﴿**فهم مقمحون**﴾ مرفوعة رؤوسهم بسبب الاغلال مغضوضة ابصارهم لا يلتفتون نحو الحق ولا يميلون بأعناقهم اليه وهذا تصريح بما دل عليه فهي إلى الأذقان ويجوز ان يراد بالأقماح مطلق التكبر والترفع عن الإيمان وفسر على الأقماح بأن الصق يديه تحت لحييه ورفع رأسه .

﴿**وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا**﴾ فهم بين سدين محيطين بهم من كل جهة فان ذكر امام ووراء كناية عن الاحاطة من كل جهة وليس المراد خصوص الجهتين وقرأ حمزة والكسائي وحفص بفتح السينين وهو لغة وقيل ما كان يفعل الناس فبالفتح وفيما كان بخلق الله بلا واسطة الناس فبالضم وعلى هذا القول ففي قراءة حمزة والكسائي وحفص تشبيه منع الله لهم عن الايمان بسوء اختبارهم لا بالقهر بجعل الناس السد المانع .

وقال عكرمة : الفتح فيما كان بخلق الله والضم فيما كان من عمل الناس والمراد تشبيه خذلانهم وعدم توفيقهم بجعل السد الحائل بين شيئين .

﴿**فأغشيناهم**﴾ غطيناهم كلهم امصارهم وغيرها وهذه مبالغة او المراد غطينا ابصارهم .

وعن مجاهد : البسنا ابصارهم غشاوة وقرىء بالعين المهملة أي جعلناهم غشيا اي لا يبصرون ليلا هذا هو المعنى الحقيقي وتجوز به إلى عدم الابصار مطلقا ليلا او نهارا ثم جعل هذا كالحقيقة وتجوز به الى عدم الهداية هذا ما ظهر فهو مجاز بمرتبتين .

﴿**فهم لا يبصرون**﴾ سبيل الهدى وانت خبير بأن ذلك كله على سبيل التجوز في كل مما ذكر على حدة او بعضه ترشيح او على سبيل التمثيل

فيكون من المجاز المركب وهو اولى شبه حالهم بحال من هو في سجن لا يرى شيئا لظلمته وذلك ان جهلهم وسوء اختيارهم منعهم عن النظر في الآيات .

وروي أن الآية نزلت في ابي جهل وصاحبه المخزومي حلف ابو جهل لعنه الله لئن رأى محمدا يصلي ليرضخن رأسه بالحجارة فاتاه وهو يصلي وفي يده حجر فلما رفعه للضرب الصقت يده لعنقه وألزق الحجر بيدهْ فلما رجع إلى أصحابه وأخبرهم انحلت يده وسقط الحجر فقال صاحبه المخزومي أنا اقتله بهذا الحجر فاتاه وهو يصلي فاعمى الله بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع ألى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقالوا له ما صنعت قال ما رأيته ولقد سمعت صوته وحال بيني وبينه كهيئة الفحل يضرب بذنبه لو دنوت منه لأكلني وذكروا أنه ﷺ بالغ في انذارهم وتسفيه عقولهم وسب الهتهم يوما فاظهروا له شدة الاداء وانصرف حزينا فقال ابو جهل لعنه الله يا معاشر قريش ان محمدا قد ابى الا ما ترون واني اعاهد الله لاجلسن له غدا بحجر ما يطيق حمله فاذا سجد في صلاته رضخت به رأسه فأسلموني عند ذلك او أمنعوني فيصنع بي بنو عبد مناف ما بدا لهم فقالوا والله ما نسلمك لشيء ابدا فلما اصبح اخذ حجرا كما وصف فلما سجد ﷺ كعادته وقريش ينظرون احتمل اللعين الحجر ثم اقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزما مستنقعا لونه مرعوبا قد يبست يداه على حجره حتى قذفه فقاموا إليه فقالوا مالك يا ابا الحكم قال قمت لافعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الابل لا والله ما رأيت مثل هامته ولا مثل صورته وانيابه لفحل قط فهم بي أن يأكلني .

وعنه ﷺ ذاك جبريل لو دنا مني لاخذه قال البوصيري :

* وابو جهل اذ رأى عنق الف * حل اليه كانه العنقاء *

﴿وسواء عليهم اءنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ لا يؤثر فيهم الانذار فهو كعدمه والفعل بعد سواء يأول بالمصدر بلا حرف مصدر وقيل الهمزة بعد سواء حرف مصدر وليس بشيء والمصدر مبتدأ خبره سواء ، وزعم بعض أن سواء مبتدأ والمصدر فاعله أغني عن خبره لأنه بمعنى مستو ولو لم يتقدم نفي او استفهام وقيل مبتدأ بلا خبر ولا مغن والهمزتان في أءنذرتهم تحقق الأول وتبدل الثانية ألفا أو تحققان أو تمهل الثانية ويدخل الف عند تحقيقهما او تحقيق الثانية بينهما او يترك الادخال .

﴿إنما تنذر من اتبع الذكر﴾ القرآن أو الوعظ .

﴿وخشي الرحمن بالغيب﴾ تقدم معنى الخشية بالغيب أي إنما يؤثر انذارك فيمن صفته ذلك فلا منافاة بين هذا وقوله لتنذر قوما .

﴿فبشره﴾ أي بشر ذلك المتبع للذكر الخاشي الرحمن بالغيب .

﴿بمغفرة﴾ عظيمة عامة لذنوبه .

﴿وأجر كريم﴾ هو الجنة .

﴿إنا نحن نحيي الموتى﴾ نبعثهم او الموتى الجهال واحياؤهم هدايتهم ألى الإيمان وهو قول الحسن .

﴿ونكتب ما قدموا﴾ من خير أو شر وقرىء يكتب بالتحتية والبناء للمفعول ورفع ما بعده .

﴿وآثارهم﴾ اعمالهم الباقية كعلم علموه وصدقة جارية وسنة حسنة وكسنة قبيحة سنوها ومن الصدقة الجارية كتاب صنفه في العلم وحبس

حبسوه ومسجد بنوه او قنطرة وعنه ﷺ من سن في الاسلام سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها من بعده من غير ان من ينقص اجورهم شيء ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من اوزارهم وقيل الآثار الخطا الى المسجد وهو قول عمر بن عبدالعزيز وقد تقدم حديث بني سلمة في ذلك في اول السورة .

وعن جابر بن عبدالله البجلي وأردنا النقلة إلى المسجد والبقاع حوله خالية فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاتانا في ديارنا فقال يا بني سلمة انكم تريدون النقلة الى المسجد فقلنا نعم بعد علينا المسجد والبقاع حوله خالية فعليكم دياركم فانما تكتب اثاركم ، قال فما وددنا حضرة المسجد أي قربه لما قال رسول الله ﷺ وفي رواية قالوا نعم يا رسول الله اردنا ذلك فقال بني سلمة دياركم تكتب اثاركم اي يا بني سلمة الزموا دياركم فقالوا ما يسرنا انا تحولنا قال عمر بن عبدالعزيز لو كان الله مغفلا شيئا لأغفل هذه الآثار التي تعفيها الرياح وعنه ﷺ اعظم الناس اجرا في الصلاة ابعدهم مشيا والذي ينتظر الصلاة مع الامام اعظم اجرا من الذي يصلي وحده .

﴿وكل شيء أحصيناه﴾ ضبطناه حفظا وعدا .

﴿في إمام مبين﴾ اللوح المحفوظ قاله ابن زيد وقتادة وقالت فرقة صحيفة الأعمال وكل مفعول لمحذوف على الاشتغال وقرىء بالرفع على الابتداء

أو بالعطف على ما قدموا او على آثارهم فإن هذا الرافع يقرأ ويكتب بالتحتية والبناء للمفعول ورفع آثار .

﴿واضرب لهم مثلا اصحاب القرية إذ جاءها المرسلون﴾ أي اجعل

لهم حال اصحابها مثلا والضرب في المثل يتعدى لاثنين لأنه بمعنى التصيير قاله ابن مالك واصحاب مفعوله الأول على حذف مضاف اي حال اصحاب ومثلا مفعول به ثان ولهم متعلق باضرب وقيل يتعدى لواحد فاصحاب بدل من مثلا او بيان للنكرة بالمعرفة وقيل لا تعرف اضافة صاحب فمعناه اثبت أو اذكر واذ بدل من اصحاب بدل اشتمال قال قوله جاءها في معنى جاء اصحابها فحذف المضاف أو الضمير للأصحاب افرد وانث للتأويل بالجماعة أو بدل من حال المحذوف والقرية أنطاكية والمرسلون هم الذين أرسلهم نبي الله عيسى عليه السلام إلى أصحاب القرية .

﴿إذ﴾ يدل من إذ الأولى .

﴿أرسلنا إليهم اثنين﴾ قيل هما يحيى ويونس عليهما السلام أرسلهما عيسى عليه السلام وإنما أضاف الله سبحانه وتعالى إرسالهما إلى نفسه لأنه فعل رسوله وخليفته ولأنه بأمر الله وقدره وقضائه وتفسير الاثنين بهما قول وهب . وقال كعب صادق وصدوق وقال مقاتل توفان وبالوس وقال ابن اسحاق بارعون وما روص وقال السعد شمعون وبيصير .

﴿فكذبوهما فعززنا﴾ أي جعلنا الاثنين عزيزين أي غالبين فالتشديد للتعدية وقرأ أبوبكر بالتخفيف من عزه أي غلبه أي فغلبنا المكذبين وحذف المفعول في القراءتين لان المراد الاخبار بالاعزاز او العزة لا الغالب أو المغلوب والسياق دال عليه .

﴿بثالث﴾ هو شمعون رأس الحواريين ويقال له شمعون الصغار وذلك قول اكثر المفسرين وقال السعد بولش أو حبيب النجار وقال كعب شلوم وقال مقاتل سمعان والمرسلون الثلاثة من الحواريين الذين بعثهم

عيسى عليه السلام حين رفع وصلب الذي القى عليه الشبة وقيل هم انبياء . قال عياض ويدل له قول الكفرة ما أنتم إلا بشر مثلنا وهذا تقوله الكفرة لمن ادعى النبوة ولا يخفى أن يحيى ويونس نبيان .

﴿فقالوا﴾ لأصحاب القرية .

﴿إنا إليكم مرسلون﴾ قال في عرائس القرآن بعث عيسى عليه السلام رسولين من الحواريين الى مدينة انطاكية فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنما له وهو حبيب النجار صاحب يس فسلما عليه فقال لهما الشيخ من أنتما قالا رسولا عيسى ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن . قال أمعكما آية ؟ قالا : نعم نشفي المريض ونبرىء الاكمه والأبرص باذن الله . فقال الشيخ : إن لي ابنا مريضا صاحب فراش منذ سنين . قالا : فانطلق بنا إلى منزلك ننظر حاله فأتى بهما منزله فمسحا ابنه فقام في الوقت صحيحا باذن الله عز وجل ففشي الخبر في المدينة وشفى الله على أيديهما كثيرا من المرضى وكان بأنطاكية فرعون من الفراعنة يعبد الاصنام يقال له شلاحن وقال وهب اسمه انطميس وكان من ملوك الروم وانتهى الخبر اليه فدعاهما فقال لهما : من انتما قالا رسولا عيسى عليه السلام قال وما آيتكما قالا نبرىء الأكمه والأبرص ونشفي المرضى بإذن الله عز وجل قال وفيم جئتما قالا جئنا ندعوكم من عبادة مالا يسمع ولا يبصر إلى عبادة من يسمع ويبصر . فقال أولنا إله سوى الأصنام ؟ قال : نعم من أوجدك وآلهتك قال قوما حتى أنظر في أمركما فقاما فتبعهما الناس فضربوهما في السوق وقال وهب بعث عيسى عليه السلام هذين الرسولين الى انطاكية فأتياها فلم يصلا إلى ملكها فطالت مدة اقامتهما فخرج الملك ذات يوم فكبر أو ذكر الله فغضب الملك لحسهما

وجلد كل واحد مائة جلدة فبعث عيسى عليه السلام شمعون لينصرهما فدخل شمعون المدينة وتنكر وباشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره إلى الملك فدعاه فرضي عشرته وأنس به واكرمه ثم قال له ذات يوم : أيها الملك بلغني انك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما ؟ فقال الملك : حال الغضب بيني وبينهما . قال : فإن رأى الملك دعاهما حتى نطلع على ما عندهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من أرسلكما إلى ها هنا قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك . فقال لهما شمعون : صفاه واوجزا . فقالا : إنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . قال شمعون : وما آيتكما ؟ قالا : ما يتمناه الملك وإنا نبرىء الأكمه والأبرص ونشفي المرضى والزمنى باذن الله تعالى فأمر الملك بغلام مطموس العينين موضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان الله حتى انشق موضع البصر واخذا بندقتين من الطين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون : إن سألت إلهك يصنع صنيعا مثل هذا فيكون لك الشرف ولا لإلهك . فقال الملك إلهنا الذي نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون إذا دخل الملك على الصنم يدخل ويصلي كثيرا ويتضرع حتى يظنوا أنه على ملتهم فقال الملك للمرسلين إن قدر الهكما على إحياء ميت آمنا به وبكما قالا الهنا قادر على كل شيء وقال الملك إن ههنا ميتا مات منذ سبعة ايام ابن لدهقان أخرته ولم أدفنه حتى يرجع يبوه وكان غائبا وجاءوا بالميت وقد تغير واروح فجعلا يدعوان ربهما علانية وشمعون يدعو ربه سرا فقام الميت وقال لهم اني قد مت منذ سبعة ايام ووجدت مشركا فادخلت في سبعة اودية من النار واني

احذركم ما انتم فيه فآمنوا به ثم قال فتحت ابواب السماء فنظرت شابا حسنا يشفع لهؤلاء الثلاثة . قال الملك ومن هذه الثلاثة ؟ قال شمعون : وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون ان قولهم اثر في الملك اخبره بالحال ونصحه ودعاه إلى الإيمان بالله عز وجل فآمن الملك وقوم وكفر آخرون فاهلكوا بصيحة جبريل عليه السلام . وقال كعب ووهب بل كفر الملك واجتمع هو وقومه على قتل الرسل .

﴿قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا﴾ لا مزية لكم علينا تقتضي اختصاصكم بما تدعون .

﴿وما أنزل الرحمن﴾ هذا نص في اعترافهم بالله وتقدم في القصة ان الملك كان غير معترف به .

﴿من شيء﴾ من وحي ورسالة وكتاب .

﴿إن أنتم إلا تكذبون﴾ في مدعاكم .

﴿قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون﴾ وانما حسن استشهادهم بعلم الله سبحانه لمقارنته للبينات الواضحة ولو قال المدعي والله اني صادق فيما ادعي ولم يحضر البينة لكان قسيما أكد أولا بالجملة الاسمية وان لانكار اصحاب القرية ولما زادوا انكارا بقولهم ما أنتم إلا بشر إلى تكذبون ازداد التأكيد وكان باسناد العلم لله والجملة الاسمية وان والجملة الاسمية واللام ومثل قولك بعلم الله وشهد الله جار مجرى القسم ولذلك سمي السعد قوله تعالى : ﴿ربنا يعلم﴾ قسما .

﴿وما علينا إلا البلاغ المبين﴾ الواضح بالآيات او المبين الكاشف وبهذا حسن استشهادهم بعلم الله .

﴿قالوا انا تطيرنا بكم﴾ تشاءمنا بكم وذلك ان المطر حبس عنهم ،

كما قال مقاتل او جاءهم الجذام مسرعا لما كذبوهم كما قال بعض او اخلفت كلمتهم كما اختار بعض قالوا اصابنا هذا بشؤمكم وهكذا عادة الجهال اذا كرهوا شيئا واصابهم شيء قالوا اصابنا هذا بشؤمه واذا اشتهوا شيئا واصابهم خيرا قالوا اصابنا ببركته ولما كرهوا ما جاءت به الرسل واستغربوه تشاءموا به ، كما قالت القبط وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه . وعن قتادة معنى ذلك ان أصابنا شيء كان من اجلكم .

﴿لئن لم تنتهوا﴾ عما تقولون .

﴿لنرجمنكم﴾ بالحجارة .

﴿وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا طائركم﴾ سبب شؤمكم وهو سوء عقيدتكم وأعمالكم وقرىء طيركم أي طائركم فإن الطير ربما اطلق على المفرد كما يطلق على الجماعة ذكره الزجاج وقرأ الحسن اطيركم بتشديد الطاء مفتوحة وتشديد الياء مكسورة والاصل تطيركم ابدلت التاء طاء وادغمت في الطاء فجيء بهمز الوصل .

﴿معكم﴾ ليس أتيا من غيركم وعن ابن عباس خصكم من خير او شر معكم او من افعالكم .

﴿أئن ذكرتم﴾ الهمزة للاستفهام التوبيخي وان شرطية والجواب محذوف أي أئن ذكرتم تطيرتم او كفرتم أو توعدتم بالتعذيب والرجم والهمزة الأولى تحقق والثانية تسهل كما لنافع أو تحقق كما لحمزة والكسائي وابن عامر وتدخل الف بينهما في الوجهين وتترك وقرىء بفتح الثانية فتكون ان مصدرية مقدرا قبلها لام التعليل المتعلق بمحذوف أي تطيرتم أئن ذكرتم او يقدر الفعل مؤخرا وقرىء ان ذكرتم بالفتح كذلك

واسقاط همزة الاستفهام وقرىء بالكسرة والاسقاط وذلك على الاخبار والتذكير والوعظ والتخويف وقرىء أئن ذكرتم بتخفيف الكاف . قال جار الله شؤمكم معكم حيث جرى ذكركم واذا شئتم المكان يذكرهم كان لحلولهم فيه أشأم .

﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾ متجاوزا الحد بالشرك والمعاصي مع التمادي والاصرار فمن ذلك اتاكم الشؤم لا من قبل الرسل والتذكير او المراد الاسراف بالتشاؤم بمن يجب التبرك به من رسول .

﴿وجاء من اقصى﴾ ابعد .

﴿المدينة﴾ اي من جانبها الابعد وهي القرية المذكورة وهي انطاكية وهي مملكة الروم بنتها بنت قسطنطين وقد اخذها اهل الاسلام .

﴿رجل يسعى﴾ وهو حبيب النجار بتنوين حبيب والنجار صفته وسمى نجارا لانه قيل كان مشركا ينحت اصنامهم وتقدم سبب اسلامه وعلى هذا ليس بنبي فان النبي لا يشرك ولا يعمل الكبائر قبل البعثة وبعدها وهو ممن آمن بنبينا محمد ﷺ وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع وورقة بن نوفل وقيل هو نبي ولم يشرك قط قيل كان في غار يعبد الله سرا فلما بلغه خبر الرسل اتاهم واظهر دينه ونازع الكفرة فقالوا وانت تخالف ديننا فوثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه . وقال ابن مسعود وطبو بأرجلهم حتى خرجت امعاءه من دبره وقال السدي رجموه وهو يقول اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وقبره في سوق انطاكية فلما قتل هلكوا بالصيحة ويدل للقول بأنه لم يشرك بالله قط قوله ﷺ سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين علي بن ابي طالب وصاحب يس ومؤمن آل فرعون رواه ابن عبدالرحمن ابي ليلى عن ابيه يعني السباق في الايمان فقد

قيل اول من آمن من الرجال علي وقيل ابوبكر وقيل غير ذلك قال في عرائس القرآن لما قال لهم ما حكي الله عنه قتلوه ولم يكن احد يدفع عنه وقال الحسن خرقوا خرقا في حلقه وعلقوه في سور المدينة وقال بعضهم كان قصارا . وقال وهب كان يعمل الحرير وكان سقيما اسرع فيه الجذام وكان منزله عند باب من ابواب المدينة وكان يقسم كسبه وينفق نصفه على عياله ويتصدق بنصفه .

﴿قال يا قوم﴾ استعطاف .

﴿اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا﴾ على النصح وتبليغ الحق فتربحون خير الآخرة مع بقاء دنياكم لكم علم انهم لا يسألون الاجر من مشاهدة احوالهم ولم يرهم يسألون الاجر وعلم امر الآخرة من قبل ذلك او لكونه عرض عنهم الذهب فلم يقبلوه كما يأتي ان شاء الله .

﴿وهم مهتدون﴾ إلى خير الدنيا والآخرة رغبهم في الاتباع بعدم اخذ الأجر وسؤاله وبالاهتداء فان من هو مهتد حقيق ان يتبع وذلك من باب الايغال وهو لغة الايعاد في البلاد واصطلاحا ختم الكلام بما يفيد نكته يتم المعنى بدونها فإن الرسول مهتد لا محالة لكن فيه زيادة حث على الاتباع وترغيب في الرسل بمعنى أنكم لا تخسرون معهم شيئا بل تربحون دنيا وأخرى وقالوا له أنت مخالف لديننا ومؤمن بإلههم فقال .

﴿وما لي لا اعبد الذي فطرني﴾ أوجدني بعد العدم .

﴿وإليه ترجعون﴾ بالبعث للجزاء بعد الموت ويجوز ان لا يقدر القول وعلى كل حال فإنما التفت من الخطاب إلى التكلم تلطفا في دعائهم إلى الحق إذ لم يقل وما لكم لا تعبدون الذي فطركم وذلك من باب المداراة ابرز مناصحتهم في معرض مناصحة نفسه تعريضا بهم فان

هذا اذهب لنفارهم وغضبهم واجلب اذ لوح لهم إنه أراد لهم ما يريد لنفسه وعاد إلى الخطاب في إليه ترجعون تهديدا لهم ليكون قد اخلط السهولة ببعض الخشونة فان السهولة وحدها تبطر وتكسل ولم يخاطبهم في ومالي الخ ، ويعتبهم في وإليه ترجعون لأن الفطرة اثر النعمة وهو عليه اظهر والرجوع زجر وهو بهم أجدر ولولا ذلك لقال وإليه ارجع ويسمى مثل ذلك من الكلام المنصف لأن من سمعه يقول لمخاطب قد انصفك ولأن المتكلم قد انصف من نفسه إذ حط مرتبته عن مرتبة المخاطب ويسمى ايضا استدراجا لاستدراجه الخصم إلى الاذعان وفي قوله ترجعون التفات إلى الخطاب من التكلم قبله ولا يقال ليس فيه التفات لأنه ليس خطابا لنفسه فيكون المعبر عنه واحدا لأنا نقول كما مر أن المراد بقوله ومالي لا اعبد الذي فطرني مالكم لا تعبدون الذي فطركم فالمعبر عنه في الجميع هم المخاطبون ولا يقال فالكلام إذاً وارد على مقتضى الظاهر لأنا نقول الالتفات أمر لفظي ولا يخفي ان الى واعبد وفطرني تكلم وترجعون خطاب ولو كانت الفاظ التكلم المذكورة في نية الخطاب وسكن حمزة ياء لي ثم رجع إلى التكلم في قوله **﴿أءتخذ من دونه آلهة﴾** إلخ لأنه تكلم في امر الآلهة وقد اشتد حبهم لها ولو خاطبهم بها ونقصهم لازدادوا غضبا ونفارا عن الحق وهذا الاستفهام والذي تقدم انكاريان اوتوبيخان وفي الهمزتين ما مر في أءنذرتهم .

﴿إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا﴾ الجملة صفة الآلهة وعبر بالرحمن استجلابا لهم الى من هو رحيم رحمة لا تحصى وان قلت فهل لهم من شفاعة حتى قال شفاعتهم قلت المراد شفاعتهم على فرض ان لهم شفاعة وتقدير انهم شافعون فكيف ولا شفاعة لهم او المراد

شفاعتهم التي يدعونها وشيئا مفعول تغني اي لا يكف غنى شيئا من الضر او مفعول مطلق اي لا تغن عني اغناء ما او نفي المـ؟؟؟ والمراد نفي السبب واللازم والمراد نفي الملزوم وقد زعمت المناطقة ان الكلية السالبة تصدق بنفي الموضوع .

﴿ولا ينقذون﴾ بحذف باء المتكلم واتبعها ورش في الوصل اي لا يخلصون من الضر كالمرض والعذاب والجوع .

﴿(إني)﴾ بفتح الياء عند نافع وابي عمرو وباسكانها عند غيرهما .

﴿إذاً لفي ضلال﴾ خطأ وذهاب عن الطريق .

﴿مبين﴾ واضح لا يخفى على ذي عقل وتمييز واذا حرف جواب وجزاء افادت انه الضلال المبين هو نتيجة اتخاذ آلهة من دون الرحمن وقيل هي اذا الماضوية نونت تنوينا معوضا عن الجملة وفتحت الدال ولم تكسر أي اذ اتخذت الهة لو كنت متخذا إلها وقيل اذا الاستقبالية نونت كذلك وحذفت الفها للتنوين بعده وهكذا في مثل هذا المقام وعلى الأوجه فالمراد أنه يكون في الضلال المبين بعبادة من لا يضر ولا ينفع ولا يرحم وايثاره عمن يضر وينفع ويرحم ويخلق وهو قادر على كل شيء .

قال مجاهد : كان حبيب النجار رجلا به جذام فكان يطوف بآلهتهم يدعوها فلم تغن عنه شيئا فبينما هو ذات يوم مر بجماعة فدنى منهم فإذا فيهم نبي يدعو إلى الهدى وقد قتلوا قبله اثنين فلما سمع كلام النبي قال له يا عبدالله إن معي ذهبا فهل لك أن تأخذه مني وتدعو الله ان يشفيني قال له اتبعني ولا حاجة لي في ذهبك وانا ادعو الله فيشفيك فدعا الله فبرىء ، فقال ﴿يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا﴾ اذ عرض عليه الذهب فلم يقبله وهم مهتدون ومالي لا اعبد الذي فطرني

اي خلقني واليه ترجعون بعد الموت أءتخذ من دونه الهة ﴿ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا﴾ لما كان يدعو الهتهم لما به من الجذام فلم تغن عنه شيئا ولا ينقذون من ضر كالجذام إني اذا لفي ضلال مبين فأخذوا يرجمونه فاسرع قبل ان يقتل نحو الرسول ومن معه او الرسل بناء على انه لم يقتل الا اثنان بعد وخاطبهم بقوله .

﴿إني﴾ وسكن الياء غير نافع وابن كثير وابي عمرو .

﴿**آمنت بربكم فاسمعون**﴾ استشهدهم على ايمانه والمراد اسمعوا ايماني وقيل الخطاب للكفرة تغيظا لهم واغضابا وإعلاما بكلمة الله وتنبيها وهو قول ابن عباس .

﴿**قيل**﴾ له عند موته بقتلهم .

﴿**ادخل الجنة**﴾ والقائل الملائكة وقال الحسن وقتادة لما هموا بقتله رفعه الله إلى الجنة فهو فيها .

وعن قتادة ادخله الله الجنة فهو فيها حي يرزق ، قال جار الله اراد قوله تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين وقيل المعنى ابشر بدخول الجنة وإنما لم يذكر القائل والمقول له لأن الغرض دخول الجنة وقد علم المقول به والقائل والجملة مستأنفة جوابا لسؤال محذوف متوقع كأنه قيل ما حاله عند لقاء ربه بعد ذلك التصلب في دينه ونصرته فأجيب بانه قيل ادخل الجنة .

﴿**قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين**﴾ وإنما تمنى علم قومه بذلك رغبة في إيمانهم ليكتسبوا مثل ذلك على عادة اولياء الله في كظم الغيظ والرغبة في أيصال الخير للأعداء رجاء ايمانهم ويعلمهم بذلك يعلمون انهم على خطأ عظيم في امره وامر الله وانه على

حق وان عداوتهم له وضرهم اياهم لم يكسبه إلا فوزا وسعادة وقرىء بفتح الكاف وتشديد الراء ويضعف عندي أن يريد بتمنية لعلمهم بذلك موجودان يعلموا أنهم على خطأ في أمره وأنه على حق وما مصدرية ويجوز ان تجعل موصولا اسميا او نكرة موصوفة وحذف الرابط على قلة اي بما غفر لي به ربي وإنما قلت على قلة لأنه ولو جر بما جر الموصول أو ما التي هي نكرة موصوفة لكن لم يتعلق بمثل ما تعلق به ما جر الموصول او النكرة الموصوفة ويجوز ان تجعل استفهامية ثبتت الفها مع دخول الجار عليها كما هو لغة ذكرها المرادي وغيره لا على الشذوذ وعليه فتعلق بغفر .

﴿وما أنزلنا على قومه من بعده﴾ بعد موته أو رفعه .

﴿من جند من السماء﴾ من الأولى ظرفية ولو كانت في لا تدخل على بعد او زائدة او ابتدائة وكذا في قيل والثانية زائدة في المفعول والثالثة للابتداء ولا مانع من اجتماع ابتداءين متخالفين غير متناقضين والجند الملائكة اي لم تتنزل في اهلاكهم جند من ملائكة بل أهلكناهم بصيحة كما يأتي وهو قول ابن مسعود ، وقال الحسن الجند الملائكة الوحي يعني انقطع عنهم الوحي واستوجبوا العذاب ومثله قول مجاهد ان الجند الرسالة ويحتمل التفسير الأول ثم رأيت الثعالبي ذكر ما يدل على أنه اراد مثل قول الحسن قال : قال مجاهد : لم ينزل الله عليهم من جند اراد أنه لم يرسل إليهم رسولا ولا استعتبهم قال قتادة والله ما عاتب الله قومه بعد قتله حتى اهلكهم .

﴿وما كنا منزلين﴾ أي وما صح ذلك في حكمنا لأنهم اهون من أن تنزل ملائكة فيهم أو لأني لم اقض عليهم إلا اهلاك بالجند او لسنا

مهلكين احدا بجند من الملائكة لأنا قد خصصناك بالنصر على اعدائك بجنود الملائكة كما سيقع لك ذلك وقد وقع ذلك في غزوتي الخندق وبدر ففي الآية مدح للنبي ﷺ وتعظيم وايثار وقد اهلك قوم لوط ومداينهم بريشة واحدة من جناح جبريل واهلك اقواما بالحاصب وأقواما بالصيحة وقوما بالخسف ولكن فضل نبيه محمدا ﷺ بكل شيء حتى انه جعل من عسكره الملائكة ويجوز كون ما موصولا اسميا أو نكرة موصوفة معطوفة على جند واقعة على ما اهلكت به الأمم من حجارة وريح والمطر الشديد .

﴿إن كانت﴾ اي الأخذة والعقوبة .

﴿إلا صيحة واحدة﴾ صاحها جبريل عليه السلام اخذا بعضا دتي باب المدينة وقال الحسن الصيحة العذاب وقرأ ابو جعفر المدني بالرفع على ان كان تامه وانث الفعل على القلة وإنما قلت على القلة لأن الكثير تذكير الفاعل بعد الا نحو ما زكى الا قتادة ابن العلا ومن القليل وما بقيت إلا الضلوع الجراشع وقراءة الحسن لا ترى الا مساكنهم بالبناء للمفعول والرفع وحكم النائب حكم الفاعل وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه ان كانت الا زقية واحدة من زقي الطائر يزقو وزقي يزقي اي صاح .

﴿فإذا هم خامدون﴾ ميتون ساكنون ما كنون فإن الحي كالنار المتقدة الساطعة المتحركة الصايتة والميت كالخامدة او كرمادها .

﴿يا حسرة على العباد﴾ هؤلاء ونحوهم من المكذبين والحسرة شدة التألم والندم وهم المتحسرون لما عاينوا العذاب حيث لم يصدقوا ونداؤها مجازي أي هذا او انك فاحضري او المعنى انهم احقاء ان يتحسر عليهم

المتحسرون ويتلهف عليهم المتلهفون وطباع البشر توجب عند سماع حالهم الشفقة والتحسر .

قال ابن عباس : حلوا محل من يتحسر عليه .

وقال الضحاك : حسرة الملائكة على العباد في تكذيبهم الرسل .

قال جار الله : او هم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين ويجوز ان يكون التحسر من الله عليهم في الدنيا او يقول ذلك يوم القيامة على سبيل الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه على أنفسهم وفرط انكاره عليهم وتعجيبه منه وعلى العباد متعلق بحسرة كقولك يا ما أراد بزيد ويقوي هذا الوجه الاخير قراءة بعض يا حسرتا بالف بدل من ياء المتكلم اي بحسرتي وقرأ الاعرج وابو زناد ومسلم بن جندية يا حسرة بهاء ساكنة اجراء للوصل مجرى الوقف قيل وهو ابلغ في معنى التحسر والشفقة وهز النفس وقرىء يا حسرة العباد بالاضافة للمتحسرة او للمتحسرة عليهم وقيل حسرة مفعول مطلق ويا حرف تنبيه او نداء والمنادي محذوف .

﴿**ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون**﴾ بيان لسبب الحسرة .

﴿**ألم يروا**﴾ أي ألم يعلم أهل مكة .

﴿**كم**﴾ خبرية أو استفهامية مفعول لقوله .

﴿**اهلكنا**﴾ والجملة مفعول ليروا قامت مقام مفعولين والمعلق كم .

﴿**قبلهم**﴾ متعلق بأهلكنا .

﴿**من القرون**﴾ حال من كم أو نعت منه وقيل لا تنعت كم ولا يكون لها حال فليتعلق باهلكنا والقرون الامم سموا لاقترانهم في

الوجود .

﴿انهم إليهم لا يرجعون﴾ هذا بدل اشتمال من كم وقرىء بالكسر على الاستئناف .

﴿وان﴾ مخففة مهملة .

﴿كل﴾ مبتدأ أي كل الخلائق .

﴿لما﴾ اللام للفرق بين النفي والاثبات وما زائدة للتأكيد وقرأ ابن كثير وعامر وحمزة والحسن وابن جبيز بالتشديد بمعنى إلا الاستثنائية فتكون إن نافية .

﴿جميع﴾ خبر المبتدأ أي مجموع والافراد نظر للفظ كل .

﴿لدينا﴾ متعلق بجميع أي عندنا او بقوله .

﴿محضرون﴾ للحساب يوم القيامة وهو خبر ثان وقيل محضرون معذبون على أن الكلام في كفرة الامم .

﴿وآية﴾ تدل على القدرة والبعث .

﴿لهم الأرض الميتة﴾ وقرأ غير نافع باسكان الياء والأرض مبتدأ خبره آية ولهم نعت آية .

﴿احييناها﴾ بالماء مستأنف أو بدل من الأرض على تقدير حذف المصدر أو نعت للأرض لأن المراد بها الجنس لا أرض مخصوصة وأجيز كون آية مبتدأ والأرض خبر وجملة احييناها كما مر وكون الأرض مبتدأ خبره احييناها والجملة خبر آية لا يحتاج لمربط لانه نفس المبتدأ في المعنى .

﴿وأخرجنا منها حبا﴾ أي جنس الحب كالبر .

﴿فمنه يأكلون﴾ قدم منه للفاصلة وللدلالة على أن الحب معظم ما

يؤكل ويعاش به .

﴿وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون﴾ وجمع النخل والعنب للتنويع وذكر النخيل دون التمر مع ان التمر هو المطابق للحب والأعناب تعظيما للنخل فإن فيه مزيد نفع وايثار الصنع وقرىء بتخفيف الجيم والمفعول محذوف منعوت بقوله من العيون اي شيئا ثابتا من العيون او من زائدة في المعرفة والايجاب .

﴿ليأكلوا من ثمره﴾ وقرأ حمزة والكسائي بضم التاء والميم وهو لغة او جمع ثمار وقرىء بضم الثاء واسكان الميم والهاء لله سبحانه وتعالى على طريق الالتفات من التكلم والغيبة واضيف الثمر إليه لانه خلقه وقيل الهاء ضمير جنات وذكروا فرد لتأويل ما ذكر وقيل ضمير الماء .

﴿وما عملته أيديهم﴾ عطف على ثمره أي من ثمره ومما عملوا من الثمر كالعصير والدبش فان العصير ونحوه ولو كانا ما يشرب لكن بخلطه فيها يؤكل كالخبز يكون مأكولا أيضا لا مانع من التحوز بتسمية الشرب اكلا أو غلب ما يؤكل مما عمل من الحب على ما يشرب مما عمل منه أو بقدر ويشربوا مما عملته او مما عملته حذفت من لذكر مثلها او المراد ما عملوا من زرع وغرس وسقي وتعبوا فيه وقيل العطف على العيون اي ومما عملوا بالحفر من عين وبئر وقيل ما نافية اي لم تعمل ايديهم ما ذكر من الانهار والماء كالنيل والفرات ودجلة والشجر والنخل التي لم يغرسوا وقرأه الكوفيون غير حفص باسقاط الهاء من عملته وهذا يؤيد الموصول الاسمية فان حذف الضمير من الصلة اولى واكثر وقيل مصدرية اي وعمل ايديهم اياه .

﴿أفلا يشكرون﴾ النعمة والاستفهام انكار الاستقامة ترك الشكر

وتوبيخ على تركه .

﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون﴾ ازواج النبات اصنافه وازواج الناس الذكور والاناث وخلق الله اشياء لا يعلمها الناس ولم يطلعهم الله عليها لاقتضاء حكمته ان لا يطلعهم عليها وفيها اصناف في الارض والسماء والبر والبحر .

﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار﴾ نفصل منه النهار فصل الجلد عن الشاة والليل اصل والنهار طارىء عليه فاذا كشط النهار ظهر الليل شبه ازالة النهار بكشط الجلد فاستعار له اسم الكشط استعارة اصلية وهو السلخ فاشتق منه نسلخ بمعنى نزيل ونفصل على الاستعارة التبعية ووجه الشبه ترتيب امر على آخر فان ظهور الظلمة يترتب على ازالة الضوء عن مكان ظل الليل كما يترتب ظهور اللحم على كشط الجلد .

﴿فإذا هم مظلمون﴾ داخلون في الظلام ويقال هم مدجون أي داخلون في الدجى والفاء قيل إذا الفجائية عاطفة او استئنافية او زائدة مزينة للفظ اقوال وعلى العطف فانما كان بالفاء الموضوعة للتعقيب تنبيها على عظم القدرة حيث يحصل الاظلام في زمان غير بعيد مع ان من شأنه ان لا يحصل الا في اضعاف ذلك الزمان لتمكن ضوء النهار في الاجرام .

﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ اي الى مستقر كأين لها وهو موضع الاستقرار شبه الحد الذي تنتهي اليه ولا تتجاوزه بخط المسافر وهو الموضع الذي لا تتجاوزه من جهة المغرب والمشرق طلوعا وغروبا وموضعها آخر السنة او كبد السماء فانها بطيئة الحركة فيه كأنها واقفة او الموضع الذي تطلع منه والموضع الذي تغرب منه كل يوم فان لها ثلاثمائة

وستين مطلعا وثلاثمائة وستين مغربا كل يوم تطلع من واحد وتغرب في آخر ولا ترجع اليهما الا في المستقبل او مستقرها زمان استقرارها وهو يوم موت الناس كلهم او يوم الحشر قولان فانها تجري حينئذ والاخير قول ابن عباس والذي قبله هو قول ابي ذر قال له رسول الله ﷺ : (أتدري اين تذهب الشمس حين غربت ؟ قال الله ورسوله اعلم . قال : انها تذهب وتسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك ان تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها فيقال ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها) والاشارة الى انتهائها في الموضع الذي تسجد فيه فلا يؤذن لها ويحتمل ان يشير الى انتهائها فيه كل يوم ويدل له رواية ابي ذر الاخري سألت رسول الله ﷺ عن قوله والشمس تجري لمستقر لها قال : مستقرها تحت العرش وسجودها حقيقي يخلق فيها تمييز أو عدم امتناع عما أراد منها والأول أظهر وقرىء إلى مستقر لها وقرأه ابن مسعود لا مستقر لها أي لا موضع استقرار لها تحبس فيه عن الجري أو لا زمان استقرار لها أولا استقرار لها وذلك قبل يوم القيامة وقرىء لا مستقر لها بالرفع على أعمال لا عمل ليس أو الاهمال .

﴿ذلك﴾ أي جريها الذي لا يتوصل أحد ألى حقيقته المتضمن حكما لا تحصيها الفطن .

﴿تقدير﴾ أي مقدر بفتح الدال .

﴿العزيز﴾ في ملكه الذي لا يدفع عما اراد الغالب بقدرته على كل مقدور .

﴿العليم﴾ بكل شيء .

﴿والقمر﴾ هو والشمس معطوفان على الليل وتجري وقوله .
﴿قدرناه منازل﴾ مستأنفان لبيان كونهما آية او حالان ان لم يجعل الليل مبتدأ او مبتدآن خبرهما تجري وقدرناه وقرأه الكوفيون وابن عامر بنصب القمر على الاشتغال وهو مقو لوجه الابتداء وعلى كل حال لا بد من تقدير مضاف أي والقمر قدرنا سيره او سير القمر قدرناه منازل ومعنى تقدير السير منازل تقديره قطعا ولك ان تقدر مضافين أولا أو جرا أي وموضع سير القمر او والقمر قدرنا موضع سيره ولك ان تقدر مسير على انه اسم مكان وقدر بعضهم اللام في قدرناه اي قدرنا له وعلى الاوجه الثلاثة فالمنازل على ظاهره وهي مواضع النزول لا يحتاج الى تأويلها بقطع من السير وكذا ان قدرنا السير وجعلنا منازل ظرفا والمنازل ثمانية وعشرون .

الاول الشرطان ويقال الشرطين سميا لانهما كالعلامتين اي سقوطهما علامة ابتداء المطر وقيل انهما قرنا الحمل .

الثانية البطين سمي لانه بطن الحمل .

الثالثة الثريا وتسمى النجم والنظم وهو تصغير تروي من الكثرة .

الرابعة الدبران سمي لأنه دبر الثريا اي صار خلفها وسمي الحرج .

الخامسة : المتعة سميت تشبيها بهقعة الدابة وهي دابرة تكون عند رجل الفارس في جنب الدابة وهي ثلاثة كواكب تسمى رأس الجوزاء .

السادسة المنعة هي شبه كواكب من قولهم منعت الشيء عطفته وثنيت بعضه على بعض وكأن كل واحد منها منعطف على صاحبه .

السابعة الذراع ويقال ذارع الاسد وهي ذراعان مقبوضة ومبسوطة .

الثامنة النثرة وهي كقطعة سحاب .

التاسعة الطرفة ويقال الطرف وهو كوكبان سميا لانهما عينا الاسد .
العاشرة الجبهة وهي جبهة الاسد .
الحادي عشر الزبرة وهي زبرة الاسد وهي كاهلة .
الثانية عشرة الصرفة سميت لان البرد ينصرف بسقوطها .
الثالثة عشرة العوا بالقصر اجود من المد سميت للانعطاف الذي فيها .
الرابعة عشرة السماك سمي لارتفاعه وهو الا عزل اي لا سلاح عنده وذلك لانجم يقرب منه والآخر الرامح لكوكب تقدمه كأنه رمحه .
الخامسة عشرة الغفر ثلاثة كواكب سميت لانها من الغفرة وهي الشعر الذي في ظرف الاسد .
السادسة عشرة الزبانا ويقال زبانا العقرب ويقال الزبانان وهما كوكبان كقرني العقرب مأخوذان من الزبن وهو الدفع كل منهما يدفع عن صاحبه .
السابعة عشرة الاكليل ثلاثة كواكب مصطفة على رأس العقرب ولذلك سميت كافة من التكلل وهو الاحاطة .
والثامنة عشرة القلب وهو كوكب احمر نير سمي لانه في وسط العقرب والقلوب اربعة : قلب العقرب وهو هذا وقلب الاسد وقلب الثور وهو الدبران وقلب الحوت .
التاسعة عشرة الشوله سميت لانها كذنب المرتفع .
العشرون النعائم ثمانية كواكب اربعة المجرة تسمى الواردة لشروعها في المجرة كأنها تشرب واربعة خارجها تسمى الصادرة وسميت نعائم تشبيها بالخشبات التي تكون على البير .

الحادية والعشرون البلدة فرجة بين النعايم وسعد الذابح .
سميت تشبيها بالفرجة بين الحاجبين غير المقرونين .
الثانية والعشرون سعد الذابح سمي لكوكب بين يديه يقال هو شاته التي يذبح .
الثالثة والعشرون سعد بلع كأنه بلع شاته اذ لم يكن معه كوكب شاة له كما كان للذابح .
الرابعة والعشرون سعد السعود سمي لان في وقت طلوعه ابتداء ما يعيشون به وما تعيش به دوابهم .
الخامسة والعشرون سعد الأخبية سمي لكوكب على الخباء فيه .
السادسة والعشرون فرغ الدلو المقدم ويقال فرغ المقدم ويقال الاعلى سمي لان في وقته كثرة الامطار كأنه مفرغ دلو وهو مصب الماء .
السابعة والعشرون فرغ الدلو المؤخر وفيه ما في الاول ويقال الاسفل .
الثامنة والعشرون بطن الحوت ويقال الرشا والسمكة وبطن السمكة وقطب الحوت ذكر ذلك شيخ الاسلام ينزل كل ليلة واحدة منها فقد يكون فيها وقد يكون مقابلا لما علمت به المنزلة من النجوم ، كما هو مشاهد واذا كان في آخر منازله وهو الذي يكون فيه قبل الاجتماع بالشمس دق واستقوس ولم تتقلبس من الشمس الا افل قليل منه كما قال الله سبحانه .
﴿حتى عاد﴾ أي صار أو رجع إلى حاله من الدقة التي كان عليها أولا .
﴿كالعرجون﴾ وقرىء بكسر العين وهما لغتان وهو بلغتيه عود العذق

ما بين منبته من النخلة وشماريخه ووزنه فعلون بضم الفاء وكسرها من الانعراج وهو الانعطاف قاله الزجاج .

﴿القديم﴾ الذي اتى عليه حول فلو قال رجل كل عبد لي قديم حر او كتب ذلك في وصيته ولا دليل على قصد له حكم تجربة من مضى عليه حول منهم او اكثر قال جار الله ووجه الشبه بين القمر في آخره والعرجون القديم الدقة والاحناء والاصفرار والحق عندي ان المراد في الآية مطلق القدم الذي به يكون الاعوجاج والدقة والصفرة ولو دون الحول .

﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر﴾ لا نافية وينبغي بمعنى يصح فكأنه قيل لا الشمس يصح لها وليس بمعنى يستحب فان الشمس لو ادركت القمر في السير لأجل اسراعها بالنبات والمزارع والثمار او المراد انه لا ينبغي لها ان تدركه في موضعه قال المحلي فتجتمع معه في الليل ولا ينبغي لها ان تدركه فتطمس نوره بل كل على حده . قال الخازن وقيل لا يدخل احدهما في سلطان الآخر فلا تطلع الشمس بالليل ولا يطلع القمر بالنهار وله ضوء فاذا اجتمعا وادرك احدهما صاحبه قامت القيامة انتهى والله اعلم ان القمر يستضيء بنور الشمس فيكون نصف بسيط جرمه المقابل للشمس مضيئا فاذا كان مع الشمس كان كل نصف جرمه المظلم مقابلا لنا واذا كان مقابلا للشمس كان كل نصفه المضيء مقابلا لنا والشمس تضيء نصف كرة الأرض فيكون الضياء في بسيط الأرض يدور بدور الشمس من المشرق إلى المغرب وكذلك يدور الظلام وهي أعظم من الأرض فوجب أن يكون ظل الأرض الممتد في الهواء ينخرط ويدق في استدارة حتى ينقطع وأن يكون الظل الذي هو عمود

مخروط الظل في سطح فلك البروج ولازما ابدا لنظير جري الشمس فأما طول الظل من وجه الأرض إلى أن ينقطع فإنه على قياس بطلميوس مثل نصف قطر الأرض مائتين وثماني وستين مرة ويكون قطر استدارته في الموضع الذي يمر فيه القمر في وقت مقابلة الشمس مثل قطر جرم القمر مرتين وثلاثة اخماس مرة فاذا كان القمر في مقابلة الشمس وبقرب الرأس أو الذنب لم يكن له عرض لبعده عن ظل الأرض إلى الشمال أو الجنوب فيكون ممره في الظل فتستر الأرض عنه نور الشمس فيرى منكسفا إلى أن يجوز الظل لأن الظل يسير بسير الشمس فيسبقه القمر فيخرج من ناحية المشرق فيقع على نور الشمس أما إذا كان القمر في وقت المقابلة في حقيقة نقطة الرأس او الذنب فلم يكن له عرض البتة .فيكون ممر مركز جرمه على مركز استدارة الظل هناك فيكون اعظم كسوفاته واطولها مكثا وإذا كان له عرض في وقت المبابلة لم يكن كسوفه الأعظم فإن كان عرضه بمقدار فضل نصف قطر الظل على نصف قطر القمر كان ممر حرمه مماسا لدائرة الظل من داخل الظل فانكسف كله ولم يكن له مكث في الظل وإن كان عرضه مساويا لنصف قطر الظل فإن مركزه جرمه يمر ماسا لدائرة الظل فينكسف نصفه ويكون ما ينكسف منه من خلاف الجهة التي فيها عرضه وإن كان عرضه مساويا لنصف قطره ونصف قطر الظل جميعا كان ممر جرمه مماسا للظل من خارج الظل فلم ينكسف واما كسوف الشمس فإن القمر إذا قارن الشمس وكان بقرب الرأس أو الذنب ولم يكن له عرض لبعده عن طريقه الشمس كان ممره بين أبصارنا وبين الشمس فيسترها عنا فتراها منكسفة فإن اجتماع الشمس والقمر اذا كان في حقيقة موضع الرأس أو الذنب وعلى سمة

الرأس كان مركزاهما جميعا الخط الذي يخرج من موضع النظر إليهما لأنه لا يكون للقمر حينئذ اختلاف في المنظر فباضطرار ابدا في مثل هذه الحال أن يكسف القمر كل جرم الشمس وان لم يكن الاجتماع الذي في حقيقة الرأس او الذنب على سمة الرأس لم يكن ذلك على ما وصفنا من اجل ما يعرض من اختلاف المنظر ويكون اختلاف المنظر على ثلاث جهات أما أن يكون الانحراف في الطول فيكون الاجتماع بالرؤية يخالف الاجتماع الحقيقي وعرض القمر بالرؤية هو العرض الحقيقي وأما أن يكون الانحراف في العرض فيكون الاجتماع بالرؤية هو الاجتماع الحقيقي وعرض الرؤية مخالف للعرض الحقيقي وأما أن يكون الانحراف في العرض والطول فيخالف الاجتماع والعرض بالرؤية جميعا الاجتماع والعرض الحقيقي واذا كان الاجتماع لرؤية وللقمر عرض عن فلك البروج ولعرضه انحراف في خلاف جهته وتساوي العرض والانحراف في جهتين مختلفتين لم يكن للقمر عرض في الرؤية وصار مركزه ومركز الشمس على الخط الذي يخرج من موضع البصر فيكسف القمر كل جرم الشمس أيضا وإذا كانت الدائرة التي تمر على قطب فلك البروج وعلى القمر على سمة الرأس في هذه الحال كان الاجتماع بالرؤية هو الاجتماع الحقيقي وإذا لم تكن هذه الدائرة على ما وصفنا كان الاجتماع بالرؤية مخالف الاجتماع الحقيقي فيكون انطباق القمر على الشمس قبل وقت الاجتماع الحقيقي او بعده فان كان انحراف الطول إلى المشرق كان الاجتماع بالرؤية قبل الحقيقي وان كان الى المغرب كان الاجتماع بالرؤية بعد الحقيقي وان لم يكن العرض وانحراف العرض متساويين فإن الفصل بينهما هو عرض القمر بالرؤية وان كان العرض

والانحراف في جهة واحدة كان ذلك عرض القمر بالرؤية فإن كان عرض القمر أقل من نصف قطر الشمس ونصف قطر القمر مجموعين فإن القمر يكسف بعض الشمس ويكون ما يكسف منها بمقدار ما نقص العرض من نصف القطرين ويكون الكسوف في جرم الشمس من الجهة التي فيها عرض الرؤية وإن كان العرض مساويا لنصف القطرين فان القمر يمر مماسا للشمس ولا يكسف منها شيئا ولا يكون للشمس اذا انكسفت كلها مكث كما يكون للقمر لان عظم جرم القمر قريب من عظم جرم الشمس في المنظر وقد تبين مما وصفنا أن القمر إذا انكسف كان مقدار كسوفه ومكثه عند جميع من يراه في نواحي الأرض كلها على أمر واحد وإن كسوف الشمس على خلاف ذلك من اجل ما يعرض في اختلاف المنظر من الاختلاف فيما بين المواضع التي يرى فيها من الأقاليم وأما أكساف بعض الكواكب بعضا فمعلوم من مراتب افلاكها فقد يكسف القمر الكواكب التي يقرب فلك البروج لأنه أقربها إلى الأرض وقد يكسف كل واحد من الكواكب السبعة ما كان اعلا فلكا منه وتكسف الكواكب السبعة جميع الكواكب الثابتة التي بقرب فلك البروج والله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ اعلم وانما ادخل لا على الشمس ولم يدخلها على ينبغي لدلالة على انها ميسرة لما اريد لها لا تمتنع .

﴿ولا الليل سابق النهار﴾ لا يجيء احدهما قبل وقته بل يتعاقبان بحساب معلوم حتى يبطل الله ما دبر من ذلك وينقضي ما الف فيجمع بين الشمس والقمر بأن يحبس الشمس حتى يأتي وقت طلوع القمر بضوئه فتطلع الشمس من مغربها كما مر وقيل المعنى لا يتصل ليل بليل بلا نهار بينهما وانما ذكر في الشمس الادراك لانها بطيئة السير إذ تقطع

الفلك في عام والقمر في شهر وذكر في الليل الذي فيه قوة القمر السبق لانه سريع فكان جديرا بذكر السبق فنفي عن الشمس الادراك الذي من شأنه ان يوصف به المناجر وعن القمر بواسطة ذكر الليل السبق .

﴿وكل في فلك يسبحون﴾ والمراد كل الشموس والاقمار يسبحون اي يسيرون في فلك بانبساط سيرا شبيها بانطلاق الحوت في الماء وانما جمع الشمس والقمر تنزيلات لتعدد احوالهما منزلة تعداد الذوات او من باب التعبير عن الاثنين بعبارة الجماعة .

او المراد كل النجوم يسبحون فان ذكر الشمس والقمر مشعر بها او الكواكب الشاملة لهما وعلى كل حال فانما عبر عن ذلك بالواو التي اصلها العقلاء تعظيما له وقدم في فلك للفاصلة والفلك قال ابن عباس مستدير متحرك كفلكه المغزل فيه جميع الكواكب قال السوسي حقيقة الفلك جسم لطيف مستدير الشكل مشتمل على اجرام صقيلة نورانية تتحرك بحركته دائما وتلك الاجرام هي الكواكب وقال ان الفلك التاسع لا كوكب فيها ولذلك يسمى الاطلس في جوفه الافلاك الثمانية كلها يدور بها في كل يوم وليلة مرة بقدرة الله تعالى الذي له السماوات والأرض سبحانه لا تأخذه سنة ولا نوم وما كان ربك نسيا انتهى والصحيح ان الافلاك غير السماوات لما يلزم من جعلهما شيئا واحدا من المحذور المؤدي إلى الكفر لأن الأفلاك عند أهل الهيئة اكر ملتفة كطبقات البصل كل منها يشتمل عليه ما فوقه ويشتمل هو على ما تحته فمن اعتقد ان السماوات ملتصقة فهو مكذب للحديث ان بين كل سماءين خمسمائة عام وعلى القول بالتغاير فلا علينا في لصوقها وعدم لصوقها والافلاك تحب السماوات والسماوات فوقها والافلاك اجسام لطيفة والسماوات اجسام

كثيفة كذلك قيل والحق انها ايضا لطيفة والافلاك تسعة والسماوات سبع والافلاك موضع الكواكب والسماوات موضع الملائكة والسماوات لا تتحرك والافلاك دائرة متحركة وزعم بعض ان الافلاك هي السماوات السبع ويزيدون فلكين آخرين احدهما للثوابت والآخر هو الفلك الاعظم المحرك لهذه الافلاك كلها وهو المعبر عنه بالعرش وقيل الافلاك ثمانية والصحيح الاول والاشهر الثاني وهذه الثمانية مدركة بادراك الكواكب التي عليها والمنازل والنجوم والشمس والقمر كلها تدور على القطب الشمالي ولا شيء منها يدور على القطب الجنوبي إلا مارد سهيل إلى الجنوب فانه يدور على الجنوبي . قال ابن هشام الخمي في شرح الهاشمية والقطب الجنوبي يقابل القطب الشمالي تدور حوله كواكب اسفل من سهيل وليس يظهر القطب الجنوبي بشيء من جزيرة العرب انتهى فانما سمي الجنوبي قطبا لانه تدور عليه الكواكب اسفل من سهيل أو لأن المنازل الجنوبية تدور عليه اقل من نصف الدائرة فيما يظهر للبصر في رأي العين .

﴿وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون﴾ آية خبر ومصدر حملنا مبتدأ ولهم نعت آية والذريات الاولاد والمراد أولادهم الذين يبعثونهم في التجارة او صبيانهم أو نساؤهم فان اسم الذرية يطلق عليهن لانهن مزارع الذرية وفي حديث نهي عن قتل الذراري يعني النساء وذلك انهم قد يستصحبون من نسائهم او صبيانهم ما يريدون او ما دعت اليه الحاجة او المراد الصبيان والنساء معا وتخصيص الصبيان والنساء او احدهما بالذكر لان تماسكهم في الفلك اعجب وادل على قدرة الله والفلك السفينة والمشحون المملوء وقيل الفلك المشحون سفينة نوح

عليه السلام ومعنى حمل ذرياتهم فيها ان ذرياتهم التي قضاها الله ان ستخرج من اصلابهم اذا وجدوا محمولة فيها في صلب نوح وبنية سام وحام ويافث وخص الذرية لان حملها ابلغ في الامتنان وادخل في التعجب والضمير في لهم وذرياتهم للناس مطلقا وكذا في ضمائر الغيبة قبلهما واذا قلنا لاهل مكة فذرياتهم وذريات سائر العرب في صلب سام وممن قال الفلك سفينة نوح عليه السلام ابن عباس وجماعة وقيل الضمير في ذرياتهم ضمير الجنس كأنه قيل ذريات جنسهم او نوعهم وقرىء ذريتهم بالافراد وفتح التاء .

﴿وخلقنا لهم من مثله﴾ اي من مثل الفلك .

﴿ما يركبون﴾ من الابل فلها سفن البر واذا قلنا الفلك سفينة نوح فمثله هو سائر السفن والزوارق إلى يوم القيامة في البحور والأنهار .

﴿وان نشأ﴾ بهمزة ساكنة للجازم حذفت الف بينها وبين الشين لالتقاء الساكنين ولو قرىء بابدال هذه الهمزة الفا لصح وثبت لاخذ الجازم مقتضاه وهو اذهاب ضمتها فتبقى ساكنة .

﴿نغرقهم﴾ جواب فزع عليه بقوله .

﴿فلا صريخ لهم﴾ او بدل اشتمال من نشأ لما بين الشيء ومشيئته فالجواب لا صريخ لهم والصريخ المغيث او الاغاثة يقال اتاهم الصريخ اي من يغيثهم او الاغاثة سمى المغيث صريخا لانه يصرخ له ليحيى فيصرخ بالاجابة او المعنى نغرقهم فلا يصرخون ليأسهم ممن ينجيهم واذا جعلنا نغرق جوابا صح جعل فلا صريخ لهم جواب لا ذا محذوفة او لان محذوفة اي اذا اغرقناهم او ان اغرقناهم .

﴿ولا هم ينقذون﴾ لا ينجون من الموت بالغرق .

﴿الا رحمة﴾ مفعول لأجله فان المنقذ وفاعل الرحمة هو الله والانقذاذ ولو جرى على يد مخلوق فمن الله .

﴿منا﴾ نعت رحمة .

﴿ومتاعا﴾ تمتيعا بالحياة إلى حين .

﴿إلى حين﴾ وقت مؤجل لموتهم ولعدم وصوله نجيناهم وهذه التنجية رحمة وتمتيع لهم .

وقال الكسائي : النصب على الاستثناء المنقطع أي لكن ننقذ من لم يبلغ اجله ونرحمه ونمتعه ليموت بغير ذلك الغرق ومن ذلك قول من قال :

* ولم اسلم لكي ابقي ولكن * سلمت من الحمام إلى الحمام *

وقيل لا ينقذون من الغرق الا برحمة وتمتيع سبق بهما القضاء إلى حين هو يوم القيامة يبقى السفن والاستنفاع بها إلى ذلك الوقت .

﴿وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم﴾ الذي بين ايديهم الوقائع التي خلت في الأمم والذي خلفهم عذاب الاخرة وعليه قتادة ومقاتل او الذي بين ايديهم نوازل السماء والذي خلفهم نوائب الأرض أو الذي بين ايديهم عذاب الدنيا والذي خلفهم عذاب الاخرة وعليه الكلبي وابن عباس أو الذي بين ايديهم ما قدموا من الذنوب والذي خلفهم ما يتأخر منها وعليه مجاهد والحسن وقيل قال بالوجه الأول ويجوز العكس في تلك الأوجه كلها فإن يجعل ما ذكر انه هو ما بين ايديهم هو ما خلفهم وما ذكر أنه هو ما خلفهم هو ما بين ايديهم .

﴿لعلكم ترحمون﴾ أي اتقوا ذلك راجين الرحمة او لتكونوا على رجاء رحمة فان الرجاء هو الطمع مع الأخذ في الأسباب وجواب اذا محذوف

أي أعرضوا وذلك أن عادتهم الاعراض عن الموعظة والتذكير والتمرن على الاعراض ويدلك لذلك قوله عز وجل ﴿**وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين**﴾ لا يتدبرونها .

﴿**وإذا قيل لهم أنفقوا**﴾ أي لقريش .

﴿**مما رزقكم الله** ﴾ على فقرائكم والفقراء مطلقا من نفقة واجبة او غير واجبة .

﴿**قال الذين كفروا**﴾ جحدوا الله .

﴿**للذين آمنوا**﴾ تهكما بهم وبإقرارهم بالله عز وجل وبتعليقهم المشيئة له .

﴿**أنطعم من لو يشاء الله**﴾ في زعمكم أن الله ثابت وأن المشيئة له .

﴿**اطعمه**﴾ جواب لو وقال ابن عباس كانت بمكة زنادقة فاذا امروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه نحن ونطقهم بالله تبع للمؤمنين لا اقرار به وكانوا دافعين ان يكون الفقر والغناء من الله والعز والذل وغير ذلك وجحدوا الله كيف نطعم المقول فيه فيما بينكم لو يشاء الله اطعمه وكانوا يسمعون المؤمنين يعلقون الفقر والغنى والعز والذل لمشيئة الله وعلى قول ابن عباس يكون ضمير لهم لقريش والقول لقريش قول للزنادقة لانهم يسمعون القول المقول لقريش مع العلم بان قريشا امروا بالانفاق للغنى فيهم وفي الزنادقة اغنياء فكانه قيل لهم انفقوا الضمير لأهل مكة وفيهم جاحد الله ومقر به وقيل الذين كفروا هم قريش وكفرهم جحودهم النبي والقرآن وكفران النعمة وجحود النبي والقرآن جحود لله ولو أقروا به وعبر عنهم بالظاهر ليصفهم بالكفر فذلك على هذا من وضع الظاهر موضع المضمر أو

الضمير في لهم للناس مطلقا والذين كفروا قريش أو الزنادقة فلا وضع للظاهر موضع المضمر .

روي أن فقراء اصحاب رسول الله ﷺ قالوا لمشركي قريش اعطونا مما زعمتم من اموالكم انها لله وذلك لقولهم ان من اموالنا كذا وكذا من حرث وانعام نصيبا لله فحرموهم وقالوا لو شاء الله لاطعمكم وقيل قالت قريش ذلك استهزاء وكان العاصي بن وائل السهمي اذا سأله المسكين قال له اذهب إلى ربك هو اولى مني بك ويقول قد منعه أفأطعمه انا .

روى اعرابي يجعل ابله السمان في الخصب والمهازل في الجذب ويقول اكرم ما اكرمه الله واهين من اهانه الله وربما قال بعض البخلاء ذلك ويحهم الم يعلموا ان الله سبحانه اغنى بعض الناس وافقر بعضا ابتلاء الم يعلموا ان الغني خزانة الله للفقراء فاي ما غنى امسك فقد منع ما ائتمنه الله ليعطيه لأهله عن أهله ويتوهم بعض المشركين ان الله اذا منعه ولم يشأ اطعامه فانا احق بذلك وكذا بعض الزنادقة يقولونه على فرض وجود الله لا اقرارا به .

﴿إن انتم إلا في ضلال مبين﴾ حيث امرتمونا بما يخالف مشيئة الله او حيث تصدقتم وتأمرون بالصدقة زعما انكم مبعوثون فمأجورون او حيث اقررتم بالله وتصدقتم أو امرتم بها رجاء ثوابه او هذا خطاب الله سبحانه وتعالى للكفرة او كلام للمؤمنين خاطبوا به الكفرة وحكاه الله والظاهر أنه من قول الكفرة للمؤمنين وذلك من الكفار شح وقيل بغضا لفقرائهم الذين آمنوا من اقاربهم ومواليهم وكانوا قطعوا عنهم النفقة ليرتدوا .

﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ يعنون البعث .
﴿إن كنتم صادقين﴾ فيه وقيل الاشارة للعذاب .
﴿ما ينظرون﴾ ينتظرون .
﴿الا صيحة واحدة﴾ هي النفخة الاولى .
﴿تأخذهم وهم يخصمون﴾ في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم امر منها وهم عنها غافلون وهذا تقريب للساعة ولا فإنما نقوم على آخر الأمة تقوم والرجل ينشر ثوبه لآخر يبيعه له فما يطوي حتى تقوم والرجل يخفض ميزانه ويرفعه والرجل يصلح حوضه لسقي الدواب فما يسقيها حتى تقوم والرجل رفع لقمة فما تصل فاه حديث رواه ابو هريرة واول من يسمع النفخ رجل يصلح حوضه فيصعق ويسمعه الناس فيصعقون وقيل وهم يخصمون في دفع البعث وانكاره هي انفسهم واصلة يخصمون يختصمون نقلت فتحت التاء للحاء وابدلت صادا وادغمت الصاد في الصاد وكذا قرأ نافع في رواية ورش وابن كثير وهشام وكذا قرأ ابو عمرو ، لكن يختلس فتحة الخاء ، وروي غير ورش عن نافع اسكان الخاء وهو رواية قالون كأنه اجاز الجمع بين الساكنين اذا كان الثاني مدغما ولو كان الاول غير مد ولعله اختلس فظن مسكنا وبعض حذف فتحة التاء وابدل وادغم وكسر الخاء تخليصا من التقاء الساكنين وقرأ بعض بكسر الياء أيضا تبعا للخاء وبه قرأ ابو بكر وقراء ابي يختصمون على الأصل وقرىء يخصمون بالتخفيف من خصمه اذا جادله وهو قراءة حمزة .
﴿فلا يستطيعون توصية﴾ في شيء من أمورهم .
﴿ولا إلى اهلهم يرجعون﴾ بل يموتون حيث يسمعون .

﴿ونفخ في الصور﴾ نفخة ثانية وهي نفخة البعث وبينهما اربعون سنة كما مر ينزل ماء كالنطفة فينبتون وقد فقدوا بالكلية او بقي بعض وقيل يبقى عجم الذنب من كل احد ومنه يركب الانسان وليس بمتعين ولا بمعين فان الله الذي اوجدهم من عدم قادر ان يوجدهم بعد العدم بالكلية والصور القرن ، وقرىء الصور بفتح الواو على أنه جمع صورة ويجوز في قراءة الاسكان ان يكون جمع صورة ايضا كبقر وبقرة ؛

﴿فإذا هم من الأجداث﴾ القبور وقرىء الاجداف بابدال الثاء فاء والضمير للموتى المقبورين بدليل ذكر الاجداث الذي هو جمع جدث معنى قبر والموتى غير المقبورين مثلهم .

﴿إلى ربهم ينسلون﴾ يخرجون منها احياء ، وقيل يسرعون وقرىء بضم السين .

﴿قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا﴾ الويل الهلاك والمرقد مصدر ميمي بمعنى الرقود وهو النوم .

قال مجاهد : للكفار سكون خفيف يجدون فيه طعم النوم فاذا صيح بأهل القبور قالوا من بعثنا من مرقدنا وكانوا قبل ذلك في العذاب على الصحيح ، وقيل وهم نيام .

وقال ابن عباس وزيد بن اسلم : أن ما يقولون ذلك لان الله سبحانه وتعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرتدون إلى الشرك وينامون وقيل إذا عاينوا جهنم كان عذاب القبر بالنسبة إلى عذابها كالنوم .

وعن ابي كعب وغيره : ان جميع البشر ينامون نومة قبل الحشر وهو الذي يظهر لي أن المرقد اسم مكان سموا القبر مرقدا تشبيها له بموضع

الرقود ولا رقود ثم لا قليل ولا كثير وكأنهم قالوا من أخرجنا من قبورنا وانهم كانوا قبل ذلك معذبين ووجه الشبه كون الانسان في كل من موضع نومه وقبره ممتدا على الأرض او عدم ظهور الفعل فمن في موضع النوم نائما وممن في قبره أو البعث وهو اولى لأنه اقوى في المشبه به واشهر واظهر فان بعث النائم لا شبهة فيه بخلاف عدم ظهور الفعل فإنه أقوى في جانب المشبه لا في جانب المشبه به واولى من ذلك أن يكون المرقد مصدرا ميميا بمعنى الرقاد وهو النوم استعير للموت ووجه الشبه ما ذكر والاستعارة في المصدر ولو ميميا أصليا بخلافها في اسماء المكان والزمان والآلة فإنها تبعية والمقصود بالنظر هو المعني القيام في المكان او الزمان او فيها هو الة لا نفس المكان او الزمان او ما هو آلة فانك لا تقول هذا مقتل فلان مشيرا الى الموضع الذي ضرب فيه ضربا شديدا الا على تشبيه الضرب بالقتل ووجه الشبه في الآية كون هذا الكلام كلام الموتى مع قوله عز وجل هذا ما وعد الرحمن الخ ويجوز ان يموتو إذا نفخ نفخة الموتى لئلا يكون حي في القبر ولا خارج القبر الا الحي الدائم سبحانه ولا يحسبون شيئا لموت ارواحهم فكان ذلك نوم وقرىء يا ويلتنا وقرأ ابن مسعود من هبنا بمعنى اهبنا بالهمزة وقيل اراد من هب بنا بباء التعدية وحذفها وعنه من اهبنا بالهمزة والمعنى من ايقظنا من نومنا ظنوا أنهم كانوا نياما لا ختلاط عقولهم بالهول وقرىء من بعثنا بكسر الميم واسكان العين وكسر التاء وقرىء من هبنا بكسر الميم وكسر الباء فيتعلقان بالويل فكأنهم قالوا يا هلاكنا او يا عذابنا او يا تألمنا من البعث والهب او بمحذوف حال من الويل .

﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾ هذا مبتدأ إشارة إلى

البعث وما خبر اسم موصول والمعنى هذا هو البعث الذي وعده الرحمن وصدق المرسلون في تبليغه أو صدقه المرسلون مثل صدقنا وعده وصدق المرسلون مستأنف أو معطوف أو هذا إشارة للوعد أو البعث وما مصدرية أي هذا الوعد هو وعد الرحمن البعث هو وعد الرحمن أي موعودا وهذا إشارة للمرقد نعت له او بدل منه وما خبر لمحذوف أي البعث ما وعد الرحمن او مبتدأ خبره محذوف اي الذي وعده الرحمن وصدق المرسلون فيه حق وذلك عند الفراء من كلام الملائكة للكفار وقال قتادة ومجاهد والحسن يقوله المؤمنون للكفار .

وقال ابن زيد : من كلام الكفار أقروا حيث لا ينفعهم الإقرار واذا جعلنا هذا نعتا لمرقدنا او بدلا منه فلفظ هذا من كلامهم قطعا وممن اجاز كون هذا نعتا او بدلا لمرقدنا الزجاج والجمهور على انه مبتدأ وفي الآية قول شاذ قالت به فرقة وهو ان قائل هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون هو الله وان قلت مقتضى سؤالهم أن يقال لهم باعثكم الله أو يقال لهم الله قلت اجيبوا بذلك تذكيرا لكفرهم وتكذيبهم بالوعد وتكذيبهم بالمرسلين وفي هذا تقريع لهم وتوبيخ كأنه قيل ليس هذا ببعث النائم من نومه حتى يهمكم السؤال عن الباعث بل هو البعث الأكبر المهول المفزع الذي وعد الله في كتبه المنزلة على ألسنة رسله وإنما الذي يهمكم السؤال عن البعث لا عن الباعث .

﴿إن كانت إلا صيحة واحدة﴾ وقرىء برفع الصيحة والواحدة وفي اعرابه نصبا ورفعا ما مر إلا ان هذه هي النفخة الآخرة .

﴿فإذا هم جميع لدينا محضرون﴾ هو مثل الذي مر وفي ذلك تهوين لأمر البعث الذي استصعبوه حتى استحالوه إذ كان بمجرد صيحة

واحدة .

﴿فاليوم لا تظلم نفس شيئا﴾ أي ظلما ما فهو مفعول مطلق أو شيئا هو لها فهو مفعول ثان على تضمين ظلم معنى نقص المتعدي لاثنين .

﴿ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ أي إلا بما فحذف الجار وحذفه غير مقيس على المشهور إلا مع أن وإن وكي وبعض لا يحمل الكلام عليه ما وجد عفه مندوحة او ما مفعول ثان ليجزي تضمينا له معنى ما يتعدى لاثنين او مفعول مطلق على حذف مضاف أي إلا جزاء ما كنتم تعملون أو مفعول مطلق واقعة على الجزاء كأنه قيل إلا الجزاء الذي كنتم تعملون على سبيل تسمية معمولهم باسم الجزاء لأنه سبب الجزاء والجزاء مسببه وملزوم الجزاء والجزاء لازمه والقول مقدر على كل حال اي فيقال لهم اليوم لا تظلم الخ او جعل ذلك اليوم لانه واقع لا محالة كأنه حاضر فهو يخاطبهم في حضوره وعلى الوجهين ولا سيما الثاني فذلك تصوير للموعود وتمكين له في النفوس وكذا قوله .

﴿إن أصحاب الجنة اليوم في شغل﴾ عما فيه اهل النار بما يتلذذون به كافتضاض الابكار وانواع المآكل والمشارب والملابس والمساكن وغير ذلك قاله مجاهد والحسن وهو الصحيح ، كما ذكره عياض ، وقال ابن عباس المراد افتضاض الأبكار وقيل سماع الأوتار وهو رواية عن ابن عباس ، وقال ابن كيسان زيارة بعضهم بعضا وقيل في ضيافة الله عز وجل وعن الكلبي في شغل عن أهاليهم من أهل النار لا يهمهم أمرهم لئلا يتنقص نعيمهم وليس المراد شغلا يتعبون فيه لأنه لا نصب في الجنة واليوم متعلق بالاستقرار الذي تعلق به في شغل أو في قوله في شغل لنيابته عن الاستقرار وفي ذلك دليل على جواز تقديم الحال على عاملها المعنوي

الذي ليس فيه لفظ الفعل فانه اذا جاز تقديم المتعلق الذي ليس حالا عليه جاز تقديم الذي هو حال ولا يقال لا دليل هنا على ذلك لجواز تعليقه بالاستقرار المحذوف كما هو الوجه الأول لأنا نقول قد حذف وجوبا وناب عنه قوله في شغل وذلك إن في شغل متعلقا بمحذوف خبر لأن وقوله .

﴿فاكهون﴾ خبر ثان او بمحذوف حال من مستتر فاكهون وفاكهون خبر ان قيل او حال من فاكهون نعم يجوز ان يعلق اليوم بفاكهون واما اليوم الاول فمتعلق عليه بما بعد لا النافية لأن الحق أنها لا صدر لها إلا ان عملت كان او كليس او عرض لها صدر بعارض ما ومعنى فاكهون متلذذون ، وعن ابن عباس فرحون وقيل معجبون بما هم فيه وفي تنكير شغل وتقديمه تعظيم لما يشتغلون به واعلام بأنه لا تحيط بكنهه العبارة كيف وقد خلصوا من هول المحشر ونجوا من الشقاوة ومن كل خوف وتعب ووصلوا النعيم الدائم وضم شين شغل واسكان غينه قراءة نافع وابن كثير وابي عمرو وقرأه الباقون بضمهما مصدرا كالأول أو جمع له ويجوز كون الأول مخففا منه وقرىء شغل بفتحهما وقرىء شغل بفتح فاسكان وقيل كل ذلك مفرد ولغات وقرأه يعقوب في رواية باسقاط ألف فاكهون فيكون صفة مبالغة كحاذر وحذر وقرىء فكهون باسقاطها وضم الكاف كحدث وحدث بكسر الدال وضمها أي شاب وإذا أردت ذكر السن قلت حديث السن وكنطس ونطس بكسر وضم أي مبالغ في الطهارة وفي النظر في الأمر وقرىء فاكهين وفكهين بكسر الكاف والنصب على الحال من ضمير الاستقرار في شغل وفي هذا دليل على أن في شغل خبر أول وفي قراءة رفع فاكهون وفكهون لا حال .

﴿هم﴾ مبتدأ .

﴿وأزواجهم في ظلال﴾ خبر وقوله .

﴿على الأرائك﴾ متعلق بقوله .

﴿متكئون﴾ الذي هو خبر ثان ويجوز كون هم تأكيدا للضمير المستتر في فاكهون وأزواجهم معطوف على هذا المستتر وفي ظلال خبر ثان أو ثالث لأن أو متعلق بمحذوف حال من المستتر ومن الأزواج أو متعلق بمتكئون أو بمحذوف حال من مستتر متكئون ومتكئون خبر ثالث لأن أو رابع وأجاز بعض كون هم تأكيد للضمير في شغل وهو جائز ولو وجد الفصل وقرأه حمزة والكسائي في ظلل بضم الظاء واسقاط الألف والأرائك جمع اريكة وهي السرير المزين وقيل السرير في بيت العروس المزين بالثياب والستور وقيل الاريكة الفراش في البيت المذكور .

﴿لهم فيها﴾ اي في الجنة .

﴿فاكهة ولهم ما يدعون﴾ يفتعلون من الدعوى ابدلت التاء دالا وادغمت فيها الدال اي كل ما دعوا انه يكون لهم فهو لهم او من الدعاء كل ما يطلبونه يكون لهم وقال الزجاج كل ما طلبوه في الدنيا في دعائهم من امر الجنة يكون لهم .

وقال ابوعبيدة يدعون بمعنى يتمنون . يقال ادع على ما شئت اي تمن علي وما موصول اسمي مراد به الجنس لا نكره موصوفة إلا أن اريد بها الجنس ايضا .

﴿سلام﴾ مبتدأ محذوف الخبر أي لهم سلام أو سلام عليكم أي يقال لهم سلام عليكم أو بدل من ما بدل الشيء من الشيء على ان مدعاهم سلام الله او خبر لمحذوف أي هو سلام أو نعت اجر لما أي لهم شيء

مدعى سالم أو ما مبتدأ وسلام خبر ولهم متعلق به اي ما يدعون سالم لهم وخالص وقرأه ابن مسعود سلاما بالنصب على الحال من المستتر في لهم أو من المحذوف في يدعون أي يدعونه وعلى المصدرية اذا جعل حالا أول بسالم وقرىء سلم بكسر السين واسكان اللام بمعنى سلام .

﴿قولا﴾ أي يقال لهم ذلك السلام قولا أو يقوله الله قولاه فهو مفعول مطلق قيل أو مفعول لمحذوف أي اعني قولا ويجوز أن يكون حالا من سلام اذ لم يجعل مبتدأ او بدلا من المبتدأ او لم يجعل بمعنى سالم او ضميره في الاستقرار اذا جعل مبتدأ او بدلا من المبتدأ .

﴿من رب﴾ نعت قولا .

﴿رحيم﴾ وتسليم الله عليهم بواسطة الملائكة او بحلق كلام يسمعونه وكفر كفر نفاق من وجهين من قال ان الله سبحانه يشرف على أهل الجنة من فوقهم فيسطع لهم نور فيرفعون رؤوسهم فينظرون اليه فيقول السلام عليكم فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما دام مشرفا عليهم حتى يحتجب عنهم احد الوجهين الكذب في حكاية ذلك عن جابر بن عبدالله عن رسول الله ﷺ والثاني وصف الله بالحلول والتحيز بالجهات واللون فان البصر يدرك اللون وانما لم اقل بالاشراك لأن ذلك الكاذب متأول لا راد للنص ولو أثبت أحد نظره في الدنيا لكان مشركا وقيل في تسلم عليهم الملائكة إن الملائكة يأتون من الله إلى ولي الله فلا يدخلون إلا باذن يطلبون الاذن من البواب الأول فيذكره للبواب الثاني ثم كذلك حتى ينتهي إلى البواب الذي يلي الولي فيقول ان على الباب ملكا يستأذن فيقول ائذن له فيدخل بالسلام من الله والهدية وان الله عنك راض ويعطى الرجل قوة مائة شاب ويقتض في مثل ليلة من ليالي

الدنيا مائة عذراء ولا ينثني ذكره وهم ونساؤهم بنو ثلاث وثلاثين سنة طولهم ستون ذراعا والله يعلم اي ذراع يكون في احدهم طعام ويشتهي طعاما فيتحول في فيه طعاما اشتهاه ويأكل من البسرة بسرا ويأكل من ناحية اخرى عنبا الى عشرة الوان او ما شاء الله من ذلك .

﴿وامتازوا﴾ اعتزلوا .

﴿اليوم أيها المجرمون﴾ عن المؤمنين فهم إلى النار والمؤمنون إلى الجنة فإن الظاهر انهم في المحشر مختلطون والا يكن ذلك فامتيازهم ذهاب كل لمحله وانظر في ذلك نقلا صحيحا . وقال قتادة اعتزلوا عن كل خير وقيل تفرقوا في النار . قال قتادة : لكل كافر بيت من النار يدخله ويردم بابه لا يرى ولا يرى ابدا وامتاز افتعل من مازه يميزه وهو للمطاوعة واصله امتيز بفتح الياء تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت الفاء .

﴿ألم أعهد﴾ وقرىء بكسر الهمزة على لغة من يكسر تاء المضارعة ونونها وهمزتها وقرأ اعهد بكسر الهاء وقرىء اجهد بابدال العين جاء وهو لغة تميم ليس مجرد اجتماع الحروف المتقاربة سببا مخرجا للكلمة عن الفصاحة كما توهم بعض حتى زعم ان اعهد غير فصيح ولا اعلم له مخرجا عن الكفر الا ان قال الله سبحانه وتعالى خلق هذه الكلمة في السنة كلها وجعلها ثقيلة وأنزلها في القرآن كما يخلق بعض الاجسام ثقيلا وبعضه خفيفا ويبحث فيه بأنها لو كانت كذلك لانزل بدلها كلمة خفيفة فصيحة تؤدي معناها ويلزم من كون الكلمة غير فصيحة كون الكلام المركب بها مع غيرها غير فصيح لأنها جزءه هذا هو التحقيق بخلاف السورة كلها واثبات كلمة غير فصيحة في القرآن يؤدي إلى نسبة العجز والجهل إلى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا والتحقيق ان اعهد غير ثقيل

ثقلا مخلا بالفصاحة كما يعلم بالذوق السليم فانه انما يعد ثقيلا متعسر النطق ما عده الذوق السليم كذلك ويسمى متنافرا سواء كان ذلك لقرب المخارج او بعدها او غير ذلك فان التنافر وصف في الكلمة يوجب ثقلها على اللسان وعسر النطق بها عند الذوق السليم وهو مزيد ذكاء يعرف به المعاني الخفية بحسب قران الأحوال وليس اعهد كذلك ولا سيما على قراءة ورش بنقل فتحة الهمزة وحذف الهمزة فلا يبقى الاحرفان متقاربان العين والهاء .

﴿إليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان﴾ اي ألم آمركم يا بني آدم على لسان رسلي ان لا تطيعوا الشيطان فيما يأمركم به من معصيتي وسمي متابعته عباده له لانها بتزيينه ويجوز ان يكون العهد ما عهد إليهم إذا كانوا ذرا وان يكون ما ركب فيهم من العقول وركب لهم من الدلائل المشاهدة والسمعية وذلك تقريع وتوبيخ وقطع للمعاذر .

﴿إنه لكم عدو مبين﴾ تعليل جملي وان مفسرة ولا بعدها ناهية او مصدرية ولا نافية .

﴿وان اعبدوني﴾ عطف على الا تعبدوا الشيطان .

﴿هذا صراط مستقيم﴾ مستأنف والاشارة إلى التوحيد والطاعة فان اعبدوني معناه وحدوني واطيعوني اي ان هذا الذي امرتكم به من عبادتي وطاعتي وعصيان الشيطان طريق بالغ للنهاية في الاستقامة فالتنكير للتعظيم والمبالغة وكذلك ان جعلت الاشارة للتوحيد بأن تفسر العبادة بالتوحيد ويجوز في هذا الوجه ان يكون التنكير للتبعيض توبيخا عن العدول عنه فان التوحيد بعض الطريق المستقيم والطاعة البعض الآخر ومثال التنكير للمبالغة والتعظيم قول كثير .

* لأن كان يهدي برد أنيابها العلا * لا فقر مني انني لفقير *

اي بالغوا النهاية في الفقر حتى انه لا فقير مثلي ولا افقر والا لم يستقم معنى البيت لانه فرض الكلام في اهداء برد انيابها العلا لمن هو افقر منه لا لمجرد فقير فضلا عن ان يقول اني فقير من الفقراء فلتهد العلا الي .

﴿ولقد أضل منكم﴾ متعلق بأضل ومن للابتداء ايماء الى معنى اخذ منكم او بمحذوف حال من قوله .

﴿جبلا﴾ خلقا وقيل الأمة العظيمة بكسر الجيم والباء وتشديد اللام عند نافع وعاصم وقرأه ابوعمر وابن عامر بضم الجيم واسكان الباء فاللام غير مشددة وقرأه الباقون بضمها وتخفيف اللام وكذا قرأه يعقوب والكل لغات وقيل الجبل بضمتين مع التخفيف او باسكان الباء جمع جبيل كقديم وقدم وقرىء جبلا بكسر الجيم وفتح الباء وتخفيف اللام جمع جبله بكسر الجيم واسكان الباء وقرىء جبلا بجيم مكسورة فياء مثناة تحتية ساكنة وأحد الأجيال وهو الصنف .

﴿كثيرا﴾ وذلك رجوع إلى بيان معاداة الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح اضلاله لمن له أدنى عقل أضل من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين .

﴿أفلم تكونوا تعقلون﴾ عداوته واضلاله او ما حل بمن أضل من الأمم من العذاب فتؤمنوا فإن من له ادنى عقل ورأى يتعقل ذلك وذلك كله مقول لهم يوم القيامة كقوله .

﴿هذه جهنم التي كنتم توعدون﴾ أي توعدونها في الدنيا على كفركم على ألسنة الرسل وتوعدن من وعد فإنه يستعمل في الخير والشر أو من أوعد المستعمل في الشر .

﴿اصلوها﴾ ادخلوها .

﴿اليوم بما كنتم تكفرون﴾ ما مصدرية أي بكفركم .

﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ الختم على الأفواه منعها من الكلام وليس المراد اغلاقها فإنهم يمنعون من الكلام ولا يستطيعونه مع بقائهامفتوحة ويحتمل أن تغلق وتمنع ولما عبر كان المراد ذكر الأفواه ناسب التعبير بالختم الموضوع للاغلاق والاطباق فان الممنوع من الكلام هو اللسان لأنه هو الذي يتكلم ولكنه هو في الفم فصح التعبير بالأفواه او عبر بالأفواه لأن الكلام يكون بالفم واللسان ألا ترى أن للحروف مخارج في الفم يروى أنهم يجحدون الشرك والمعاصي ويخاصمون فتشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كنا مشركين فحينئذ يختم على أفواههم وتتكلم أيديهم وأرجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيامة لا اجيز شاهدا عليّ الا من نفسي فيختم على فيه فيقال لأركانه انطقي فتنطق بأعمإله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن فعليكن كنت أناضل .

قال ابو موسى الأشعري : أول ما يتكلم فخذه .

قال الحسن : اليمين أو اليسرى .

قال الحسن : اذا ختمت افواههم لم يكن بعد ذلك الا دخول النار فهذا اخر المحشر .

روي أن الله سبحانه يقول لعبده أي عبدي اي يا عبدي ألم اكرمك واسودك اي جعلتك سيدا وازوجك واسخر لك الخيل والابل وجعلتك رئيسا تأخذ المرباع وهو ما يأخذ رئيس الجيش لنفسه من الغنيمة وهو ربعها فيقول بلى يا رب فيقول اظننت انك ملاقي فيقول لا فيقول اني

اليوم انساك كما نسيتني فذلك المشرك ويقول مثل ذلك للمنافق فيقول هل ظننت انك ملاقي فيقول اي ربي آمنت بك وبكتابك وبرسولك وصليت وصمت وتصدقت فيقول الآن نبعث شاهدا عليك فيتفكر في نفسه من يشهد عليّ فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقي فينطق فخذه ولحمه وعظمه بعمله .

وعن انس عن رسول الله ﷺ انه ضحك فقال هل تدرون مم اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه فيقول يا رب الم تجرني من الظلم فيقول بلى فيقول اني لا اجيز على نفسي الا شاهدا مني فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا فيختم على فيه فيقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل والظاهر ان المراد بايديهم وارجلهم مطلق الأعضاء عبر بها وهي خاصة عن العام وهي الأعضاء لأنها أجل ما يباشر به الفعل من الأعضاء واقرار الجوارح ابلغ من اقرار اللسان فيكونون قد أقروا على أنفسهم بما اقراره ابلغ واقرار المرء على نفسه أبلغ من الشهود وقرىء يختم على افواههم بالبناء للمفعول والتحتية وتتكلم ايديهم وفي ذلك مناسبة لقوله وتشهد ارجلهم وقرىء ولتكلمنا ايديهم وتشهد بلام التعليل ونصبهما والتقدير وانما ختمنا على افواههم لتكلمنا الخ ، والله اعلم وقرىء بلام الامر والجزم على ان الله يأمر الاعضاء بالكلام والشهادة .

﴿**ولو نشاء لطمسنا**﴾ مسحنا .

﴿**على أعينهم**﴾ حتى تكون كالجبهة لا شق فيها ولا جفن وقيل اعماهم مع بقاء الشق والجفن وعلى كل حال لا يبصرون كما اعمى

قلوبهم والضمير قيل لقريش .

﴿فاستبقوا الصراط﴾ عطف على طمسنا وذلك على الفرض والتقدير في التسابق أي قدرانهم يستبقون والاستباق التبادر والصراط طريق المشي وهو مفعول به أي فتبادروا لصراط للمشي كعادتهم او منصوب على نزع إلى أو على الظرفية او على المفعولية على جعل الصراط مسبوقا على طريق الاتساع بجعل المسبوق إليه مسبوقا والمراد الصراط الذي الفوه قبل العمى .

﴿فأنى يبصرون﴾ كيف يبصرون وقد اعميناهم لا يبصرون جهة السلوك التي الفوها وترددوا إليها كثيرا فضلا عن غيرها وعن التبادر والتسابق في ذلك الطريق كعادتهم .

وقال ابن عباس : اراد اعين البصائر والمعنى لو نشاء لحكمنا عليهم بالكفر فلا يهتدي منهم احد ابدا .

وقيل عن ابن عباس : لو نشاء لاعمينا اعين ضلالتهم ونقلناهم إلى الهدى فيتبادرون إلى الرشد ويبصرونه وكيف يهتدون ويبصرون الرشد ولم افعل ذلك بهم ويدل على ان الأعين اعين الوجه قرنها بالمسخ بقوله ﴿ولو نشاء لمسخناهم﴾ قردة وخنازير وقيل حجارة والأول قول ابن عباس وفيه ابطال جل قواهم والثاني قول بعضهم وفيه ابطال قواهم بالكلية .

﴿على مكانتهم﴾ أي مكانهم او منزلهم كما يقال مقام ومقامة وقرا أبو بكر مكاناتهم بالجمع وانما عدى المسخ بعلى لتضمينه معنى القصر والحبس فان المعنى لو نشاء لمسخناهم مسخا يقصرهم على المكان الذي هم فيه حال المسخ فلا يقدرون على اقبال ولا ادبا وانظر كيف يناسب

هذا ما بعده تفسير ابن عباس المسخ بالمسخ قردة وخنازير مع أنها تتحرك وتقبل وتدبر ولعله يقول أن المعنى لو نشاء لمسخناهم كذلك وزدنا ان لا يقبلوا ولا يدروا ويجوز أن تفسر المكانة بالقوة أي هم مع قوتهم التي يدعونها في قبضتنا لا يمنعون أنفسهم عما اردنا بهم من مسخ لو اردناه ويجوز جعل على بمعنى في في ذلك كله .

وقال قتادة : المعنى لو نشاء لأقعدناهم على ارجلهم وازمناهم وعليه جرى الشيخ هود ـ رحمه الله ـ .

﴿فما استطاعوا مضيا﴾ اصله مضويا كقعود بمعنى الذهاب قلبت الواو ياء وادغمت في الياء لاجتماعهما وسكون السابقة منهما وكسرت الضاد للمناسبة وقرىء بكسر الميم تبعا لها وقرىء مضيا بفتحها على وزن فعيل للدلالة على السير مثل دب دبيبا وخب خبيبا .

﴿ولا يرجعون﴾ عطف على ما استطاعوا ولم يقل ولا رجوعا عطفا على مضيا وتطبيقا له لأجل الفاصلة وقيل المعنى ولا يرجعون عن تكذيبهم وقيل لا يقدرون أن يرجعوا إلى حالهم قبل المسخ وهم احقاء ان يفعل بهم ذلك ولكن اخروا رحمة وحلما وحكمة .

﴿ومن نعمره﴾ نطل عمره .

﴿ننكسه في الخلق﴾ له او في خلقه نردده كما كان حين كان صبيا قليل العقل ضعيف البدن فما يزال ينقص عقله وقواه كما كانا يزيدان ويزيد جهلا كما كان يزيد علما ومن قدر على ذلك قدر على الطمس والمسخ والبعث وقرأ حمزة وعاصم ننكسه بضم النون الأولى وفتح الثانية وكسر الكاف مشددة على المبالغة وقرىء ننكسه بضم فإسكان بلا تشديد وقرى ننكسه بفتح فإسكان وكسر بلا تشديد .

﴿أفلا يعقلون﴾ إن القادر على ذلك قادر على الطمس والمسخ فان النكس مشتمل على مثل ذلك بالتدريج وذلك خطاب في قراءة نافع وابن عامر ويعقوب وقرأ غيرهم بالتحتية .

﴿وما علمناه الشعر﴾ هو غير عالم بالشعر أو ما علمناه الشعر بتعليم القرآن إنما علمناه القرآن وليس القرآن بشعر لأنه غير مقفى وغير موزون وغير ات على طريق كلام الشعراء فأين نظم كلامهم من نظمه وأين معاني كلامهم من معانيه والآية رد لقول الكفار إنه شاعر .

﴿وما ينبغي له﴾ لا يصح له ولا يليق به ولا يستطيعه كما قال الخليل ابن احمد كان الشعر احب إلى رسول الله ﷺ من كثير من الكلام ولكن لا يتأتى له وكان يتمثل بقوله :

* ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالأخبار من لم تزودي *

لكن يقول ويأتيك بالأخبار من لم تزوده بالأخبار ويقول له ابو بكر ـ رضي الله عنه ـ ليس هكذا وإنما هو يأتيك بالأخبار من لم تزود أشهد أنك رسول الله فقال لست بشاعر ولا ينبغي لي ، وفي رواية وكان يقول ويأتيك من لم تزود بالأخبار بدون هاء ، وفي رواية كان ابو بكر يقول له اشهد أنك رسول الله ما علمك الشعر وما ينبغي لك وكان يتمثل بقوله :

* كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا *

ولكن يقول كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا ويقول ابو بكر انما قال كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا أشهد أنك رسول الله وقول ابي بكر أشهد أنك رسول الله يناسب أنه ﷺ يتمثل لذلك بعد نزول الآية وهو كذلك سواء تمثل به قبل أم لا وكلما تمثل بشعر وانكسر له وقال له

ابو بكر انما هو كذا قال هذا وذاك سواء وروي انه تمثل بقوله :
* اتجعل نهبي ونهب العبيد * بين عيينة والاقرع *
وقال بين الاقرع وعيينة فقال ابو بكر انما قال بين عيينة والاقرع فقال ﷺ ها وذاك سواء وادار الشعر مرارا بلسانه فلم يمكنه فانزل الله سبحانه وما علمناه الشعر وما ينبغي له وقد عاشرهم نحو اربعين سنة وطبعه لا يستطيع الشعر وياباه واما قوله :
* أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبدالمطلب *
فانه ولو كان بيتا مجزوا من الرجز او بيتين منهوكين منه فليس بشعر لأنه قاله على طريق النثر ولم يقصد وزنه وإنما كان على طريق الشعر بلا قصد وهذا كما قال بعض :
يا صاحب المسح تبيع المسح بلا قصد وزن وقاله نثرا ففطن له ابو العتاهية فقال متمما له بنصف بيت * فإن عندي ان اردت ربحا ، كما خلق الله في القرآن كلاما موزونا على علم منه وهو العليم بكل شيء لكن لم ينزله شعرا ولا يقرأ كما يقرأ الشعر وكذا من تكلم بكلام من نفسه موزون مقفى على علم منه لكن لم يرده شعرا ومثل قوله ﷺ : انا النبي لا كذب ؛ انا ابن عبدالمطلب ، قوله ﷺ : هل انت الا اصبع دميت ؛ وفي سبيل الله ما لقيت على وزن بيت من الرجز غير مشطور ولا منهوك او بيتين شطورين لكن لا على قصد .
وقد روي انه نون كذب وجر المطلب وسكن لقيت ويخرج ذلك على هذا من وزن الشعر الا هل أنت الا اصبع دميت فيخرج من عدم القصد ان قلنا انه بيت مشطور وقد قال بانكسار :
اللهم لا عيش الا عيش الآخرة * فاكرم الأنصار والمهاجرة

وقد مر كلام في ذلك وقد قال الخليل أن المشطور ليس بشعر وقال بعضهم إنه إنما منعه الله من إنشاء الشعر من نفسه لا من ذكره شعر غيره ومع ذلك لا يتاتى له ذكر شعر غيره بل ينكسر والممنوع أيضا انشاء او انشاد بيت تام مستقيم وقيل الهاء في له للقرآن .

﴿إن هو﴾ أي ما الذي أتى به ﷺ .

﴿إلا ذكر﴾ ارشاد ووعظ .

﴿وقرآن مبين﴾ موضح للأحكام وغيرها أو واضح إنه سماوي لا من كلام البشر لأنه معجز فبتلاوته والعمل به ينال الفوز العظيم وقيل الضمير للنبي ﷺ على حذف مضاف أي ما أمره وما كلامه إلا ذكر وقرآن مبين وليس منه شيء شعرا او سحرا او كهانة .

﴿لينذر﴾ متعلق بأن النافية بناء على جواز التعلق بأحرف المعاني مطلقا أو بمحذوف أي أنزلناه لتنذر به .

﴿من كان حيا﴾ عاقلا متأملا وغيره كالميت لا ينتفع بالانذار فأنت تنذره لكن انذارك له كالعدم أو من كان في علم الله يحيى بالايمان والخطاب للنبي ﷺ على طريق الالتفات من الغيبة إلى الخطاب وذلك في قراءة نافع وابن عامر ويعقوب وقرأ الباقون بالياء التحتية المثناة اي لينذر الرسول ويقويه قراءة الخطاب او لينذر القرآن واسناد الانذار إلى القرآن مجاز .

﴿ويحق القول على الكافرين﴾ وهم كالموتى مقابلة لقوله من كان حيا وحق القول وقوع العذاب أو الغضب أو ثبوته وقد ثبت من قبل لكن المراد هنا أن يثبت مع قطع اعذارهم بالحجج الظاهرة .

﴿أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت ايدينا﴾ أي مما تولينا خلقه ولم

يكن أحد أعاننا ولا يكون احد قادرا عليه وذكر الأيدي استعارة تفيد الاختصاص تقول هذا مما عملته يدي تريد أنك منفرد به أو الأيدي استعارة للقوة والقدرة .

﴿**أنعاما**﴾ الابل والبقر والغنم وخص الأنعام بالذكر لأنها أكثر أموال العرب والنفع بها أعم وابداعها أدل على القدرة والضمير لقريش او للمشركين مطلقا .

﴿**فهم لها مالكون**﴾ يتصرفون فيها أو مالكون لأمرها قاهرون لها قادرون عليها كما قال .

﴿**وذللناها**﴾ سخرناها وجعلناها منقادة .

﴿**لهم فمنها ركوبهم**﴾ وصف لا مصدر ومعناه مركوبهم وهو الابل وقرىء ركوبتهم بالتاء والمعنى واحد وقيل جمعه مثل كماء للمفرد وكمئة للجماعة وقرىء ركوبهم بضم الراء مصدر بمعنى اسم مفعول كالنسج بمعنى المنسوج او يقدر مضاف اي ذو ركوبهم او يبقى على المعنى المصدري ويقدر المضاف اولا اي فمن منافعها ركوبهم .

﴿**ومنها يأكلون**﴾ اللبن والجبن واللحم وقيل ان الانعام هنا الابل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير وان المأكول منها الابل والبقر والغنم والخيل والمركوب الابل والخيل والحمار والبغل .

قال جابر بن عبدالله وعطاء نهى رسول الله ﷺ عن لحم الحمير والبغال ورخص في لحم الخيل .

﴿**ولهم فيها منافع ومشارب**﴾ المنافع كالجلد والصوف والشعر والوبر والنسل والمشارب اللبن جمع مشرب مصدر ميمي او اسم مكان .

﴿**افلا يشكرون**﴾ هذه النعم بالتوحيد والطاعة .

﴿واتخذوا من دون الله آلهة﴾ مع علمهم بأنه تعالى المنفرد بالقدرة والنعم .

﴿لعلهم ينصرون﴾ أي راجين منها النصر مما ينزل بهم دنيا او اخرى .

﴿لا يستطيعون﴾ أي الآلهة .

﴿نصرهم﴾ أي نصر متخذيها بل هي سبب خزيهم وذلهم دنيا واخرى كما قال .

﴿وهم لهم﴾ أي لآلهتهم .

﴿جند محضرون﴾ لخدمتهم والذب عنهم والغضب لهم وهم لا يشعرون بذلك وإذا خلق لها تمييز لعنتهم أو محضرون في النار مع آلهتهم ويجوز عود قوله هم للآلهة وقوله لهم لمتخذيها يعني أن الأصنام جند يحضرون النار لتعذيب متخذيها .

﴿فلا يحزنك﴾ وقرىء بفتح الياء وضم الزاي .

﴿قولهم﴾ قول كفار مكة في تكذيبك وذمك والإضرار بك وفي الاشراك بالله ومعصيته وينبغي الوقف هنا لئلا يتوهم أن مقولة ما بعد وإنما المقول محذوف أي قولهم انك شاعر مجنون ونحو ذلك .

﴿إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ ما يخفون وما يظهرون مطلقا فلا تخفي علينا معاصيهم واعتقاداتهم فيجازيهم عليها وقيل ما يسرون من التكذيب وما يعلنون من عبادة الأصنام وشتمك فتجازيهم وتمنعك وذلك تعليل جلي للقهر عن الأحزان ولذلك لو قرأ قارىء أنا بفتح الهمزة والتشديد للنون لم تفسد صلاته لأن المعنى لم يتغير إلا أن تعمد فإنها تفسد ومن تعمد ذلك ولم يطلع على قراءة بالفتح فهو عاص لتقدمه الى

ما لم يكن عنده علم أن أحدا من السلف قرأ به هذا ما ظهر لي فدع غيره فانه اللائق .

﴿أولم ير الانسان﴾ اولم يعلم والانسان الانسان المطلق وقيل المراد العاص بن وايل وقيل ابي بن خلف الجمحي روى أنه أتى النبي ﷺ بعظم بال ففته بيده فقال اترى الله يحيي هذا بعد مارم قال عليه الصلاة والسلام نعم ويبعثك ويدخلك النار فنزلت الآية . وروي أن جماعة من كفار قريش منهم ابي بن خلف والعاص بن وائل وأبوجهل والوليد بن المغيرة تكلموا في احياء الموتى فقال ابي الا ترون إلى ما يقول محمد إن الله يبعث الأموات ثم قال واللات والعزى لأسيرن إليه ولاخصمنه وأخذ عظما باليا فجعل يفته بيده ويقول يا محمد اترى ان الله يحيي هذا بعد ما رم فقال ﷺ نعم ويبعثك ويدخلك النار ولأبي هذا مقالات مع النبي ﷺ وما زال حتى قتله النبي ﷺ بيده يوم احد طعنه بحربة في عنقه .

﴿أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم﴾ مجادل بالباطل .

﴿مبين﴾ بين الخصومة معرب عما في نفسه فصبح فما اقبحه اذ خلق من نطفة نجسة منتنة خرجت من احليل وتعجب مع هذا من نفسه وبرز لمحاربة الجبار جل جلاله بانكار البعث الذي أخبر به او ما اقبحه اذ خلق من ذلك الماء الخسيس وجعل شريفا مكرما بفضل من الله مع دناءة اصله وقابل ذلك بالعقوق والتكذيب للبعث مع أنه قد كان معدوما فأوجده فما يقولونه يهون بالنسبة الى انكارهم البعث .

﴿وضرب لنا مثلا﴾ كلاما عجيبا كالمثل في انكار البعث وهو نفيه القدرة عنا على حياة الموتى وتشبيهنا بخلقنا بوصفنا بالعجز عما عجزوا عنه .

﴿ونسي خلقه﴾ ذهل عن خلقنا اياه من نطفة او تركه وبين الله ذلك المثل بقوله .

﴿قال من يحيي العظام وهي رميم﴾ بالية ولم يقل رميمة لأن فعيلا الذي بمعنى فاعل يجوز تذكيره مع المؤنث اذا كان المؤنث مذكورا أو علامته وهنا مذكور وهو قوله هي الراجع للعظام بمعنى الجماعة وقيل لم يقل رميمة لأنه اسم لا وصف وهو غير مقبول فإنه وصف وقيل رميم بمعنى مرمومة من رميم المتعدي وعلى هذا أيضا انت للعلة المذكورة اولا والواو للحال والاستفهام انكاري .

﴿قيل يحييها الذي انشأها﴾ خلقها .

﴿أول مرة﴾ فإن قدرة الله سبحانه دائمة لا تتغير فهو يوجد ما عدم بالكلية ويحييه ويحيي ما وجد باليا فان ما وجد باليا كالعظم باق على قبول القدرة لذاته وفي تسليم الله موت العظام حتى أجاب بأنه يحييها دليل على ان عظام الميتة بخسة فهي كانت حية فزالت حياتها بغير ذكاة شرعية فنجست وهذا مذهبنا . وقال ابوحنيفة انها لا تحلها الحياة فلا يؤثر فيها الموت فهي طاهرة اذا فردت عن اللحم والشحم وعن بلل الميتة كلها وأجزائها وأن احياءها في الآية عبارة عن ردها إلى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حساس وهو مذهب بعضنا ويثبت الافراد بالغسل أو بالزمان ويرد ذلك انها تنكسر وتنجبر فلو كانت غير حية لم تنجبر وانها تنمو وتكثر وبعد من قال بموتها يعتبرها بالشجر والعصب عندنا نجس من الميتة وزعم ابوحنيفة انه طاهر وهو باطل والشعر والصوف والوبر كالعظم لا يخفي انها حية لكن اجازت اصحابنا الاستنفاع بها وقالوا انها تطهر بالتريب . وقال بعض منا طاهرة بلا تتريب الا ما تلي بلل الميتة

وما اتصل باللحم والجلد وهذا التالي بنفسه يطهر بالغسل والتتريب وقيل ذلك كله ميتة .

﴿وهو بكل خلق﴾ من ابداء واعادة .

﴿عليم﴾ لا يتعاظمه ولا يجهل كيفيته إنما يقول لشيء كن فيكون فكل مخلوق برده كما كان بتركيبه وهيئته ولونه وأحواله كلها واستدل بذلك بقوله .

﴿الذي﴾ أي هو الذي او خبر ثان ﴿جعل لكم﴾ في جملة الناس . ﴿من الشجر الأخضر نارا﴾ كالمرخ والعفار وكل شجرة الا العناب مع مضادة الماء للنار واكثر ما تورى الاعراب النار من المرخ والعفار يسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهو انثى فتقدح النار باذن الله تعالى مع انهما رطبان يقطران الماء وذكر الاخضر وافرد نظرا للفظ الشجر وقرىء الخضراء بتأنيث وافراد الجماعة .

﴿فإذا انتم منه توقدون﴾ فمن قدر على اخراج النار من الماء والجمع بين الماء والنار في الخشب بدون ان تحرق النار الخشب ودون ان يطفىء الماء النار .

﴿أوليس الذي خلق السموات والأرض﴾ مع كبرهما وعظم شأنهما .

﴿بقادر على أن يخلق مثلهم﴾ أي مثل الناس في الصغر والحقارة بالنسبة الى السموات والأرض أو في أصول الذات وصفاتها وذلك بأن يعيدهم لأن الاعادة مثل الابداء وليست نفس الابداء وقيل الهاء في مثلهم للسموات والأرض وعبر عنهما بضمير العقلاء لاشتمالهما عليهم او لعظمهما وقرأ يعقوب يقدر .

﴿بلى﴾ هو القادر .

﴿وهو الخلاق﴾ كثير الخلق وعظيم الخلق .

﴿العليم﴾ بكل شيء علما حقيقيا .

﴿إنما أمره﴾ شأنه في .

﴿اذا أراد شيئا﴾ احداث شيء وايجاده .

﴿أن يقول﴾ في تأويل مصدر أمره وجواب إذا محذوف دل عليه المبتدأ والخبر مع إنما .

﴿له كن فيكون﴾ الفاء عاطفة للجملة الفعلية على الجملة الاسمية او للاسمية على الاسمية على تقدير المبتدأ اي فهو يكون او للاستئناف بلا تقدير المبتدأ او بتقديره وقرأ ابن عامر والكسائي بالنصب عطفا على يقول والقول اما حقيقته بأن يخلق القول كن فإذا المأمور بكونه موجودا وكناية عن سرعة تكون ما يزيد وتأثير قدرته بلا الة ولا تعب فكيف يعجزه البعث .

﴿فسبحان الذي بيده ملكوت﴾ ملك وقيل خزائن .

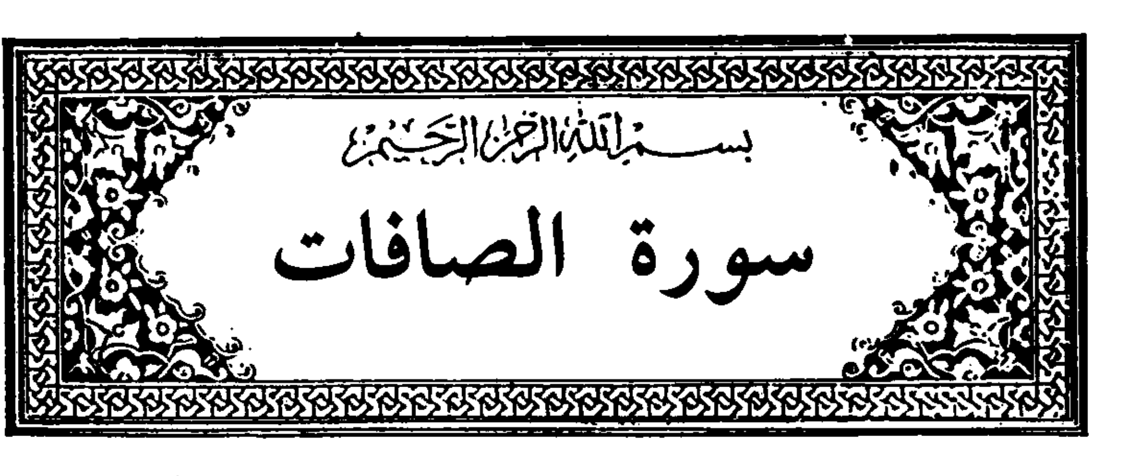
﴿كل شيء﴾ تنزيه له تعالى عما يصفه المشركون وعما ضربوا له مثلا وتعجيب مما قالوا فيه كيف يقولون ذلك في مالك الأشياء كلها المتصرف فيها كما تقتضيه الحكمة والواو والتاء زائدتان للمبالغة مع فتح اللام وقرىء ملكة ومملكة وملك واصل المعنى واحد .

﴿واليه ترجعون﴾ بالبعث للجزاء بالخير والشر وذلك وعد ووعيد وهو مبني للمفعول من المتعدي او من ارجع بالهمزة مرتد رجع اللازم وقرأ يعقوب بفتح التاء وكسر الجيم .

اللهم بسيدنا محمد ﷺ والسورة اخز النصارى وأهنهم واكسر

شوكتهم وغلب المسلمين والموحدين عليهم .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما .


بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الصافات

وتسمى سورة الصافات بدون واو وتسمى سورة اليقطين وهي مكية آيها اثنتان وثمانون وكلمها ثمانمائة وستون وحروفها ثلاثة آلاف وثمانمائة وستة وعشرون وقيل كلمها ثمانمائه واثنتان وستون . قال رسول الله ﷺ : «من قرأ والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبريء من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة انه كان مؤمنا بالمرسلين عليهم الصلاة والسلام» . فقالوا من يبخر بِحصِي لبان وصندروس وتلا هذه الآيات وقال احضر يا فلان ويسمي من اراد من ملوك الجن فإنه يحضر باذن الله تعالى .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والصافات صفا﴾ قال ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما هي الملائكة يصفون كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة والعبادة وجمع المؤنث السالم باعتبار الجماعات . قال رسول الله ﷺ ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم ! قالوا وكيف يصفون عند ربهم ؟ قال يتمون الصفوف المتقدمة أي حرصا عليها ويترامون في الصفوف أي المتأخرة إذ لم يجدوا مدخلا في المتقدمة وقيل المراد الملائكة تصف أجنحتها في الهواء واقفة حتى يأمرها الله بما يريد وقيل اراد الطير تصف أجنحتها في الهواء وقالت فرقة أراد بني آدم الصافين للقتال في سبيل الله وقيل طوائف الاجرام المترتبة كالصفوف المرصوصة وقيل نفوس العلماء وفائدة الاقسام بذلك وبما يأتي تعظيما وتأكيد المقسم عليه الذي هو الجواب وهو ان الهكم لواحد وقيل التقدير ورب والصافات والزاجرات والتاليات اقسم برب هذه الأشياء وادغم ابوعمرو وحمزة تاء الصافات في الصاد بعدها وتاء الزاجرات بعدها وتاء التاليات في الذال بعدها للقرب بينها وما بعدها فإنها من اللسان واصول الثنايا وكذا في الذاريات ذروا وكذا في الملقيات ذكرا والمغيرات ضبحا والعاديات صبحا بالادغام في ذلك من غير اشارة وهو الادغام الكبير لكن الادغام الكبير في مذهب ابي عمرو وغيره في مذهب حمزة وقد مر بيانه .

﴿فالزاجرات زجرا﴾ الملائكة تزجر السحاب وتسوقه وقيل آيات القرآن تزجر عن القبائح وبه قال قتادة وقيل الملائكة تزجر الاجرام العلوية والسفلية بالتدبير المأمور فيها او تزجر الناس عن المعاصي بالهام الخير أو تزجر الشياطين عن التعرض للناس أو عن استراق السمع أو

العلماء يزجرون عن الكفر والفسق بالحجج والنصائح أو الغزاة يزجرون الخيل او العدو .

﴿فالتاليات ذكرا﴾ الملائكة تتلوا الوحي الذي تأتي به إلى الأنبياء أو الملائكة تذكر الله سبحانه أو الملائكة الذين تناولوا القرآن ونسخوه من اللوح المحفوظ والذي قبل هذا هو قول مجاهد وقيل المراد بنو آدم القارئون للقرآن . وقال قتادة بنو آدم الذين يتلون كتبه المنزلة وتسبيحه وتكبيره ونحو ذلك وقيل العلماء تالون لآيات الله والغزاة المشتغلون بآيات الله يتلونها لا يشغلهم العدو عنها وذكرا مفعول به او مفعول مطلق كهذا قاعد جلوسا . قال عياض ويجوز حمل تلك الألفاظ كلها على تلك المعاني كلها واذا جعلنا تلك الصافات لجنس واحد فالعطف من عطف الصفة على أخرى لموصوف واحد وكون العطف بالفاء للتفاوت في الرتبة فالصف اولى من الزجر والزجر أولى من التلاوة إذا جعلنا زجرا ليس زجر للعدو وان جعلناه زجرا له فهو افضل من الصف نعم الصف لكونه أتم وأثبت للزجر أولى وقيل الآخر أولى من الثاني والثاني أولى من الأول أو الفاء لترتيب الوجود فإن الصف كمال والزجر تكميل بالمنع عن الشر والاساقة إلى قبول الخير والتلاوة إفاضة للأنوار الإلهية وعلى كل حال فالعطف لاختلاف الصفات ولو اتحد الموصوف وان جعلنا تلك الصفات لجنس واحد لكن باعتبار توزيعها على ابعاضه او جعلنا كل واحد للجنس فالعطف لاختلاف الذوات .

﴿إن إلهكم لواحد﴾ فيه رد على المشركين إذ قالوا اجعل الآلهة إلها واحدا .

﴿رب السموات والأرض وما بينهما﴾ هذا وما بعده تقرير للوحدة

وتقرير لها فان وجود ذلك على الوجه الاكمل مع امكان غيره دليل على وجود الصانع ووحدته ورب خبر ثان لان او خبر لمحذوف على المدح اي هو رب او بدل من واحد او بيان لجوازه بين نكرتين وجواز كون المعرفة بيانا للنكرة على الصحيح وما بين السموات والارض يشتمل افعالنا فالله ربها وخالقها .

﴿ورب المشارق﴾ اي والمغارب فإن للشمس ثلاثمائة وستين مشرقا تطلع كل يوم من واحد ولها ثلاثمائة وستين مغربا مغرب كل يوم من واحد ولم يذكر المغارب لانها بحسب المشارق تختلف باختلاف المشارق قال الشيخ هود وقال بعضهم هي ثمانون ومائة منزلة تطلع كل يوم في منزلة حتى تنتهي إلى آخرها ثم ترجع في تلك الثمانين ومائة فتكون ثلاثمائة وستين انتهى يعني ان المائة والثمانين في نصف السنة او ذلك على انه لم تختلف اوقات الانتقال واما رب المشرقين ورب المغربين فالمراد فيه مشرقا الصيف والشتاء ومغرباهما وقيل كل موضع اشرقت عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه فهو مغرب وقيل اراد مشارق الكواكب وقيل الكواكب والشمس والقمر .

﴿إنا زينا السماء الدنيا﴾ نعت السماء أي السماء القربي فإن هذه السماء أقرب إلى الأرض بالنسبة إلى باقي السموات والدنيا صفة وألفه للتأنيث والذكر الادنى .

﴿بزينة الكواكب﴾ الاضافة للبيان أي بزينة هي الكواكب فالزينة اسم لما يزين به الشيء ويدل لذلك قرأه حمزة ويعقوب وحفص بتنوين زينة وجر الكواكب على الابدال أو البيان أو الاضافة للبيان على حذف مضاف أي بزينة هي ضوء الكواكب وهو تفسير ابن عباس رضي الله

عنها ويجوز أن يكون الزينة بمعنى الوضوء اي بضوء الكواكب وان تكون اشكالها المختلفة كشكل الثريا والجوزاء وبنات نعش ومطالعها ومسايرها ويجوز ان تكون الزينة على المعنى المصدري والاضافة إلى الفاعل اي بأن زينتها الكواكب او للمفعول اي بأن زينا الكواكب فيها فان تزيين الكواكب تزيين للسماء ويناسبه قراءة ابي بكر والأعمش وابن وثاب بالتنوين ونصب الكواكب على اعمال المصدر والمقرون بالتاء وفيه بحث او على اضمار زينا مبدلا من زينا المذكور بدل اشتمال فان قلت ليس في السماء الدنيا من الكواكب الا القمر وباقيها في باقي السموات وفي كل سماء كوكب والباقي في السماء السابعة او في الفلك الثامن وقد قيل انها كلها بين السماء والأرض إلا القمر قلت انها ولو كانت في السمٰوات لكنها لم تحجبها السمٰوات ولا هذه السمٰوات بل نراها مشرقة متلألئة على سطح هذه الازرق بأشكال مختلفة وكذا ان سلمنا انها بيننا وبين هذه فانا نراها كذلك ويجوز ان يكون نصب الكواكب تبعا على المعنى لمحل زينة بأن المعنى خلقنا زينة للسماء الكواكب فهو بدل من زينة او بيان له .

﴿وحفظا﴾ مصدر لمحذوف اي وحفظناها حفظا او عطف على المعنى لمحل زينة .

﴿من كل شيطان مارد﴾ خارج عن الطاعة يرمي بالشهب ومن متعلقة بالفعل المقدر وهو حفظناها وان كان العطف على المعنى فمتعلقة بحفظ وقوله :

﴿لا يسمعون إلى الملأ الأعلى﴾ مستأنف لبيان حالهم بعد ما حفظ السماء عنهم لا نعت لكل او لشيطان اذ لا معنى لحفظ السماء من شيطان

لا يسمع لأنها حفظت عن السمع ، كما قاله ابن هشام وغيره وامتناع الحالية لذلك وامتناعها من شيطان لعدم شرط مجيء الحال من المضاف إليه أيضا . قال ويحتمل أن الأصل ليلا يسمعوا ثم حذفت اللام ثم ان فارتفع الفعل واستضعفه الزمخشري بل انكره واوجب تنزيه القرآن عنه للجمع بين حذف اللام وأن ولا يكون حالا مقدرة أي مقدار اعدم سماعهم بعدم الحفظ لأن الذي يقدر وجود معنى الحال هو صاحبها والشياطين لا يقدرون عدم السماع ولا يريدونه أن يتصرف والواو عائدة إلى كل باعتبار المعنى وعدي يسمع بالي تضمينا له معنى الاصغاء مبالغة لنفيه . وتهويلا لما يمنعهم عن السماع ويدل له قراءة حمزة والكسائي وحفص لا يسمعون بتشديد السين والميم من التسمع بمعنى طلب السماع كالاستماع واصله يستمعون ابدلت التاء سينا وادغمت السين في السين بعدها والملأ الأعلى الملائكة وعن ابن عباس هم الكتبة وعنه اشراف الملائكة وكذا كل أهل سماء ملأ أعلى والملأ الأسفل الجن والانس في الأرض .

﴿**ويقذفون من كل جانب**﴾ يرمون بالشهب من كل جانب من جوانب السماء وافاقه اذا قصد طلوعه وإنما بطلوعه ليسمعوا فيخبروا الانس ويوحون إليهم انهم يعلمون الغيب .

﴿**دحورا**﴾ مفعول لأجله ناصبه يقذفون والدحور الطرد أي يقذفون للطرد أو حال بمعنى مدحورين أو ذوي ذحرا او مفعول مطلق ليقذفون لأن القذف للطرد طرد او حال على انه جمع دحر وهو ما يطرد وقرأ ابوعبدالرحمن السلمي بفتح الدال نعتا لمصدر محذوف اي قذفا دحورا او مفعول مطلق ليقذفون كالقول اي يقذفون قذفا او مصدر حال اي

مدحورين او ذوي دحرا ومفعول لأجله .

﴿ولهم عذاب﴾ آخر .

﴿واصب﴾ دائم قاله مجاهد وقال ابوصالح الواصب الشديد المؤلم وهو عذاب الآخرة وقيل هو ما يصيبهم بالرجم من الاحتراق ومن القتل ومن التغول بسببه فيما قيل .

﴿الا من خطف الخطفة﴾ الاستثناء من واو يسمعون ومن بدل منه وآل للعهد لدلالة لا يسمون على السمع ودلالة الحفظ من كل الشيطان مارد على ان السمع يحفظه اي اختلاسه او يكفي في العهد ان الاستماع للملأ وان الخطفة من كلامهم الذي تقدم ما يدل عليه وانما صح لهم الخطف لأن الله وكل الحفظ الى الملائكة ولو قدرنا حفظناها حفظا لان المعنى امرنا بحفظها فهم يسترقون ما قضي الله ان يسترقوه وقرىء خطف بفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها وخطف بكسرهما وتشديد الطاء واصلها اختطف سكنت التاء وابدلت طاء وادغمت في الظاء حركت الخاء بفتحة التاء وحذفت همزة الوصل قبلها وكسرت الطاء لئلا يتوهم أنه مشدد خطف كعلم وعلم فجاز كسر الخاء تبعا او ازيلت فتحة الياء ازالة لا نقلا فكسرت الخاء على التخلص من ساكنين فكسرت الطاء تبعا .

﴿فاتبعه﴾ مزيد موافق للمجرد الذي هو تبع فكأنه وقرىء فاتبعه بالتشديد .

﴿شهاب﴾ كوكب من نار من كواكب من نار في ايدي الملائكة معدة لذلك قوي يقتله او يحرقه فيرجع او يجعله فيكون كالبهيمة قيل يكون غولا يضل الناس في السفر او يثقبه قال القاضي اختلف هل يتأذى به

فيرجع او يحرقه اي فيموت ولكون بعضهم قد يرجع سالما او احترق قليلا لم يرتدعوا رأسا بل يسترقون ويرجون السلامة والشيطان ولو كان من نار لكنه غير باق على اصله بل استحال كما كان من تراب ولسنا بتراب فهو يتأذى بالنار وايضا النار القوية اذا استولت على الضعيفة استهلتها وقال القاضي أيضا

إنه ليس من النار الصرف كما أن الانسان ليس من التراب الخالص ولعل النجوم التي يرجم بها نجوم معدة لذلك أو قطع من نار أو قبس من النجوم شبه القطع والقبس بالنجوم فشبهت باسم النجم في بعض المواضع وقيل بخار يصعد فيشتعل فهو مصباح لأهل الأرض لأن كل نير في الجو مصباح لأهل الأرض زينة للسماء لأنه كأنه على سطحها فكان الرجم قبل ميلاد النبي ﷺ قليلا وكثر بميلاده أو لم يكن قبله حورا كما كان بعده يحمل قول بعض ما كنا نرى نجما قبل البعثة على تقليل رؤيته أو على أنه نفي رؤيته لقلته فلم يره .

﴿ثاقب﴾ مضى ينفذ الظلمة او ثاقب له ونافذ .

وعن ابن عباس إذا رأيتم الكوكب قد رمى فتوارى فإنه يحرق ما اصاب ولا يقتل .

وعن الحسن يقتله في أسرع من طرفة عين ، قال بعض كنا مع ابي قتادة فانقض نجم فنهانا أن نتبعه بأبصارنا وجاء عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ان الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون باخبارها فيلقون على الكهنة فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات ولما ولد محمد ﷺ منعوا من السموات كلها فما منهم من احد يريد استراق السمع الا رمي بشهاب وهو الشعلة من النار فلا تخطيء

أبدا فمنهم من تقتله ومنهم من تحرق وجهه ومنهم من تخبله فيصير غولا يضل الناس في البراري وذكر في المواهب عن البغوي ان النجم كان ينقض ويرمي الشيطان ثم يعود إلى مكانه .

﴿**فاستفتهم أهم أشد خلقا ام من خلقنا**﴾ أطلب منهم أن يفتوك ويخبروك يعني الكفار او كفار مكة اهم اشد خلقا ام من خلقنا من الملائكة والسموات والأرض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب والشياطين المردة كما يدل عليه قوله بعد هذه الأشياء فاستفتهم بالفاء المعقبة وقوله ام من خلقنا مطلقا من غير تقييد وقراءة ابن معسود والاغمش ام من عددنا وكذا في مصحف ابن مسعود وقراءة بعض عددنا بالتشديد ومن لتغليب العقلاء وقيل المراد ام من خلقنا من الأمم الماضية وليس بملايم والاستفهام للتقرير والتوبيخ والاستفهام ولو خرج عن اصله إلى توبيخ او تقرير او غيرهما فهو على شبه من الاصل ولذلك قال استفتهم واشدية الخلق اما بمعنى قوة الجسم كما قال بعض نزلت في ابي الاشد بن كلدة كني بذلك لقوته وشدة بطشه واما بمعنى صعوبة الايجاد والانشاء فهو رد على انكار البعث .

﴿**إنا خلقناهم من طين لازب**﴾ خلقناهم من طين لاصق بخلق ابيهم منه وهذه شهادة عليهم بالضعف والرخاوة ورد على انكارهم البعث من اين استنكروا ان يخلقوا من تراب مثله إذ قالوا ائذاكنا ترابا مع بقاء الماء والتراب على قبول الامضمام مع اعترافهم بخلق آدم منه وشاهدوا تولد الحيوانات واعترافهم بحدوث العالم والقادر على ذلك قادر على البعث وهم اضعف واقل واهون وقد ابداهم اولا وقدرة الله باقية لانها ذاتية وفي الآية دلالة ايضا على المراد بمن خلقنا الملائكة وما ذكر

معها فان الخلق من الطين فارق بينهم وبين من ذكر من الملائكة والسموات والأرض وما ذكر معها لابينهم وبين الأمم الماضية لأن المراد الرد على انكار البعث والأمر في اثباته بالنسبة إليهم وإلى الأمم سواء وقرىء من طين لابث والمعنى واحد وزعم بعضهم ان لازب معناه منتن .

﴿بل عجبت﴾ يا محمد من اعراضهم عن الحق كان ﷺ يظن أن كل من سمع القرآن يؤمن به ولما سمعه المشركون لم يؤمنوا فعجب من ذلك ومن تكذيبهم اياه وبل للانتقال من غرض إلى اخر وهو تعجبك وسخريتهم كما قال .

﴿ويسخرون﴾ من تعجبك وتصديقك واثباتك للبعث ولقدرة الله وقيل المعنى انك يا محمد عجبت بما اعطيت من القرآن وسررت به وعددته شيئا عظيما والمشركون لا يعدونه شيئا وانما يتخذونه مسخرة وقرأ حمزة والكسائي بضم التاء ، اما على اضمار القول أي بل قل يا محمد عجبت فما بعد هذا مستأنف أو اما على أن التعجب من الله والتعجب منه سبحانه وتعالى بمعنى استعظام الامر استعظم الله ما اتاه محمد او استعظم انكارهم .

قال الحسن ابن الفضل : التعجب من الله انكار الشيء وتعظيمه وهو لغة العرب عبر عن الاستعظام بالعجب لأن الاستعظام لازم للتعجب في الجملة فإن التعجب روعة تعتري الانسان عند استعظام الشيء فعبر بالملزوم عن اللازم واما التعجب على اصله فحال عن الله لأنه عن جهل وقد يوصف الله بالعجب على معنى الرضا كقوله ﷺ يعجب الله من الشاب ليست له صبوة وفي رواية يعجب ربكم من

شاب ليست له صبوة وقد يوصف به على معنى الانكار ورد في الحديث عجب ربكم من آلكم وقنوطكم وسرعة اجابته لكم والال أشد القنوط وهو بضم الهمزة ويطلق على الطعن ويجوز تقدير مضاف في قراءة الضم أي بل عجب رسولي وكان شريح يقرأ بالفتح ويقول إن الله لا يعجب وانما يعجب من لا يعلم .

فقال النجعي : ان شريحا كان يعجبه علمه وعبدالله اعلم يريد عبدالله بن مسعود وكان يقرأ بالضم وقد قال الجنيد كقول شريح سئل عن الآية فقال ان الله لا يعجب من شيء ولكن وافق رسوله ويجوز ان يحمل الضم على تجبيل العجب وفرضه .

﴿**وإذا ذكروا لا يذكرون**﴾ اذا وعظوا لا يتعظون سواء كان الوعظ في امر البعث او غيره فحذف المتعلق للعموم .

﴿**وإذا رأوا آية**﴾ معجزة تدل على صدقه كانشقاق القمر كما قال ابن عباس .

﴿**يستسخرون**﴾ يبالغون في السخر فالسين والتاء للتأكيد او يطلب بعضهم بعضا إلى السخر فهما للطلب وسخرهم قولهم إنه ساحر أو شاعر أو مجنون .

وروي أنها نزلت في ركانة وهو رجل من المشركين من أهل مكة وكان أقوى أهل زمانه لا يصرعه احد لقيه النبي ﷺ في جبل خال وهو يرعى غنما له فقال له يا ركانة ارأيت ان صرعتك اتؤمن بي قال نعم فصرعه ﷺ فقال له ركانه اعد فاعاد فصرعه أيضا وقال عد فاعاد فصرعه ايضا وعرض عليه آيات من دعاء شجرة واقبلت ورجعت ونحو ذلك وفي كل ذلك لم يؤمن وجاء إلى مكة فقال يابني هاشم ساخروا بصاحبكم أهل

الأرض فلم تغلبوه وفسر استسخارهم بقوله .

﴿وقالوا إن هذا﴾ أي ما نراه .

﴿إلا سحر مبين﴾ واضح ليس شيئا حقا يوجب أن يؤمن به ونصدق بالبعث .

﴿ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون﴾ جواب إذا محذوف تقديره فإنا لمبعوثون دل عليه إنا لمبعوثون وهذا المذكور في نية التقديم فكان دليلا للجواب أي لئنا لمبعوثون ائذا كنا ترابا وعظاما ولم نجعله جوابا لعدم الفاء والهمزة الأولى محققة والثانية مسهلة أو تحققتا ويدخل الف بينهما سواء حققتا أو سهلت الثانية أو نترك الادخال وتركه أولى وذلك في ائذا متنا واما إنا لمبعوثون ففيه همزة واحدة عند نافع والكسائي ويعقوب ، وقرأ الباقون فيه ايضا بهمزتين ففيها وفي الأولين إلا ابن عامر فانه اسقط همزة الاستفهام في قوله ائذا والقراءة بهمزتين اولا واخرا وتقديم الظرف في كل القراءة هما ابلغ في انكار البعث وهما مشغران بأن البعث في نفسه مستنكر وفي حال كوننا ترابا وعظاما اشد استنكارا وزادوا المبالغة بأن جعلوا الجملة اسمية مؤكدة بان واللام فيكونون قد انكروا البعث بهمزتي الاستفهام والانكاري وبتقديم الظرف وبالجملة الاسمية وبتوكيد مضمونها بأن واللام .

﴿أو آباؤنا الاولون﴾ عطف بأو جملة محذوفة الخبر على اخرى مذكورته اي أو اباؤنا الاولون مبعوثون قيل او عطف على محل ان واسمها قيل او على محل اسمها وهو قول كوفي او على الضمير المستقر في مبعوثون ولو لم يوجد فاصل وهذا قليل او اكتفى بالنون فاصلا وهذه قراءة نافع في رواية قالون وكذا روى ورش لكن ينقل فتحة همزة آباؤنا لواو او

فيفتحها ويحذف الهمزة ويمد واو او بالف كان بعدها الهمزة وبها نأخذ وكذلك قرأ ابن عامر باسكان الواو وقرأ الباقون بفتحها واثبات الهمزة بعدها فتكون الهمزة قبل الواو للاستفهام فاصلة والواو بعدها عاطفة وذكر الاباء الاولين ولا سيما في هذه القراءة زيادة استبعاد للبعث لقدم زمانهم .

﴿قل نعم﴾ تبعثون انتم وآباؤكم .

﴿وانتم داخرون﴾ صاغرون والواو للحال وصاحب الحال واو تبعثون فان نعم نائب مناب تبعثون جميعا وقرأ الكسائي نعم بكسر العين وهو لغة قرأ بعض قال نعم اي قال الله ورسوله فانما اكتفى في جوابهم بذلك لانه قد تقدم ما يدل على صحة البعث وصدق المخبرية .

﴿فانما هي﴾ أي البعثة المعلومة مما سبق ونفخة البعث والضمير للزجرة مبهم مفسر لخبرة وهو قوله ﴿زجرة﴾ أي صيحة ونفخة قال العراقي الزجرة الصيحة بانتهار .

﴿واحدة﴾ والفاء للتعليل اي يبعثون ولا مانع من بعثكم لأنه إنما هو زجرة واحدة لا احتاج فيه إلى اعانة ولا تعب فيه بل هو امر هين تكفي صيحة واحد لا تتعدد او رابطة لجواب شرط مقدر اي اذا كان كذلك .

﴿فاذاهم ينظرون﴾ فإن الخلائق أحياء ينظرون بأبصارهم قياما من قبورهم او ينتظرون ما يفعل بهم .

﴿وقالوا﴾ اي الكفار .

﴿يا ولينا﴾ يا هلاكنا ويا للنداء والمنادى الويل ونداؤه تفجع او للتنبيه والويل منصوب حينئذ على المفعولية المطلقة لعامل من معناه وهو الهلاك وقيل له فعل من لفظه وهو وال .

﴿**هذا يوم الدين**﴾ اي الجزاء على الاعمال وها هنا تم كلامهم واما قوله عز وجل .

﴿**هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون**﴾ من كلام الملائكة خطابا لهم وقيل هو من كلام بعضهم لبعض ويجوز ان يكون هذا يوم الدين الى تكذبون من كلام الملائكة والفصل القضاء والفرق بين المحسن والمسيء .

﴿**احشروا الذين ظلموا**﴾ خطاب من الله سبحانه للملائكة وقيل من الملائكة بعضهم لبعض والحشر الجمع والمراد اجمعوا الذين ظلموا وقد تفرقوا وقيل اجمعوهم من مقاماتهم الى الموقف وقيل منها إلى النار والذين ظلموا هم المشركون وقيل عام في كل ظالم والصحيح الأول لقوله بعد وما كانوا يعبدون من دون الله وبه قال الكلبي ﴿**وأزواجهم**﴾ .

قال عمر وابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ وقتادة انواعهم عابد صنم مع عابد صنم وعابد شمس مع عابد شمس وعابد نجم مع عابد نجم وعابد قمر مع عابد قمر وهكذا وقيل قرناهم من الشياطين يقرن كل كافر مع قرينه من الشياطين في سلسلة وبه قال عمر في رواية النعمان بن بشير عنه وقيل نسائهم المشركات وهو رواية عن ابن عباس والحسن وقيل نظرائهم من العصاة أهل الخمر مع أهل الخمر وأهل الزنا مع أهل الزنا وأهل السرقة مع أهل السرقة وأهل الرياء مع أهل الرياء وأهل الكبر مع أهل الكبر وأهل الحسد مع أهل الحسد وهكذا وهو رواية عن رسول الله ﷺ .

﴿**وما كانوا يعبدون من دون الله**﴾ زيادة في تحسرهم وتخجيلهم إلا الذين سبقت لهم الحسنى كالملائكة وعيسى وعزير ممن كان معبود الا

بأمره ولا برضاه وكان متقيا وقال الحسن الذين يعبدون من دون الشياطين الذين دعوهم إلى عبادة الأصنام .

﴿فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ دلوهم على طريق النار يسلكونه كذا ظهر لي ثم رأيته مسندا إلى ابن عباس رضي الله عنهما وذلك على جهة التهكم بهم والجحيم النار مطلقا وقيل الباب الخامس منها .

﴿وقفوهم﴾ احبسوهم .

﴿انهم مسؤولون﴾ عن جميع اقوالهم وافعالهم واعتقادهم أو عن لا إله الا الله روايتان عن ابن عباس وفي الحديث لا تزل قدم امرء حتى يسأل عن عمره فيم افناه وبم عمل مما علم ومن اين اكتسب ماله وفيم انفقه وجسده فيم ابلاه وفي رواية وشبابه وذلك سؤال توبيخ يسألونه بعد ما سيقوا إلى النار ويوقفون والواو لا تفيد الترتيب فيجوز ان يكون الوقف قبل أن يهدوهم إلى طريق الجحيم ويجوز ان يكون الموقف متعددا .

﴿مالكم لا تناصرون﴾ أي يقال لهم مالكم لا تناصرون ويجوز أن يكون هذا هو السؤال في قوله مسؤولون أي يسألون ما لكم لا تناصرون أي يقال لهم على جهة السؤال مالكم لا تناصرون كذا ظهر لي ثم رأيته لعياض وهو ظاهر كلام جار الله والسؤال توبيخ وتقريع أين ما كنتم تقولونه ان كان البعث حقا نصر بعضنا بعضا وشفعت لنا الهتنا وأين ما تقول يا ابا جهل انا جمع منتصر أي منتصر في الدنيا فهل نفعك اليوم احد او نفعت احدا والأصل لا تتناصرون حذفت احدى التاءين ، وقرأ خالد باثباتهما وقرىء لاتناصرون بادغام التاء في التاء والاستغناء بلام لا عن همزة الوصل والف لا محذوفة للساكن بعدها ولو كان مدغما لأن

حرف المد من كلمة والساكن المدغم من كلمة وليستا ككلمة واحدة .

﴿بل هم اليوم مستسلمون﴾ منقادون خاضعون أو خذل بعضهم بعضا وأصل الاستسلام طلب السلامة وهم كذلك يومئذ عجزوا وانسدت عنهم الحيل فما يهم احد الا نفسه .

﴿واقبل بعضهم على بعض﴾ الرؤساء والاتباع او الكفرة والقرناء وعليه الشيخ هود ـ رحمه الله ـ .

﴿يتساءلون﴾ سؤال توبيخ ولذا فسر بالتخاصم .

﴿قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين﴾ قال الكلبي من جهة الدين وقيل عن جهة الخير والمعنى واحد فتبطنمونا عنه وهو ايضا في معنى قول ابن زيد عن طريق الجنة استعيرت اليد اليمنى للشيء الحسن لكونها اشرف العضوين وامتنهما وكانوا يتباركون بها فيها يتصافحون وبها يتماسحون وينالون ويتناولون ويزاولون أكثر الأمور ويتشاءمون بالشمال حتى سموها شؤما ويتمنوا بالسانح وهو الطائر الذي يمر عن اليمين وتطيروا من البارح وكان الذي يعمل بيده اليسرى معيبا عندهم وسموه الاعسر وقد امرت الشريعة بمباشرة افاضل الامور باليمين وكان ﷺ يحب التيامن في كل شيء وجعلت اليمين لكاتب الحسنات والشمال لكاتب السيئات ووعد المحسن ان يؤتي كتابه بيمينه والمسيء أن يؤتي بشماله ويجوز ، أن يكون المعنى انكم تأتوننا في متابعة الضلالة كالساغ الذي يأتي عن اليمين ويتيمن به جعلتم الضلالة مثل ذلك الساغ فزينتموها او المعنى انكم جئتمونا عن القوة والقهر فاضللتمونا استعيرت اليمين للقوة والقهر لقوة اليد اليمنى وقيل اليمين القسم كانوا يحلفون انا على الحق وصحح بعضهم ماذكرته اولا وقيل اليمين مستعارة لمشهوات

كما فسر بعضهم قوله عز وجل وعن ايمانهم قال جار الله وجاء في بعض التفاسير من اتاه الشيطان من جهة اليمين اتاه من قبل الدين فليس عليه الحق وهذا يقوي ما ذكرته اولا ومن اتاه من جهة الشمال اتاه من قبل الشهوات ومن اتاه من بين يديه اتاه من قبل التكذيب بالقيامة والثواب والعقاب ومن اتاه من خلفه خوفه الفقر على نفسه وعلى من يخلف بعده فلم يصل رحما ولم يؤد زكاة فان قلت قولهم اتاه من جهة الخير وناحيته مجاز في نفسه فكيف جعلت اليمين مجازا على المجاز ، قلت من المجاز ما غلب في الاستعمال حتى الحق بالحقائق وهذا من ذاك انتهى ، قلت اجاز بعضهم بناء مجاز على مجاز على مجاز ثلاثة ولا سيما ان المجاز هنا وقع في شيئين كل على حده .

﴿قالوا﴾ الرؤساء او القرناء .

﴿بل لم تكونوا مؤمنين﴾ انتفاء الايمان انما هو من عندكم واختياركم له لا من جهتنا بكلامنا وصدنا هذا جواب اول واجابوهم ثانيا بما حكي الله عنهم بقوله .

﴿وما كان لنا عليكم من سلطان﴾ قوة وقهر واجبار على الكفر فنسلبكم الايمان لو كان عندكم .

﴿بل كنتم قوما طاغين﴾ مجاوزين الحد باختيار الضلالة عن الرشد .

﴿فحق﴾ وجب ووقع .

﴿علينا﴾ جميعا .

﴿قول ربنا﴾ بالعذاب او قوله غضبه او اراد به العذاب وقوله .

﴿إنا لذائقون﴾ مستأنف في كلامهم ويجوز كونه مفعولا للقول وعليه فمقتضى الظاهر أن يقولوا إنهم لذائقون او أنكم لذائقون لأنه سبحانه

وتعالى يقول انهم لذائقون او انكم لذائقون بعتابهم او يخاطبهم لا يقول انا لذائقون وإنما ساغ انا لذائقون لانهم تكلموا به عن انفسهم وفيه التفات على طريق السكاكي ولا يخفي ما في الكلام من التأكيد بذكرحق وان واللام مع الاسمية اي نذوق العذاب لا محالة ومفعول ذائقون نحذف أي لذائقون العذاب .

﴿فاغويناكم﴾ اضللناكم .

﴿إنا كنا غاوين﴾ اي ضالين والجملة تعليل أي لانا كنا غاوين فاحببنا ان تكونوامثلنا وليست كل غواية باغواه غاو والا الزم التسلسل او الدور ولم يظهر لي ان في الآية ايماء إلى هذا كما قال القاضي قال الله .

﴿فانهم﴾ جميعا .

﴿يومئذ في العذاب مشتركون﴾ كما اشتركوا في الغواية وعن بعض ان اشتراكهم في العذاب اقتران كل السيء بشيطانه في السلسه .

﴿انا كذلك﴾ كما فعلنا بهؤلاء .

﴿نفعل بالمجرمين﴾ المشركين غير هؤلاء نعذب منهم التابع والمتبوع ، وقيل المجرمون هم المذكورون والتشبيه إنما هو لمخالفة وصف الشيء للشيء بمعنى انا نفعل بهم فعلا إنما يعلم حقيقته نحن وإن اردتم وصفه فهو كما وصفناه .

﴿إنهم﴾ هم المشركون المذكورون الذين في زمانه ﷺ .

﴿كانوا إذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون﴾ عن التوحيد وعمن يدعوهم إليه وعن ابي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أن موسى عليه السلام قال يا رب علمني شيئا اذكرك به وادعوك به قال يا موسى لا اله الا الله قال يا رب كل عبادك يقول هذا ، قال قل لا اله الا الله ، قال

انما اريد شيئا تخصني به ، قال يا موسى لو ان السموات السبع والارضين السبع في كفة ولا اله الا الله في كفة مالت بهم لا اله الا الله ؛ وعنه ﷺ قول لا اله الا الله لا يترك ذنبا ولا يشبهه عمل .

﴿ويقولون أئنا﴾ بتسهيل الهمزة الثانية وتحقيقها كالأولى وادخال الف على الوجهين وتركه .

﴿لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون﴾ يعنون لعنهم الله النبي ﷺ وردالله عليهم بقوله .

﴿بل جاء بالحق وصدق المرسلين﴾ بمجيئه بما جاءوا به من التوحيد والطاعة ولم يخالفهم .

﴿انكم﴾ التفات من الغيبة إلى الخطاب .

﴿لذائقو العذاب الأليم﴾ لتكذيبكم بحذف النون للاضافة وقرىء لذائقون العذاب الأليم باثبات النون ونصب العذاب الأليم وبحذفها للتخفيف ونصبها .

﴿وما تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ من الشرك والمعاصي .

﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ استثناء منقطع اي لكن عباد الله او متصل اعتبار الجانب ، الجزاء بمثل ما عملوا فان المخلصين يجزون باضعاف ومعنى المخلصين الذين اختارهم الله لطاعته او اخلص قلوبهم لنفسه او جعلهم خالصين وذلك بالتوحيد والطاعة .

﴿اولئك لهم رزق معلوم﴾ هو الذي يأتي بكرة وعشيا او الذي يأتي حين يشتهون وقيل معلوم الصفة من طيب طعم ولذة ورائحة وحسن منظر وزعم قتادة انه الجنة ويرد قوله في جنات الا ان ارجع قوله في جنات إلى مكرمون او جعله خبر المحذوف اي هم في جنات ويرده ايضا

قوله .

﴿ فواكه ﴾ وقيل الرزق المعلوم هو الفواكه وهو بدل من الرزق او بيان يعني ان رزق اهل الجنة فواكه لمجرد التلذذ لا قوت تدفع به المجاعة او تكسب به الصحة او يحفظ به لانه لا جوع فيها ابدانهم مخلوقة صحاحا للأبد والفاكهة الثمار وعن بعضهم الثمار رطبا ويابسا وكل طعام يؤكل للتلذذ لا للقوت .

﴿وهم مكرمون﴾ في جميع احوالهم وفي نيل الرزق ينالونه بلا تعب ولا سؤال والاكرام من اعظم ما يجب ان تتوق إليه نفوس ذوي الهمم كما ان من اعظم ما يجب أن تنفر عنه نفوسهم هو ان أهل النار وصغارهم .

﴿في جنات نعيم﴾ ليس فيها غير النعيم وهو متعلق بمكرمون او بمحذوف حال من المستتر في مكرمون او خبر ثان لأولئك فيكون من تقديم الخبر الجملي على الظرفي قال غير واحد الاكثر العكس .

﴿على سرر﴾ متعلق بمكرمون او بمحذوف حال من ضميره او خبر اخر لاولئك .

﴿متقابلين﴾ حال من الضمير المستتر في على سرر اذا علق بمحذوف حال او خبر او حال من ضمير مكرمون او من الضمير في في جنات اذا علقت في بمحذوف خبرآخر او حال او تعلق على بمتقابلين او بمحذوف حال من ضمير متقابلين والتقابل اتم للسرور ولا ينظر بعض إلى قفا بعض .

﴿يطاف عليهم بكأس﴾ اناء فيه خمر ولا يقال للاناء كأس ان لم تكن فيه الخمر او المراد بالكأس الخمر فإنها تطلق على الخمر ايضا لكن على المجاز .

وعن ابن عباس والاخفش كل كأس في القرآن فهي خمر .

﴿من معين﴾ من شراب معين او من نهر معين وهو الجاري على وجه الأرض ظاهرا للعيون خمر الجنة يجري عيونا كالماء او المعين الخارج من العيون يقال عان الماء اي نبع وكل شراب يكون لأهل الجنة فهو جامع لملاذ جميع الأشربة .

﴿بيضاء﴾ صفة كأس سواء فسرت الكأس بالاناء او بالخمر قيل وهو اظهر ويدل له قوله .

﴿لذة﴾ فان للذائذ الخمر لا الاناء قال الحسن خمر الجنة أشد بياضا من اللبن وقرأ ابن مسعود صفراء لذة قيل فهو وصف للخمر وحدها قلت يجوز كونه وصفا للاناء ويجوز كون بيضاء ولذة صفتين لكأس بمعنى الاناء وان قلت كيف يكون الاناء لذيذا ؟ ، قلت يحصل به التلذذ لحسن منظره ومناولته واشتماله على ما فيه تلذذ ، وإن قلت فكيف يوصف بلذة وليس بوصف قلت وصف به مبالغة كأنه نفس اللذة او هو وصف من اللذ بمعنى اللذيذ كالطب بمعنى الطبيب ويجوز ان يكونا صفتين لمعين باعتبار ان المعين خمر .

﴿للشاربين﴾ نعت لذة .

﴿لا فيها غول﴾ اهلاك او افساد فإنها لا توجع الامعاء ولا الرأس ولا تسيء الخلق ولا تبيل ولا تغوط ولا تقيء كما تفعل خمر الدنيا ذلك .

وعن ابن عباس الغول وجع في البطن ؛ وعن قتادة صداع في الرأس .

﴿ولا هم عنها ينزفون﴾ لا يخرجون بالبناء للمفعول انزفه اخرجه اولا تخرج عقولهم بسبب الخمر ومجرور عن على الأول للجنة وعلى الثاني

للخمر وهو اولى ليوافق الضمير قبله المجرور بفي فانه للخمر أيضا ويجوز رجوعه للجنة ايضا وقرأ حمزة والكسائي بكسر الزاي مع ضم الياء من انزف الشارب اذا ذهب عقله او نفذ شرابه واصله من افعل كذا بمعنى دخل في فعله كاصبح دخل في الصباح وكذا قرأ عاصم في الواقعة لاهنا وقرأ طلحة بن مصرف

ينزفون بفتح الياء وضم الزاي من نزف ينزف كقرب يقرب إذا سكر وإنما افرد النزف بالذكر مع دخوله في الغول اذا فسر بما يعم السكر من المفاسد لأنه اعظم مفاسد الخمر فسلط عليه على استقلا نفيا كانه جنس برأسه قال القزويني واما تقديمه يعني المسند فلتخصيصه بالمسند اليه تجولا فيها غول اي بخلاف خمور الدنيا قال السعد فان قلت المسند هو الظرف اعني فيها والمسند إليه ليس مقصورا عليه بل على جزء منه اعني الضمير المجرور للراجع إلى خمور الجنة قلت المقصود ان عدم الغول مقصور على الاتصاف بفي خمور الجنة لا يتجاوزه إلى الاتصاف بفي خمور الدنيا وان اعتبرت النفي في جانب المسند فالمعنى ان الغول مقصور على عدم الحصول في خمور الجنة لا يتجاوزه إلى عدم الحصول في خمر الدنيا فالمسند اليه مقصور على المسند قصرا غير حقيقي .

﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ نساء ازواج لهم حابسات نظرهن عليهم لا ينظرن إلى غيرهم والطرف مصدر وفسره بعضهم بالعين مرادا به الجنس .

﴿عين﴾ جمع عيناء والاصل ضم العين ولكن كسرت لئلا تقلب الياء واوا والعيناء الواسعة العين مع جمال العين .

﴿كأنهن بيض﴾ بيض النعام .

﴿مكنون﴾ مستور بريش النعام او غيره لا يصل إليه غبار ووجه الشبه البياض والصفاء في ادنى صفره وهذا احسن الوان البذن والعرب تسمي النساء الحسان بيضات الخدور وذلك قول الجمهور .

وقال ابن جبير والسدي شبه الوانهن بلون قشر البيضة الداخل وهو المكنون المصون وهو ضعيف لانه خلاف المتبادر .

وقال الطبري عن ابن عباس البيض المكنون الجوهر المصون .

قال عياض : وهذا يرده لفظ الآية فلا يصح عن ابن عباس .

﴿فاقبل بعضهم﴾ أي بعض أهل الجنة .

﴿على بعض﴾ وجملة ﴿يتساءلون﴾ حال مقدرة والمعنى يسأل بعضهم بعضا عما جرى لهم وعليهم في الدنيا والمعارف والفضائل وحال الطاعة والايمان سؤال تلذذ والعطف على يطاف عليهم بكأس فكأنه قيل يشربون ويتحادثون على الشراب وهو عادة الشراب وما كان من الشراب كذلك فهو الذالي العقل وانما عبر بالماضي تأكيدا في وقوع ذلك واحضارا فانه لا بد حاضر جعلنا الله من أهله .

﴿قال قائل منهم﴾ من أهل الجنة﴿اني كان لي قرين﴾ في الدنيا كافر منكر للبعث قيل هو شيطان وهو قول مجاهد .

﴿يقول ائنك﴾ فيه ما في همزتي ائذا والاستفهام انكار بصحة مذهب المؤمن او للتوبيخ او للتهكم .

﴿لمن المصدقين﴾ بالبعث وقول الشيطان وسوسته او ظهر له وقيل كانا من الانس قيل كانا اخرين وقيل شريكين احدهما كافر اسمه فهروس والآخر مؤمن اسمه يهود اوهما اللذان قص الله خبرهما في الكهف﴿واضرب لهم مثلا رجلين﴾وهو قول السهيلي وذكر بعض ان

ذلك في رجل تصدق بماله لوجه الله فاحتاج فاستجدي بعض اخوانه فقال ابن مالك قال تصدقت به ليعوضني الله خيرا منه فقال ائنك لمن المصدقين بيوم الدين او المتصدقين لطلب الثواب والله لا اعطيك شيئا .

قال ابن عباس : كان هذان من البشر مؤمن وكافر قال قرأ ابن ثعلبة البهراني كانا شريكين في ثمانية الاف دينار كان احدهما مشغولا بعبادة الله وكان الاخر كافرا مقبلا على ماله وقصر المؤمن في التجارة وجعل الكافر كلما اشترى شيئا من دار او جارية او بستان ونحوه عرضه على المؤمن وفخر عليه فيمضي المؤمن عند ذلك ويتصدق بنحو ذلك ليشتري به من الله تعالى في الجنة وذلك بيان من الله عز وجل لبعض ما وقع من التحدث من أهل الجنة والاصل المتصدقين ابدلت التاء صاد او ادغمت في الصاد وقرىء المصدقين بتخفيف الصاد وليست قراءة التشديد مختصة بصدقة الطعام كما قد يتوهم مما مر بل يجوز ان تكون بمعنى التصديق .

﴿ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما﴾ جواب اذا محذوف دل عليه .

﴿ائنا لمدينون﴾ فانه في نية التقديم على اذا وحدها اي لمجزئون باعمالنا والاستفهام انكار وذلك تفسير ابن عباس وقيل يجوز ان يكون المعنى لمربوبون وفي الهمزتين ما مر .

﴿قال﴾ ذلك القائل المؤمن لاخوانه من أهل الجنة وقيل قال الله لأهل الجنة وقيل قال قائل وهو ملك .

﴿هل أنتم مطلعون﴾ لتنظروا منزلة قريني في النار او لتنظروا منزلة قرينه فيها فتعلموا ما بين منزلة المؤمن ومنزلة الكافر قيل فيقولون انت اعرف به منا فيطلع كما قال الله سبحانه ﴿فاطلع﴾ اي المؤمن وقال

المهدوي تقول الملائكة ان قرينك هذا يعذب في جهنم فقال هل انتم مطلعون يخاطب الملائكة او رفقاءه في الجنة او خدمتهم .

﴿فرآه﴾ أي قرينه .

﴿في سواء﴾ وسط .

﴿الجحيم﴾ قال ابن عباس قال ابو عبيدة قال عيسى بن عمر كنت اكتب يا ابا عبيدة حتى ينقطع سواءي ويقال تعبت حتى انقطع سواءي .

قال ابن عباس وكعب : ان بين الجنة والنار كوى فاذا اراد الرجل من أهل الجنة ان ينظر إلى عدو له من أهل النار اطلع فرآه واصل مطلعون واطلع مطتلعون واطتلع ابدلت التاء طاء وادغمت فيها الطاء والاطلاع الصعود ، وقرأ ابو عمر مطلعون باسكان الطاء وكسر النون الحاقا بنون الوقاية باسم الفاعل لانه كالمضارع وياء الاضافة محذوفة ونون الجمع محذوفة للاضافة والحاق النون بالاسم شاذ يختص بالشعر فلا ينبغي تخريج القرآن عليه وقد يكون في نثر ولعل الأصل مطلعون اي جعل المتصل مكان المنفصل وهو مفعول به وحذفت النون تخفيفا ووجه هذه القراءة انه لا يطلع الا ان رادوا ، ان من آداب المجالسة ان لا يستبد المجالس بشيء دون جلسائه فإذا أذنوا له في الطلوع فكأنهم اطلعوه ، وقرأ ابو عمرو فاطلع بضم الهمزة واسكان الطاء وكسر اللام وهو مضارع منصوب في جواب الاستفهام بمعنى الصعود كالمضارع من اطلع بالتشديد وقراءة ابي عمرو هذه في مطلعون وفي فاطلع رواها حسين وكأنها غير صحيحة فلم يذكرها الامام ابو عمرو الداني وقرىء مطلعون فاطلع باسكان الطاءين وفتح همزة اطلع وعينه وهو ماض وفتح

النون وقرأ مطلعون بالتشديد وفتح النون فاطلع بكسر اللام وفتح الهمزة والنصب في الجواب .

﴿قال تالله إن كدت لتردين﴾ باثبات الياء في الوصل عند ورش والمعنى لتهلكني وتغويني وقد قرا ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ لتغويني وان مخففة واللام فارقة بين النفي والاثبات .

﴿ولولا نعمة ربي﴾ توفيقه اياي .

﴿لكنت من المحضرين﴾ معك في النار يخاطب قرينه تشتيما له قال أهل الجنة .

﴿افما نحن بميتين﴾ الهمزة للاستفهام داخلة على محذوف معطوف عليه بالفاء أي نحن مخلدون في النعيم فما نحن بميتين أي افما من شأننا ان نموت وقرىء بمايتين بالدلالة على الاستقبال .

﴿الا موتتنا الأولى﴾ التي متناها في الدنيا وزوال حياتهم في القبر بعد السؤال ليس موتا ثانيا ولو سلم انه موت فليس مرادا لهم لانه لا مشقة فيه وقيل هو موتة تتناولها الموتة التي في الدنيا والموتة مفعول مطلق لميتين وقيل منصوب على الاستثناء المنقطع لان الموتة الاولى قد ماتوها ولا يعيدونها فافهم وهو الصحيح عندي فانما تصح للفعولية المطلقة على ان المعنى لسنا بمتصفين بالموت على تعميم الازمنة وعدم ارادة خصوص موت الدنيا .

﴿وما نحن بمعذبين﴾ كالكفار وإنما قال ذلك اهل الجنة بعضهم لبعض توقيفا على النعمة وفرحا بها او ذلك كله من كلامه لقرينه تقريعا وتوبيخا له او معاودة إلى تحادث جلسائه وذلك يقال بعد ذبح الموت .

﴿ان هذا لهو الفوز العظيم﴾ من كلام أهل الجنة او من كلام المؤمن

للفريقين او لمحادثيه او من كلام الله والاشارة إلى ما هم عليه من النعمة والخلود والأمن من العذاب بخلاف الكافر فانه لشدة عذابه يتمنى الموت كل ساعة قيل لحكيم ما شر من الموت قال الذي تتمنى فيه الموت وقرىء ان هذا لهو الرزق العظيم وهو ما رزقوه من السعادة .

﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾ لمثل متعلق بعمل والفاء صلة وقدم للاهتمام والحصر وقدم ايضا على العاملون للفاصلة والاشارة لما ذكر لاهل الجنة وهو محتمل لان يكون من كلام الله او من كلام أهل الجنة وفيه ترغيب لنا في ثواب الله أي اعملوا لثواب الله لا لحظوظ الدنيا .

﴿اذلك خير نزلا﴾ تمييز او حال وهو ما يهيء للنازل ضيفا او غيره ، واذا كان ما ذكر كله لأهل الجنة بمنزلة ما يهيء للنازل فما ظنك بما يكون لهم وراء ذلك هو ما تقصر عنه اوهام الخلق .

﴿ام شجرة الزقوم﴾ التي هي نزل أهل النار فما ظنك بما يكون لهم وراءها هو ما تقصر عنه الاوهام قيل اصل القول الفضل في الطعام واستعير للحاصل من الشيء وحاصل الرزق المعلوم اللذة والسرور وحاصل شجرة الزقوم الالم والقول والاستفهام لانكار استواه نزل الرزق المعلوم ونزل شجرة الزقوم ولانكار كون نزلها خيرا من نزله ولا يخفي انه لا خير في شجرة الزقوم ولكن المؤمنين لما اختاروا ما ادى الى الرزق المعلوم واختار الكافرون ما ادى الى شجرة الزقوم قيل لهم ذلك على جهة الانكار وفيه توبيخ ايضا على سوء اختيارهم والزقوم شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم من اخبث الشجر قيل تكون بافريقية ووصفها بعضهم بانها شجرة صغيرة الورق منتنة مرة تكون بهامة سميت باسم تلك الشجرة التي تكون في النار وما ذلك الا تمثيل والا فالتي فيها غاية في النتن والمرارة

ولو وجد أهل النار هذه التي في الدنيا كانت اطيب طعاما لهم وعن بعضهم تكون في اليمن وعن بعض تكون بين اليمن وتهامة ويجمع بانها تكون في تلك المواضع كلها وذكر عياض ان في بعض البلاد المجدبة المصحرة شجرة مسمومة لها لبن مرة ان مس لبنها جسم احد تورم ومات في غالب الامر تسمى شجرة الزقوم .

﴿انا جعلناها فتنة للظالمين﴾ محنة للمشركين وعذابا لهم في الاخرة وابتلاء في الدنيا وذلك انها لما ذكرت في القرآن قالوا كيف تكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر وكذبوا بها ولم يتفكروا ان من قدر على خلق ما يعيش في النار كالملائكة ويلتذ بها فهو قادر على خلق الشجر في النار وحفظه من الاحراق .

وقال ابن الربعري لعنه الله لصناديد قريش ان محمدا يخوفنا بالزقوم الزبد والزقوم والتمر بلغة البربر وقيل بلغة اليمن فادخلهم ابو جهل بيته وقال لجارية زقمينا فأتتهم بالزبد والتمر وكأنه علمها فقال ابو جهل تزقموا وهذا ما يوعدكم محمد وفي رواية ترقموا فاني لا اعرف الزقوم الا هذا فانزل الله جل وعلا **﴿انها شجرة تخرج في اصل الجحيم﴾** وذكر السدي انه لما نزل اذا لك خير ام شجرة الزقوم قالواما نعرف هذه الشجرة فقال عبدالله بن الربعي لكني والله اعرفها يشير الى شجرة الدنيا المذكورة ولما نزل انها شجرة تخرج في اصل الجحيم .

﴿طلعها كأنه رؤوس الشياطين﴾ وقالوا ما اشبه هذا بالذي يقول اين الربعري .

قال الشيخ هود : كلما ذكر في السورة المكية من ظلم او جرم او فسق او ضلال فهو فسق الشرك وظلمة وما

ذكر في السورة المدنية فقد يكون نفاقا وقد يكون شركا واصل الجحيم قعرها وقرىء أنها شجرة نابتة في أصل الجحيم روي أنها في قعر النار واغصانهاترتفع إلى دركاتها وقال الشيخ هود بلغنا إنها في الباب السادس وانها تحيي بلهب النار كما يحيي شجركم ببرد الماء ولا بد من ان ينحدر اليها من كان فوقها فيأكلوا منها وطلعها ثمرها وإنما سمي ما يخرج منها طلعا تشبيها لها بالنخلة فاستعير لما يخير منها اسم ما يخرج من النخلة والجامع الشكل او الطلوع وسمي الطلع طلعا لطلوعه ويجوز ان يراد بالطلع الوعاء الذي على الثمر وهو الذي رائحته ورائحة المني متقاربتان فيكون ثمر شجرة الزقوم يخرج في الكفري ثم ينفتق عنه الكفري وإنما شبه طلعها برؤوس الشياطين تقبيحا لمنظره ودلالة على تناهيه في الكراهة والخسة لان الشياطين مكروه مستقبح في طباع الناس ولو لم يروه لاعتقادهم أنه شر محض لا يخلطه خير وقد شبه امرؤ القيس اسنته بانياب الغول في قولهم :

* ايقتلني والمشرفي مضاجعي * ومسنونة زرق كانياب اغوالي*

وكانوا إذا أرادوا تقبيح شيء قالوا كأنه وجه شيطان وقالوا كأنه رأس شيطان كما أنهم إذا استحسنوا شيئا وبالغوا كأنه ملك كما قلن ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم وقيل الشيطان حية هائلة قبيحة المنظر عرجاء قيل ولها عرف كعرف الديك وذلك انطلع كرية خبيث مثل رؤوس هذه الحيات ، وروي ان العرب تسمي الحية القبيحة المنظر شيطانا وقيل أن بين مكة واليمن شجرة قبيحة منتنة تسمى رؤوس الشياطين وتسمى الاستن وهي خشنة مرة وما سميت هذه الشجرة رأس شيطان إلا تشبيها لها برأس الشيطان الذي هو بعض الجن ثم شبهت

أنها شجرة الزقوم .

﴿فإنهم لآكلون منها﴾ من ثمرها وحذف المضاف .

﴿فمالئون منها البطون﴾ لغلبت الجوع الشديد عليهم أو يجبرون على الأكل منها حتى تمتليء بطونهم وهو نوع عذاب ويدل للأول ما قيل ان التزقم عند العرب البلع على شدة وجهد .

﴿ثم إن لهم عليها﴾ على ثمرها الذي يأكلونه .

﴿لشوبا من حميم﴾ ماء بلغ غاية الحرارة والشوب الخلط وهو مصدر سمي به ما يخلط بغيره او باق على معناه قيل إذا غلبهم العطش يسقون شرابا من غساق او صديد بالغ غاية الحرارة فيختلط بثمرها في بطونهم وقيل يختلط الغساق او الصديد بماء بالغ غاية الحرارة فيشربونه فهو في نفسه شوب لانه ماء مع غساق او صديد وشوب ايضا لاختلاطه في بطونهم بالثمر وإذا شربوا ذلك شويت وجوههم وتقطعت امعاؤهم وقرىء بضم الشين وهو اسم لما يخلط بغيره لا مصدر وإنما كان العطف بثم للدلالة على أن شربهم يكون بعد امتلاء بطونهم بتراخي زيادة في تعذيبهم او لتراخي رتبة ذلك الشراب عن ثمر الزقوم فإنه اكره وابشع .

﴿ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم﴾ أي أن رجوعهم بعد الأكل من الزقوم والشرب إلى الجحيم إن الزقوم والشراب في غير محالهم من الجحيم فكأنه قيل لإلى مواضعهم المحرقة منها وقد قيل إن الحميم خارج عنها اصلا وقد قيل انهما يقدمون عليهما قبل الدخول يجاعون ويعطشون ثم يوردون عليهما ثم إلى الجحيم والتراخي هنا واضح وقرىء ثم إن منقلبهم بضم الميم وفتح اللام .

﴿إنهم ألفوا آباءهم﴾ وجدوهم .

﴿ضالين﴾ عن دين الله .

﴿فهم على آثارهم﴾ خطواتهم استعارة لأعمالهم وأقوالهم واعتقاداتهم الفاسدة .

﴿يهرعون﴾ يسرعون بالبناء للمفعول اسراعا شديدا استعارة للمبادرة إلى التقليد لآبائهم في الضلال من غير توقف على نظر وبحث وجملة أنهم إلى آخره تعليل وقيل الاهراع الاسراع التشبيه بالرعدة وقال مجاهد الاهراع كالهرولة .

﴿ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين﴾ الأمم الماضية والضمير لقريش الذين في زمانه ﷺ وقيل للعرب الذين في زمانه ﷺ .

﴿ولقد أرسلنا فيهم منذرين﴾ رسلا حذروهم العواقب .

﴿فانظر﴾ يا محمد والمراد أن ينظر قومه فإنهم رأوا الآثار وسمعوا الأخبار .

﴿كيف كان عاقبة المنذرين﴾ كانت الاهلاك والعذاب دنيا واخرى لعدم إيمانهم .

﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ الذين اخلصهم الله لدينه وهو مثل ما مر وقرىء بكسر اللام أي الذين امنوا واخلصوا الدين لله لما كان قوله كيف كان عاقبة المنذرين في معنى انهم اهلكوا وعذبوا صح استثناء عباد الله المخلصين .

﴿ولقد نادانا نوح﴾في الدعاء على قومه ان ننصره عليهم ونهلكهم بعد يأسه من ايمانهم واخبار الله أنهم لا يؤمنون وقيل المراد دعاؤه ان ينجيه من الغرق الذي يصيب قومه وذلك تمثيل لاهلاك الامم بقصة نوح عليه السلام قيل من كتب ولقد نادانا نوح إلى سلام على نوح في

العالمين في نحاس أو رصاص أو خشب سالم من السوس ويكتب متصلا بقوله في العالمين وعلى انبياء الله اجمعين مفصولا عنه وذلك ليلا في كانون الاول في حال طهارة كلما نقش حرفا نظر إلى الكوكب الذي في وسط بنات نعش الكبرى ويقول نظرت السهي وكفيت شر الحية والعقرب والأفعى باذن الله فيخرج النقش كل ليلة نصف الليل تحت السماء واستقبل بنات نعش به ويقول عقدت العقرب وسمها والحية وشرها والثعبان كالعقد الذي اخذ به الميثاق من كل رطب ويابس وبالقدرة الازلية قدرة الهي العظيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

ثم يقرأ الايات وتلك الزيادة وذلك ثلاث ليال ويكون الشيء المعمول فيه بارزا في كفك الأيمن بارزا إلى السماء ويلف ذلك في شيء طاهر ينفعه ذلك فاذا رآي ملسوعا أو ملدوغا أو من سقي سما فليجعل الخاتم في ماء ويسقه اياه يشف بإذن الله .

﴿فلنعم﴾ لام الابتداء او لام جواب قسم محذوف .

﴿المجيبون﴾ نحن أي اجبناه احسن اجابة كما يجب وفي الجمع والقسم او التأكيد والتعبير بنعم دليل تعظيم الاجابة كما ان المجيب عظيم .

﴿ونجيناه وأهله من الكرب العظيم﴾ من الغرق او اذى قومه او منهما .

﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ لم يلد أحد ممن في السفينة الا اولاده سام وحام ويافث ، فسام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان من المشرق إلى المغرب ويافث ابو الترك وياجوج وماجوج ، قيل والحزز وما هنالك وقيل سام ابو العرب وحام ابو الحبش ويافث ابو الروم وفي

الحديث عن رسول الله ﷺ في قوله وجعلنا ذريته هم الباقين انها حام وسام ويافث .

وعن ابن عباس في الآية لما خرج نوح من السفينة مات من كان معه من الرجال والنساء الا ولده ونساءهم ونوح عليه السلام هو آدم الاصغر وقالت فرقة ان الله سبحانه وتعالى ابقى ذرية نوح ومد نساء وليس المراد ان أهل الدنيا كلهم من نسله بل في الامم من لا يرجع اليه والاول اشهر واكثر .

﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ مفعول تركنا محذوف أي تركنا ثناء وعليه متعلق بهذا المحذوف بجواز اعمال المصدر واسمه محذوفين في الظروف أو متعلق بمحذوف نعت لهذا المحذوف أو بتركنا والآخرون هم الأمم بعده قال ابن عباس تركنا عليه ثناء حسنا جميلا باقيا اخر الدهر .

﴿سلام على نوح في العالمين﴾ متعلق بمحذوف خبر ثان او بما يتعلق به الأول أو بالاول ونعت سلام لكن فيه الفصل بينه وبين منعوته يخبر منعوته اي باق في العالمين وهو سلام من الله جل وعلا او المعنى على طريق الدعاء بثبوت هذه التحية له في الأمم بعده بأن يمدحوه ويثنوا عليه .

قال رسول الله ﷺ : للاسلي الذي لدغته عقرب اما انك لو قلت حين امسيت اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك ان شاء الله .

وفي رواية لم يضرك شيء .

قال سعيد بن عبدالرحمن الجمحي : بلغني انه قال حين يمسي سلام على نوح في العالمين لم تلدغه عقرب .

﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ تعليل للاحسان إلى نوح مجازاة له على إيمانه وطاعته كما علل احسان نوح بالايمان في قوله ﴿انه من عبادنا المؤمنين﴾ اظهار الجلالة قدر الايمان والمؤمن .

﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾ كفار قومه وهم قيل قليل لا كاليوم فبلغتهم الدعوة وكذبوا فعمهم الغرق .

﴿وان من شيعته﴾ شيعة نوح أي جماعته التابعة له .

﴿لإبراهيم﴾ هو على دين نوح ومنهاجه وسننه قاله ابن عباس ويحتمل أن يكون المراد انه على دينه وان اختلفت الشرائع او انه طريقة في التصلب في الدين والمصابرة لمكذبيه لعنهم الله قيل ويجوز أن يكون بين شرائعهما اتفاق في أكثر الأشياء وان يكون بين شرائعهما اتفاق في الاشياء كلها وهو القول السابق .

عن ابن عباس وكان بينهما من السنين الفان وستمائة واربعون سنة، ومن الأنبياء هود وصالح .

﴿إذ﴾ ظرف متعلق بما تعلق به من شيعته أو مفعول به لا ذكر وقال القاضي تبعا لجار الله انه ظرف متعلق بما في الشيعة من معنى المشايعة .

﴿جاء ربه بقلب سليم﴾ من آفات القلوب كالغل والحسد والحقد والغش والشرك والشك وغير ذلك وكان يحب للناس ما يحب لنفسه او خالص لله عن الاشتغال بغيره او هو فعيل بمعنى مفعل بفتح العين أي مخلص وقيل معناه لديغ أي حزين متوجع بامر الله كالملدوغ والباء متعلقة بجاء محذوف حال من المستتر وهي للمصاحبة المجردة او على طريقة مصاحبة موهو هدية وقال الطبري الضمير في شيعته لسيدنا محمد ﷺ وفي ذلك مدح عظيم له ﷺ إذ كان إبراهيم من شيعته واتباعه .

﴿اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون﴾ إذ بدل من الاولى او ظرف متعلق بجاء او بسليم والاستفهام للتوبيخ والتقرير وكذا الذي بعد وما ذا اسم استفهام مفعول تعبدون او ما مبتدأ استفهامية وذا موصولة بالجملة خبر .

﴿ائفكا﴾ في همزتيه مامر والافك الكذب الأسوأ وهو مفعول لاجله لتريدون بعد وقوله .

﴿آلهة﴾ مفعول به لتريدون .

﴿دون الله﴾ نعت الهة .

﴿تريدون﴾ الاستفهام داخل عليه انما قدم المفعول لأجله على المفعول به لأن غرضه الأهم أن يواجههم انهم على الباطل ويجوز ان يكون افكا مفعولا به لتريدون والهة بدلا منه ، اما على المبالغة بجعل الالهة نفس الافك واما على تقدير مضاف أي عبادة الالهة واما الافك بمعنى المأفوك به ويجوز ان يكون افكا حالا بمعنى افكين او ذوي افك او على المبالغة والهة مفعول به .

﴿فما ظنكم برب العالمين﴾ بمن هو حقيق بالعبادة لكونه رب العالمين حتى تركتم عبادته او اشركتم به غيره او امنتم من عذابه ان يفعل بكم اذا لقيتموه وانتم كذلك والاستفهام توبيخ ووعيد وانكار لما يوجب ظنا فكيف بقطع يصد عن عبادة الله او بقطع يجيز الاشراك به او بقطع يقتضى الامن من عذابه وذلك الزام كالحجة لما قبله وكانوا منجين يخرجون إلى عيد لهم ويتركون طعامهم عند اصنامهم تبركا في زعمهم فاذا رجعوا اكلوه ، وقالوا لسيدنا ابراهيم اخرج معنا فنظر للنجوم موهما انه يختبر حاله بها فربما يرى فيها انه يسقم كما قال الله جل وعلا .

﴿فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم﴾ مطعون وكانوا يفرون من الطاعون فرارا عظيما .

وكانوا يخافون أن يعدوا الطاعون إليهم ممن هو فيه وكان أغلب اسقامهم وبذلك يفرون عنه وقيل مريض وقيل سقيم معناه مشارف للسقم وقيل معنى نظره في النجوم في علم النجوم أو كتانها أو احكامها وجائز له ذلك لانه فعل ذلك ليتركوه قيل أنهم قالوا له أخرج منا غدا إلى عيدنا وهم عاصون في عيدهم فتعرض لهم ابراهيم لذلك وليتركوه فيفعل بالأصنام ما قد علمت فيريهم عجزها ولقد تركوه وذهب إليها وقيل تركوه فيها وقيل ذهب معهم فاعتل برجله في الطريق وما به علة فرجع ، وان قلت كيف يجوز له أن يقول أني سقيم وما به سقم قلت يجوز الكذب في التقية والحرب وبين الزوجين وفي الصلح مطلقا وقيل لا يجوز الكذب ولو في ذلك الا بالمعارض وصححه جار الله وقد قيل ان معنى قوله سقيم مشارف للسقم لأنه ولو خلا الانسان في عمره عن السقم ولا بد له أن يسقم بسقم الموت والموت كأنه حاضر وقيل سقيم القلب بكفرهم أو خارج المزاج عن الاعتدال خروجا قل من يخلوا منه ويناسب القول بأنه اراد الموت أن رجلا فجأه فالتف عليه الناس فقالوا مات وهو صحيح فقال صحيح من الموت في عنقه .

﴿فتولوا عنه مدبرين﴾ إلى عيدهم هاربين عنه مخافة أن ينتقل إليهم منه مرض .

﴿فراغ﴾ مال في خفية وجلية .

﴿إلى آلهتهم﴾ الأصنام التي في زعمهم آلهة .

﴿فقال﴾ استهزاء .

﴿ألا تأكلون﴾ هذا الطعام الذي بين ايديكم .

﴿ما لكم لا تنطقون﴾ بجوابي .

﴿فراغ عليهم﴾ مال عليهم مستخفيا .

﴿ضربا باليمين﴾ فكسرها إلا كبيرا لهم وإنما عدى راغ بعلى للاستعلاء فإن هذا الميل للمكروه وهو الكسر وضربا حال أي ضاربا أو ذا ضرب او هو الضرب مبالغة او مفعول مطلق لمحذوف وهذا المحذوف حال أي يضرب ضربا أو ضاربا ضربا او مفعول مطلق لراغ لأن فيه معنى الضرب من حيث أنه ميل عليها للضرب وأنما قال باليمين اشعارا بأنه ضربها ضربا شديدا قويا لأن اليمين اقوى اليدين وذلك قول ابن عباس وقيل اليمين القوة لأنه يجمع يديه معا بالفاس وقيل اليمين القسم في قوله وتالله لأكيدن اصنامكم أي بسبب حلفه وقرىء ضعفا وسعفا بدل قوله ضربا .

﴿فاقبلوا﴾ لما تسامعوا .

﴿إليه﴾ إلى ابراهيم عليه السلام .

﴿يزفون﴾ يسرعون فقالوا نحن نعبدها وأنت تكسرها وقيل معناه يرعدون إليه غضبا ليكفوه ويضروه وقرأ حمزة يزفون بالبناء للمفعول أي يحملون على السرعة حملهم عليها الغضب أو بعضهم أو يدخلون فيها يقال أزفة بمعنى حمله على الزفيف وأزقة ادخله فيه ويزفون بفتح الياء وتخفيف الفاء من وزف يزف كوعد يعد بمعنى أسرع ويزفون كيدعون من زفاه إذا حداه كان بعضهم يزفوا بعضا أي يحاديه لتسارعهم إليه وظاهر كلام الإمام ابي عمرو الداني أن حمزة يقرأ يزفون بضم الياء والبناء للمفعول .

﴿**قال اتعبدون ما تنحتون**﴾ بأيديكم من الخشب والحجارة يحتمل أن يكون الذين زفوا إليه قد ابصروه وزفوا إليه جميعا أو بعض منهم دون كبرائهم وجمهورهم ولما رجعت العامة من العيد لياكلوا الطعام الذي بين يديها للتبرك ورأوها مكسورة اشمأزوا من ذلك وسألوا من فعل هذا بها فلم ينم عليه أولئك النفر الذين أبصروه نميمة صريحة ولكن على سبيل التعريض إذ قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ويحتمل أن يكون كسرها وذهب ولم يره أحد فيكون اقبالهم إليه بعد الرجوع من العيد استدلالا على أنه كاسرها لذمه اياها ولا منافاة بين الآية وآية الأنبياء .

﴿**والله خلقكم وما تعملون**﴾ أي وعملكم فما مصدرية فان اعمال العباد مخلوقة لله جل وعلا او وعملكم بمعنى معمولكم فما مصدرية أيضا لكن المصدر في هذا المعنى مفعول والداعي لهذا أن يوافق ما تنحتون فإنهم يعبدون ذلك بعد النحت لعنهم الله لكن في هذا الوجه مجاز وهوجعل المصدر بمعنى اسم مفعول ويجوز أن تكون ما اسما موصولا وفي هذا الوجه حذف أي تعملونه فالوجه الأول اولى لسلامته من المجاز والحذف وقد علمت ان اعمال العبد مخلوقة لله سبحانه هذا مذهبنا معشر الإباضية ومذهب الشافعية وغيرهم ثم ظهر لي أن تخريج الآية عليه ضعيف جدا مع أنه هو الحق ومن خالفه مبطل ضال فإنه لا يخفي أن مراد ابراهيم انه خلقكم وما تعملونه وهو الوجه الثالث او خلقكم وما يكون مصنوعا بأيديكم وهو الوجه الثاني ولو قال خلقكم وخلق عملكم كما هو الوجه الاول لم يكن منتجا عليهم .

﴿**قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم**﴾ النار الشديدة من الجحمة وهي شدة التأجج وقيل الجحيم الجمر على الجمر والنار على النار قيل

القائل رجل واحد وقد خسف به ونسبت القول إليهم لرضاهم واجازه قوله والشروع منهم فيه والمراد الجحيم الذي في البنيان او فالقوه في جحيمه وعوض ال عن ضمير البنيان وكان ثلاثين ذراعا طولا وعشرين عرضا وملأوه حطبا واوقدوه .

﴿فأرادوا به كيدا﴾ الاحراق لئلا يظهر للعامة عجزهم .

﴿فجعلناهم الأسفلين﴾ الأذلين بابطال كيدهم وبجعل كيدهم برهانا منيرا على علو شأنه إذ كانت نارهم عليه بردا وسلاما .

﴿وقال إني ذاهب إلى ربي﴾ إلى الموضع الذي امرني ربي وهو الشام او إلى موضع اتجرد فيه لعبادة ربي وذلك هجرة من دار كفر وهو بابل مملكة نمرود وذلك بعد خروجه من النار .

وقال قتادة وجماعة : انه قال ذلك قبل ادخاله في النار واراد الذهاب إلى ربه بالموت ظن ان النار تحرقه .

﴿سيهدين﴾ إلى الموضع الذي قصدت فاهتدى الإيه ولا اضل عنه وإلى ما فيه صلاح ديني ودنياي وعلى قول قتادة سيهديني للجنة بعد موتي بالاحراق وهو ضعيف لقوله .

﴿رب هب لي﴾ ولدا .

﴿من الصالحين﴾ ولو اراد ما قال قتادة لم يطلب الولد اللهم إلا ان قال أنه قال رب هب لي من الصالحين بعد خروجه من النار كما اشتهر أنه لما رأى الأرض المقدسة سأل ربه الولد .

وعن رسول الله ﷺ ستكون هجرة لخيار أهل الأرض الى مهاجر ابراهيم حتى لا يبقى على ظهرها إلا شرار أهلها ويحشرون إلى النار مع القردة والخنازير وإنما قطع بالهداية ولم يقل كموسى عسى ربي ان يهديني

سواء السبيل لوعد الله له بالهداية أو لفرط توكله أو للبناء على عادته معه وإنما طلب الولد ليعينه على الدعاء إلى الدين وعلى العبادة ويؤانسه في الغربة قيل لفظ الاستيهاب من الله غالب في الولد .

﴿فبشرناه بغلام حليم﴾ كثير العقل من حال صغره وقيل حليم بعد بلوغه ففيه إشارة إلى أنه يحى حتى يكبر وأي حلم اعظم من حلم من عرض عليه الذبح ابوه فقال ستجدني إن شاء الله من الصابرين ، وفي ذلك بشارة بأن يكون له ولد وأنه ذكر وأنه يعيش حتى يكبر وأنه يكون حليما .

قال القاضي : قيل ما نعت الله نبيا بالحلم الكثير لعزة وجوده غير ابراهيم وابنه عليهما الصلاة والسلام وحالهما المذكورة بعد تشهد عليهما .

﴿فلما بلغ معه السعي﴾ قال ابن عباس - رضي الله عنهما - المشي معه إلى الجبل وعنه ما شب حتى بلغ سعيه سعى ابراهيم قال الخازن والمعنى انه بلغ ان ينصرف معه ويعينه في عمله وعن ابن عباس السعي في هذه الآية العمل والعبادة والمعونة .

وقال قتادة : السعي على القدم يريد سعيا متمكنا قال بعضهم كان ابن ثلاث عشرة سنة وقيل سبع سنين والراجح ان السعي هنا سعي على الرجلين في اعمال ابيه وإنما قال معه لأن الاب أكمل في الرفق والاستصلاح فلا يتسعيه قبل اوانه او لأنه استوهبه ليسعى معه ومع متعلق بمحذوف أي فلما بلغ السعي مسعه السعي فالسعي الثاني مفعول بلغ والأول مفعول به لبلغ محذوفا ومعه متعلق بهذا الأول كأنه لما قال بلغ السعي قيل مع من قال بلغ السعي معه ولا يتعلق بالسعي بعده لئلا

يلزم تقديم معمول المصدر على المصدر وقد يجوز توسيعا في الظروف ولا يتعلق ببلغ ولو كان متبادرا كما قال ابن هشام لاقتضاه بلوغهما معا حد السعي وقد يجوز بناء على ان السعي المراد به حقيقة السعي في ضمن فرد خارج فاذا سعى به إلى الموضع الفلاني فذلك هو السعي الذي بلغه هو وابوه فافهم .

﴿قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى﴾ فتح الياءين قراءة نافع وابي عمرو وابن كثير وسكنها غيرهم والمعنى اما اني ارى في المنام ان أذبحك متحقق على وواجب واما اني ارى في المنام اني شرعت في ذبحك فلتتهيأ يا بني للذبح ولم ير اراقة دم واما اني ارى ان سأذبحك وإنما قال أرى ولم يقل رأيت حكاية للحال المتجددة لانه رأى ذلك ثلاث مرات والمنام اسم زمان أي زمان النوم أي الوقت الذي نمت فيه او مصدر ميمي أي في النوم .

وروي انه رأى في ليلة الثامن ذي الحجة كان قايلا قال له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روى ذلك الصباح إلى الرواح امن الله هذا الحلم ام من الشيطان اي فكر في ذلك وهو بتشديد الواو فلذلك سمي يوم التروية وفي الليلة الثانية رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله فمن ثم سمى يوم عرفة ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي اليوم يوم النحر .

وقيل ان الملائكة حين بشروه بغلام حليم قال هو اذا ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعي معه قيل له في المنام اوف بنذرك ورأى ذلك في المنام كما رأى يوسف سجود أحد عشر كوكبا والشمس والقمر اشارة إلى سجود ابويه واخوته ، وكما رأى رسول الله ﷺ دخول المسجد الحرام

لتقوية الدلالة على كونهم صادقين مصدقين لأن الحال اما حال يقظه أو منام فاذا تظاهرت الحالتان على الصدق كان ذلك أقوى للدلالة من انفراد احدهما ولتكون مبادرتهما إلى الامتثال ادل على كمال الانقياد والاخلاص ورؤيا الأنبياء وحي وحق وإنما قال له فانظر ماذا ترى مع أنها حتم وحق ليعلم حاله في الصبر عند البلاء فهبت قدمه ويصبره ان جزع ويأمن عليه الزلل إن صبر وسلم وليوطن نفسه فيهون عليه البلاء ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله وليكون سنة في المشاورة ولقد وجده صبورا قابلا لأمر الله مع انه ابن ثلاث عشرة سنة او ابن سبع كما ذكر الله عنه انه غلام حليم وورش بفتح الراء ويكسرها بين بين وابو عمرو يميلها امالة واضحة وغيرهما يخلص فتحها وترى تبصر وتنظر بعقلك وهو من الرأي وقرأ حمزة والكسائي بضم التاء وكسر الراء اي ماذا تريني اي ماذا تخبرني به وقرىء ماذا ترى بالبناء للمفعول أي ما ذا تريك نفسك من الرأي .

﴿فصل﴾ الخطاب لاسماعيل عليه السلام وهو الذبيح كما قال ابن عباس وابن عمر وابن كعب وجماعة من التابعين وهو الصحيح قال الطبري ان ابن عباس قال الذبيح هو اسماعيل وتزعم اليهود انه اسحاق وكذبت اليهود وان عمر بن عبدالعزيز سأل عن ذلك رجلا يهوديا كان اسلم وحسن اسلامه فقال الذبيح اسماعيل وان اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب أن تكون هذه الآيات والفضل في ابيكم .

قال في عرائس القرآن هذا قول عبدالله بن عمرو ابي الطفيل وابن المسيب والشعبي ويوسف بن مهران ومجاهد والربيع بن انس .

وروي عن الحسن البصري أنه كان يقول لا شك ان امر به اسماعيل وهي رواية عطاء بن ابي رباح عن ابن عباس قال المفدى اسماعيل زعمت اليهود انه اسحاق فكذبت اليهود .

وروي ابن اسحاق عن محمد بن كعب أنه يقول أن الذي امر الله تعالى ابراهيم بذبحه من ابنيه اسماعيل وقرأ الآية وقال لم يكن الله ليأمره بذبح اسحاق وقد وعد ان يلد يعقوب وبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب وذكر محمد بن كعب ذلك لعمر بن عبدالعزيز وهو خليفة اذ كان معه بالشام فقال عمر ان هذا لشيء ما كنت انظر فيه واني لأراه كما قلت ثم ارسل إلى رجل كان عنده بالشام وكان يهوديا قد اسلم وحسن اسلامه وكان يرى انه من علماء اليهود فسأله عن ذلك ومحمد عنده قال عمر اي ابني ابراهيم امره الله بذبحه فقال اسماعيل ثم قال والله يا امير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على ان يكون ابوكم هو الذي كان فيه من امر الله ما كان ويزعمون انه اسحاق لانه ابوهم قال الصنابجي كنا عند معاوية بن ابي سفيان فذكروا اي ولد ابراهيم الذبيح اسماعيل او اسحاق قال علي الخبير سقطتم كنت عند رسول الله ﷺ فقام رجل فقال يا رسول الله عد علي مما افاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك رسول الله ﷺ ومعلوم انه ﷺ من ولد اسماعيل لا من ولد اسحاق والذبيح الآخر هو ابوه عبدالله لان عبدالمطلب كما قال ﷺ نذر ان يذبح احد اولاده ان يسر الله له امر زمزم وكان يريد ان يعلم موضعها ويحفرها فسهل الله له فوقع السهم على عبدالله فمنعه اخواله بنو مخزوم فقالوا افد ابنك بمائة من الابل ففداه بها ولذلك سنت الدية مائة .

وعن رسول الله ﷺ انا ابن الذبيحين .

وعن محمد بن كعب القرضي كان مجهد بني اسرائيل اذا دعا قال اللهم إله ابراهيم واسماعيل واسرائيل فقال موسى يا رب ما لمجهد بني اسرائيل اذا دعا يقول اللهم رب ابراهيم واسماعيل واسرائيل وانا بين اظهرهم قد اسمعتني كلامك واصطفيتني برسالتك قال يا موسى لم يحبني احد حب ابراهيم قط ولا خير بيني وبين شيء قط الا اختارني ، واما اسماعيل فانه اجاد بذبح نفسه واما اسرائيل فانه لم ييأس من روحي في شدة نزلت به قط .

قال جار الله ويدل له ان الله تعالى لما اتم قصة الذبيح قال وبشرناه باسحاق وهو قول عبدالله بن سلام ويدل لذلك ايضا وصف اسماعيل بالصبر في غير هذه الصورة دون اسحاق فليكن هو صبره على الذبح وهو ضعيف ووصفه بصدق الوعد فليكن هو وعده الصبر لابيه على الذبح وهو ضعيف ايضا ويدل لذلك ان الامر وقع بمكة والذي فيها هو اسماعيل وكان قرنا الكبش الذي فدى به متعلقين على الكعبة في ايدي بني اسماعيل الى أن احترق البيت في زمان ابن الزبير قال الشعبي رأيت قرني الكبش منوطين بالكعبة .

قال ابن عباس : والذي نفسي بيده لقد كان اول الاسلام ورأس الكبش معلق بقرنيه في ميزان الكعبة وقد يبس .

قال الأصمعي : سألت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح اسحاق كان او اسماعيل فقال اين ذهب عقلك متى كان اسحاق بمكة انما كان بمكة اسماعيل هو بنى البيت مع ابيه والمنجر بمكة .

وقال علي والعباس وعطاء وعكرمة وجماعة من التابعين : ان الذبيح

اسحاق ، قال في عرائس القرآن اجمع أهل الكتاب عليه وهو قول عمر بن الخطاب وعلى بن ابي طالب وكعب الاحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة والقاسم بن مرة ومقاتل وعبدالرحمن بن سابط وابي الهديد والزهري والسدي وابن عباس وافتخر رجل عند ابن مسعود فقال انا فلان ابن فلان من الاشياخ الكرام فقال ابن مسعود ذلك يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحاث ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله قال في عرائس القرآن قال موسى يا رب يقولون يا إله ابراهيم واسحاق ويعقوب ففيم قالوا ذلك فقال ان ابراهيم لم يخير في شيء قط الا اختراني عليه وان اسحاق جاد لي بالذبح فهو بغير ذلك اجود وان يعقوب كلما زدته بلاء زادني حسن ظن وقال يوسف للملك اترغب ان تأكل معي وانا والله صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله .

قال العباس بن عبدالمطلب قال رسول الله ﷺ الذي امر ابراهيم ان يذبحه اسحاق وعنه ايضا الذي فداه الله بذبح عظيم اسحاق وعن ابي هريرة قال رسول الله ﷺ ان الله تعالى خيرني ان يغفر لنصف امتي وان اخبي شفاعتي لامتي فاخترت شفاعتي ورجوت ان تكون اعم لامتي ولولا الذي سبقني اليه العبد الصالح لتعجلت دعوتي وذلك ان الله لما فرج عن اسحاق كرب الذبح قيل يا اسحاق سل تعط اذا والذي نفسي بيده لا تعجلنها قبل نزعة الشيطان اللهم من مات لا يشرك بك شيئا فاغفر له وادخله الجنة يعني ان لم يصر لقوله هلك المصرون قال في عرائس القرآن ويدل له ان الله تعالى اخبر عن ابراهيم حين فارق قومه مهاجرا إلى الشام بسارة ولوط وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين رب هب

لي من الصالحين يعني ولدا صالحا وذلك قبل ان يعرف هاجر وقبل ان تصير له ام اسماعيل ثم اتبع ذلك الخبر اجابة دعوته وتبشيره بغلام حليم ثم اتبع بروئة الذبح وليس في القرآن انه بشر بولد ذكر الا اسحاق وعلى هذا القول كانت القصة بالشام .

وعن سعيد بن جبير رأى ابراهيم ذبح اسحاق في المنام وهو في الشام فسار به مسيرة شهر في غداة واحدة حتى أتى به المنحر من منى ولما امره الله بذبح الكبش ذبحه وسار به مسيرة شهر في روحة واحدة طويت له الاودية والجبال والقول الاول اصح والأحاديث المروية الثاني لم تثبت قال القاضي البيضاوي وما روي انه ﷺ سئل أي النسب اشرف فقال يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الصحيح انه فان يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم والزوايد الراوي وما روي ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وذكر في المواهب ان الجرهمي عمرو بن الحارث لما احدث قومه بحرم الله الحوادث قيض الله لهم من اخرجهم من مكة فعمد عمرو الى نفائش فجعلها في زمزم وبالغ في ضمها وفر الى اليمن بقومه فلم تزل زمزم من ذلك العهد مجهولة الى ان رفعت عنها الحجب برؤيا منام ورآها عبد المطلب دلته على حفرها بامارات عليها قلت ذكر بعضهم انه قيل له في المنام انك تجدها بين حجر النمل وبين الفرث والدم فاضح يقص تلك العلامات واذا ببقرة او شاة في رجليها بياض هربت من القصاب فذبحها في جانب ورمي فرثها في جانب فكانت تلك الامارات فمنعته قريش من حفرها ثم اذاه من السفهاء من اذاه فاشتد بذلك بلواه ومعه ولده الحارث ولم يكن له ولد سواه فنذر لئن جاءه عشرة بنين وصاروا له

اعوانا ليذبحن احدهم لله قربانا ثم احتفرها فكانت له فخرا وعزا ولما تكامل بنوه عشرة وهم الحارث والزبير وجحل بتقديم الجيم على الحاء المهملة واجيز العكس وضرار والمقوم وابو لهب والعباس وحمزة وابو طالب وعبدالله واقر الله عينيه بهم نام ليلة عند الكعبة المطهرة فرأى في المنام قائلا يقول يا عبدالمطلب اوف بنذرك لرب هذا البيت فاستيقظ فزعا مرعوبا وامر بذبح كبش واطعمه الفقراء والمساكين ثم نام فرأى ان قرب ما هو اقرب من ذلك فاستيقظ من نومه وقرب ثورا ثم نام فرأى ان قرب ما هو اكبر من ذلك فقرب جملا واطعمه المساكين ثم نام فنودي ان قرب ما هو اكبر من ذلك فقال وما اكبر من ذلك فقال قرب احد اولادك الذين نذرته فاغتم غما شديدا وجمع اولاده واخبرهم بنذره ودعاهم إلى الوفاء فقالوا انا نطيعك فمن تذبح منا قلت قيل القائل الحارث وحده فقال ليأخذ كل واحد منكم قدحا وهو سهم بلا نصل ثم ليكتب فيه اسمه ثم فعلوا واخذها ودخل على هبل وكان صنما في جوف الكعبة يعظمونه ويضربون عنده الاقداح فيستقسمون بها اي يرتضون بما يقسم لهم ثم يضرب بها القيم الذي لها فدفع ذلك إلى ذلك القيم وقام يدعو الله فخرج على عبدالله وكان احب ولده اليه فقبض على يده واقبل به الى اساف ونائله صنمين عند الكعبة ينحر ويذبح عندهما النسك وفي يده شفرة فقام اليه سادة قريش فقالوا ما تريد ان تصنع فقال اوفي بنذري فقالوا لا ندعك ان تذبحه حتى تعذر فيه إلى ربك ولئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه فيذبحه وتكون سنة وقالوا له انطلق الى فلانة الكاهنة واسمها قطبة وقيل سجاح فلعلك أن تامرك بأمر فيه فرج لك فانطلقوا حتى اتوها بخيبر فقص عليها عبدالمطلب القصة فقالت كم

الدية فيكم قالوا عشرة من الابل فقالت ارجعوا الى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وعشرة من الابل ثم اضربوا عليه وعليها بالقداح فان خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا في الابل ثم اضربوا ايضا هذا حتى يرضى ربكم فاذا خرجت على الابل فانحروها فقد رضي ربكم وتخلص صاحبكم فرجع القوم الى مكة وقربوا عبدالله وقربوا عشرا من الابل وقام عبدالمطلب يدعو فخرجت القداح على ولده ولم يزل يزيد عشرا عشرا حتى بلغت الابل مائة فخرجت القداح على الابل فنحرت الابل وتركت لا يصدغها انسان ولا طائر ولا سبع وان صح ان المراد باحد الذبيحين اسحاق فالعرب تجعل العم ابا فجعل اسماعيل ابا وهو عم وان صح الذبيح اسماعيل فالعرب تجعل العم ابا فجعل في بعض الروايات على ما مر اسحاق ابا وهو عم ومن ذلك ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت الآية قال ابن القيم ومما يدل على ان الذبيح اسماعيل انه لا ريب ان الذبيح كان بمكة ولذلك جعلت القرابين يوم النحر بها كما جعل السعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار تذكيرا بشأن اسماعيل وامه ومعلوم ان اسماعيل وامه هما اللذان كانا بمكة دون اسحاق وامه ولو كان الذبيح بالشام كما زعم اهل الكتاب ومن تلقى منهم لكانت القرابين والذبيح بالشام لا بمكة وايضا فان الله سمي الذبيح حليما ولا احلم ممن سلم نفسه للذبيح طاعة لله تعالى وذكر اسحاق وسماه عليما لا حليما وايضا ان الله اجرى العادة البشرية ان بكر الاولاد احب الى الوالدين ممن بعده وابراهيم لما سأل ربه الولد تعلقت شعبة من قلبه بمحبته والله قد اتخذه خليلا والخلة منصب يقتضي توحيد المحبوب بالمحبة ولما اخذ الولد شعبة من قلبه جاءت غيرة الخلة تنزعها من قلبه

فامر بذبح المحبوب فلما اطاع كانت محبة الله اعظم عنده وخلصت الخلة من شوائب المشاركة فلم يبق في الذبح مصلحة اذ كانت المصلحة انما هي في العزم وتوطين النفس وقد حصل المقصود فسنح الامر وفدى الذبيح وصدق الخليل الرؤيا باني كلام في ادعاء النسخ وقد انشد بعضهم :

ان الذبيح هديت اسماعيل * نطق الكتاب بذاك والتنزيل
شرف به خص الاله نبينا * واتى به التفسير والتأويل

ولما لحق هاجر ذل جبره الله بان جعل اثار اقدامها مشاعر ومناسك مدى الدهر وما مر من ان اولاد عبدالمطلب عشرة وان منهم حمزة والعباس قبل الوفاء بالنذر منازع فيه بأنهما

ولدهما بعده وذكر السهيلي أن له ﷺ اثني عشر عما فليجعل الاثنان بعد حمزة والعباس فإن هالة أم حمزة تزوجها بعد الوفاء بالنذر والعباس ابن ثلاث سنين أو نحوها حين ولد النبي ﷺ ويحتمل أن يكون المراد ببنيه بنيه وبني بنيه فتكمل العشرة بهم بدون العباس وحمزة رضي الله عنهما وادعى بعضهم أن عبدالله كان أصغر أولاده ولعله كان أصغر اولاده عند ارادة الذبح .

﴿قال يا أبت﴾ التاء عوض عن ياء الاضافة وقرأ ابن عامر بفتحها .

﴿افعل ما تؤمر﴾ اي ما تؤمر به فحذف الجار والمجرور دفعة أو حذف الجار وانتصب مجروره فحذف أو ما مصدرية أي فعل امرك باضافة المصدر إلى مفعوله وهذا المصدر بمعنى المأمور به وقريء ما تؤمر به وإنما قال ما تؤمر لا ما أمرت حكاية للحالة المتجددة لأنه أمر بالذبح في المنام ثلاث مرات .

﴿ستجدني﴾ بفتح الياء عند نافع وبإسكانها عند غيره .

﴿إن شاء الله من الصابرين﴾ على البلاء فاصبر على الذبح وقدر بعضهم من الصابرين على الذبح وهو ضعيف إذ لا جماعة صبرت على الذبح فيكون منهم اللهم إلا إن أراد إياه وأمه وسماهما جماعة أو كان معهما من العيال غيره وصبروا على ذبح اسماعيل فسماهم صابرين على الذبح وهذا على فرض أن غير أبيه عالم بأنه سابه للذبح أو فرض أن الخلق لا يخلو من صابرين على الذبح لو أمروا به فيصبر على أن يذبح كما يصبر غيره على أن يذبح لو أمر غيره بأن يذبح وقد امرت بنوا اسرائيل بعده بقتل أنفسها بالذبح وغيره فامتثلت وعلق وجوده صابرا بمشيئة الله تبركا ولكونه لا يدري لعله ينقلب إلى الجزع .

﴿فلما أسلما﴾ انقاد لأمر الله ورضيا به فابراهيم انقاد لذبح ابنه ورضي به واسماعيل انقاد للذبح ورضي به فالإسلام بمعنى الاستسلام وقال قتادة المعنى أسلم هذا ابنه واسلم هذا نفسه وقرأ ابن عباس وجماعة تسلما وقرأه بعضهم سلما بالتشديد وبعضهم استسلما والاربعة من قولك سلم هذا لزيد بالتخفيف وكسر اللام أي خلص له لا ينازع فيه ولا يشارك .

﴿وتله﴾ صرعه إبراهيم بغير لين لكن لم يضره بذلك الصرع وذلك لئلا تدخله الشفقة وليكون ادخل في طاعة الله وازيد في اغضاب الشيطان لعنه الله .

﴿للجبين﴾ على الجبين أو اللام بمعنى إلى فإن صرعه انتهى إلى الجبين إذ كان جبينه تاليا للأرض وفي هذا زيادة انقياد ولكل انسان جبينان وهما جانبا الجبهة مكتنفان لها من ها هنا وهاهنا وقيل كبه على وجهه بإشارة

إسماعيل لذلك لئلا يرى وجهه أو تغير وجهه فيرق له والجبين يطلق على الجبهة أيضا وجواب لما هو قوله .

﴿وناديناه﴾ بزيادة الواو وقال بعض البصريين جوابها محذوف التقدير اجزل ثوابهما ونحو هذا مما يقتضيه المعنى وقدره بعض العلماء بعد قوله .

﴿أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا﴾ أي كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما لله سبحانه وتعالى على ما انعم عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق بما لم يوفق له غيرهما واظهار فضلهما به على العالمين مع احراز الثواب العظيم إلى غير ذلك ولهذا التهويل والتفخيم حذفه وإن مخففة أي بأنه او مفسرة ومعنى تصديق الرؤيا عزمه على الذبح وشروعه في مقدماته قال عياض ولا خلاف أن ابراهيم أمر الشفرة على حلق ابنه فلم تقطع وكان امرارها بغاية قوته على حلقه مرارا وذلك عند الصخرة التي بمنى ، وعن الحسن في الموضع المشرف عند مسجد منى وهو مسجد سيدنا ابراهيم عليه السلام ، وقال الضحاك في الموضع الذي ينحر فيه اليوم وعن بعضهم عند الجمرة الوسطى .

﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ تعليل لافراج تلك الشدة عنهما بإحسانهما بامتثال الأمر واحتج بالآية من جواز النسخ قبل العمل بالمنسوخ فإن إبراهيم عليه السلام امر الذبح وترك الله له هذا الأمر وعفى عنه ولم يحصل ذبح وذلك نسخ للعزم على الفعل وقد وقع ونسخ لما قد قيل وكأنه عمل . وقال جار الله فإن قلت قد أوحى إلى إبراهيم صلوات الله عليه في المنام بأن يذبح ولده ولم يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا وإنما يصدقها لو صح منه الذبح ولم يصح قلت قد بذل وسعه

وفعل ما يفعله الذابح من بطحه على شقه وامرار الشفرة على حلقه ولكن الله سبحانه جاء بما يمنع الشفرة أن تمضي فيه وهذا لا يقدح في فعل ابراهيم ألا ترى انه لا يسمى عاصيا ولا مفرطا بل يسمى مطيعا ومجتهدا كما لو مضت فيه الشفرة وفرت الأوداج وانهرت الدم وليس هذا من ورود النسخ على المأمور به قبل الفعل ولا قبل أو أن الفعل في شيء كما يسبق إلى بعض الأوهام حتى يشتغل بالكلام فيه انتهى والذي نقول ان الله جل وعلا ازال قوة الذبح من السكين فلم تؤثر وهي باقية على حدتها أو خلق قوة وصلابة في عنق اسماعيل فلم يؤثر جر السكين عليها وقيل ان الله جل وعلا يخلق كل عرق ولحم قطعه ويصلهما فهو يفصل والله يصل وهو خلاف ظاهر القرآن وقيل خلق الله على عنقه صفحة نحاس لا يراها ابراهيم وهو قول باطل لا دليل عليه فان الله عز وعلا قادر على ابطال الذبح بغير ذلك ومما مر وليس ذلك منعا للذبح ونهيا عنه فضلا عن قول بعض في الرد ان الله عز وعلا اذا نهى عن شيء لا يتجاسر نبيه على فعله .

﴿إن هذا﴾ اي الذبح المأمور به .

﴿لهو البلاء المبين﴾ الاختبار الظاهر الصعوبة الذي لا أصعب منه أو الاختبار الذي يكون مظهرا للمخلص من غيره .

﴿وفديناه بذبح﴾ بكسر الذال وهو ما يذبح كالطحن بالكسر لما يطحن هذا هو المراد هنا وقد يطلق ذلك لما قد ذبح وما قد طحن وكذا مثل ذلك والهاء لولد ابراهيم عليهما السلام وفي فدائه تتميم للفعل وانما اسند الله سبحانه وتعالى النداء إلى نفسه لأن ابراهيم قد تعلق بذبح ابنه وليس بتاركه الا بالكبش الذي ارسله الله اليه ليذبحه ويترك ابنه فصح

ان الله جل وعلا فاد ولو كان هو الآمر بالذبح وقال جار الله فان قلت الله تعالى هو المفتدي منه لأنه الأمر بالذبح فكيف يكون فاديا حتى قال وفديناه قلت الفادي هو ابراهيم عليه السلام والله عز وجل وهب له الكبش ليفدي به وإنما قال وفديناه اسنادا للفداء إلى السبب الذي هو الممكن من الفداء بهبته فإن قلت فإذا كان ما أتى به إبراهيم من البطح وامرار الشفرة في حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء إنما هو التخليص من الذبح ببدل قلت قد علم أن حقيقة الذبح لم تحصل بفري الأوداج وانهار الدم فوهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة حتى لا تحصل تلك الحقيقة وقد استغنى عنها بقيام ما وجد من ابراهيم مقام الذبح من غير نقصان قلت الفائدة في ذلك ان يوجد ما منع منه في بدله حتى يكمل منه الوفاء بالمنذور وايجاد المأمور به من كل وجه .

﴿عظيم﴾ كبير الجسم سمين هذا ما يظهر لي ويتبار من العبار ومن السنة في الضحية فان هذا سنة الضحية بعده الى يوم القيامة قال ابن عباس لو تمت الذبحة لصارت سنة وذبح الناس ابناءهم . قال رسول الله ﷺ : «استشرفوا ضحاياكم فانها على الصراط مطاياكم» ، وعن ابن عباس رضي الله عنه هو الكبش الذي قربه هابيل فقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى فدي به اسماعيل فقيل فهو مقبول مرتين وعظمه كبر جسمه وسمنه وقيل كونه هو الذي قربه هابيل فتقبل ولكونه فدية لنبي ابن نبي اي افضل الانبياء وقيل لكونه من عند الله وقيل عظمه للثواب عليه وقيل هو كبش رعي في الجنة اربعين خريفا ونسبه بعض لأكثر المفسرين وأيا كان فهو كبش اقرن املح نظر ابراهيم عليه السلام فاذا جبريل اتى به فقال هذا فداء ابنك فاذبحه دونه فكبر ابراهيم وكبر ابنه وكبر جبريل

عليهم السلام وكبر الكبش فأخذه ابراهيم فأتى به المنحر من منى وهرب منه عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فبقيت سنة في الرمي . وروي انه رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده واتى به المنحر من منى فذبحه . وروي ان التكبير المذكور كله كان بعد الذبح . وقال الحسن ما فدي اسماعيل إلا بتيس اهبط عليه من ثبير . وفي رواية بوعل وهو رواية ابي صالح عن ابن عباس والمراد بالتيس تيس الجبل وهو الاروى وهو المراد بالوعل وتبير جبل بمكة وادعت الحنفية ان من نذر ذبح ولده لزمه ذبح شاة وان هذا مأخوذ من الآية وهو قول مذكور في الفقه . قال بعض العلماء ليس في الآية ما يدل عليه والأمر كذلك إذ ليس في الآية ذكر النذر ولا لزوم الذبح بل إن الله تفضل بالفداء وأيضا هو شرع من قبلنا إلا أن قيل شرع من قبلنا هو شرع لنا إلا إذا ورد النسخ .

﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ ثناء حسنا وسنة يقتدى بها وفيه ما في الذي مر تفسيره .

فصل في عرائس القرآن

قال الثعلبي في عرائس القرآن لما نزل به اضيافه من الملائكة المرسلين الى المؤتفكة وبشروه بغلام حليم قال ابراهيم هو ذبح الله ولما ولد وبلغ معه السعي قيل له اوف بنذرك الذي نذرت به وكان هذا هو السبب في امر خليله بذبح ابنه فحينئذ قال ابراهيم لاسحاق اي او لاسماعيل يا بني انطلق بنا نقرب قربانا إلى الله واخذ سكينا وحبلا وانطلق به حتى إذا هب به بين الجبال قال له الغلام يا ابت اين قربانك ؟ قال : (يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ؟ قال : يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين) . وقال محمد ابن اسحاق : كان ابراهيم اذا زار هاجر حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل بمكة ويروح من مكة ويبيت عند اهله بالشام حتى اذا بلغ معه اسماعيل السعي واخذ بنفسه ورجاه لما كان يؤمل منه من عبادة ربه وتعظيم حرماته ارى في المنام ان يذبحه . فقال : يا بني خذ الحبل والمدية فانطلق بنا الى هذا الشعب نحتطب ولما خلا به اخبره بما امر به وقال : (يا بني اني أرى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى ؟) فقال له : (افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين) . وقال له : يا أبت اشدد رباطي لئلا اضطرب واكفف عني ثيابك حتى لا يتلطخ عليها من دمي شيء فينتقص اجري وتراه امي فيحترق كبدها وحد شفرتك وأسرع مر السكين على حلقي ليكون اهون علي وان الموت شديد واذا اتيت امي فاقرها مني السلام وان رأيت ان ترد اليها قميصي فافعل فعسى ان يكون اسلى لقلبها علي فقال له يا بني نعم العون انت على امر الله تعالى وطاعته فربطه ابراهيم

وجعل يقلبه وهو يبكي والابن يبكي والملائكة تبكي والسموات قد عجت والأرض قد اضطربت رحمة لهما والجبار مطلع عليهما فلم يزل يبكي حتى استنقعت الدموع تحت خديه ثم وضع ابراهيم السكين على حلقه فلم تعمل شيئا . قال السدي ضرب الله صفيحة من نحاس على حلقه ولا يراها قلت الله غني عن حلقة الحديد فالأحسن أنه منع الحديد أن يؤثر في اللحم بقدرته وهذا أبلغ في القدرة . وروي أنه شحذها بعد

ذلك مرة أو مرتين بالحجر فلم تعمل شيئا فقال يا أبت كبني على وجهي لئلا يأخذك وهن في أمر الله ولا ترحمني وانك إذا نظرت إلى وجهي رحمتني وأدركتك الرأفة فتحول بينك وبين أمر الله ويكون ذلك أيضا أهون علي لأني لأرى الشفرة فأجزع ووضع السكين على قفاه فانقلبت ونودي ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا هذه ذبيحتك فداء لابنك فاذبحها فينظر فإذا بالكبش . وروى ابوهريرة عن كعب الاحبار عن رجل قال : لما رأى ابراهيم في المنام ان يذبح ابنه قال الشيطان والله لان لم افتن آل ابراهيم عند هذا لا افتن منهم أحدا أبدا فتمثل الشيطان لهم رجلا فأتى أم الغلام فقال أتدرين أين يذهب إبراهيم بابنك ؟ قالت ذهب به ليحتطب من هذا الشعب قال لا والله ما ذهب به الا ليذبحه . قالت : كلا والله هو ارحم به واشد حبا له من ذلك قال لها انه يزعم ان الله امره بذلك . قالت : فان كان الله امره بذلك فقد احسن في امتثال طاعة ربه في استسلامه لأمر الله تعالى . فخرج الشيطان من عندها حتى اتى الغلام وهو يمشي خلف ابيه فقال له : يا غلام هل تدري اين يذهب بك ابوك ؟ قال : نحتطب لأهلنا من هذا الشعب . قال : لا والله ما

يريد الا ذبحك . قال ولم قال انه يزعم ان الله امره بذلك . قال : فليفعل ما امره الله به سمعا وطاعة لأمر الله فلما امتنع منه الغلام أقبل على ابراهيم فقال : أين تريد أيها الشيخ ؟ قال : أريد هذا الشعب لحاجة لي فيه . فقال : والله اني لأرى الشيطان قد جاءك في منامك فأمرك بذبح ولدك هذا فعرفه ابراهيم فقال : اليك عني يا ملعون فوالله لأمضين لأمر ربي فرجع ابليس بغيظه ولم يصب من آل ابراهيم شيئا مما اراد وقد امتنعوا منه بعون الله وتأييده وروى ابوالطفيل عن ابن عباس ان ابراهيم لما امر بذبح ابنه عرض له الشيطان عند المشعر الحرام فسابقه فسبقه ابراهيم ثم ذهب الى جمرة العقبة فتعرض له الشيطان فرماه إبراهيم بسبع حصيات فذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات ثم ذهب ثم عرض له عند جمرة الكبرى فرماه بسبع ثم ذهب حتى مضى ابراهيم لأمر الله انتهى . وفي رواية ان الشيطان تكلم لاسماعيل على صورة شيخ وعلى صورة طائر ومن جوف الجبل وقال ابوه ذلك ابليس دخل في الجبل فقال له ان دمك مسفوح علي وعن ابي الطفيل عن ابن عباس ان على اسماعيل قميصا ابيض فقال : يا ابت انه ليس لي ثوب غير هذا فتكفني فيه فاخلعه عني حتى تكفني فيه . قال بعضهم لما وصل السجود إلى الأرض جاء الفرج .

﴿سلام على إبراهيم كذلك نجزي المحسنين﴾ لم يذكر هنا لفظ انا بالكسر والتشديد اكتفاء بذكرها قبل هذا في هذه القصة .

﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾ هو مثل الذي مر .

﴿وبشرناه باسحق نبيا﴾ حال مقارنة فان اسحاق في حال التبشير نبي في علم الله وقضائه قبل وجوده فانه نبي ولو قبل ولادته أو قبل الإيحاء إليه غايته

إنه نبي لم يوح إليه وإن قلت هو نبي أيضا قيل التبشير به فهلا كان حالا محكية قلت لا تكون محكية لان كونه نبينا متصل لم يقطع في حال التبشير ووجود اسحاق المبشر به لا يشترط وقت التبشير وانما يشترط للحال المقارنة مقارنة تعلق الفعل لصاحبها لا وجود ذي الحال تقول في المقارنة المستقبلة يحشر الميت عاريا ولو كان الميت متفتتا لا يوجد منه جزء ولا لتوهم كما يتوهمون أن الحال في هذا المثال مقدرة بل مقارنة فإن المقارنة هي التي زمانها وزمان عاملها واحد تقدم أو حضر او استقبل هذا ما ظهر لي وهو الحق والله أعلم فتمسك به واستغن عن قول جار الله ان نبيا حال مقدرة مثل ادخلوها خالدين وان بين الآيتين فرقا بوجود المدخل مع وجود الدخول وعدم وجود الخلود معهما في الآية الثانية وعدم وجود المبشر به وقت التبشير وعدم وجوده النبوة بوجود ولادته في الأولى وانه يحصل عدم الفرق بين الآيتين بتقدير مضاف أي وبشرناه بوجود اسحاق بأن يوجد مقدرة نبوته وان العامل في الحال الوجود لا التبشير وان سلم مع ما فيه من التكلف فإنما هو مبني على أنه يجوز في الحال المقدرة بفتح الدال أن يكون المقدر بكسرها غير صاحب الحال فإن اسحاق حال ولادته غيرنا وأنه نبي اللهم لا مانع ان يعلمه الله في حالها انه سيوحي إليه .

﴿من الصالحين﴾ حال ثانية مقارنة كالاولى أو مقدرة فإنه ليس في جعلها مقدرة ما في جعل الأولى مقدرة من التكلف فإنه يولد على الفطرة وهي صلاح ويكون التقدير قبل حال الولادة وإن اردت الصلاح الناشيء عن المكلف فالتقدير حال الولادة والمقدر بكسر الدال غيره أو هو على ان يخلق الله علما في الحال فيقدر بإذن الله ولعل من قال الذبح

اسحاق جعل البشارة بنبوته لا بمولده ونبوته معا لأن الامتحان بذبحه لا يصح مع علم ابراهيم بأنه سيكون نبيا فيكون مبشرا بولادته اولا وبنبوته بعد فدائه قاله ابن عباس وذلك قول قتادة وإنما ذكر الصلاح مع أن ذكر النبوة يغني إذ لا نبي الا صالح رشيد تعظيما لشأنه وإيماء بأن الصلاح هو الغاية للنبوة لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق .

﴿وباركنا عليه وعلى إسحاق﴾ يكون أكثر الأنبياء منهما أنبياء بني اسرائيل وغيرهم كشعيب وأيوب أو باركنا على ابراهيم في أولاده بالخير والكثرة وعلى اسحاق بإخراج أكثر الأنبياء من نسله أو أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقريء وبركنا بدون ألف بعد الياء والمعنى واحد .

﴿ومن ذريتهما محسن﴾ مؤمن .

﴿وظالم لنفسه﴾ كافر عاص .

﴿مبين﴾ ظاهر الكفر والمعاصي وفي ذلك تنبيه على ان النسب لا اثر له في الهدى والضلال وان الكفر والمعاصي في اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة وعيب .

﴿ولقد مننا على موسى وهارون﴾ بالنبوة والرسالة وقال الشيخ هنا بالنبوة وقيل بهما وبغيرهما من منافع الدنيا والآخرة .

﴿ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم﴾ وهو استعباد فرعون لهم والذي يظهر لي ويتبادر أنه الغرق .

﴿ونصرناهم﴾ أي موسى وهارون وقومهما والواو لا تفيد الترتيب .

﴿فكانوا هم الغالبين﴾ على القبط بالاغراق أو باظهار وإيمان السحرة .

﴿واتيناهما الكتاب﴾ التوراة .

﴿المستبين﴾ البليغ البيان في الحدود وغيرها حتى انه كالشمس المنيرة .

﴿وهديناهما الصراط المستقيم﴾ هدى متعد لاثنين تارة ولواحد أخرى أو الصراط على تقدير إلى والصراط المستقيم دين الله يوصل إلى الحق والصواب .

﴿وتركنا﴾ أبقينا .

﴿عليهما في الآخرين﴾ ثناء حسنا كما مر .

﴿سلام﴾ منا .

﴿على موسى وهارون إنا كذلك نجزي المحسنين إنهما من عبادنا المؤمنين﴾ مر مثله .

﴿وإن الياس لمن المرسلين﴾ هو الياس بن ياسين سبط هارون اخي موسى بعث بعده ارسل الى قوم ببعلبك ونواحيها وقيل هو ادريس وهو قول ابن مسعود وقتادة وفي مصحفه وان ادريس لمن المرسلين وكذا قرأ الأعمش وأن ادريس وان ادريس لمن المرسلين وكذا قرأ في ما بعده سلام على ادريس وقرأه بعضهم ادراس وقرأه اني وان لاسين وقرأه ابن دكوان وان لياس بكسر اللام واسقاط الهزة قبلها وهذه رواية عنه والاكثرون على ان الياس نبي من انبياء بني اسرائيل قال ابن عباس هو ابن عم اليسع وقال محمد بن اسحاق هو الياس بن بشير بن فنحاص بن الميزار بن عمران بن هارون .

﴿إذ قال﴾ متعلق بما تعلق به من أو مفعول لا ذكر .

﴿لقومه ألا تتقون﴾ الله يترك مناهيه وفعل أوامره .

﴿أتدعون﴾ أتعبدون أو اتطلبون الخير منه .

﴿بعلا﴾ هو صنم يعبدونه وبه سمي البلد مع لفظ بك فيقال للبلد بعلبك وهو من الشام قيل كان من ذهب طوله عشرون ذراعا وله أربعة أوجه فتنوا به وعظموه حتى جعلوا له أربعمائة خادم وسموهم أنبياء فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة ، والخدمة يحفظونها ويعلمونها الناس ويسمى الصنم ايضا بعل بك وذلك قول الحسن والضحاك وابن زيد وقالت جماعة ان بعلا اسم امرأة كانت تضلهم وقيل البعل الرث بلغة اليمن أي أتدعون بعلا أي ربا غير صحيح الربوبية .

﴿وتذرون﴾ تتركون .

﴿أحسن الخالقين﴾ أي عبادته وهو الله وفي هذا بيان وجه الانكار الذي أفادته همزة أتدعون فإن أحسن الخالقين هو الذي يجب أن يعبد لامن لا يملك نفعا ولا ضرا وأحسن الخالقين هو الذي يستحق الربوبية كما صرح بذلك في قوله .

﴿الله ربكم ورب ابائكم الأولين﴾ دون بعل فلا نصيب له في الربوبية بل هو مربوب لله والله ربكم مبتدأ وخبر أو الله خبر لمحذوف اي هو الله وربكم بدل وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص بنصب على الابدال من احسن وقيل عن حمزة انه كان إذا وقف رفع وإذا وصل ما قبله به نصب وروي النصب عن عاصم ايضا .

﴿فكذبوه﴾ أعقبوا كلامه بالتكذيب بدون تفكر وتأن والفاء لمجرد الترتيب المتصل ويجوز أن يكون فيها معنى السببية فإن كلامه لهم بالتوحيد هو سبب لاتصافهم بالتكذيب .

﴿فإنهم لمحضرون﴾ في النار أو في العذاب لتكذيبهم وحذف في النار

وفي العذاب لدلالة السياق السابق وهو التكذيب واللاحق وهو استثناء المخلصين بقوله .

﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ وهم المؤمنون به رضي الله عنهم فإنهم ناجون أو حذف لأن الاحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا وإن قلت كيف يكون الاستثناء من أنهم لمحضرون قلت هو استثناء منقطع والمعنى صحيح لا فاسد كما قال القاضي ويجوز أن يكون الاستثناء من واو كذبوه فلا يكون دليلا كما مر .

﴿وتركنا عليه في الآخرين سلام على إل ياسين﴾ بمنع الصرف العلمية والعجمة وياسين هو الياس وهو لغة فيه كسيناء وسينين وقريء على الياسين بوصل اللام من على بالهمزة المكسورة من الياسين قال السهيلي قال ابن جني العرب تتلاعب بالأسماء الأعجمية تلاعبا فياسين والياس والياسين شيء واحد وقيل الياسين جمع إلياس مراد به هو واتباعه كما اريد بآل ياسين هو واتباعه ولفظه آل مقحمة كما يقال مزمير آل داود رد بأنه عجمي فلا يجمع وبأنه لو كان جمعا لقرن بأل فان أل التي فيه ليست للتعريف بل هي بعض حروف مفردة وهمزته أيضا مكسورة قطعية وقد يجاب بأنه قد يرد الجمع بدون آل كسعد وسعود وخصه بعض بالضرورة وبه قال الشيخ سعيد قد ورد والكلام في جمع العلم قيل ويجوز أن يكون الياسين جمعا للمنسوب إلى إلياس كالأعجمية جمعا للأعجم بحذف ياء النسب في الجمع وهو قليل ملبس بالجمع الذي هو جمع المنسوب إليه وقريء على الياسين بالوصل قال جار الله على أنه جمع يراد به الياس وقومه قال وقريء على الياسين وادر يسين وادراسين وادرسين على أنمها لغة في إلياس وإدريس ولعل لزيادة الياء والنون .

في السريانية معنى اه ، وقراءة نافع هي على آل ياسين وهي قراءة نافع وابن عامر ويعقوب وقرأ الباقون على الياسين بقطع الهمزة مكسورة وإسكان اللام قال القاضي وعلى قراءة نافع يكون ياسين ابا الياس فأهله هو الياس ومر غير هذا وقيل ياسين سيدنا محمد ﷺ وقيل القرآن نفعنا الله به وقيل اسمه له او لغيره من كتب الله وكل من هذه الأقوال الثلاثة لا يناسب سائر القصص في هذه السورة إذ كل قصة تختتم بمن بدئت به وهنا بدئت بالياس ولا يناسب أيضا قوله :

﴿**إنا كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين**﴾ إذ الظاهر أن الضمير لإلياس فيما قال القاضي وهو محتمل لا متعين إذ لا مانع لرده للنبي عند من قال أنه المراد بآل ياسين والحق ان الكلام في إلياس وأنه المراد في الآية كلها .

(فصـــــل)

قال في عرائس القرآن قال محمد بن اسحاق بن بشار والعلا من أصحاب الأحبار لما قبض الله النبي حزقيل عليه السلام عظمت الأحداث في بني إسرائيل وظهر فيهم الفساد ونسوا عهد الله إليهم في التوراة حتى نصبوا الأوثان وعبدوها من دون الله فبعث الله عز وجل عليهم إلياس عليه السلام نبيا وهو إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون عليه السلام بعث إليهم بتجديد ما نسوا وضيعوا من أحكام التوراة وبنوا إسرائيل يومئذ متفرقون في أرض الشام وفيهم ملوك كثيرة وكان يوشع قد فتح أرض الشام ببني إسرائيل وقسمها بينهم وادخل سبطا منهم بعلبك ونواحيها وهم سبط الياس وبعث الله عليهم يومئذ إلياس نبيا وعليهم يومئذ ملك اسمه لاحب قد أضل قومه وأجرأهم على عبادة الصنم وكان هو وقومه يعبدون صنما يقال له بعل وجعل إلياس يدعوهم إلى دين الله عز وجل ولا يجيبونه ولا يطيعونه إلا لاجابا فإنه آمن به فما قيل ثم كفر وقيل لم يؤمن وكان إلياس يقوم بأمره ويسدده وكانت للاحب امرأة يقال لها أربيل وكان يستخلفها على رعيته إذا غاب في غزوة أو غيرها وكانت تبدو للناس كما يبدو زوجها وتركب كما يركب وتجلس في مجلس القضاء وتقضي بين الناس وكانت قتالة الأنبياء وكان لها كاتب رجل مؤمن حكيم يكتم إيمانه وكان قد خلص من يديها ثلاث مائة نبي وكانت تريد قتل كل واحد سرا بحيلة إذا بعثت وكانت في نفسها غير محصنة ولم يكن على وجه الأرض أحسن منها وهي مع ذلك قد تزوجت سبعة ملوك من بني إسرائيل وقتلتهم كلهم

بالاغتيال وكانت معمرة ولدت سبعين ولدا وكان للاحب جار من بني إسرائيل رجل صالح يقال له مزدكي وكانت له جنة يعيش منها ويقبل على عمارتها وكانت الجنة إلى جنب قصر الملك وامرأته وكانا يشرفان على الجنة ويتنزهان فيها ويأكلان ويشربان ويقيلان فيها وكان لاحب يحسن جواره وحسدته امرأته وارادت غصب جنته لحسنها ولاشتهارها في ألسنة الناس وقولهم لِمَ لَمْ يغصبها الملك وامرأته ولم تزل تحتال في غصب الجنة وقتل الرجل الصالح والملك ينهاها فلم تجد إليه سبيلا ثم إنه اتفق خروج الملك إلى سفر بعيد فلما طالت غيبته اغتنمت امرأته اربيل الحيلة على مزدكي وهو مقبل على طاعة الله غافل عنها في معيشته فجمعت أريبل جمعا من الناس وأمرتهم أن يشهدوا على مزدكي إنه سب الملك فأجابوها ومن حكمهم قتل من سب الملك إذا قامت البينة بذلك فأحضرت مزدكي وقالت بلغني عنك أنك شتمت الملك وعبته فأنكر ذلك فقالت ان عليك شهودا فأحضرتهم فشهدوا بحضرة الناس عليه بالزور فأمرت بقتله فقتل فأخذت الجنة فغضب الله للعبد الصالح ولما قدم الملك من سفره أخبرته الخبر فقال لها ما احببت ولا وقفت وانا لا نفلح ابدا وان كنا عن جنته لأغنياء قد كنا نتنزه فيها وقد جاورنا منذ زمان طويل فأحسنا جواره وكففنا عنه الأذى لوجوب حقه علينا فختمت أمره بسوء الجوار وما حملك على الاجتراء عليه إلا سفهك وسوء رأيك وقلة تفكرك في العواقب فقالت انما غضبت لك وحكمت بحكمك فقال هلا عفوت عنه فقالت قد كان ما كان فأرسل الله الياس إلى لاحبّ وقومه أن يخبره أن الله غضب لوليه حين قتل ظلما وحلف ان لم يتوبا ولم يردا الجنة على ورثته يهلكهما في جوف الجنة اشر ما يكونان ويدعهما

جيفتين تنتشر لحومهما من عظامهما ولا يتمتعان بها إلا قليلا فجاء إلياس فأخبره بما أوحى الله اليه فاشتد غضبه وقال بالياس والله ما أرى الذي تدعونا اليه إلا باطلا والله ما أرى فلانا وفلانا سمى ملوكا منهم قد عبدوا الأوثان إلا على مانحن عليه يأكلون ويشربون وهم بتعذيبه وقتله فأحس إلياس فلحق بشواهق الجبال وعاد الملك إلى عبادة بعل وارتقى إلياس اصعب جبل وأوعره ودخل مغارة ويقال بقي فيه سبع سنين شريدا طريدا خلفا يأوي الى الشعاب ويأكل من نبات الأرض وثمار الشجر وهم في طلبه وقد وضعوا عليه العيون يتوقعون اخباره ويجتهدون في طلبه واخذه والله تعالى يستره ويدفع عنه ولما تم سبع سنين اذن الله تعالى في ظهوره وشفاء غيظه منهم فأمرض الله ابنا للملك وكان احب ولده إليه واعزهم عليه فادلف حتى يئس منه فدعا صنمه بعلا ولم يشف ولما اشتد مرضه طلب الملك إلى خدمة الصنم المذكورين أن يشفعوا له إلى الصنم ومنع الله الشياطين من الدخول في جوفه واجتهدوا في التضرع وابنه يزداد مرضا ولما طال الأمر قالوا للملك إن في ناحية الشام آلهة أخرى وهي في العظم مثل الهك فابعث اليها انبياءك يشفعوا لك إليها فلعلها تشفع إلهك بعلا فانه غضبان عليك ولولا غضبه لاجابك وشفى ابنك . قال ولأجل ما غضب علي وأنا أطيعه وأطلب رضاه ولم اسخطه ساعة قالوا لأنك لم تقتل إلياس وفرطت فيه حتى نجي سليما وهو كافر بالهك يعبد غيره فذلك الذي أغضبه عليك قال وكيف لي ان اقتل الياس في يومي هذا وأنا مشغول بوجع ابني عن طلبه وليس لإلياس مطلب ولا يعرف له موضع فلو عافى ابني تفرغت لطلبه ولم يكن لي هم ولا شغل غيره حتى ءاخذه واقتله واريح إلهي منه وارضيه ثم بعث أنبياءه

يشفعون إلى الأصنام التي في الشام ان تشفع للملك إلى بعل فانطلقوا حتى اذا كانوا بحيال الجبل الذي فيه الياس أوحى الله سبحانه إلى إلياس عليه السلام ان يهبط من الجبل ويعارضهم ويستوقفهم ويكلمهم وقال له لا تخف فإني سأصرف عنك شرهم والقي الرعب في قلوبهم فنزل الياس من الجبل فلما لقيهم استوقفهم فلما وقفوا قال لهم ان الله عز وجل أرسلني إليكم وإلى من ورائكم فاستمعوا أيها القوم رسالة ربكم لتبلغوا صاحبكم فارجعوا اليه وقولوا له يا لاحب إن الله يقول ألست تعلم أني لا إله إلا أنا إله بني اسرائيل الذي خلقهم ورزقهم واماتهم وأحياهم فجهلك وقلة علمك حملك أن تشرك بي وتطلب الشفاعة لابنك من غيري ممن لا يملكون لأنفسهم شيئا إلا شئت اني حلفت باسمي لأغيظنك في ابنك ولاميتنه حتى تعلم ان احدا لا يملك شيئا دوني فرجعوا إلى الملك وقالوا له إن إلياس انحط علينا من جبل وهو نحيف طويل اقشف اشعث بجبة صوف وعباءة قد خللها على صدره بخلال فاستوقفنا وتكلم لنا وملئت قلوبنا رعبا وهيبة منه وقصوا عليه ما قال لهم فقال الملك لا انتفع بالحياة ما دام الياس حيا ما الذي منعكم ان تبطشوا به حين لقيتموه وتأتوني به ؟ قالوا : منعنا الرعب الذي قلنا لك قال لا يطاق الياس إلا بالمكر والخديعة فقيض له خمسين رجلا من ذوي القوة من قومه وعهد إليهم عهده وأمرهم بالاحتيال عليه باطماعه في أنهم آمنوا به هم ومن ورائهم فانطلقوا إلى الجبل وتفرقوا فيه ينادون بأعلى أصواتهم يا إلياس يا نبي الله أبرز إلينا وامننا بنفسك علينا وعرفنا ما قلت فقد آمنا بك نحن وملكنا وجميع قومنا يقرؤونك السلام فأقم بين اظهرنا واحكم فينا ولا يسعك ان تتخلف عنا فارجع إلينا وكل هذا مكر

وخديعة منهم ولما سمع الياس مقالتهم وقعت في قلبه وطمع في ايمانهم وخاف الله واشفق من سخطه وهو لم يظهر لهم ولم يجبهم بعد الذي سمع منهم فلما اجمع على البروز اليهم رجع على نفسه فقال لو اني دعوت الله وسألته ان يعلمني ما في انفسهم ويطلعني على حقيقة أمرهم وذلك الهام من الله له فقال اللهم ان كانوا صادقين فيما يقولون فاذن لي في البروز وان كانوا كاذبين فالففهم واحرقهم بنار فما استتم كلامه حتى حصبوا بنار من فوقهم فاحترقوا اجمعين فلما بلغ لاحبا وقومه الخبر لم يرتدعوا ولم يرتدع الملك من همه بالسوء واحتال في امر الياس وقيض له فئة اخرى مثل عددهم وأمكن في الحيلة وعلوا الجبل متفرقين وجعلوا ينادون يا نبي الله إنا نعوذ بالله ربك من غضبه وسطوته إنا لسنا كالذين اتوك قبلنا لأن أولئك فرقة نافقوا وخالفونا فساروا إليك ليمكروا بك من غير رائنا ولا علم منا ولو علمنا بهم لقتلناهم فالآن قد كفاك أمرهم ربك وأهلكهم بشر نيتهم وانتقم لنا ولك منهم فلما سمع إلياس عليه السلام مقالتهم فدعا الله بدعوته الأولى امطر الله تعالى عليهم النار فاحترقوا عن آخرهم وفي كل ذلك ابن الملك في البلاء الشديد من وجعه كما وعده الله سبحانه فلما سمع بهلاك اصحابه ازداد غيظا واراد ان يخرج في طلب الياس بنفسه الا انه شغله عن ذلك مرض ابنه فوجه نحو الياس الكاتب المؤمن الذي هو كاتب امرأته رجاء ان يأمن اليه إلياس فينزل معه واظهر للكاتب أنه لا يريد بإلياس شرا لعلمه أنه مؤمن ولكن تركه لانتفاعه في سداد الأمور والتبصرة وارسل معه فئة واعلمهم أن يوثقوا الياس ويأتوا به ان اراد التخلف وان جاء مع الكاتب واثقا به انسا بمكانه فلا توحشوه ولا تروعوه واظهر للكاتب الاتابة وانه قد آن لي أن أتوب وانقض وقد

اصابتنا بلايا من حريق أصحابنا والبلاء الذي فيه ابني وقد علمت ان ذلك بدعوة إلياس ولست آمن ان يدعو على جميع من بقي فنهلك بدعوته فانطلق اليه واخبره انا قد تبنا وانه لا يصلحنا في توبتنا وما بد من رضا الله وخلع أصنامنا ألا أن يكون إلياس بين اظهرنا يأمرنا وينهانا ويخبرنا بما يرضي ربنا وامر قومه فاعتزلوا الأصنام وامر الكاتب ان يخبر الياس بذلك وانا قد خلعنا الهتنا واخرنا امرها حتى ينزل إلينا فيكون هو الذي يحرقها ويهلكها وكل ذلك مكر فانطلق الكاتب والفئة حتى علوا الجبل الذي فيه الياس ثم ناداه فعرف الياس صوته فتاقت نفسه إليه وأنس بمكانه وكان مشتاقا الى لقائه فأوحى الله تعالى إلى إلياس عليه السلام أن أبرز إلى اخيك الصالح فالقه وجدد معه العهد فبرز إليه وسلم عليه وصافحه فقال ما الخبر فقال انه بعثني إليك هذا الجبار وقومه ثم قص عليه ما قال ثم قال له واني خائف ان رجعت اليه ولست معي ان يقتلني فمرني بما شئت أن افعل وانتهي اليه فان شئت انقطعت اليك وتركته وكنت معك وان ارسلتني اليه بما تحب فابلغه رسالتك وان شئت دعوت ربك يجعل لنا من امرنا فرجا ومخرجا فأوحى الله ان ذلك مكر من الملك فانطلق معه ليلا يتهمه بك وسأشغل عنك لأحبا واضاعف على ابنه حتى لا يكون له هم غيره ثم اميته عن اشد حال فاذا مات فارجع فانطلق معهم حتى قدموا على لاحب فلما قدموا عليه شدد الله الوجع على ابنه فأخذ الموت يكضمه فشغل الله بذلك لاحبا واصحابه فلما فرغوا من أمره وقد خدعه الله من إلياس سأل عنه الكاتب الذي جاء به !

فقال : ليس لي به علم وذلك انه شغلني عنه موت ابنك والجزع عليه ولم أكن أحسبك إلا قد استوثقت منه فضرب عنه لاحب وتركه لما

كان فيه من الحزن على ابنه فلما طال الأمر على إلياس مل الكون في الجبال والمقام فيها واشتاق إلى العمران والناس فنزل من الجبل وانطلق حتى نزل على امرأة من بني إسرائيل وهي ام يونس تخدمه بنفسها وتؤانسه بذات يدها ولا تذكر عنه شيئا كرامة من الله عليها وعليه ثم سأم الياس عليه السلام ضيق البيوت بعد تعوده الجبال ورحبها فأحب اللحوق بالجبال فخرج وعاد إلى مكانه فجزعت أم يونس لفراقه وأوحشها فقده ثم لم تلبث إلا يسيرا حتى مات ابنها يونس فعظمت مصيبتها فيه فخرجت في طلب إلياس فلم تزل ترقي الجبال وتطوف بها حتى عثرت عليه فقالت له اني قد فجعت بعدك بموت ابني فعظمت مصيبتي واشتد لفقده بلائي وليس لي ولد غيره فارحمني وادع ربك عز وجل يحييه لي وتجبر مصيبتي فاني تركته مسجى لم ادفنه وقد اجفيت مكانه فقال لها إلياس ليس هذا مما امرت به وإنما أنا عبد مأمور أعمل بما يأمرني ربي ولم يأمرني بهذا ربي فجزعت المرأة وتضرعت فعطف الله قلب إلياس عليها فقال لها ومتى مات ابنك قالت منذ سبعة ايام فانطلق إلياس وسار معها سبعة ايام حتى انتهى إلى منزلها فوجد ابنها ميتا منذ اربعة عشر يوما فتوضأ إلياس عليه السلام وصلى ودعا فأحيا الله يونس بن متى فانصرف إلياس عليه السلام وعاد إلى موضعه فلما طال عصيان قومه ضاق إلياس عليه السلام لذلك ذرعا واجهده البلاء فأوحى الله تعالى إليه بعد سبع سنين وهو خائف مجهود يا إلياس ما هذا الجزع والحزن الذي انت فيه الست اميني على وحيي وحجتي على خلقي وصفوتي من خلقي فاسألني أعطك فاني ذو الرحمة الواسعة والفضل العميم فقال إلياس يا رب لو امتني فالحقني بآبائي فاني قد مللت بني اسرائيل وملوني وابغضوني

فأوحى الله إليه ما هذا اليوم الذي اعرى منك الأرض وأهلها وإنما قوامها وصلاحها بك وبأشباهك ولكن سلني اعطك قال إلياس فان لم تمتني فأعطني تاري من بني إسرائيل قال الله عز وجل وأي شيء تريد أن اعطيك يا إلياس قال تمكنني من خزائن السماء سبع سنين ولا تنشيء عليهم سحابة الا باذني ولا تمطر عليهم قطرة سبع سنين إلا بشفاعتي فإنهم لا يذلهم الا ذلك قال الله تعالى أنا أرحم بخلقي من ذلك وان كانوا ظالمين ولكن ثأرك ثلاث سنين اجعل خزائن المطر بيدك فلا تجيئهم سحابة إلا باذنك ولا تنزل عليهم قطرة الا بشفاعتك قال إلياس بأي شيء اعيش قال اسخر لك جنسا من الطير ينقل لك طعامك وشرابك من الريف ومن الأرض التي لم تقحط قال إلياس رضيت فأمسك عنهم المطر حتى هلكت المواشي والدواب والهوام والشجر وجهد الناس جهدا والياس على حاله مستخف من قومه فيوضع له الرزق حيث ما كان وقد عرف بذلك قومه وكانوا اذا وجدوا ريح الخبز في بيت قالوا لقد دخل إلياس في هذا المكان فيبحثون ويلقى اهل المنزل منهم شرا قال ابن عباس أصاب بني اسرائيل القحط ثلاث سنين فمر إلياس عليه السلام بعجوز فقال لها اعندك طعام قالت شيء من دقيق وزيت قليل فدعا بهما ودعا فيهما بالبركة ومسه حتى ملأ جرابها دقيقا وملأ خزانتها زيتا فلما رأوا ذلك عندها قالوا من اين لك هذا قالت مر بي رجل من حاله كذا وكذا فوصفته بصفته فعرفوه بها قالوا ذلك إلياس عليه السلام فوجدوه قد هرب وأوى ليلة إلى بيت امرأة من بني اسرائيل عندها ولد يقال له اليسع بن احطوب به ضر فأوته وأخفت أمره فدعا لها فعوفي من الضر الذي كان به واتبع اليسع إلياس وآمن به وصدقه وذهب معه حيث ذهب

وكان إلياس قد سن وكبر وكان اليسع غلاما وقد هلك الخلق من انس وبهائم ودواب وشجر ونبات فخرج إلياس باذن الله إلى بني اسرائيل فقال انكم قد هلكتم جهدا وجوعا وهلكت البهائم والطير والدواب والهوام والشجر بخطاياكم وانكم على باطل وغرور فاخرجوا إلى اصنامكم فان اجابت لكم فذلكم كما تقولون ففعلوا ولم تملك شيئا قالوا له فادع لنا فدعا ومعه اليسع عليهما السلام فخرجت سحابة كالترس على ظهر البحر ينظرون اليها فاقبلت نحوهم وطبقت الآفاق ثم امطرت عليهم فأحيى الله بلادهم فشكوا إلى إلياس عدم البدر فأوحى اليه ان مرهم يبثوا الملح في الأرض ففعلوا ذلك فأنبت الله عز وجل الحمص فلما كشف الله عنهم الضر نقضوا العهود ولم ينزعوا عن كفرهم ولم يقلعوا عن ضلالتهم واقاموا على اخبث ما كانوا عليه فلما رأى إلياس ذلك دعا ربه عز وجل ان يحميه عنهم فقيل له انظر يوم كذا وكذا واخرج إلى موضع كذا فما جاءك من شيء فاركبه ولا تهبه فخرج إلياس ومعه اليسع ابن اخطوب حتى اذا كانوا بالموضع الذي امر به اقبل فرس من نار حتى وقف بين يديه وقيل على لون نار فوثب عليه فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا إلياس ما تأمرني به فقذف اليه كساه من الجو الاعلى وكان ذلك علامة استخلافه اياه على بني اسرائيل وكان ذلك آخر العهد به وقطع عنه لذات المطعم والمشرب وكساه الريش فكان انسيا ملكيا ارضيا سماويا وقيل هو مع الخضر في الأرض ويحتمل ان يكون بعد رفعه رجع إلى الأرض وسلط الله عز وجل على لاحب وامرأته اربيل وقومه عدوا لهم فقصدهم من حيث لم يشعروا به حتى قتلهم فقتل لاحب وامرأته في بستان مزدكي فلم تزل جيفتاهما ملقاتين في البستان حتى بليت لحومهما

ورمت عظامهما ونبا الله بفضله اليسع عليه السلام وبعثه رسولا إلى بني اسرائيل وكانوا يعظمونه وينتهون إلى امره وحكم الله عز وجل فيهم قائم إلى ان فارقهم اليسع عليه السلام قال السدي عن يحيى عن عبدالعزيز بن ابي رواد قال : الخضر وإلياس عليهما السلام يصومان شهر رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم في كل عام .

وعن رجل من اهل عسقلان انه كان يمشي بالأردن نصف النهار فرأى رجلا فقال له من انت يا عبدالله قال انا إلياس فوقعت عليه رعدة فقال ادع الله ان يرفع عني ما اجد حتى افهم حديثك واعقل عنك فدعا له بثماني دعوات : يا رحمن يا رحيم يا حنان يا منان يا حي يا قيوم قال ودعوتين بالسريانية لم افهمهما فرفع الله عني ما اجد ثم وضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فقلت له ايوحي الله اليك اليوم قال منذ بعث الله محمدا رسولا لم يوح الي فقلت له كم الانبياء اليوم احياء قال اربعة اثنان في الأرض واثنان في السماء عيسى وادريس في السماء والخضر وإلياس في الأرض قلت الابدال قال ستون رجلا منهم من عريش مصر إلى شاطىء الفرات رجلان ورجلان بالمصيصة ورجل بعسقلان وبقيتهم في سائر البلدان كلما ذهب واحد جاء آخر بهم يرفع الله عن الناس البلاء وبهم يمطرون قلت فالخضر اين يكون قال في جزائر البحر . قلت فهل تلقاه ؟ قال : نعم . قلت : اين ؟ قال : بالموسم . قلت : فما يكون من حديثكما ؟ قال : يأخذ من شعري وآخذ من شعره وذلك حين جرى بين مروان بن الحكم وبين اهل الشام القتال قلت فما تقول في مروان بن الحكم ؟ قال : ما تصنع به رجل جبار عات القاتل والمقتول والشاهد والمشهود في النار . قلت : فاني شهدت ولم اطعن

برمح ولم ارم بسهم ولم اضرب بسيف وانا استغفر الله من ذلك المقام ان اعود لمثله ابدا . قال : احسنت هكذا فكن واني واياه قاعدان اذ وضع بين يديه رغيفان اشد بياضيا من التج اكلت انا وهو رغيفا وبعض الآخر ثم رفع وما رايت من وضعه ولا من رفعه واذا ناقة ترعى في واد الاردن اذ رفع رأسه اليها فدعاها حتى جاءت فبركت بين يديه فركبها قلت اريد ان اصحبك قال انك لا تقدر على صحبتي قلت اني خلو ليس لي مال ولا عيال قال تزوج ما بدا لك واياك والناشزة والمختلعة والملاعنة والمبارية قلت اني احب لقاءك قال اذا رايتني فقد رايتني ثم قال اني اريد ان اعتكف في شهر رمضان ثم حالت بيني وبينه شجرة فوالله لا ادري كيف ذهب قال بعض إلياس موكل بالفيافي والخضر موكل بالبحار .

﴿وإن لوطا لمن المرسلين إذ نجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا﴾ امرأته .

﴿في الغابرين﴾ الماضين في الهلاك .

﴿ثم دمرنا الآخرين﴾ يا أهل مكة .

﴿وإنكم لتمرون عليهم﴾ اي على منازلهم وآثارهم في متاجركم إلى الشام لان سدوم في طريق الشام .

﴿مصبحين﴾ داخلين الصباح .

﴿وبالليل﴾ اي في الليل وهو متعلق بمحذوف حال معطوفة على مصبحين اي وسائرين في الليل أو داخلين في الليل أو بمحذوف معطوف على تمرون اي وتمرون بالليل أو وتبيتون بالليل في منازلهم قيل المراد بالليل المساء ليطابق مصبحين وقيل المراد الدخول في النهار كله والدخول في الليل كله قال القاضي ولعلها وقعت قريب منزل عبر بها

المرتحل عنه صباحا والقاصد لها مساء .

﴿أفلا تعقلون﴾ يا أهل مكة ما احل بهم فتعتبروا بهم أو أفليس لكم تعتبرون به .

﴿وإن يونس﴾ وقريء بكسر النون .

﴿لمن المرسلين إذ ابق﴾ هرب لاياقه الهرب الخاص وهو الهرب من السيد استعمل هنا في مطلق الهروب اذ ما هرب الا عن قومه ولكن حسنه انه هرب بغير اذن الله فكأنه ابق عن الله وليس باق عنه فذلك مجاز مرسل أو استعارة .

﴿إلى الفلك المشحون﴾ المملوء بالخليقة .

﴿فساهم﴾ قارع اهل الفلك .

﴿فكان من المدحضين﴾ من المغلوبين بالقرعة اذ خرجت عليه لاله وادحض الله النصارى ازلقهم عن مقام الظفر روي انه ركب في السفينة فوقفت فقالوا ها هنا عبد ابق من سيده وفيها يزعم البحارون ان السفينة اذ كان فيها ابق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس عليه السلام فقال انا ابق فرمى نفسه في الماء وكان قد عهد لقومه انهم ان لم يؤمنوا اتاهم العذاب وجعل لهم علامة هي ان يخرج من بينهم ويفقدوه وانه يأتيهم العذاب يوم كذا فلما قرب اليوم بيوم قبله جعل يطوف بالمدينة يبكي ويقول يأتيكم العذاب غدا فلما سمع الملك دعا قومه فاخبرهم فقال : ان كان هذا حقا فاجتمعوا حتى تنظروا امرنا فخرجوا من المدينة من الغد فنظروا فاذا هم بظلمة وريح شديدة اقبلت اليهم فعرفوا انه الحق ففرقوا بين الصبيان وامهاتهم ولبسوا الشعر وجعلوا التراب والرماد على رؤوسهم تواضعا لله وتضرعا وبكوا وآمنوا فصرف عنهم واشترطوا

ان لا يكذب احدهم الا قطعوا لسانه وقيل يقتلونه وقيل كان ذلك بوجيهية عادة فيهم قبل ولعلهم زاد ايمانهم توكيدا روى ان خطيبا قام فيهم فقال اللهم انك امرتنا ان لا ترد سؤالنا ونحن اليوم سؤالك فلا تردنا وقام ثان فقال اللهم انك امرتنا ان نعتق الرقاب ونحن رقابك فاعتقنا وقام ثالث فقال اللهم انك امرتنا ان نعفو عمن ظلمنا وقد اخطأنا وظلمنا انفسنا فاعف عنا فصرف الله عنهم فجاء يونس من الغد فنظر فاذا المدينة على حالها والناس داخلون وخارجون فقال لا القاهم بوجه كذاب اذ لم يعذبوا ولم يعرف بأي شيء صرف عنهم العذاب فقد قال لهم يأتيكم العذاب فأتى البحر فاذا سفينة فاشار إلى اهلها فحملوه وهم لا يعرفونه فانطلق إلى ناحية من السفينة فتقنع ورقد فما مضوا الا قليلا حتى جاءتهم الريح وكادت السفينة تغرق فاجتمعوا ودعوا الله ثم قالوا أيقظوا هذا الرجل يدعو الله معنا ففعلوا فرفع الله عنهم الريح وعاد إلى مكانه فرقد فجاءت ريح كادت السفينة تغرق بها فأيقظوه فدعوا فرفت فتفكر فقال هذا من ذنبي فقال لهم شدوني وثاقا وألقوني في البحر قالوا ما كنا لنفعل وحالك حالك ولكنا نقترع فمن اصابته القرعة ألقيناه فأصابته ولم يريدوا القاءه فانطلق إلى صدر السفينة ليلقي نفسه فإذا بحوت فاتح فاه فانطلق إلى ذنب السفينة فإذا بحوت فاتح فاه وهو الاول وجاء إلى جانب فاذا هو فيه فاتح وإلى جانب آخر فإذا هو فيه فاتح فالقى نفسه فالتقمه كما قال الله سبحانه وتعالى .

﴿فالتقمه﴾ ابتلعه كأنه لقمة .

﴿الحوت وهو مليم﴾ داخل في اللوم إذ فر عن قومه بغير إذن الله كقولك أصبح وأشام أي دخل في الصباح وفي الشام أو أتى بما يلام عليه

يقال رب لائم مليم أي داخل في اللوم أو آت بما يلام عليه فهو يلوم غيره وهو أهل لأن يلام أو أحق باللوم ممن كان يلومه وهو في ذلك كله من الام اللازم ويجوز أن يكون من المتعدي أي مليم نفسه أي ملقيها في اللوم وقريء مليم بفتح الميم الأولى اسم مفعول من لام الثلاثي المتعدي كمبيع وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه لما كان في السفينة وابعدت في البحر ولم تخر وغيرها من السفن تجري يمينا وشمالا قال أهلها إن فينا لصاحب ذنب وبه بحبسنا الله فقالوا لنقترعن فأخذوا لكل واحد سهما فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس فلم يريدوا أن يلقوه فأعادوا فوقعت عليه فأعادوا فوقعت عليه والقى نفسه والتقمه الحوت وأوحى الله إليه اني لم اجعل لك يونس رزقا وإنما جعلتك له حرزا وسجنا وقال ابن العربي وانما جعلته له مسجدا وقيل انه لما وصل البحر ومعه امرأته وابناه وقدمها للسفينة فأبعدتها الموجة فغرقت امرأته وكذا ابنه الأكبر وأما الأصغر فأخذه ذئب فجاء مركب آخر فركبه فريدا مع أهل المركب فركض قليل فاحتبس فاقترعوا فخرجت عليه فالقى نفسه فالتقمه الحوت .

﴿فلولا إنه كان من المسبحين﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما من المصلين قال كل تسبيح في القرآن فهو صلاة قال وذلك قبل كونه في بطن الحوت قال صلاته في وقت الرخاء نفعته في وقت الشدة وهو قول جماعة وبه قال قتادة يقال إن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر وإذا صرع وجده متكيا وقيل المعنى من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح والتقديس .

قال الضحاك بن قيس على منبر أذكروا الله عباد الله في الرخاء يذكركم في الشدة وأن يونس كان عبدالله ذاكرا له فلما أصابته الشدة

نفعه ذلك قال الله عز وجل ﴿ للبث في بطنه إلى يوم يبعثون ﴾
وأن فرعون كان طاغيا باغيا أدركه الغرق قال آمنت
فلم ينفعه ذلك فاذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة . قال الحسن ما كانت له عبادة في بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا وقيل المعنى من العابدين وقيل كان ذلك التسبيح في بطن الحوت وكان يقول فيه (لا اله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) . وقال ابن جريج كان يكثر فيْه سبحان الله والمراد بلبثه في بطن الحوت لبثه فيه حيا إلى يوم يموت الناس والأحياء كلهم إلا الحي الدائم وهو اول يوم البعث فان الوقت الذي يموت فيه الأحياء هو من يوم القيامة والبعث ولا انتهاء له فيبعثون في بعضه ويلبثون في المحشر في بعضه وإن قلت أن يوم القيامة ويوم البعث من زمان البعث فقط وما قبله هو من الدنيا أولا منها ولا من الآخرة فإنما قال إلى يوم يبعثون لقربه من وقت الموت . وقال قتادة لكان بطن الحوت له قبرا إلى يوم القيامة وفي الآية ترغيب في الذكر والتسبيح والعبادة بأنواعها ولبث في بطن الحوت أربعين يوما قاله الكلبي ، وقال الضحاك عشرين يوما وقال عطاء سبعة وقيل ثلاثة وهو قول مقاتل وقيل النقمة ضحى لفظه عشية وقال الحسن لم يلبث إلا قليلا وما خرج إلا بعيد الوقت الذي التقم فيه وروي ان الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه ويونس يسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا إلى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شيء فأسلموا قيل ذلك البحر هو دجلة .

﴿فنبذناه﴾ طرحناه من بطن الحوت والنبذ فعل الحوت وأسنده الله إلى نفسه لأنه خالق أفعال العباد وأمر الحوت بنبذه .

﴿بالعراء﴾ بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر أو نبت في ساحل

البحر من أرض الموصل قرب قرية وفسر بعضهم العراء بالساحل والباء مطلقا هنا بمعنى في .

﴿وهو سقيم﴾ أعتل مما حل به وكان بدنه كبدن الطفل حين يولد رقيقا لا شعر فيه ضعيفا لا قوة فيه رخوا .

﴿وأنبتنا عليه شجرة من يقطين﴾ قال ابن عباس وأبوهريرة وعمرو بن ميمون قرع أي انبتناها وعلته فروعها واظلته قيل ولم تكن قبل ذلك وخصت لان الذباب لا يجتمع عليها ولان اوراقها لينة وانفع شيء لمن تسلخ جلده واذا رش مكان بمائه لا يقربه ذباب وتسمى الدبا قيل لرسول الله ﷺ انك لتحب الدبا قال نعم هي شجرة اخي يونس عليه السلام وهو يفعيل من فطن بالمكان اقام به وقيل اليقطين كلما ينبسط على الأرض ولا يقوم على ساق كالبطيخ والقثاء والحنضل ونحوهما لا يحيى عاما وكانت وعلة تغذيه بلبنها بكرة وعشيا وقيل يتغذى من اليقطين ما يحبه من الوان الطعام حتى قوي ونبت شعره وحسن جسمه وقيل اليقطين شجر التين ويأكل منها وقيل الموز ويأكل منه وهما أوفق من حيث الاستظلال بالأغصان والأكل من ثمارها والأول اشهر وانسب من جهة اللغة وقدرة الله صالحة لأن يطيل سوق أوراقها حتى تظله وروي انه نام ثم استيقظ وقد يبست الشجرة فأصابه حر الشمس فحزن حزنا شديدا وجعل يبكي فأرسل الله جبريل وقال اتحزن على شجرة ولا تحزن على اكثر من مائة الف من امتك قد اسلموا وتابوا وقيل نام فأرسل الله الدابة المسماة بالأرضة فقطعت ورقها فأنتبه لحر الشمس وحزن وبكى فقيل له ذلك .

﴿وأرسلناه إلى مائة الف﴾ وهم أهل نينوي من أرض الموصل قبل

أن يصيبه ما أصابه من دخول بطن الحوت وأرسل اليهم بعد خروجه منه وهم الذين فر عنهم وذلك قول الجمهور وقيل أرسل إليهم بعد الخروج منه وقيل أرسل إليهم ثانيا بعده وإلى غيرهم . وروي انهم أسلموا فطلبوه أن يرجع اليهم فأبى لأن النبي اذا هاجر عن قومه لم يرجع إليهم مقيما فيهم وقال لهم ان الله باعث فيكم نبيا وقيل أرسل اليهم بعد الخروج وقيل رجع إليهم وأقام فيهم وروي أنه لما عوتب بجزعه على الشجرة وعدم حزنه على قومه علم انه قد ابتلى فانطلق فاذا هو براعي غنم فقال له اسقني لبنا فقال ما هاهنا شاة لبنة فمسح على ضرع شاة فدرت فشرب من لبنها فقال الراعي من انت يا عبدالله فقال أنا يونس فانطلق إلى قومه فبشرهم فأخذوه فجاءوا معه إلى موضع الغنم فلم يجدوا يونس فقالوا انا قد شرطنا لربنا ان لا يكذب أحد إلا قطعنا لسانه فتكلمت الشاة بإذن الله وقالت قد شرب من لبني وقالت الشجرة قد استظل بظلي فطلبوه فأصابوه فرجع إليهم فكان فيهم حتى قبضه الله ولم يبق واحد منهم على كفر وقيل قال للراعي من أنت يا غلام قال من قوم يونس اذا رجعت فأخبرهم اني لقيت يونس فاقراهم السلام فقال من يشهد لي قال تشهد لك هذه البقعة وهذه الشجرة وهذه الشاة وأشار إلى شاة من غنمه فقال له الغلام مرهم بالشهادة فأمرهم فقالوا نعم فأدى الرسالة إلى ملكهم فمضى بقومه إلى البقعة فشهدت لهم هي والشاة والشجرة فأخذ الملك بيد الغلام فأجلسه في مجلسه وقال أنت أحق مني بهذا المكان فأقام لهم الغلام أمرهم أربعين سنة ومضى يونس ونزل في قرية ليلا فأضافه رجل صاحب فخار فأوحى الله اليه أن مره بكسر فخاره فأمره فلم يسمع منه وشتمه وقال عملته بيدي لأعيش به وعيالي

فبكى يونس فأوحى الله اليه أن هذا عمل ففخارا من طين لم تطب نفسه بكسره وأنت طبت نفسا بكسر مائة الف أو يزيدون وهبط واديا فلما جاء الملك وقومه المجيء المذكور وأخبرته الشاة والشجرة والبقعة أخبرته الشاة ان أردتم يونس فاهبطوا إلى الوادي فهبطوا فإذا يونس فانكبوا على رجليه يقبلوها وسألوه أن يدخل معهم المدينة فامتنع وألحوا فأخاب فأتوه بعجلة من فضة فأجلس فيها فتمثل له جبريل عاضا على سبابته يناديه لا تجلس عليها فمشى على رجليه في الأرض ولبث في المدينة أربعين ليلة مع أهله وولده ثم خرج هو والملك سايحين حتى ماتا .

﴿أو يزيدون﴾ أو للشك مصروفا إلى الرأي أي يشك من رآهم أهم مائة ألف أم يزيدون هذا ما يظهر لي وهو قول نصوا عليه والمراد الوصف بالكثرة وهو قول المبرد وكثير من البصريين وذكره ابن جني كما قال ابن هشام وقال ابن الشجري عن سيبويه هي للتخيير أي إذا رآهم الرأي تخير بين أن يقول هم مائة الف أو يقول هم اكثر . قال ابن هشام وفي ثبوت هذا عن سيبويه نظر ولا يصح التخيير بين شيئين الواقع احدهما . قلت وعلى المشهور من أشراط تقدم الطلب في التخيير قد انتفى هذا الشرط وأما ما استشكله ابن هشام فالجواب عنه أن التخيير بين ان يقول كذا أو يقول كذا ولم يقع أحد القولين وقال الفراء أو للاضراب أي بل يزيدون قال هكذا جاء في التفسير مع صحته في العربية وهو قول عن ابن عباس وروى عنه انه فرائل يزيدون وصححه بعضهم وقال بعض الكوفيين بمعنى الواو وقرأه جعفر بن محمد ويزيدون بالواو وقال بعض البصريين للايهام وجملة هذه الاقوال في (وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب) إلا القول بأنها بمعنى الواو وجملة يزيدون من العطف على

المعنى أي أرسلناه إلى جماعة يبلغون مائة الف او يزيدون وقيل نعت لمعطوف محذوف أي أو جماعة يزيدون وبحث فيه الصبان بأن الموصوف بالجملة المحذوف ليس بعض اسم مجرور بمن او في واختلف في هذه الزيادة فقيل هي عشرون الفا وهي رواية أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ وكذا قال ابن عباس وقيل يزيدون بضعا وثلاثين ألفا وقيل سبعين ألفا .

﴿فآمنوا فمتعناهم إلى حين﴾ أجل مسمى هو آجالهم وقيل يوم القيامة قال القاضي ولعله لم يختم قصته وقصة لوط بما ختم به سائر القصص تفرقة بينهما وبين ارباب الشرائع الكبر وأولي العزم من الرسل واكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر السورة انتهى .

﴿فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون﴾ استئناف مفرغ على قوله فآمنوا فمتعناهم إلى حين أو معطوف عطف انشاء على خبر ووجه الاتصال بين ذلك أن قوله فآمنوا فمتعناهم إلى حين كالمثل لقريش أن آمنوا متعوا إلى حين فحسن انتقال القول اليهم والمحاورة وقيل العطف على استفتهم الأول المذكور أول السورة وان بعدت المسافة لأنه سبحانه أمر رسوله باستفتاء قريش عن انكار البعث أولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض حتى كأنه كله غير اجنبي ثم أمر باستفتائهم عن وجه القسمة الجائرة إذ جعلوا البنات لله يقولون الملائكة بنات الله وجعلوا البنين لأنفسهم والمراد ما يلدونه من الذكور أي خصوا أنفسهم بالبنين إذ قالوا ما يلد الله إلا البنات حاشاه عن الولادة وجعل ابن الشام هذا الاعراب غير صواب لبعد المعطوف عليه وجملة الربك البنات ولهم البنون مفعول لاستفتهم والاستفهام انكاري وقولهم بأن الملائكة بنات

الله ادخل في الشرك من انكار البعث لان فيه القول بأن الله سبحانه جسم وهو لا يوصف بجسم ولا بعرض فإن الولادة مخصوصة بالأجسام وفيه تفضيل أنفسهم على الله سبحانه وتعالى اذ جعلوا لأنفسهم البنين وجعلوا له البنات وبها تظل وجوههم مسودة إذا بشروا بها وفيه الاستخفاف بالملائكة الكرام حيث انثوهم ولو قيل لادناهم فيك انوثة او شكل كشكل النساء لتنمر وتأسد على القائل ولذلك كرر الله سبحانه وتعالى الانكار عليهم هنا وفي غير السورة يكاد السموٰات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هذا والانكار هنا مقصور في اثبات الاناث لله والذكور لأنفسهم وفي وصف الملائكة بالأنوثة لأن هذه الطائفة تقول بذلك وحده ولو لزم منه التجسيم أو لأن فساد دينك الإثبات والوصف مما تدركه العامة وان قلت فأين انكر عليهم أنوثة الملائكة قلت في قوله .

﴿أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون﴾ الواو للحال والجملة بعدها حال وشاهدون بمعنى حاضرين أعرض عن قولهم ولد الملائكة الى قوله خلقنا الملائكة اشارة إلى أن الولادة بالغة في البطلان الواضح إلى حيث لا يحتج عليها وإلى حيث يكون الوجه الأعراض عنها وقيد انتفاء كون الملائكة إناثا بالشهادة إيماء إلى أن القول بأنوثتهم أمر عظيم لا يقدم عليه إلا بالمشاهدة فإن الأنوثة ليست من لوازم ذوات الملائكة حتى يستغنوا في اثباتها لهم بالعقل عن المشاهدة وفي ذكر المشاهدة أيضا تهكم بالكفرة واستهزاء بهم كيف قالوا بأنوثتهم مع أنهم لم يشاهدوها والعقل لا يوصل إلى معرفة مثلها ولا علم لهم بأخبار صادق وكيف قالوا ذلك قولا جازما ، واعتقادا لازما كأنهم شاهدوه وما ذلك إلا لفرط جهلهم .

﴿ألا أنهم من إفكهم﴾ كذبهم .

﴿ليقولون ولد الله﴾ مع عدم ما يقتضي صدق هذا الذي افتروه ومع قيام نافيه وقريء ولد الله بضم الدال وكسر الهاء اي الملائكة ولد الله فان الولد يطلق على الواحد فصاعدا والذكر والانثى وهو فعل بفتح الفاء والعين بمعنى مفعول .

﴿وانهم لكاذبون﴾ في قولهم .

﴿أصطفى﴾ بقطع الهمزة وفتحها وهي همزة استفهام انكاري وهمزة الوصل محذوفة غير مكتوبة وهذه قراءة نافع في رواية ورش وفي رواية عنه بوصل الهمزة ونسبها بعض لورش ووجهها حذف همزة الاستفهام لدلالة المقام عليها والسياق كقوله أم ويجوز أن يكون وجهها تقدير قول متعلق بكاذبون أي لكاذبون في قولهم اصطفى أو ابداله من ولد الله بفتح الدال وضم الهاء وبالوصل قراءة حمزة في رواية وأبي جعفر والأعمش وهي قراءة ضعيفة فيها قال جار الله لاكتناف الاستفهام لها من الحانبين وانت خبر ان التوجيهات السابقة قد علمها الزمخشري وانما حط تضعيفه خلوا للفظ عن الاستفهام واذا جعلت مقولا لقول كانت من متعلقات كاذبون .

﴿البنات على البنين﴾ لو كان يلد فلم يختر البنات وإلا اصطفى الاختيار واخذ صفوة الشيء قيل القائلون بأن الملائكة بناته فرقة من بني مدلج وقيل جهينة وبنوا سلمة بن عبدالدار .

﴿مالكم كيف تحكمون﴾ بما لا دليل له ولا يرتضيه عقل .

﴿أفلا تذكرون﴾ تتعظون فتنتهوا عن ذلك القول وقريء افلا تذكرون باسكان الذال وضم الكاف اي افلا تذكرون انه منزه عن ذلك ويجوز ان يكون معنى المشدد كذلك .

﴿أم لكم سلطان مبين﴾ حجة واضحة او موضحة لما خفي ان له ولدا تعالى الله عن ذلك والحجة إنما تكون من السماء او بالمشاهدة ولا شيء من ذلك .

﴿فأتوا بكتابكم﴾ الذي فيه تلك الحجة .

﴿إن كنتم صادقين﴾ في قولكم وذلك كله انكارات صادرة عن غضب وسخط .

﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا﴾ عندهم ان كلا من اولاد ابليس ومن الملائكة جنس واحد هو الجن لاجتنان الكل اي استنارة فمن خبث ومرد كان شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فملك وانما ذكرهم الله لهذا الاسم لذكر الكفرة إياهم في بعض الأحيان به أو لوضعه هذا الجنس مطلقا وتحقيره أن يبلغوا مرتبة النسب بينهم وبين الله فلو كان له نسب تعالى عنه لم يكونوا اهلا لا الجبة المسمون شياطين ولا الجنة المسمون ملائكة كيف ولا نسب له ولا ملك من الجن ومعنى النسب الذي زعموا أنهم بنات الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قال لهم ابوبكر رضي الله عنه فمن امهاتهم قالوا سروات الجن وزعم بعضهم عن ابن عباس أن فريقا من الملائكة يقال له الجن وأن منهم ابليس وقيل معنى هذا النسب المفتري انهم قالوا الله والشياطين اخوان وقيل هو قول الزنادقة الله خالق الخير والشيطان خالق الشر وقيل هو اشراكهم الشياطين له في العبادة فإذا أشركوا غيره به في الخلق او العبادة فقد سووا بينهما وجعلوهما متناسبين .

﴿ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون﴾ أي ولقد علمت الملائكة ان الكفرة لمحضرون في العذاب بما يقولون وقيل لمحضرون في الحساب

ورجح الأول بأنه كلما جاء لفظ الاحضار في السورة هذه فهو احضار في النار فليحمل هذا عليه وفي ذلك مبالغة إذ أسند علم أنهم محضرون في العذاب إلى من يدعون له النسب ولك ان تفسر الجنة بالشياطين فيعود الضمير إليهم أي لقد علمت الشياطين ان الله يحضرهم الثأر ولو كان بينه وبينهم نسب أو شركاء في الطاعة أو في الخلق ما عذبهم .

﴿سبحان الله عما يصفون﴾ إذ وصفوه بالولد والنسب .

﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ استثناء من محضرين او من واو يصفون منقطع او متصل ان فسر الضمير بما يعمهم واذا كان الاستثناء من محضرون فما بينهما معترض .

﴿فإنكم وما تعبدون﴾ ما موصول معطوف على إسم إن .

﴿ما﴾ نافية .

﴿أنتم عليه﴾ متعلق بقوله .

﴿بفاتنين﴾ والهاء ضمير الله أي أنتم واصنامكم لا تقدرون على فتن الناس الذين سبق في علم الله انهم مؤمنون والفتن الاضلال وجملة ما وما بعدها خبر لأن وأجاز جار الله كون الواو بمعنى مع والخبر محذوف اي انكم مقرونون مع آلهتكم لا تفارقونها كقولك كل رجل وضيعته فيستأنف ما انتم عليه بفاتنين .

﴿إلا من﴾ مفعول فاتنين .

﴿هو صال الجحيم﴾ صال خبر لهم حذفت الياء منه المقدر عليها الاعراب للتقاء الساكنين وحذفت من الخط شذوذوا والمعنى لا تفتنون الا من سبق في علم الله انه داخل النار وصاليها وقرأ الحسن صال الجحيم بضم اللام اعرابا على عين الكلمة كقراءة بعضهم (وجنى

الجنتين دان) بضم النون وله الجوار بضم الراء بجعل المحذوف منسيا او الاصل صائل كبايع مقلوب صال كقاض حذفت الهمزة تخفيفا كما يقال في شائك شاك أو الأصل صالوا جمع سلامة لمذكر مراعاة لمعنى من حذفت الواو للساكن بعدها وحذفت من الخط ايضا شذوذا .

﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ مقول لمحذوف اي وقالت الملائكة ما منا الخ اي كيف نناسب الله وما نحن الا عبيد اذلاء لكل منا مقام معلوم في الطاعة ويجوز ان يكون قوله سبحان الله من كلام الملائكة اي ولقد علمت الملائكة ان المشركين مفترون وقالوا سبحان الله وهم الذين استثنوا المخلصين وخاطبوا الكفار بقولهم فانكم وما تعبدون الخ لكن انتم على كل تفسير هو خطاب للكفرة وحدهم لا مع ما يعبدون وقيل للكل على التغليب ومنا متعلق بمحذوف نعت لمبتدأ محذوف اي ما احد ثابت منا الا له مقام معلوم من الطاعة لا يتجاوزه فمنهم راكع وساجد وقائم ومسبح ونحو ذلك او الا له مقام معلوم في الشرف والمرتبة عند الله او موضع معلوم يتعبد فيه وقيل مقام معلوم مقامات مختلفة كالخوف والرجاء والمحبة والرضاء وقيل مقام معلوم في الجنة وقيل في القيامة وعن ابن عباس ما في السمٰوات موضع شبر الا وعليه ملك يصلي أو يسبح وروت عائشة ما في السماء موضع قدم الا وعليه ملك ساجد او واقف يصلي وعن ابن مسعود وغيره نحو ذلك .

﴿وإنا لنحن الصافون﴾ الملائكة صفوا اقدامهم في عبادة الله كالصلاة والخدمة كصفوف الناس في الأرض .

﴿وإنا لنحن المسبحون﴾ المنزهون له عن السوء كالولد والنسب والشريك وقيل المصلون قيل ويجوز أن يكون قوله الصافون اشارة إلى

درجاتهم في الطاعة وقوله المسبحون في المعارف وإنما أكد بالجملة الإسمية وأن واللام ونحن والحصر لشدة اجتهادهم ومداومتهم بلا فترة .

﴿وإن كانوا ليقولون﴾ ان مخففة واللام فارقة والضمير لقريش .

﴿لو أن عندنا ذكرا﴾ كتابا .

﴿من الأولين﴾ اي من كتبهم .

﴿لكنا عباد الله المخلصين﴾ اي الذين اخلصهم الله لعبادته ولا تخالف كما خالف الاولون قالوا ذلك قبل نزول القرآن .

﴿فكفروا به﴾ بالذكر فالضمير للذكر على طريق الاستخدام فان الذكر المذكور بمعنى كتاب من كتب الاولين وضميره للذكر بمعنى القرآن كفروا بالقرآن بعد مجيئه وهو اشراف الاذكار والكتب والقائم عليها .

﴿فسوف يعلمون﴾ عاقبة كفرهم .

﴿ولقد سبقت كلمتنا﴾ وعدنا بالنصر .

﴿لعبادنا المرسلين﴾ او الكلمة لاغلبن انا ورسلي او قوله .

﴿إنهم لهم﴾ اللام لام التأكيد وهم مبتدأ .

﴿المنصورون﴾ خبر .

﴿وإن جندنا لهم الغالبون﴾ مثل الذي قبله وتسمية الجملة فصاعدا كلمة حقيقة في اللغة وقيل مجاز عليه فانما سمى الجملتين كلمة هنا اذا قلنا انهما المراد بكلمة في قوله كلمتنا لانتظامهما في معنى واحد وقرىء ولقد سبقت كلماتنا بالجمع وقرأ ابن مسعود على عبادنا لتضمين سبقت معنى حقت والمراد الغلبة بالحجج والمعجزات وقيل بها وبالسيف والعلو في الآخرة وان قلت فقد يغلبون قلت ولو غلبوا تارة لكن لهم الغلبة ولمن

بعدهم في العاقبة كما رأيت لرسول الله ﷺ ومن بعده من الخلفاء . وعن الحسن ما غلب نبي في الحرب ولا قتل فيها قيل والغالب نصرهم وعن ابن عباس ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة والصحيح ان المراد الغلبة في الدنيا ولو على ايدي النواب عنهم بعدهم .

﴿فتول عنهم حتى حين﴾ تؤمر فيه بقتالهم فننصرك كما سبقت في الكلمة . وقال السدي : المراد يوم بدر وقيل يوم الفتح وقيل اجال موتهم وعلى هذا فهي منسوخة بآية السيف كما في قول من قال المراد يوم القيامة .

﴿وأبصرهم﴾ على ما ينالهم حينئذ من العذاب كأنه شيء حاضر تريهم اياه .

﴿فسوف يبصرون﴾ ذلك وما تنال من النصر والثواب في الآخرة وقالوا استهزاء بالعذاب متى نزول هذا العذاب فأجابهم الله بقوله .

﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ الهمزة داخلة على يستعجلون والباء متعلقة به .

﴿فإذا نزل بساحتهم﴾ بحضرتهم وقربهم وقيل بفنائهم قال الفراء العرب تكتفي بذكر الساحة عن القوم وضمير نزل عائد للعذاب شبهه بجيش نزل عليهم فجاءه وما تهيوا له .

﴿فساء صباح المنذرين﴾ أي بئس صباحهم فأقام الظاهر مقام المضمر ليصفهم بأنهم قد انذروا وما قبلوا الانذار ويجوز أن يكون المنذرون عاما فيقدر المخصوص صباح هؤلاء الكفرة وأوجب بعضهم في ال بعد نعم وبئس أن تكون للجنس وكان أكثر غارات العرب صباحا

وقت غفلة فسميت الغارة صباحا ولو وقعت في وقت آخر على الاستعارة أو أطلقوا الصباح على الغارة مجازا ثم أطلقوا هذا الصباح على كل وقت وقعت فيه الغارة فالصباح الوقت المطلق فهو مجاز على مجاز والمراد بالصباح من أول الأمر مطلق الوقت وقيل ضمير نزل للنبي ﷺ وأن المراد نزوله يوم الفتح على مكة وقرأ ابن مسعود بئس صباح وقرأ بعضهم نزل بساحتهم بالبناء للمفعول والنائب المجرور وقرأ بعض نزل لتشديد والبناء للمفعول أي العذاب فلما نزل ﷺ على خيبر قال الله أكبر خربت خيبر انا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قاله ثلاثا .

﴿وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون﴾ هذا تأكيد وحذف مفعول يبصرون اطلاق للعموم أي يبصرون مالا يحيط به الوصف من انواع الضر وما تقدم في عذاب الدنيا وهذا في عذاب الآخرة وأما ابصر فيحتمل أن يكون المعنى أنظر وكن باصرا ويحتمل أن يكون المراد ابصرهم .

﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون﴾ نزه الله عز وجل نفسه عما يقول المشركون ويعتقدونه والعزة الغلبة وهي صفة ذات ويجوز أن يريد العزة التي خلقها وجعلها لبعض عباده كالرسل والملوك أي لا عزة لأحد إلا وهي ملك لله تعالى ويريد أنه العزيز ولا عزة إلا له أو لمن أعزه وقد ادرج في كونه عزيز جميع صفاته التي هي ايجابية كالقدرة أو سلبية كعدم الولادة قيل والاضافة للعزة لاختصاصه بها كما صاحب صدق لاختصاصه بالصدق قال بعضهم من حلف بعزة الله فإن أراد صفته الذاتية فيمين وان أراد عزته التي خلق بين عباده وهي التي في قوله رب العزة فليس بيمين انتهى .

﴿وسلام على المرسلين﴾ تعميم للرسل بعض تخصيص بعضهم وهم أعلا البشر لأنهم كاملون مكملون لغيرهم ويجب الاقتداء بهم في اكساب الكمال والتكميل وعن رسول الله ﷺ إذا سلمتم علي فسلموا على المرسلين فانما أنا أحدهم وهذا منه أمر ندب لأن الله سبحانه أمرنا بالصلاة والسلام عليه معينا صراحه ولم يأمرنا بالصلاة والسلام على غيره إلا ما نفهمه فهما لا صريحا وندبا لا وجوبا فقد روى عن علي من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين .

﴿والحمد لله رب العالمين﴾ أي على هلاك الأعداء ونصرة الأنبياء قيل المراد بذلك تعليم المؤمنين أن يقولوه ولا يغفلوا عنه ينزهون الله ويسلمون على رسله ويحمدونه وإنما ختمت السورة بذلك لاشتمالها على ما يقول المشركون مما يجب تنزيه الله عنه وعلى المرسلين وما القوة من المشركين وما لهم في العاقبة من النصرة والنعم كلها من الله يجب الحمد عليها .

اللهم بسيدنا محمد ﷺ وبالسورة أخز النصارى وأهنهم واكسر شوكتهم وغلب المسلمين والموحدين عليهم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين آمين .

تمت القطعة الثانية عشرة من تفسير القرآن العظيم من كلام رب العالمين ويتلوها الثالثة عشرة التي أولها سورة ص من تصنيف الشيخ العالم الفقيه النحرير محمد بن يوسف اليسجني الإباضي الوهبي المغربي رحمه الله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وكان تمامها يوم ٢٠

من شهر رجب

الأصم في

سنة

١٣١٠هـ

الفهــــــرس